

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190334

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

أحياء الآداب العربية

ملك الأمية

في

ملك الأمية

لابن فضل الله العمري

بمحقق

الأستاذ أحمد زكي باشا

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

كلمة صغيرة

عن

موسوعات كبيرة

كلمة صغيرة عن موسوعات كبيرة

هذا كتاب "مسالك الأبصار" لابن فضل الله العمري !
وهو قد لا يحتاج الى التعريف به ولا بمؤلفه . فقد آستفاد منه في القرون الوسطى
كل أكابر العلماء في الشرق : من عرب وفُرس وتُرك .
حتى إذا ما رحل العلم عن بلادنا وآستقرت بأرض أوروبا ، تنبه المستشرقون اليه
فاستقوا من بحره الطامى ، مثل "كاتيمير" الفرنسى ، و "أمارى" الطليانى . فكان
لها القدح المملئ والزاية البيضاء فى استخراج كنوز المعارف من هذا المعدن الغنى
السخى الكريم . وأما غيرهم من المستشرقين الذين حذوا حذوهم فهم كثيرون .
مع كل ذلك ، بقى المصريون — الى هذا اليوم — محرومين وحدهم من بضاعة
أجدادهم ، الى أن وفقنى الله لردّها اليهم بعد أن بذلتُ ما بذلتُ فى هذا السبيل من
التعب والعناء فيما لا يقلّ عن ربع قرن من الزمان .
اهتديت الى مكانه فى دور الكتب بأمّهات العواصم فى ديار أوروبا وفى خزائن
المخطوطات بالقسطنطينية العظمى .
لكن الجزء الأول منه بقى فى حكم المفقود . فان نسخته التى بخزانة آيا صوفيا
ليست بذاك .
ولقد تداركنى العناية ، فعثرت بطريق الصدفة على كتاب مدشوت فى الأضابير
المبعثرة بين الأوراق المنتثرة فى أسافل الخزانات بسرّى طوب قيو بالقسطنطينية .
وكان هذا الكتاب بعنوان "مرآة الكائنات" .
تصفحته قليلا ، وإذا به هو الضالة المنشودة !
ومما جعلنى أعتبط كل الاعتباط بهذه اللقية أن رجلا من أهل العلم قرأ هذا
الجزء على المؤلف ، وأن المؤلف كتب بخطه عليه بعض التصحيحات وأضاف اليه
زيادات كتبها بيده فى ورقات "طيارات" .

نهت رشاد بك أمين تلك الخزانة في سنة ١٩١٠ الى هذه الدرة اليتيمة ،
 وطلبت اليه إعادة العنوان الى أصله ، وإضافة الولد المفقود الى أهله . ففعل .
 وحينئذ أسرع فأخذت بالفتوغرافية صورة الكتاب بأكله (مع النسخة الأخرى
 من الجزء الأول التي بأيأ صوفيا) وأحضرت الكل الى القاهرة . وهو محفوظ بدار
 الكتب المصرية . وليس يوجد في أى قطر آخر بالمشرق والمغرب نسخة كاملة
 مثل التي أعدها لمصر . وقد كان عند أجدادنا من هذا الكتاب ما لا يقل عن العشرين
 نسخة كاملة ، طوحت بها أيدي الزمان الى هنا وإلى هنا . وبقي وادي النيل محروما
 من هذه الثمرة المصرية التي كانت تتناولها الأيدي وتؤتى أكلها في كل حين .
 وقد عُنت كل العناية ، وبذلت غاية الجهد في تحقيق هذا الجزء الأول ، وسافرت
 الى فلسطين في صيف العام الماضي لتطبيق ما أورده المؤلف عن "المسجد الأقصى"
 من البيانات الفنية المعمارية والاصطلاحات الهندسية البنائية التي لم يجربها قلم كاتب
 قط . لا من العرب ولا من العجم ، لا قديما ولا حديثا .

أبرزته على هذا المثال الذي أرجو أن ينال قبولا عند العارفين من أهل العلم .
 وأمل في الله كبير أن يمدني بالتيسير لإكمال على هذا النحو من الخدمة التي أخذتها
 على عاتقي ، للقيام بالعمل الجليل الذي أبتهل اليه تعالى في تكليله بالنجاح ، وهو :

” إحياء الآداب العربية ”

وسأتولى في أحد الأجزاء التالية التعريف بهذه الموسوعات الاسلامية المصرية
 الكبرى ، بعد أن أنتهى من استخبار المؤلف نفسه عن نفسه ، ومن استكمال المواد
 التي ما زلت أجمعها من بطون الدفاتر ومختلف المصادر .

وسأضيف اليه روافد فتوغرافية يتمثل فيها خط المؤلف ، وخطوط النسخين
 لكتابه الذي كان أكبر ينبوع للقلقشندي في ”صبح الأعشى“ .

وأتم ذلك كله بمعجم لغوي للألفاظ الاصطلاحية ونحوها مما أصبح في حيز المجهول
 عندنا . وأضحينا في أشد الحاجة لتجديده للتعبير عما لا نجد له مقابلا فيما تدعو اليه
 أسباب الحضارة الحاضرة وما ظهر فيها من مبتكرات القرائح والعقول ما

أحمد زكي باشا

فهرست

الجزء الأول ، من كتاب مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

فهرست المضامين

صفحة

فاتحة المؤلف :	١
خطته — تدقيقه في النقل — فذلكة عامة عن محتويات الكتاب — اقتصاره على ممالك الاسلام — شدة احتراسه في نقل العجائب — سبب ابتدائه بالمشرك — تعبه في خدمة الكتاب — التنويه بسلطان عصره الناصر قلاوون...	٢ — ٥
مناهج الكتاب والاشارة الى محتوياته بالتفصيل الوافي	٦
ابتهاج المؤلف الى الله — ورجاؤه للقراء	١٤

الباب الأول

في مقدار الأرض وحالها ، وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول — في كيفية الأرض ومقدارها :

كبريتها والبرهان عليه — استقرارها في جوف الماء	١٧
العرش والكرسي ، في رأى فلاسفة الاسلام	١٨
حركات الأفلاك وتقسيم الأفاليم — الفلك الأطلس وحركته ، وعنده ينتهى الإدراك البشرى	١٨
نظرية في الكواكب الثابتة والمتحركة والبرهنة عليها — تشكك ابن سينا في محل وجود الثوابت	١٨
تشبيه العالم لتقريره الى الأنفهام — اعتراض المؤلف على هذا التشبيه	١٩
نظرية الادريسي في استقرار الأرض في جوف الفلك	١٩
تقديره أبعاد الأرض : على رأى الهنود — على رأى هرمس — مناقشة المؤلف لمذنب	
التقديرين	٢٠

صفحة

- تقدير الحكيم إرتستين الذى يسميه المؤلف إردساس (تخربفا عن
إردستيناس (Erastostène) ٢٠
- تقدير بطليموس — تصحيح اس الشاطر الدمشق لهذا التقدير .. ٢١
- تقدير صاحب الكائن ٢١
- ماصنعه المأمون العباسى لتحقيق أبعاد الأرض بطريفة عملية ٢١
- استنتاج المؤلف — استدلال اس الشاطر ٢٢
- مقدار الدرجة بحساب المأمون وعبره — ترجيح المؤلف لنتيجة المأمون واعتماده عليها ٢٢
- الفرسخ والذراع على حساب المأمون — طول المرحى القديم ، وضول الـ د ٢٣
- اختلاف الآراء فى تقدير العمران — تحرير قنات الدين الشيرازى لمقداره — مد اس
الشاطر لطرية الشيرازى ٢٣
- رأى الادريسي فى أسباب العمارة فيما بين القطبين — قد المؤلف لهذا رأى —
الشمال أكثر عمارة من الجنوب — العمارة فى الجنوب قسم المشرق — (جزائر البحر
الهندى وبلاد الصين) — عدم العمارة فى الجنوب من جهة العرب — العمارة وراء الاقليم
السابع — (بلاد الروسية والمغرب) — (بيل السودان المعروف عند العرب ببحر الدمام والآن
عند العرب ببحر البحر) — السبب فى عمارة ما وراء خط الاستواء من القسم الشرقى وعدمها
فى القسم الغربى — سبب العمارة فيما وراء الاقليم السابع — لماذا كان الشمال أكثر عمارة
من الجنوب — رأى الادريسي ثم الكرى الأندلسى — حمله المعمور على رأى بطليموس
والشيرازى وتوفيق المؤلف بينهما — احترام المؤلف ٢٤-٣٠
- تشبيه الأرض بجسد آدمى — عدم رضا المؤلف عنه ٣٠
- الأرض غير صادقة الاستدارة ٣٠

تخيل علماء الاسلام لوجود أمريكا قبل اكتشافها بقرن ونصف قرن ٣١

الفصل الثانى الى الخامس — أسماء الأرض وصفاتها من حيث اللغة :

الأرض وصفاتها	٣٢
التراب وصفاته	٣٧
الغبار وصفاته	٣٩
الرمال وصفاتها	٤٠

الفصل السادس — فى أحوال الأرض :

الارتباط بين الكائنات الحيه وبين الأرض — تمام ارتباط الانسان بالأرض — (السمندر والنار) — الأرض أم البشر — قلة السارى الحيوان، ولماذا كانت العداة الموعودة به — الانسان أرضى ترى وأساس معاشه من الأرض — الانسان مقطوع على طلب النقاء وسنتقى فى تطلب المعاش	٤٥-٤٣
كلمه عن الجبال — نظرية فى اتصالها طاهرا أو ماطا	٤٦
جبل قاف عد جغرافى المسلمين هو أم الجبال — ما هو الجبل المحيط وكيف سيده	٤٧
جبل القمر — الجبال المكتنفاة نهر النيل عد مسعه	٤٩-٤٨
كمال الكلام على تسلسل الجبال	٥١-٤٩
جبال الربع الأول : حل قدم آدم — حل الدليل	٥٣-٥٢
جبال الربع الثانى : الحل السابع	٥٥-٥٤
جبال الربع الثالث : جبال الأندلس	٥٧-٥٦
جبال الربع الرابع : « الهند والصين وشمال آسيا	٥٩-٥٨
[تحقيق على اسم نهرايتل (الغولخا) — فى الحاشية]	٥٩
جبال الشام واتصالاتها	٦٠

صفحة

جبال مكة : عرفات — أنوقيس — الحدمة — الحل الأبيض — الأحاسن	
والحاجب — قُبيعان — أجياد — اس عمران — حل البكاء — (سقايات مكة) —	
جلا شامة وطُفيل — حل شير — حل جرّاء — حل ثور — عارحراء ٦١	
جبال المدينة المنورة : حل أحد — جل سَلَع — جل نور — جل غير ٦١-٦٤	
أنهار الربع الأول ٦٦	
أنهار الربع الثاني :	
النيل : وضعه — كبتان للقاضي العاصل عنه ٦٧	
أصوله ومنابعه ٦٨	
اكتشاف المسلمين لمنابعه قبل الافرنج : وصول آخر سلاطين بني عبد المؤمن	
الى مسعه ٦٨	
وصف البحيرة التي يخرج منها النيل — دراعا النيل عند منبهه — مروره في بلاد السودان —	
بحر يوسف مصر — مشاهدة المؤلف في بحر يوسف — عمود النيل والصعيد ٦٨-٦٩	
رجع الى اكتشاف العرب لمنبع النيل قبل الافرنج : عالم معرى أقام بالسودان	
٣٥ سنة وأحد المؤلف عن أصل النيل — توغل هذا العالم في الأسفار لمعرفة مسع النيل ... ٧٠	
اختلاف الأقوال في أصل النيل — روايات عن بحث ملوك مصر الأقدمين عن أصل النيل —	
رأى المؤلف في أن هذه الأقوال مبنية على الطاريات العلمية لا على المشاهدة ٧١-٧٢	
محاولة الصالح نجم الدين الأيوبي معرفه منابع النيل [في الحاشية] ٧٢	
بقية أنهار الربع الثاني ٧٣	
أنهار الربع الثالث :	
نهر إشبيلية (أى الوادى الكبير المعروف عند الافرنج باسم Guadalquivir عن اسمه	
الغرى) وما قيل فيه من طرائف الشعر والوصف لاس وهوون وعلام الكرى وان صاره	
واس حفاة ٧٤-٧٦	

صفحة

- نهر سرقسطة (Saragosse) وهو المسمى فعد العرب أيضاً باسم إرّنه عن اسمه
 الافرىجى (Elbro) وما كان للملك الطوائف به من نزهة أئبته وما ارتحل به فيه الوزير
 اليهودى ابن حصدى من الشعر الفائق أثناء رفة المستعصم هود ... ٧٦-٧٧
 [تحقيق على اسم بحر سطش — فى الحاشية] ... ٧٧
- بقية أنهار الأندلس — أنهار فى أوروبا وآسيا ... ٧٨-٧٩
- نهر دجلة (Le Tigre) ... ٧٩
- نهر الفرات (L'Euphrate) ... ٨٠
- « الساجور بآسيا الصغرى ... ٨٠
- « قويق (نهر حلب) ... ٨٠
- النهر العاصى (ويسميه العرب أيضاً أربطى عن الأغمية) (Oronte) ... ٨١
- نهر بردى (نهر دمشق) ... ٨١
- « الأردن (Le Jourdain) ، ويسمى أيضاً « الشريعة » ... ٨٢
- حمة حدن والاستشفاء بمياهها ... ٨٢
- أنهار الربع الرابع : مها ميرايتل (Le Volga) — نهر الطيب — جيحون —
 سيحون — نهر السعد (Sogdiane) — نهر مكران (Indus) — نهر عماس سلاط
 الترك — نهر حداد الأعظم بالصين (وهو النهر الأصفر Le Fleuve Jaune) — نهر الكر
 (Cyrus) — نهر الرس المذكور فى القرآن (Araxe) — نهر قره صو — نهر أرس ... ٨٣-٨٥
- البحيرات المشهورة : بحيرة كياما — بحيرة أطراعا — بحيرة مريك — بحيرة السوكران —
 بحيرة بخارا — بحيرة خوارزم — بحيرة تهامة (بلاد الترك) — بحيرة زرة — ... ٨٧
- بحيرات النيل الثلاثة : يخرج النيل من اثنتين منها وأما الثالثة فيسميها المؤلف بحيرة اليوم حلف
 بلاد غانة (Guinée) لأنها من نيل السودان (Niger) ... ٨٧-٨٨

صفحة

- بحيرة النجوم مصر — بحيرة راقون — بحيرة نيرت تونس (أحدهما عدنة والأخرى ملحنة
وعجب شأهما) — بحيرتان بأقصى المغرب — بحيرات أرو — بحيرة الاسكندرية —
بحيرة تنس — بحيرة حارث — بحيرة طرية (وحمام طرية ووصفه) — بحيرة رعر
وهي المذنة (Fétide) — بحيرة أفامية (Apamée) — بطائح العراق (اثنتان بالصرة
وواحدة بالكوفة) — بحيرة حلاط — بحيرة أيودان ٨٩-٨٨
- رمل المهبير (ووصفه بالتفصيل) ٩٠

الاثار البينة في أقطار الأرض

- المساحد الثلاثة : ٩١
- الكعبة : كلمة عامة عليها ٩٤-٩٢
- سائر اراحيط — هذه وتحدد أيام عيد الله في الرب — .. احتاج لها — وارشع سائها .
على يد الملائكة — ثم اراحيط — ثم قرش — ثم اس الربر — ثم الخاخ — ساء العالفة
ثم حرم لها — ترجمها ٩٧-٩٤
- أعلامها وتحتها ماذهب في الخاطلة ثم في الاسلام ٩٨
- تحديد ماها في أيام الناصر محمد بن قلاوون ٩٩
- ترجمتها في أيام التوليد بن سدا الملك الأموى — ترجم المظهر يوسف بن رسول
صاحب اليمن ٩٩
- كسوة الكعبة في الخالفة الاسلام : كسوة المأمون — كسوتها من مصر ومن اليمن
في أيام التوليد — ما رآه المؤلف على سطح الكعبة ومباشرته لكسوتها بيده —
اهداء سلطان مصر كسوة الكعبة القديمة لسلطان المغرب الأقصى — غسل الكعبة
وتولى المؤلف ذلك بيده — الثالثة وكسوة الكعبة — كسوة النبي والخلفاء
الراشدين لها — قول تبع عند كسوة الكعبة ١٠٢-٩٩

- صفة الكعبة ودورها (مساحتها) — الحجر الاسود — باب الكعبة — المآتم — موضع
 الخلق ومقام ابراهيم — الحطيم — المستحار ١٠٢-١٠٤
- المسجد الحرام المحيط بالكعبة : وصفه — عمر بن الخطاب يبرع الملكية لتوسيعه ،
 ثم عثمان بن عفان يقتدى به ، ثم ابن الزبير — تعمير عبد الملك بن مروان له — توسيع
 الوليد الأموي له — زياده المصور والمهدي العباسيين له — رواه — سقاه —
 أساطينه — شراء النني لاساقوانة له نوربها ذهباً — حيايه — مساحته — ارتفاعه —
 شرفاته ١٠٥-١٠٩
- المسجد الحرام يراد به الكعبة كلها — يراد به المسجد المحيط بها فقط — يراد به
 مكة أو الحرم بأكمله ١٠٨-١٠٩
- بئر زمزم : أصل التسمية — طم الحرتين مصاصفا — تحديد عدد المطلب حفرها
 ١٠٩-١١١
- الصفاء والمرورة : وصفهما -- المني — موضع المرورة ١١٢
- مبدأ ظهور قرين بمكة — دار الندوة — دخول الدار في الحرم وهو وضعها منه . ١١٣-١١٤
- منى : مسجد الحيف — مسجد الكمش — جمع (أى الخردل) — وهو جددها —
 المشعر الحرام ١١٥-١١٦
- أنصاب الحرم : أول من .. -- تحديد النى ثم الصحابة لها — بناءها لرمي
 المؤلف — حد الحرم ١١٧
- تعظيم مكة وتحريمها : حفظ شجرها — قطع شجرها ودية كل شجرة بكرة .. ١١٨-١١٩
- عرفات — قبة آدم — تسميتها ١٢٠
- مسجد نمرة (المعروف خطأ بمسجد ابراهيم) ١٢٠
- مسجد عائشة أم المؤمنين ١٢١
- مسجد ميمونة أم المؤمنين ١٢١

صفحة

- المواقيت (أى مواضع الإحرام): ذو الحليفة (مقات أهل الشام) — آبار هذا الطريق —
 الجلفة واسمها القديم (مهمة) — رابع (عمر الزك المصرى فى عهد المؤلف) — تغليط
 المؤلف للجوهرى — بللم (الملم) — ذات عرق ١٢٢-١٢١
- المسجد النبوى : الحرم النبوى والروضة الشريفة — قدوم النبي المدينة ومصلاه فيها —
 بناؤه مسجده بها — زيادة عمرو عثمان فيه — مسافة الحرم فى عهد النبي — الزيادات
 المتوالية فيه — زيادات العباسيين — المسافة بين المنبر والمصلى والقبر الشريف ... ١٢٦-١٢٣
- بيوت النبي : اضافتها الى المسجد أيام عبد الملك بن مروان ١٢٦
- مسجد قباء (وهو أول مسجد بنى فى الاسلام) — كيفية تأسيسه ١٢٧
- مسجد الضرار ١٢٩
- مساجد المدينة ١٣١
- بقيع الغرقد : قبة العباس ومن فيها من أهل البيت — قبة عثمان بن عفان — قبة ابراهيم
 (ابن النبي) — قبة فاطمة وأمهات المؤمنين والصحابه والتابعين — قبة مالك ابن أنس —
 أول مدفون بالبقيع — سبب تسميته بالغرقد — معنى الغرقد ١٣٢-١٣١
- المسجد الأقصى : كلة عامة على الحرم المقدسى — بناء سليمان له — فضله — فتحه
 فى أيام عمر ثم صلاح الدين — تسليمه للفرنج ثم استنقاذه ١٤٠-١٣٣

(وصف الحرم المقدسى ومزاراته الى سنة ٧٤٣ هـ — تصنيف

خاص به لأحمد بن أمين الملك)

وصف فنيّ عربيّ للبناء على الطراز العربى :

الصخرة الشريفة : البناء المثلث المحيط بها وطاقاته وشايفه — وصف السقف —
ارتفاعات القبة — صفة الشباك وأنوارها — أثر قدم النبيّ (صلعم) فيما يقال — درفة حمرة
(وهى مرآة من السعة معادن) — المحراب — المعارة وباطنها — مقام الخضر —
مقام الخليل — الباب الشرقى للصخرة — بابها الشمالى (باب الجنة) — الباب العربى —
الصحن ومساحته — قبة الميران — قبة الجوى — المدرسة المعظمية — قبة الملك المعظم —
الامام والطلبة أحاف بهذه المدرسة — القرية الموقوفة عليها (بيت لقياء) — مزولة
المدرسة — قبة للتصديسين بالحرم — حلوتان للفقراء — درج الرقاق — أعمدة القبة
وصفها — السلسلة المعلقة بين السماء والأرض — المشاة الموصلة للحرم — قبة المعراج —

الآثار والصهاريج يحضن الحرم وفى سفله ١٤٠-١٥٢

السور القبلى : مساطبه ومحاريبه — خزائن القناديل والحوائح — جامع المعارة

وجامع النساء ١٥٢-١٥٣

السور الشرقى (وفيه مهد عيسى) : مسجد باب الرحمة — باب الرحمة — المقبرة خارج
هذا السور — وادى حنهم وما فيه من عجايب المباني والآثار والقوش والمعابد القديمة —

وصف الفصول الأربعة بالحرم المقدسى ١٥٤-١٥٥

السور الشمالى : باب أسباط — المدرسة الكريمة — باب شرف الأنبياء — مدرسة

آل ملك وخافاه الإسعدى — مدرسة الجاولى ١٥٧-١٥٩

السور الغربى : أبوابه — آثار علاء الدين الأعمى ناظر الحرم (أقبر ترحة حياته

فى كتاب نكت الحميان) — باب الرباط المنصورى — مساكن ومحاسن وخلوات

فى ثخانة الحائط — باب الحديد — الباب الحديد — الخلاوى والطهارات والمساكن —

باب الطهارة — باب السلسلة (وهو باب السحرة) — باب حارة المعارة ١٦٠-١٦٣

صفحة

الخلاوى والحواصل تحت الصخرة	١٦٤
قبة سليمان : صفها — صخرة سليمان	١٦٥
المجلس الذى بناه سليمان (ويسمى فى عهد المؤلف اصطبل سليمان) : وصفه — مريبط	
الوراق فى إحدى اسطواناته — زيارة المؤلف له	١٦٥—١٦٧
قبر الخليل وما جاورد من قبور بنيه والأزواج : قبر الخليل ابراهيم، وزوجته	
سارة، وابنه إسحق	١٦٨
زيارة المؤلف للسرداب الذى به قبور الأنبياء	١٦٩
اكتشاف قبور الأنبياء فى أيام احتلال الصليبيين لبلد الخليل	١٧٠
قبر آدم ونوح وسام — قبر يوسف وسبب وجوده خارج الحرم	١٧٠
رحله الحرم الخليل وصيافاته	١٧٠
زيارة المؤلف له سنة ٥٧٤٥ هـ	١٧٠
فتح الصيافة وأهراقه	١٧١
استمرار السباط فى أيام الصليبيين ورياداتهم فيه — ريادة مارك الاسلام فيه	١٧١
قصائد لتؤلف فى مدح الخليل — تفصيل المؤلف فى ريارته له	١٧٢
إقطاع تميم الدارى — استحصار المؤلف للكاتب النبوى الشريف ونقله صورته	
وصفه له — نقله هذه النسخ عن خط الخليفة المستنصر (فى الحاشية كلام عن هذا	
الكاتب شريف بن علاس الصندى عن أبى بكر العرنى ونقله عن العلقشمدى) — رؤية	
المؤلف له : الكتاب الشريف سنة ٥٧٣٩ هـ	١٧٢—١٧٦
قبر يوسف بن متى — زيارة المؤلف له مرات آخرها سنة ٥٧٤٥ هـ	١٧٦
قبر موسى الكليم — رواية فى تحقيق موضعه، ومما عجيب	١٧٧
مسجد دمشق : وصفه وأزلياته — محيطه — لوح مكتوب بخط عادى وجدوه أيام	
الوليد وزعم وهب بن مبه أنه قرأه — صورة ما فى هذا اللوح	١٧٨

- دخول العرب دمشق فاتحين — الكنيسة نصفها للصاري ونصفها للسليبي الى أيام
الوليد — حيلة لطيفة للوليد مع امبراطور الروم — المصالحة على اختصاص المسلمين
به في نظير استنثار الصاري بكنيسة مريم كلها — شروع الوليد في تحصيله — رواية
أخرى في اصرار المسلمين به — أخذ النصارى أربع كائس في نظير بصمهم فيه ١٧٩-١٨٠
- محاولة القساوسة مع هدم كنيسة لتوسعته ، ومباشرة الوليد الهدم بنفسه — رواية
أخرى — رواية أخرى — وضع الأساس — تحوير النصارى للصاري الوليد
- ومباشرة الهدم بنفسه ١٨٠-١٨١
- التعويض على النصارى بكنيسة أخرى ١٨٢
- مساومة الوليد النصارى وتخويفهم اياه بالجنون اذا هدمها ومباشرة الهدم بنفسه
لتكديهم — إتمام اليهود هدمها ١٨٢-١٨٣
- طلب الوليد صاعا وعملة من ملك الروم — مكتوبة ملك الروم بشأن الهدم ... ١٨٣
- سقوط القبة بعد بناؤها — حيلة هندسية في تشييدها ١٨٤
- محاولة الوليد عقد رأس القبة بالذهب وتقرير أحد أصحابه له ١٨٤
- تشية سطوحه بالرصاص — شراؤه رصاصا من امرأة يهودية بوزنه ذهبا ثم تبرعها
بالتفن للسعد لما رأته من عدل الخليفة ١٨٤
- سليمان بن عبد الملك يتولى أمر الصاع بنفسه — أداء الأمانة ١٨٥
- ما كان فيه من الرحام والمرمر — مناقشة المؤلف عن الرحام والمرمر والحجارة وتفصيل
أنواع الرحام الملون — رحام بيبرس ومن بعده — عدد المرجح ١٢٠٠ —
- ترويقه ونهقاته الباهظة واحتجاج الأمة على الوليد ، وردّه المقنع ... ١٨٥-١٨٦
- قصة كنز — العقدة على المسعد ٦٠٠ و ٦٠٠ دينار ١٨٦-١٨٨
- مفاتيح دمشق أربعة ، وبه صارت خمسة ١٨٨
- ثمان مئودين ١٥٠٠ دينار ١٨٨
- رأس يحيى بن زكريا في كنيسة تحته ١٨٨
- تمثال قديم وحدوه في حفر الأساس ١٨٨

صفحة	
١٨٩	الأقباء المعقودة تحت المسجد
١٨٩	الوراق الذى كان محيطا به وأقصاه وماذا يحى بها
	تمويس عمر بن عبد العزيز على النصارى بكيسة أخرى — عمر بن عبد العزيز أراد
١٩٠	إرجاعه للنصارى ، وكيف أرساهم القوم وأرسوا عمر
	شروع عمر بن عبد العزيز برع زحاره لوضع ثمنها فى بيت المال ، وكيف ردّوه
١٩٠	عن ذلك
	وعود الروم وإغناهم به — رواية فى عزم عمر بن عبد العزيز على تحريد القلعة مما
١٩١	فيها من الذهب
	إقرار المهدي العباسي فصل بنى أمية فى أربعة أشياء — إغنا المأمون ببائه على
١٩٢	غير مثال تقدم
١٩٣	مغائب الدنيا حسن عبد الشاهي : منها المسجد الأموى
	صناعة السيفساء وأنواعها — السيفساء التى احترقت سنة ٧٤٠ هـ — المرق بين
١٩٣	القديمة والحديثة فى أيام المؤلف
١٩٣	هذا المسجد يشوق الى الجلة
	الدرّة المسماة (قُلَيْلَة) — الأمين يستزعمها والمأمون يردها للتشيع عليه — ضياعها
١٩٣	وانكسار البرنية الزحاح التى وصعت محلها
١٩٤	أستار المسجد
١٩٤	وصف المؤلف لبائه الوثيق الأتيق
١٩٤	أبوابه القديمة والمستجدة
١٩٥	حصن المسجد وسيفسائه — رواق الصحن — أروقة القبلة وقبة السر
١٩٥	المصحف الثماني الذى كان فيه
١٩٥	محراب الصحابة — محراب الحفية — محراب الحنابلة
١٩٦	وصف الأروقة — وصف قبة السر

صفحة

مشاهد الخلفاء الراشدين — مجلس الحاكم الشرعى والحكام الأربعة	١٩٦
مجن زين العابدين	١٩٦
المعارات والمدارس التى أضيفت اليه	١٩٧
فرشه بالمرمر، وزخرفة عمدته وعضائده بالرحام المذهب	١٩٧
فساق الماء	١٩٧
عود الى وصف القبة	١٩٧
طول هلال القبة	١٩٨
وصف ساعة المسجد	١٩٨
طلسمات الجامع قبل حريقه	١٩٨
حريق الجامع سنة ٤٦٩ هـ وسببه — وصف العماد الكاتب لهذا الحريق — أبيات	
فى ذلك الحريق	١٩٨
الفوارات التى به وتوارىخ انشائها وسقوط عمدتها وما فوقها	١٩٩
عمل الشذروان بعد سنة ٦١٠ هـ — وصف الدهى لقصة القوارة الكبرى وما بنى	
عوضاً عنها بعد حريق سنة ٦٨١ هـ	٢٠٠
حريق سنة ٧٤٠ هـ وتجديد المارة على أحل مثال — مقامة الصفدى فى وصف هذا	
الحريق — وصف ابن عاتم له أيضاً	٢٠٢-٢٠٠
وصف المؤلف لعماد هذا المسجد بالناس دائماً	٢٠٢
أوقافه ومرتباته	٢٠٣
مقام إبراهيم يبرزة (بالنقطة)	٢٠٣
مقارة الدم — فضلها خصوصاً فى صلاة الاستسقاء	٢٠٥
الريوة : مقام عيسى (عم) بها — معجزتان لعيسى (عم) — اختلاف المصرين فى مواقع	
الريوة — انتقاد المؤلف هذه الأقوال	٢٠٨-٢٠٦

صفحة

- الكهف بقاسيون : بناؤه سنة ٨٣٧٠، ورؤيا غربية في ذلك ٢٠٩
- مسجد عمرو بن العاص بالقسطاط بمصر : وصفه وفصله — وصف الهلال والشمس فوق البيل في وقت العروب لأن طاهر، ولأبن قلاقص وابن المحم، وهما في ماريته ٢٠٩-٢١١
- مسجد قرطبة : طوله وعرضه — تسقيمه وصحته — قسيه وسواريه — ثرياته — سماواته وجوائز سقمه ٢١٢
- صنعة الفص وصناعة الدوائر — لاجله — أعمدته — صاعة الفص بالمرة ٢١٢-٢١٣
- وصف قلته العجبية وما فيها من صعة القوط — أعمدة المحراب لا تقوم بمال — المبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله — ستة صنائع قصوا سبع سنين في عمله ... ٢١٣
- آلات الوقيد في ٢٧ رمضان (ليلة القدر) ٢١٤
- مصحف يرفعه وحلان، فيه أربع ورقات من مصحف عثمان ٢١٤
- أبوابه ٢٠، مصححة بالحاس وكواكب الحاس ٢١٤
- صومعة العربية — درجان متحالفان للصعود الى أعلاها — فيها ثلثمائة عمود — فوقها ثلاث فتاحات من ذهب وفضة ٢١٤
- ٦٠ رجلا يخدمون الجامع ٢١٤

بقية المزارات الأخرى : (وكلها بالشام) :

قبر مالك بن الأشتر — قبر حفصة — دير إلياس (عم) — مشهد إبراهيم ببلبك — قبر أسباط ببلبك — قبر نوح الكرك — قبر شيث (عم) بقرية شرعيل — قبر حرقيل (ع) بالبقاع — قبر بنيامين بقرية طهر حمار — قبر شيان الراعي بالبقاع — قبر أيوب (عم) بقرية دير أيوب — مشهد حماة من الصحابة بقرية محجة — حجر يرمعون كدنا أن المي (صلم) جلس عليه بقرية محجة — قبر اليسع بقرية بسر — الأحود الذي تحران بالشام (والحقيقة خلاف ذلك وأنه باليمن) — عبد الرحمن بن عوف بقرية الدور — الميسع في ذيل اللخاة — سام بن نوح على ندى — محي الدين النوى بقرية نوى — على الحريري بقرية نوى — مبرك الباقية ببصرى — مصحف عثمان عليه أثر

الدم في مبرك الساقة ببصرى — دير الساعق الذى كان به الراهب ببحرا — قدم
الرسول (صلم) بقرية ذنين — قبر وهب بن مبه بقرية عصب — قدم هرون (عم)
بصرحد — مشهد موسى وهرون (عم) بصرحد — قبر هرون بالسبق ببلاد الشوك —
قبر أنى عبيدة ابن الجراح بقرية عمتا — قبر معاذ بن حبل بالقصر المعينى — قبر
أبى هريرة بقرية تنى — الكهف والزقيم (باللقا أو أفسس أو بتالطة) — قبر
جعفر الطيار ، وزيد بن حارثة ، وعبدالله بن رواحه ، والحارث بن العمان ، وعبدالله
أن سهل ، وسعد بن عامر القيسى ، وأبو دحانة الأنصارى (كلها بقرية مؤتة) —
وقبور أم موسى بن عمران ، ودان ، وأبى ساحور ، وزبولون ، وكاد ، وأولاد يعقوب
(بإربل طرية) — قصر يعقوب (عم) ، وبیت الأحران ، وحب يوسف (في الطريق)
الى مانياس والى القدس) — قبور شعيب في حطيس ، ويهودا بن يعقوب في رومة
طبرية ، وصغورا رومة موسى في كفر منده — الحب الذى سقى منه موسى أنثام
شعيب والصحرة التى رفعها عنه في كفر منده — ق. اشير ونثنالى ، ولدى يعقوب في كفر
منده — وقبر سليمان (عم) بشرقي طبرية أو بيت لحم — قبر إسماعيل وابنه — الطور الذى
رأى موسى الباروقه بالشام ، في قول — قبر راحيل أم يوسف بين القدس والخليل —
قبر لوط بكفر تريك — مقام لوط بقرية تامين — الحجر الذى صر به موسى (عم)

بها — قبر عبادة بن الصامت بالرملة ٢١٥-٢١٩

مشهد الحسين بن على بن أبى طالب بعسقلان (المؤلف يسكن وحوده بالقاهرة وقبول
ان الأعلاب انه لم يخاور دمشق وأن العباسيين حملوا أسلمه فيما بعد ودفعوها بالمدينة

المقورة) ٢١٩-٢٢٠

مشهد رأس الكامل صاحب مياقارقين بعسقلان (وتعبر المهتار الكات فيه) ٢٢٠

قبر يحيى بن زكريا بسسطة — سعد بن عاتدة بالمنيحة بدمشق (ولا يصح) — قبر خالد
بن يزيد الأموى خارج حصص (والعلمة تحمله قبر خالد بن الوليد وهو خطأ) — قبر

صرار بن الازور خارج باب شرق دمشق — مدفن الصحابة في تلك الجهة ٢٢٠-٢٢١

البيوت المعظمة عند الأهم :

عبادة الكواكب وهياكلها ٢٢٢

البيوت المحجوجة ٢٢٢

صفحة

٢٢٢ البيت الحرام بمكة ...
٢٢٢ بيت النار Pyrée بأصفهان ...
٢٢٢ بيت مندرسان بالهند ...
٢٢٣ بيت كأوسان فرغانة ...
٢٢٣ بيت عمادات باليمن ...
٢٢٣ بيت الكواكب بأعلى الصين ...
٢٢٣ بيت النوبهار في بلخ ...
٢٢٤ هياكل اليونان : (بيت املاكية — هرم الجزيرة — بيت المقدس — صنم لبنان) ...
٢٢٥ هياكل الصقالبة ...
٢٢٥ هياكل الصابئة ...
٢٢٦ هيكل بالصين ...
٢٢٧-٢٢٨ بيوت النيران (بطوس ، بخارى ، دارابجرد ، اصطخر ، جور) ...
الآثار المشهورة :	
بالصين وتركستان وفارس :	
٢٢٩ صنم الخطا المصوج اليه (بشمال الصين) — قصر الدهاك — حائط القلاص ...
بالعراق :	
٢٢٩ قصر سنداد ، وشعر الأسود بن يعفر فيه ...
٢٣٢ جب بابل ...
بالحيرة :	
٢٣٠ الخورنق والدير ، وما قيل من الشعر فيها وفي مجازاة سينمار بينهما ...
٢٣٠ قصر سناقاد ...

بالشام :

الرصيف الممتد في البرية ٢٣٠

مدينة تدمر — ملعب بعلبك — مدينة جرش — جب يوسف — جسر يعقوب ٢٣١

بين الججاز والشام :

مازل نمود (و بئر الحجر والنافه) ٢٣١

باليمن :

الأخدود — البئر المعطلة والقصر المشيد — سد مأرب — قصر القشيب — قصر

عمدان ، وشمر ابن أبي الصلت فيه — بئر رهوت — قصر زيدان ... ٢٣٣-٢٣٢

بقارص :

:

مدينة اصطخر ٢٢٩

قصر الشاذياح (والشعر الذي ارتجله ابن الجهم حينما صلبوه عليه) ... ٢٢٩

بمصر :

دار الأتمطاط — وشمر ابن قلاص في مليحة مرت بها ... ٢٣٤

الأهرام — فتح المأمون للهزم الكبير ، وتدقيق المؤلف في ذلك — وصف

المؤلف للأهرام ، وزيارته لها — شعر المتنبي وأبي الصلت الأندلسي فيها ... ٢٣٨-٢٣٤

أبو الهول ووصفه — وشعر طاهر الحداد فيه ... ٢٣٨

سجن يوسف ٢٣٨

حائط العجوز — ووصف المؤلف وزيارته له ... ٢٣٩

شامة وطامه (تمتلا عمود أو رمسيس الكبير) ... ٢٣٩

بربرة لإنعيم — مارآه المؤلف فيها — تحقيق الحكيم شمس الدين محمد القاش بشأنها ٢٤٠-٢٣٩

صفحة

عمود الصواری بالاسكندرية — منارة الاسكندرية وأشعار ابن الدروی

وَأَنْ قَلَّاسَ مِثْلًا ... ٢٤١-٢٤٠

الملعب، ومكانه قصر بن حليف (كان) وشعر ابن قلاقيس في وصف هذا القصر ٢٤٢-٢٤١

ببلاد المغرب :

مدينة لبدة (Lepidus) وأطلالها [وهي فيما بين برقة وطرابلس العرب] ... ٢٤٣

مدينة المعلقة بتونس (وهي قرطاجنة) ... ٢٤٤

مدينة شرشال بالجزائر ... ٢٤٤

صخرة سبتة بمراكش ... ٢٤٥

بالأندلس :

هيكल الزهرة بالأندلس ... ٢٤٥

باب الصفر بحمال البرانس (بين اسبانيا وفرنسا) ... ٢٥٣-٢٢٩

[شجرة واحدة في الدنيا لا ثاني لها] ... ٣٠٤

القصور المشهورة :

قصر العباس بن عمرو البتوي — الشعر الذي كتبه عليه سيف الدولة سنة ٥٣٣هـ

ثم أخوه ناصر الدولة سنة ٣٦٢ هـ ثم المفلد بن المديب سنة ٣٨٨ هـ ثم ابنه

قرواش سنة ٤٠١ هـ ... ٢٤٧-٢٤٥

[أمير جيش يسم وحده، وأمير جيش يؤسر وحده] ... ٢٤٨

قصر البصرة — أحدث فيه من المعاصرة بين حرير والورق في حصرة الجناح الثمقي ٢٤٨

قصر الكوفة وما حدث فيه من إحضار رأس الحسين إلى ابن زياد، ورأس هذا

إلى المختار بن أبي عبيد، ورأس هذا إلى مصعب بن الزبير، ورأس هذا إلى عبد الملك

ابن مروان الذي تطلع من مجلسه وأمر بهدمه ... ٢٤٩-٢٤٨

- قصر هرقل (بدمشق) — وعُرف في زمان المؤلف بقصر شمس الملوك — وصف
 القيسراني لبركته ارتجالاً ... ٢٤٩-٢٥٠
- قصر أنى الخصيب ، مولى أبي حفضر المنصور ... ٢٨٥
- قصور مدينة الصالحية بالعراق — وما قيل فيها من الشعر ... ٢٦٥-٢٦٦
- [الدار التي بناها المؤلف لنفسه بدمشق] ... ٣٥٠
- قصر ليني أمية بدمشق — وما كتب عليه من الشعر استهماها وجوانا على سبيل العرة ... ٢٥٠
- قصر عبد العزيز من مروان مخلوان مصر — وما كتب عليه من الشعر ، استهماها
 وجوانا على سبيل العرة ... ٢٥٠-٢٥١
- مسجد قنينة السلار من البرموك بالشام رأى المؤلف على بعض جدرانه شعراً في رثاء
 بن سيار أصحاب هذه الجهة الأتوليين يتلوه شعر في رثاء بني السلار ، وما كتبه هو
 تحت ذلك من الشعر في رثاء الفريقين على سبيل الموعظة والاعتبار ... ٢٥١-٢٥٢
- بيت من الشعر رآه المؤلف على معهد كان يألفه ، فارتجل أربعة أبيات في شكايته
 الرمان وأمر بكتابتها تحت ذلك البيت وانصرف باكياً ... ٢٥٢-٢٥٣

الديارات والحانات المشهورة :

ديارات العراف :

- دير الكلك (وهو من عتبات الدنيا) ... ٢٥٤
- دير أبوان (وهو قبر نوح ، يرعمون) ... ٢٥٥
- دير الزعران (وشعر الخالدي) ... ٢٥٥
- دير قنق ٢٥٥
- دير العاقول (وشعر ابن مقلة والبحترى وابن كاتب طولون ، وحكاية محطة والبحترى به) ... ٢٥٦
- دير العداري (وشعر ابن المعتز وجمعه والصنوبري وابن فيروز واللصوص) ... ٢٥٨

صفحة

- دير الباعوث (وشعر المنبجى) ... ٢٦١ ...
- دير السومى (وشعر أحمد بن أبي طاهر وابن المعتز) ... ٢٦٢ ...
- دير عبدون (وشعر البحتري وابن المعتز) ... ٢٦٣ ...
- دير زكى (وشعر الصوبرى وأبى بكر الموح والرهراوى — وشعر دارون الرشيد بسببه أو فمين فيه) ... ٢٦٥-٢٦٩ ...
- دير القائم الأقصى (وماحدث لاسحاق الموصلى فيه ، وما قاله من الشعر ، وما عمله الخليفة هارون من رفع الخراج عن هذا الدير سوى عشرة دراهم) ... ٢٦٩ ...
- دير حزقيال ... ٢٧٠ ...
- شعر عقلاء المجانين ... ٢٧٠ ...
- دير ماسرجس (زيارة المعتصم له مع أبى النصر البصرى وشعر هذا فيه) ... ٢٧١ ...
- دير الروم ... ٢٧٢ ...
- شعر عقلاء المجانين ... ٢٧٢ ...
- دير الزندورد (وشعر أبى نواس وحجة البرمكى) ... ٢٧٤ ...
- دير دوما لس (وشعر أن حمدون النديم) ... ٢٧٥ ...
- دير سمالو (وشعر محمد بن عبد الملك الهاشمى ، وأشعار خالد بن يزيد الكاتب حينما استدعاه ابراهيم بن المهدي) ... ٢٧٥ ...
- دير الثعالب (وشعر ابن دهقان) ... ٢٧٧ ...
- دير مديان (وشعر الحسين بن الضحاك) ... ٢٧٧ ...
- دير آشوش (وشعر حطه ورقص أبى العتاهية فى سمر يته حين سمع العماء به) ... ٢٧٨ ...
- دير سار (وأشعار ابن الضحاك) ... ٢٧٨ ...
- دير قوطا (وأشعار عبد الله بن العباس الريسى) ... ٢٨٠ ...
- دير جرجس (وأشعار أبى جفته القرشى — واستدعاه أن النميرى لأن المعتز لأجل الشرب فيه ليلة الشك) ... ٢٨١ ...

صفحة

- دير الخوات — ليلة المشوش به ، والشعر فيها لمخطة ٢٨٢
- دير باشيرا (وشعر أبي العيلاء)
- دير مرمار (وشعر الفضل بن العباس بن المأمون — وما حدث به لامتز أيام خلافته حينما خرج الصيد مع الفضل المذكور ويونس بن بُعَا) ٢٨٢
- دير مريحيس (ويسميه الناس معصرة أبي نواس — شعر أبي نواس وابن الصحاك) ٢٨٤
- ديارات الأساقف (وشعر علي بن محمد بن جعفر العلوي) ٢٨٥
- دير زراراة (خروج يحيى بن زياد ومطيع بن إياس للحج ووقوفهما به للشرب ليلة واحدة وتماديها حتى عاد الجميع فرجعا معه الى بغداد بعد أن حلقا رؤوسهما كأهما أديا الفريضة وشعر مطيع في ذلك) ٢٨٦
- عُمر مرثومان (وأشعار كشاجم فيه وفي عود الملاحى) ٢٨٦
- دير الألق (وشعر المدايني حينما سكر به) ٢٨٧
- عُمر إتراعيل (وشعر محمد بن حمد الأصم) ٢٨٧
- دير ناقوقا (وشعر أبي الحسين محمد بن ميون الكاتب) ٢٨٩
- دير سعيد (وأشعار الخالدي والسري الرقي — حكاية معنٍ ثقيل مع جماعة من الطرءاء وما قاله عمر بن محمد بن الشحنة من الشعر في ذلك الثقيل) ٢٨٩
- الدير الأعلى (وشعر الخالدي) ٢٩٣
- دير مارمخايل (حكاية الشهيد الذي وحد رأسه — وشعر الخالدي وعمر بن الشحنة) ٢٩٤
- دير متي (وما قيل فيه من الشعر — البيتان المكتوبان على باب دهليزه) ٢٩٩
- دير الحمامس (شعر لأحد بني عروة الشيباني يرثي أحماء — وبه يوح نساظم على موتاهم — وإذا رلت أحيائهم هذا الدير نحروا على قبر ميتهم وأقاموا مأتما) ٣٠٠
- دير باعمرنا (زيارة سيف الدولة له وشربه فيه والشعر الذي صمعه له أبو اسحاق اليسرى وغناه به سقارة العقواد) ٣٠٠
- دير القيارية (واستشفاء المرضى من اللبل المستعصية بالاستحمام في الحمة التي به) ... ٣٠١

صفحة

- دير مارقانا (وسكر الخيـاز البلدى وشعره) ... ٣٠٢ ...
- دير أبى يوسف (وشعر الخالدى) ... ٣٠٢ ...
- دير الشياطين (وشعر السرى الرها) ... ٣٠٣ ...
- دير مـرجس (وشعر رحـل من آل الفـرات) ... ٣٠٤ ...
- دير صُباعى (وشعر بعض لصوص بنى شيبان) ... ٣٠٥ ...
- عُمر الزعمـران (وشعر الخالدى والبيـعاء ومصعب الكاتب) ... ٣٠٥ ...
- دير باربيثا ... ٣٠٧ ...
- دير حـظلة (وشعر ور حر فيه) ... ٣٠٧ ...
- دير الخالـيق (ورثاء أبـن رقيـس الرقيات لمصعب بن الزبير المقتول بجـانـه — وأشعار
بكر بن خارـجة ومحمد بن أبى أمية بسببه وفيه) ... ٣٠٨ ...
- دير مريـحنا (وشعر عمرو بن عبد الملك الوراق وبعض أشعاره المـجـونـيه) ... ٣٠٩ ...
- عمر أخويـشا (والشعر فيه) ... ٣١٠ ...
- عُمر عسـكر (وأشعار محمد بن حارم الـاهـلى) ... ٣١٠ ...

ديارات الحيرة :

- دير الأسـكون (وصف العيد فيه) ... ٣١١ ...
- دير حـرة (شعر رحـل مسـتـتر بالسـكر فيه وقتله به — شعر الثـروانى وبكر بن حارـجة
الكوفى وأبى نواس) ... ٣١٢ ...
- دير عبد المسيح (والأشعار المكتوبة على حائطه — وعلى لوح وحدوه فى قبر به) ... ٣١٤ ...
- دير الحريق (وشعر الثروانى . وصف مجلس الشراب به فى يوم الشعانين) ... ٣١٥ ...
- دير اس مزعوق (وشعر الثروانى) ... ٣١٦ ...
- دير فاثيوب (وشعر الثروانى) ... ٧١٧ ...
- دير مارت مريم (وشعر الثروانى — شعر بكر بن خارـجة فيه على قـراءة النصارى
وضرب الواقيس) ... ٣١٧ ...

من مسالك الأبصار (ث)

صفحة

٣١٨ ... قلالية القس (وقد صار فاتكا) — شعر قيل فيه ...

دير حنة الكبير (شعر الثرواني — زيارة ابراهيم بن المدير مع جحظة له ، ومجلس
شربهما فيه ، وما صنعه جحظة من الشعر والتلحين لهذا السبب — زيارة الوليد
ابن يزيد الخليفة الأموي لهذا الدير متذكرا ، وشربه فيه ثلاثة أرطال — وتلطف

انخار حتى عرفه) ... ٣١٩ ...

دير هند (ذهاب النعمان بن المنذر ملك العرب إليه ، وتحيله في أحذه امرأة حكم بن
عمرو الحمصي ، وقول الشاعر في ذلك — مقابلة خالد بن الوليد مع هند بنت
النعمان — مقابلة الججاج لها — عيرة العرب وشهاتهم في الدفع عن الحرير —

مقابلتها لسعد ابن أبي وقاص حين فتح العراق) ... ٣٢٢ ...

دير اللح (الشعر فيه — ذهاب النعمان إليه بموكبه وحشمه وخدمه) ... ٣٢٦ ...

دير بني علقمة (وشعر عدى بن زيد — وهو مما يتنقى به) ... ٣٢٧ ...

دير هند الأقدم (زيارة هارون الرشيد له — وبكاؤه لشعر مكتوب على حائطه

في رثاء بني المنذر) ... ٣٢٧ ...

قبة السبق (ووصف حفلة النصارى به في عيد الشعانين) ... ٣٢٨ ...

دير اسحاق (وأشعار أبي عبد الرحمن الهاشمي السلمي) ... ٣٢٨ ...

دير ميماس (وأشعار دبك الجن وأبي نواس بسببه وفيه) ... ٣٣٠ ...

ديارات الشام وفلسطين :

دير محلى (وشعر أبي زرعة) ... ٣٣١ ...

دير مارمروتا (واحسان سيف الدولة الى أهله وشعر الصوري) ... ٣٣٢ ...

دير الرصافة (شعر أبي نواس وعيره — زيارة المتوكل العباسي له — رقعة الشعر التي

علقها فيه رجل من ولد روح بن زباع سرا ، يرثى المروانية . تعليق المتوكل) ... ٣٣٢-٣٣٤

دير حطورا ... ٣٣٤ ...

دير البنات (وشعر الطيبي) ... ٣٣٤ ...

دير كفتون (شعر الطيبي) ... ٣٣٥ ...

صفحة

- دير القاروس (شعر حسن بن علي القرى) ... ٣٣٦
- دير فيق (وهو أول دير للنصارى — شعر أبي نواس) ... ٣٣٦
- دير الطور (بالشام ويعرف بدير التجلي — أشعار المهلهل بن يموت بن المروع) ... ٣٣٧
- دير المصّلة — (زيارة المؤلف له — صار مسجدا ثم عاد ديرا — نذر المؤلف اعادته مسجدا — أوقاف الدير — شعر حسن القرى) ... ٣٣٩
- دير السقي — (قصيدة المؤلف فيه) ... ٣٤٠
- دير الدواكيس (كثرة مرور المؤلف به — أشعاره فيه) ... ٣٤١
- دير رمانين — ماحداث لعمر بن الخطاط فيه — مجيئه اليه بعد فتح بيت المقدس — ومقاتلته لصاحبه الراهب الذي كان أكرمّه — مصالحته له على الجزية — وكتاب عمر بريد الرهبان ... ٣٤٢
- دير هرقل (وهو خاص بالمجانين) — شعر دعبل فيه — حكاية المبرد مع أحد عقلاء المجانين ... ٣٤٤
- دير يونس (شعر الفضل بن اسماعيل بن يونس بن عبد الله بن العباس، وشعر أبي شاش) ... ٣٤٦
- دير بصرى (ويسميه المؤلف أيضا دير الناق وهو الذي كان فيه الراهب بحيرا) — وصف المارئي له ولصفاحه أهله — شعر دراية من أهله ... ٣٤٧ و ٣٤٨
- دير انخان — زيارة المؤلف له — أشعاره فيه ... ٣٤٨
- دير صليبا (الوليد بن يزيد الأموي كان يكثر الإقامة فيه، محرمه ويشرب فيه — وصف محاسن شربه ومشاركته للقيين في اللعب بآلات الطرب، ونخوجه بيده الهيئة على وجوه العرب، وتلطف الحاجب في صرف الناس) ... ٣٤٩
- دير بونا (سكر الوليد بن يزيد ومخونه فيه وشعره) ... ٣٥١
- دير سمعان — تلطيف للؤلؤ للحلادي وأبي الفرج الأصبهاني الذين جعلاه بدمشق، وليس له ما أثر ولا عين — تحقيقه عنه وأنه قرية تعرف بالبقرة بالقرب من معرة النعمان — وهو الذي دفن بجنازة عمر بن عبد العزيز — وصف جبر للنساء والصبيان وهم يقبلون الصلبان ويسجدون لها بذلك الدير — مقالة الوليد بن يزيد في السكر به حيث نزل على أكبر عدير فيه، وأقسم لا يبرح حتى يشرب مائه مزاجا

لأسمه — والحيلة التي فعلها ندماؤه للتخلص من هذا القسم — وصفه شعرا
 لأحمد بن هلال — مقابلة الديراني لعمر بن عبد العزيز بالقاهرة في مرضه ،
 وشراء الخليفة موضع قبره في الدير لمدة ستة ٣٥١-٣٥٣

دير مران (حكاية المبردمع أحد عقلاء المجانين) — شعر الصنوبري فيه — زيارة هارون
 الرشيد وما صنعه الضحك فيه من الشعر الذي غناه له عمرو بن باقة بلحن حنين —
 وصف إبراهيم الموصلي لمجلس الخليفة هارون فيه وطعامه به ومحدثه مع صاحب
 الدرو ذكره له زول الوليد بن يزيد به وشعر. في نفس المجلس وقيام الوليد وشربه
 الجرن مملوا نحرًا ثم ملؤه للجرن دراهم على سبيل الصلة لصاحب الدير —
 موضعه في أيام المؤلف

دير صيدنايا — هاديران أحدهما يعرف بدير السيدة ، يقصده الفرنج في أيام المؤلف
 ولم فيه اعتقاد خاص — الماء الذي يقطر من صدع فيه — تبركهم به وشدة
 اعتقادهم فيه — ذكر ماروته نصرانية معروفة بالعلم للؤلؤ عن هذا المعنى —
 وصف المؤلف لهذا الماء وتحقيقه بشأنه — شعره في الدير ٣٥٦

دير شرق معلولا — والماء الذي ينقط فيه واعتقاد الصاري له ٣٥٨
 دير بلوزان (مرور المؤلف عليه — شعره فيه)

ديارات اليمن :

دير نجمران (يسميه العرب كعبة نجمران) . شعره يتقنى به — ثلاثة بيوت من نصارى
 اليمن تبارى في بناء الكنائس وزخرفتها — شعر الأحمسي فيه ، ولحنه لمخضه عن بنان ٣٥٨

ديارات مصر :

بيعة أبي هور (والاستشفاء بها من داء الخنازير) ٣٦٠
 دير يحسن بناحية سنهور — (وحفلة الخاصة بأصبع الشبيد — تحقيق للؤلؤ فيه) ... ٣٦٠
 دير مر يحنا بجانب بساتين الوزير (شعراين عاصم) ٣٦١
 دير نها بالجيزة (وشعراين البصري) ٣٦٢

صفحة

- دير القصير — وعرة خماريه به — شعر محمد بن عاصم المصري — مطارحة ابن ظافر
 وابن مجاور والأعر المويذ ٣٦٣
- دير شعرا — مجالس السراج الوراق وحده — ومع الجزار الشاعر — حكاية السراج
 الوراق والأدباء مع صديقه الراهب به واستدعاء السراج للحمر بالشعر ... ٣٦٦
- دير البقل — السبب في تسميته — شعر السراج في مدح أبي الفضل ابن العسال وقد نرجا
 الى هذا الدير وتادما فيه ، فأنتم عليه ابن العسال بغير سؤال ... ٣٧٠-٣٧١
- دير طمويه (طموه) — شعرا عاصم فيه ٣٧١
- كنيسة الطور (دير طورسينا) — نازها — عمرانها — وصف ابن عاصم لها شعرا ... ٣٧٢
- دير طرا — شعر المؤلف فيه ٣٧٣
- الديارات السبع بالوجه البحري — مرو والمؤلف على بعضها في صحبة السلطان
 الناصر محمد بن قلاوون ٣٧٤
- الدير الأبيض بالصعيد — (وصف المؤلف له — أربوزة طويلة المؤلف فيه أتى فيها
 على وصفه بأبداع بيان ووصف السقرة وترتيبها والمآكل عليها وما أشبه ذلك من آلات
 الطعام وألوانه الخ . وهي من عرر الشعر الوصفى — أشعار أخرى له فيه) ... ٣٧٤
- دير ربة (وحكاية الشاعر المغربي ابن الحداد الذي أتى من بلاده للحنج فأناح المطايا به ،
 وأشاعره في ديارية) ٣٨٤

الحانات :

حانات المجاز :

- حانة الطائف (وشعر أنى ذؤيب الهذلي في نمارها ابن بجرة) ٣٨٦
- حانة بنى قريظة (والتجاء أبي سفيان بن حرب بعد عزوة السويق الى سلام بن مشكم
 اليهودي وما قاله من الشعر في مدحه على لإثر إكرامه له بكل النحر الذي فيها) ... ٣٨٧
- حانة هجم (وتعرف بحانة ريمان باسم صاحبها) وشعر الراعي النخري فيها ... ٣٨٨

صفحة

حانات الحيرة :

- حانة عون (وشعر أبي الهدي فيها في ليلة الشك من رمضان) ... ٣٨٩
- » دومة (وشعر الأقيشر في صاحبها التي سميت بها الحانة) ... ٣٨٩
- » جابر (وموافاة أبي نواس لما عند أبي الصلصال ، واغراء هذا له على الشرب بشعر لطيف ، ومحالته لأمر أمير المؤمنين ، وما فعله الأمين معه حينما علم ببعثته) ٣٨٩
- حانة شهلاء (امرأة يهودية) — وتحصن الأقيشر الشاعر بها حينما دهمه الشرطي ، ومحاوله الشرطي الشرب ، وحيلة الأقيشر في مساولة الخمر دون أن يخرج له ، وشعره في ذلك ... ٣٩١

حانات العراق :

- حانة طير باباذ (ووقوف سليمان بن نوبخت بها مع أبي نواس حينما خرجا للحج فأقاما بها الى أن عاد الحجاج فرافقاه على أنهما حجاج . وشعر أبي نواس في ذلك) ... ٣٩٢
- حانة قُطْرُبَل (ورحلة أبي نواس اليها مع أبي الشبل الرجمي ، وشعره في ذلك) ... ٣٩٢
- » الشط (والجلس الذي بناه الخليفة الواثق به ووصفه ووصف آلاته — ذهاب الخليفة المذكور اليها مع الحسين بن الصحاك واستنشاده اياه شعره فيها) ... ٣٩٣
- حانة خويث (وكانت معانة من الصرايب والحراج) — وشعر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات فيها ... ٣٩٥
- حانة سجستان (وشعر أبي الهدي فيها) ... ٣٩٦

حانات الشام :

- حانة عزار (ذهاب اسحاق الموصلي اليها ودوى ركاب الرشيد ، وما قاله من الشعر ، وما فعله الخليفة) ... ٣٩٦
- حانة هشيمة باسم صاحبها — (شعر الخليفة الوليد بن يزيد فيها) ... ٣٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❦

الحمد لله خالق الأرض ومن عليها ، ومُبدئ الخلق منها ومُعيدهم إليها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تحفظ مالهديا .

وأشهد أن محمدا سيدنا عبده ورسوله الذي فُتِحَ به لأُمَّته من خلفها وبين يديها .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، صلاة تفيض على المشارق والمغارب من جانيها .

وسلم تسليما كثيرا !

أما بعد ، فلما كانت النفوس لا يُصلحها إلا التنقل من حال إلى حال ، والتوقُّل

على شُرَفات الشدِّ والارتحال ، لا تَطْلُع على الغرائب ، ولا تَسْتَطْلِع للعجائب ،

وقد قال تعالى : ”أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ“ ، وقال : ”هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا“ ، وقال تعالى : ”أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

وإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ“ ،

وقال تعالى : ”الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَّا عَذَابَ النَّارِ“ .

ولقد ذكر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خطبة قُس بن ساعدة بعكاظ ، وفيها قوله :

”إن في السماء لخبرًا ، وإن في الأرض لِعبرًا“ .

ولقد طالعت الكتب الموضوعة في أحوال الأقاليم وما فيها ، فلم أجد من قن أحوالها ، ومثل في الأفهام صورها ، لأن غالب تلك الكتب لا تتضمن سوى الأخبار القديمة ، وأحوال الملوك السالفة ، والأهم البائدة ، وبعض مصطلحات ذهبت بذهاب أهلها ، ولم يبق في مجرّد ذكرها عظيم فائدة ، ولا كبير أمر . وخير القول أصدقه ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .



فاستحرت الله تعالى في إثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها ومن فيها : الأظهر فالأظهر ، والأشهر فالأشهر ؛ وما لم أجد بُدًا من ذكره في ذلك ومثله ، وحالة كل مملكة ، وما هي عليه ، هي وأهلها في وقتنا هذا ، مما صمّه نطاق تلك المملكة ، واجتمع عليه طرفا تلك الدائرة . لأقرب إلى الأفهام البعيدة غالب ما هي عليه أم كل مملكة من المصطلح والمعاملات ، وما يوجد فيها غالبًا : ليُبصر أهل كل قطير القطر الآخر . ويتّسه بالتصوير : ليعرف كيف هو ، كأنه قُدّام عيونهم بالمشاهدة والعيان . مما اعتمدت في ذلك على تحقيق معرقلي له ، فيما رأيته بالمشاهدة ، وفيما لم أره بالقل يُمّن يعرف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها ، مما رآه عينه أو سمعه من الثقات بأذنه .

حطة المؤلف

ولم أقل إلا عن أعيان الثقات ، من ذوى التدقيق في النظر ، والتدقيق للرواية . وأستكثر ما أمكني من السؤال عن كل مملكة ، لآمن من تغفل الغفلاء ، وتخيّل الجهالات الضلالة ، ونحريف الأفهام الفاسدة .

تدقيق المؤلف
في القل

فإن نقلت عن بعض الكتب المصنّفة في هذا الشأن ، فهو من الموثوق به فيما لا بدّ منه : كتقسيم الأقاليم ، وما فيها من أقوال القدماء ، واختلاف آراء الحكماء ، إلى غير

الإشارة إلى
مصوّد الكتاب

ذلك من غرائب وعجائب، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ سنين وشهور وأيام، مما هو مسرح أمل، ومطمح ذى عمل، لأجمل به كلامي، وأكمل به نقصي، وأتمم به بهجة النظر، ورويق الصفحات: كالطراز في الثوب، والخال في الخلد. لا لأكثر به سواد السطور، وأكبر به حجم الكتاب. ولم أقصر بذكر الأقاليم، عند ذكرى الممالك، مقصد الجغرافيا، كالأزل والثاني والثالث، ولا بما تطلق عليه ^(١) المسميات، كالعراق وخراسان وأذربيجان.

بل أذكر ما أشتمل عليه مملكة كل سلطان، جملة لا تفصيلا، على ما هي عليه المدينة التي هي قاعدة الملك: كقرشي والسراي من فسمي نوران وبوريز من إيران؛ أو ما لا بد من ذكره معها، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها، والأكثر من مصطلح أهلها.

ولأعني ذوى الممالك الصغار، إذا كانوا في مملكة سلطان قاهر عليهم، أمير فيهم: إذ هم جزء من كل، بل الذكر لكل سلطان يسحق أسم السلطنة: لا تساع ممالك وأعمال، وكثرة جنود وأموال؛ ويتغنى بذيله من لعله يكون في مملكته من ذوى الممالك الصغار: كصاحب حماة مع صاحب مصر، وصاحب ماردين مع صاحب إيران. اللهم إلا أن تكون تلك المملكة مفردة لملك أو ملوك، وليس عليهم سلطان يجمعهم حكمه، ويمضي فيهم أمره: كملوك الحيل، وملوك جبال البربر، وما يجري هذا الجري، ويمرى كوكبه هذا المسرى.

(١) هكذا ضبطه البرقي في "معجم ما استعجم". والنسبة إليها أذرى.

(٢) هي المدينة المشاة في الأشهر باسم تبريز. (فتح التاء وكسرها) وهي قاعدة أذربيجان. (قاموس).

ولم آلْ جُهْدًا في تصحيح ما كتبته بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل .
 ولم أُعْرِجْ إلى ملوك الكفار ركابي، ولا أرسيتُ بحزائر البحر سفني، ولا أسهرتُ
 في الطلسمات عيني، ولا أعبتُ في المحفورة يدي. إلا ما ألمتُ منه إلمامة الطيف
 المُمَرَّ، ونفتُ منه نُفبة الطائر الحَذِر. لأنَّ غالب ما يقال (والله أعلم) أساءٌ لا يُعرف
 لها حقيقة، ومجاهل لا تُوصَل إليها طريق.

ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة، ولا خرجتُ في جهاتها عن الطرق
 المستقيمة: إكْتفاءً بالحقِّ الواضح، والصدق الظاهر، مما اتَّصلت بنا حقيقة أخباره،
 وصَحَّ عندنا جلبة أحواله.

اقتصاره عن
 لك الإسلام .

وقنعت بما بلغه ملك هذه الأمة، وتمت كلمة الإسلام على أهله النعمة. ولم
 أتجاوز حدّها، ولا مشيتُ خطوه بعدها، إلا ما حرَّه سياق الكلام، أو طارح به شجون
 الحديث: بما آندرَح في أثناء ذلك، أو اضْطُرْتُ إليه بعرجاء السالك، أو أوصاه
 سبب، أو دخل مع عبره في ذمِّه حَسَب.

١٠

وإن كان في العمر فسحة، وفي الجسم صحَّة، وللهمّة نشاط، وللمس أنشاط،
 (وما ذلك على الله بعزیز، ولا من عوائد أطفانه الخفية بعجيب)، لا تُدْبَلَنَّ بممالك
 الكفار هذا التصنيف، وأجىء بهارسه المُعَلِّم وخلفه من سببهم رديف.

١٥

لكنِّي لم آتِ في هذا الكتاب بذكر ممالكهم (على آتساع بلادها) إلا عَرَضًا، ولا
 سَطَرْتُ من تفصيلها إلا جُمَلًا: توفيرًا لما أدّه، وتيسيرًا لمجاذه، ولأتمتع بروق الأنوار،
 ولا أشوب بسواد الليل بياض النهار.

على أنني ربما ذكرت في مكان ما قاربه من بلاد الكفار، ودكرته للجاورة رجاء أن يؤخذ بشعبة الحوار.

شدة أحزانه
في قل العنات

ولم أذكر عجيبة حتى لحقت عنها، ولا غريبة حتى ذكرت الناقل، لتكون عهديتها عليه، وتبرأت منها. وقد يقع الإنكار لأكثر الحقائق من الناس: لقصان العقول. لأن الذي يعرف الجائز والمستحيل، يعلم أن كل مفذور بالإضافة إلى قدرة الله تعالى قليل. وقد وصف الله تعالى الجهال بعدم العقل، فقال: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ". وقد أودع الله من عجائب المصنوعات، في الأرض والسموات، كما قال تعالى: "وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ". وقد أرانا من عظيم قدرته، وبدائع صنعه، ما جلا الشك، وأوضح الحق. فما ذا بعد الحق إلا الصلال.

١٠

سب آتدائه
المشرق



وأول ما أبدأ بالمشرق. لأن منه يمتد نوار الأتوار، ونجى أنهار النهار. إلى أن أختمه بنهاية المغرب، إلى البحر المحبط. لأنه الغاية، وإليه النهاية. إلا فيما لم أجد بدا من الابتداء به من المغرب إلى المشرق: كنتخرج الأقاليم، لا ابتداء الأطوال من الجزائر الخالدات بالبحر العربي، أو ما هذا حكمه، أو وقع عليه قسمه.

نعمه في حدة
الكبار

وقطعت فيه عمر الأيام واللالي، وأثبتت فيه بالأفلام أجبار العوالي. وشعلت به الحين عدالحين، وأشتغلت ولم أسمع قول الأاجين. وحرصت عليه حرص الصين، وحلصت إليه بعد أن أحرقت ورائي السين.

١٥

لنويه سلطان
المصر

وشرعت فيه في أيام من مآسا بإحسانه، وأتمنا في سلطانه: سيدنا ومولانا، ومالك رفاينا، السلطان آبن السلطان، السيد الكبير الملك الناصر، العالم العادل المجاهد المرباط المشاعر، المؤيد المظفر المصور، ناصر الدنيا والدين. سلطان الإسلام

٢٠

والمسلمين، سيد الملوك والساطين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، نائب
الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، ملك البحرين، خادم الحرمين، حامى القبلتين،
مبايع الخليفتين، بهلوان جهان، إسكندر الزمان، ناشر علم العدل والإحسان، مملك
أصحاب المنابر والأسرة والتخوت والتيجان، جامع ذيول الأقطار، مُبِيد البُغَاة والطُغَاة
والكُفَّار، هازم الروم والفرنج والكرج والأرمن والتتار، سلطان البسيطة، مثبت
أركان المحيط، إمام المتقين، ولي أمور المؤمنين، متعهد حج بيت الله الحرام وزيارة سيد
المرساة، أبى المعالى محمد بن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبى المظفر قلاوون،
سيد ملوك الأرض على الإجماع، المخصوص بملك أشرف البقاع.

سل عُدَّه وَأَطِيقَ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَحِدَ مِلَّةَ الْمَسَامِيعِ وَالْأَنْفَوَاهِ وَالْمَقَلِ!

فأدام الله أيامه، وأدار على مقارن النجوم أعلامه!

وستمته:

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار



وعلى الله أعتد، ومعه أستمد، وإياه أسأل التوفيق والإعانة، وأبرأ من الخول والقوة

إلا به، وهو حسبي ونعم الوكيل!

وفهرست، اتضمنه وجملته قسمان:

القسم الأول - في الأرض.

القسم الثاني - في سكان الأرض.

(١) نقل العرب إلى لغتهم اسم الحبل المعروف بـ Francus، هو لم زيادة ألف في أوله لتسهيل

النطق، كما في وفتح الراء والحيم، وبه صاحب القاموس على أنه معرب لإفرنج، وبه على أن القياس كسر

الراء، ثم حذف الحاء حرف الألف من الأول وقالوا: فرنج بكسر الفاء والراء، وأصله للدلالة على أهل

فرسا التي يسميها العرب فرجة وفرنجة، ثم شاع استعماله للدلالة على أهل أوردة قاطبة، ماعدا الروم.

(٢) هم أهل البلاد المعروفة عند الإفرنج بـ Giorgio.

القسم الأول من الكتاب

في ذكر الأرض وما أشتملت عليه برًا وبحرًا .

وهو نوعان :

النوع الأول — في ذكر المسالك .

النوع الثاني — في ذكر الممالك .

٥

أما النوع الأول المشتمل على المسالك ففيه أبواب :

الباب الأول — في مقدار الأرض وحالها .

وفيه فصول :

الفصل الأول — في كيفية الأرض ومقدارها .

الفصل الثاني — في أسمائها وصفاتها .

١٠

الفصل الثالث — في أسماء التراب وصفاته .

الفصل الرابع — في الغبار وصفاته .

الفصل الخامس — في أسماء الرمال وصفاتها .

الفصل السادس — في أحوال الأرض .

(ويستطرد في ذلك ذكر الجبال ، والأنهار ، والبحيرات ، والمساحد الثلاثة ، وما يدرج معها ، وذكر جبل

١٥

من الآثار القديمة) .

الباب الثاني — في ذكر الأقاليم السبعة.

وفيه فصول:

الفصل الأول — في تقسيم الأقاليم.

الفصل الثاني — فيما وقع في الأقاليم من المدن، والجزائر العامرة،

٥ برأ وبحرا، ونصويرها بأشكالها.

(ويتصل بذلك كلام مختل في أمر مشاهير ممالك عتاد

الصليب، في الردود البحر.)

الفصل الثالث — في ذكر أطوال النهار في كل إقليم.

الباب الثالث — في البحار وما يتعلق بها.

وفيه فصول:

١٠

الفصل الأول — في ذكر البحار.

الفصل الثاني — في ذكر الرياح، وصوره القنباص.^(١)

الفصل الثالث — في ذكر نبذه من العجائب، برأ وبحرا.

الباب الرابع — في القبلة والأدلة عليها.

وفيه فصول:

١٥

الفصل الأول — في أقوال الفقهاء.

الفصل الثاني — في الاستدلال عليها بالنجوم.

الفصل الثالث — في الاستدلال عليها بالرياح.

الفصل الرابع — في الاستدلال عليها بالحيال.

٢٠

الفصل الخامس — في الاستدلال عليها بالأنهار.

الفصل السادس — في قبلة كل أرض.

(١) هذه الكلمة معربة عن لفظة (Compass) الإبريحية. وشرح المؤلف لها واف وامر في أول

الجزء الثاني. وراجع هناك.

وخاتمة الباب فصل جامع يشمل على ذكر نداخل الشهور،
والكواكب الثابتة، والسيارة، وصورة الأفلاك، والقول
في الخسوف والكسوف، وما يستطرد في ذلك،
ويندرج معه: لاستخراج القبلة، وما أندرج في ذلك.
ونسميته أستطراداً لتعلق بعضه ببعض.

الباب الخامس — في ذكر الطرق.

وفيه فصلان:

الفصل الأول — في عاريح الطريق.

الفصل الثاني — في سواء الطريق.

النوع الثاني — في ذكر الممالك.

وهو خمسة عشر باباً:

الباب الأول — في مملكة الهند والسند.

الباب الثاني — في ممالك بيت جكرخان.

وفيه فصول:

الفصل الأول — في الكلام عليها جُملياً.

الفصل الثاني — في مملكة القان الكبير، صاحب التخت. وهو

صاحب الصين والخطا^(١).

الفصل الثالث — في التورانيين. وهم فرغان:

الفرقة الأولى — فيما وراء المهر،

الفرقة الثانية — في خوارزم والقبجاق.

الفصل الرابع — في الإيرانيين.

(١) الخطا (منج الحاء) هي بلاد الصين الشمالية.

الباب الثالث — في مملكة الجليل.

وفيه فصول:

- الفصل الأول — في يوسين .
- الفصل الثاني — في توليم^(١) .
- الفصل الثالث — في كسكر .
- الفصل الرابع — في رشف .



الباب الرابع — في مملكة الجبال.

وفيه فصول:

- الفصل الأول — في الأكراد .
- الفصل الثاني — في اللستر^(٢) .
- الفصل الثالث — في السؤل .
- الفصل الرابع — في شكاره .

الباب الخامس — في مملكة الأتراك بالروم.

وفيه ستة عشر فصلا:

- الفصل الأول — في مملكة كرميان .
- الفصل الثاني — في مملكة طغرلو .
- الفصل الثالث — في مملكة توازا .
- الفصل الرابع — في مملكة عيلى .
- الفصل الخامس — في مملكة كصطموثية .

(١) الذى فى أنى العدا أبا هنج اللام و بعير ياه .

(٢) أورد أبو العدا هذا الاسم فى تخويمه بالأشاع هكذا : اللور .

الفصل السادس - في مملكة قايو يا .

الفصل السابع - في مملكة برسا .

الفصل الثامن - في مملكة اكيرا .

الفصل التاسع - في مملكة مرمرا .

الفصل العاشر - في مملكة مغنيسيا .

٥

الفصل الحادي عشر - في مملكة نيف .

الفصل الثاني عشر - في مملكة بركي .

الفصل الثالث عشر - في مملكة فولة .

الفصل الرابع عشر - في مملكة أيطاليا .

الفصل الخامس عشر - في مملكة قراصار .

١٠

الفصل السادس عشر - في مملكة أرمناك .

الباب السادس - في مملكة مصر والشام والحجاز .

الباب السابع - في مملكة ايمن .

وفيه فصلاص :

الفصل الأول - فيما هو بيد أولاد رسول .

١٥

الفصل الثاني - فيما هو بيد الأشراف .



الباب الثامن - في ممالك المسلمين بالحشنة .

وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول - في مملكة أوفات .

الفصل الثاني - في مملكة دوارو .

٢٠

الفصل الثالث - في مملكة أرابنى .

الفصل الرابع - في مملكة هديّة .

الفصل الخامس - في مملكة شرخا .

الفصل السادس - في مملكة بالى .

الفصل السابع - في مملكة داره .

٥

الباب التاسع - في ممالك مسلمى السودان على ضفة النيل الممتدة إلى مصر .

وفيه فصولان :

الفصل الاول - في مملكة الكانم .

الفصل الثانى - في التوبة .

١٠

الباب العاشر - في مملكة مالى .

الباب الحادى عشر - في مملكة جبال البربر .

الباب الثانى عشر - في مملكة إفريقيّة .

الباب الثالث عشر - في مملكة برّ العدوة .

الباب الرابع عشر - في مملكة الأندلس .

الباب الخامس عشر - في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأما كنهم ،

١٥

ومضارب أخبيتهم ومساكنهم .

القسم الثاني من الكتاب

في سكان الأرض من طوائف الأمم .

وهو أنواع :

النوع الأول — في الإنصاف بين المشرق والمغرب .

وهذا النوع له شَبَهَان : شَبَهُ بالقسم الأول بحسب موضوعه ، وما آتدرج معه ، وتعلق بذيل المفارقة بين الجانين من النبات والمعدن ؛ وله شَبَهُ بهذا القسم بحسب ما آتدرج فيه من ذكر طوائف العلماء ، الذين هم أعيان الناس ، وذكر سائر الحيوان .
إلا أن هذا الشَبَهُ أقوى ، لأن المقصود من المكان ساكنه . فألحقناه بهذا القسم .

النوع الثاني — في الكلام على الديانات : وهي ست نحل ، وأربع ملل .

النوع الثالث — في الكلام على طوائف المتدينين .

النوع الرابع — في ذكر التاريخ .

وفيه بابان :

الباب الأول — في ذكر الدُّول التي كانت قبل الإسلام .

الباب الثاني — في ذكر الدُّول الكائنة في الإسلام .

ومن حيث عينا التوبيخ، وبيننا الترتيب، نشرع في ذكرها باباً باباً إلى آتاء الأبواب، ونوعاً نوعاً إلى آتضاء الكتاب.

والله المؤمل في عمر يوقى بهتامة، ويوفر المواد على مدد أقسامه، مع ما هو أبقى من الآتاهل إلى الله فيما هو أهم: من التفويض إليه، والأتاهج بما لديه، مما يوقى المهجات، ويرقى الدرجات، في الدنيا والآخرة. إنه ولي ذلك والقادر عليه، والمقدر له والهادي إليه!

إتاهل المؤلف
إلى الله

والرغبة إلى من وقف على هذا الكتاب، ووقع منه نظره على خطأ أو صواب، رجاء إلى القراء أن يصفح عما جرح فيه القلم إلى الزلل، وتخطى إليه الفكر من الخطل، ويسيطر العذر لمن لم يحب البلاد، ولم يحل في الآفاق، ولم ينهم في تهامة ولا أعرق في عراق، ولا خطب الدماء، ولا خبط الظلمات، ولا اقتحم لجج البر والبحر، ولا تعدى مصر والشام والحجاز، ولا فارق ممالك كان هو وأسلافه فيها تحت قيد العلق والشواغل، لئلا كان يتقلده منهم ابن عن أبيه، وأخ عن أخيه، من أعباء الدول وأمور الممالك، وأثقال الفكر والمهمات، وشغل الأسماع والأبصار، مما يستغرق بعضه الأوقات، ويقطع عن الأسباب، حتى عن لفظة سؤال، ولحظة كتاب، إلى أن وهبني الله فراغاً ألقت فيه هذا الكتاب.

١٢

١٥

وهذا أو أن سرد ما أشتمل عليه كل قسم من الأبواب .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأستغفر الله إن الله غفور رحيم!

الفصل الأول من الكتاب

في ذكر الأرض وما أشتملت عليه برًا وبحرًا

وهو نوعان

النوع الأول في ذكر المسالك وفيه أبواب

الباب الأول في مقدار الأرض وحالها وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول في كيفية الأرض ومقدارها

الذى نبدأ به، بعون الله وقدرته، في القول في هذا الفصل، ما فام عليه البرهان،
وهو أن العالم كرويٌّ. ويدلُّ عليه المشاهد بالعبان، لم رعى الشمس من مطلعها إلى
معيها؛ وكذلك النجوم من مشارقها إلى مغاربها: لأنها تطلع حتى تتوسط السماء
هويساً، ثم تنحط حتى تغيب عن العين كذلك. فتقطع نصف دائرة. فعلم بالضرورة
أنها تقطع في الغيوبة عن العين نصف دائرة، نظير ما قطعت في الظهور، ليكمل
تمام الدائرة.

والذى تلخص من أقوال أهل العلم والنظر في الهيئته: أن العالم كرويٌّ، والأرض
مركها، والماء محيطٌ بها لا يفارقها، إلا ما اكتشف.

استقرار الأرض

فالأرض في جوف الماء، والماء في جوف الهواء، والهواء في جوف القلک: كالمحّة في جوف البيضة في القشرة.

ووضعها وضع متوسّط . والهواء إما جاذبٌ لها إلى جهة الملك أو دافعٌ عنه .
 وذهب بعضهم إلى أنها مستقرّة بالوضع : فالأرض في فلك الماء ، وفلك الماء
 في فلك الهواء ، وفلك الهواء في فلك النار (وهو الأثير) ، وفلك النار في فلك القمر ،
 وفلك القمر في فلك عطارد ، وفلك عطارد في فلك الزهرة ، وفلك الزهرة في فلك
 الشمس ، وفلك الشمس في فلك الميزنج ، وفلك الميزنج في فلك المشتري ، وفلك
 المشتري في فلك زحل ، وفلك زحل في فلك البروج (وهو المَكْوَب) ، وفلك البروج
 في الملك الأطلس .

والمكوكب في رأى فلاسفة الإسلام أنه المعبر عنه عند أهل الشريعة السريعة
 بالكوكبي . وأن الأطلس هو المعبر عنه عندهم بالعرش .

ما هو العرش
 والكوكبي في رأى
 فلاسفة الإسلام

١٠ وحركات الأفلاك الثمانية من فلك القمر إلى الملك المكوكب ، من العرب إلى
 الشرق . ويرى هذا بالمشاهدة في طلوع القمر .

حركات الأفلاك
 وتقسيم الأوليم

ولهذا كان تخريج الأقاليم من الغرب إلى الشرق بالمتابعة .

فاما التاسع ، الأطلس ، حركته من الشرق إلى الغرب ، وبحركته يتحرك . كما يتحرك
 راكب السفينة بحركة السفينة .

الحركه الأطلس
 وحركته ، وعنده
 ينتهى الإبداع
 الشرقي

١٥ وقد تكلمت الفلاسفة على مقعر الأطلس ، ولم ينكلموا على محدبه . وغاية ما قالوا :
 إن بعد التاسع ، لا خلا ولا ملا . وإلى هنا انتهى علمهم وانقطع نظرهم . والله أعلم بغيبه !

قلت : وزعموا أن في الثامن كل الكواكب إلا السبعة .

صعوبة في الكواكب
 الثمانية والمتحركة
 والبرهنة عليها

قالوا : والبرهان على أنها في الثامن ، أن حركات هذه الكواكب الستة أسرع
 من حركات سائر الكواكب . والكوكب لا يتحرك إلا بحركة فلكه . ولا يمكن أن

يكون في التاسع لأنه سريع الحركة، يدور في كل يوم وليلة بالتقريب دورة واحدة.
فإذ لم يكن في أحد السبعة ولا في التاسع، لم يبق إلا أن يكون في الثامن.

تشكك آس سينا
في محل وجود
النوات

على أن ابن سينا قد قال في السماء: "لم يبين لنا بيانا واضحا أن الكواكب الثابتة
في كُرّة واحدة أو كُرّات منطوية بعضها على بعض، إلا بإقناعات، وعسى أن يكون ذلك
واضحا لغيري".

تشبيه العالم،
لتقريبه إلى الأهمام

وقد شبه بعضهم العالم، فقال: "بطليخة في بركة ماء، فالبرزخ المدن، وبيوت البرزخ
العرمان، والسماء مجموع الأرض، والماء البحر المحيط، ومقعر البركة الهواء، ودائرهما
الخارج الفلك".

إحصاء المؤلف
على هذا التشبيه

قلت: وهذا التشبيه ليس بشئ.

طارية الشرب
الإدريسي في
استقرار الأرض
في خوف الفلك

وقال الشريف الإدريسي في كتاب رُجَار^(١) (وَأَسْمَ هَذَا الْكَتَابِ: "نزهة المشتاق
في آخراق الآفاق"، صنفه للملك رُجَار صاحب صَقْلِيَّة، وكان فرنجيا محبا للعلم وأهله
من كل ملة)، والذي قاله: "الأرض مستقيمة في جوف الفلك، وذلك لسرعته
حركة الفلك. وجميع المخلوقات على ظهرها. والنسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفة،
والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل، بمنزلة المغنيطس الذي يجذب الحديد
إليه. فالأرض مقسومة بقسمين، بينهما خط الاستواء. وهو من المشرق إلى المغرب.
وهذا هو طول الأرض. وهو أكبر خط في الأرض، كما أن مِطْقَةَ فلك البروج
أكبر خط في الفلك".



قال: "وأستدارة الملك في موضع خطّ الأستواء ثلثمائة وستون درجة. والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا. والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع. والذراع أربعة وعشرون إصبعًا. والإصبع ست حبات شعير، مصفوفة، ملصقة بطون بعضها لظهور بعض". تكون بهذه النسبة إحاطة الأرض مائة ألف ذراع وأثنى وثلاثين ألف ذراع. وهي من الفرائخ أحد عشر ألف فرسخ. قال الشريف: "وهذا بحسب أهل الهند. وأما هرمس فإنه قدر إحاطة الأرض، وجعل لكل جزء مائة ميل. فتكون ستة وثلاثين ألف ميل. وتكون من الفرائخ اثني عشر ألف فرسخ".

تقديره لأبعاد
الأرض على رأى
الهند، وعلى
رأى هرمس

قلت: فالتفاوت بين الحساين ألف فرسخ، زائده في حساب هرمس على حساب أهل الهند. وذلك بصف السُّدس.

مناقشة المؤلف
هذين التقديرين

وقد زعم مَرَحانُ الفيلسوف أن إردُستَاسَ الحكيم قال إنها مائتا ألف ونمسون

تقدير الحكيم
إردُستَاسَ

(١) الطاهر أن هذين الأسمين محرفان.

فالغالب أن الأول هو مرقيا (Marcianus). وربما يكون بعض المترجمين الاوائل كتبوه "مرحيان" تبعًا لقاعدة التعريب التي تقضى سقل حرف (ق) أو (ك) أو K إلى (ق، ك، ح) كما قالوا الخلدوس في Alexandru (وأظهر فهارس الطبرى)، ثم حرف الساحون "مرحيان" إلى "مرحان".

أما الأسم الثاني فكان الخطب فيه أسهل، لأنه محرف عن "إرُستَاسَ" [Bratosthiène] ثم "إردُستَاسَ" ثم "إردُستَاسَ". ولا عرابية في ذلك، فإن العرب كثيرا ما يقبلون التاء دالًا كما قالوا "د" عند تعريبهم لفظة "بِت" بمعنى الصم (وأظهر تاج العروس). وكما قالوا "ردق" و"زدك" في تعريب لفظة فارسية هي "رذك" ومعناها عصير العصور. (أظهر أس البطار، وأظهر تكة المعجات العربية للعلامة دورى) هذا و"مرقيان" هو من جغرافيتي الروم في القرن الرابع بعد الميلاد. وقد كتبت سياحة بحرية حول الأرض (Périple du monde).

٢٠

وأما الثاني وهو إرُستَاسَ أو إرُستَاسَ فقد وُلد سنة ٢٧٦ وتوفي سنة ١٩٦ قبل الميلاد. أصله من المستعمرة اليونانية التي كانت سلا درقة [Cyrénaque] ثم اشتهر في بلاط الملك بطليموس الثالث المعروف

ألفا أشتياديوات، وأشتياديو هو ثمن ميل، عنه أربعائة ذراع عندهم . فذلك احد وثلاثون ألف ميل ومائتا ميل وخمسون ميلا .^(١١)

وفد ذكر صاحب الجسطى أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل وثلاثون ميلا، وأن فطرها وعمقها سبعة آلاف ميل وستائة ميل وثلاثون ميلا .

٥ قال فريد زمانه، علاء الدين أبو الحسن على بن إبراهيم بن محمد الأنصارى، عرف بابن الشاطر : "الأولى أن يُقسم دور كرة الأرض على ثلاثة وسبع لأنه نسبة فطر كل دائرة إلى محيطها، وهو أصح، وعلى هذا فيكون الدور أربعة وعشرين ألف ميل، ويكون القطر سبعة آلاف وستمائة وستا وثلاثين ميلا وثلاث خمس مجورا .

١٠ قلت : وذكر صاحب كتاب الكائن أن طول الأرض طاهرا و باطنا ، وبراً وبحرا، معمورا وغير معمور، أربعة وعشرون ألف ميل . قال : "وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليلها" .

وذكر أبو عبيد البكري في كتاب المسالك والممالك أن حبيشا المنجم ذكر عن خالد بن عبد الله أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون بيرة ديار ربيعة وهي

ما صعه المأمون
العاصي لتحقيق
أبعاد الأرض

١٥ = أسم إفرجيت [Ptolomée Evergète] عمدة الإسكندرية، لأن هذا الملك دعاه مدسة ٢٢٦ ق م لتولى إدارة المكتبة العيسية التي كانت بالإسكندرية . ويقع الرحل في هذه الوطية إلى أن كُفَّ بصره في آخر عمره، فاقطع عن الطعام حتى رماه الجمام، كال عالم الفلك والمهندسة، يطم القريص ويتعاطى العساسة . وهو الذي فاس عمدة أسوان محيط الأرض، برصده للشمس في نرهاك . وقد قال إنه ٢٥٢٠٠٠ استدة [Stade] . فيكون أن فصل الله قد حبر الكسور .

٢٠ (١) في الأصل : "أشتياديو" . ورواها محجرة عن "أشتاديو" تعرياً لكلمة Stadion اليونانية التي نقلها الفرنسيون إلى Stade . ونحن في هذه الايام قلنا عنهم اللفظ اليوناني فنقول "إستاده" . "والإشتاديو" يساوي ثمن ميل، والميل يساوي ٤٠٠ ذراع، قاله أن فصل الله . (٢) في الأصل : "وثلاثون" . | وقد صححت الرقم على ما يقتضيه الحساب | .

برية شيجان المقاربة لستجار . فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين ميلا من الأرض . ف ضرب العدد في ثلثمائة وستين ، التي هي جملة درج الفلك مجموعه ، فأنهى ذلك إلى أربعة وعشرين ألف ميل ومائة ميل وستين ميلا . قال : ”فهو دور كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر“.

- استنتاج المؤلف
فقطرها على هذا ستة آلاف ميل وأربعمائة ميل وأربعة وعشرون ميلا ونصف .
ميل ونصف عشر ميل ، بالتقريب .

قال : ”والمعمور نصف هذا المحيط ، من خط الاستواء إلى الشمال . ومنها العمران في الشمال يؤول في برطانية . فيكون ذلك تقدير الرابع“ .^(١)

- استدلال من
الشاطر الدهشقي
قال ابن الشاطر : ”إن واجب الحساب ، على ما ذكر ، عشرون ألف ميل ومائة وستون ميلا ، وإن القطر يكون ستة آلاف وأربعمائة ميل وأربعة عشر ميلا ونصف .
ميل مجبورا“ .

قلت : والذي حرر في زمن المأمون ، لكل درجة ، ستة وخمسون ميلا وثلاثا ميل .
وبعض الذين حرروا ذلك رأوا أنه ستة وخمسون ميلا ، لا غير .^(٢)

- ترجيح المؤلف
لنتيجة المأمون
وأنتأده عليها
في هذا الكتاب
ولعل الأول أقرب : لأنه قد يكون هذا الكسر أهمل في القياس . وعلى الأول الأكثر . وعليه عملنا في هذا الكتاب . وسيأتي في ذكر سواء الطريق إيضاحه ، إن شاء الله ! في مكانه . ولم نعمل على ما حرر للمأمون دون ما حرره القدماء ، إلا لأنه أقرب إلينا وأشبه بيا .

(١) أي بريطانيا العظمى La Grande Bretagne .

(٢) في الاصل : الذي .

الصرح والميل
والذراع على
حساب المأمون
وهو المعتمد عليه
في هذا الكتاب

طول المصريح القديم
وطول البريد

وكل فرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة آلاف ذراع مأمون . فالدرجة تسعة عشر
فرسخا إلا تسع فرسخ . وهو الذي عليه عمل هذا الكتاب .

وأما على رأى القدماء ، فتكون كل درجة اثنين وعشرين فرسخا وتسعى فرسخ .
وأما البريد ، فكل أربعة فراسخ بريد .

وأما العمران من الأرض ، فقال البكري : تقدير الربع . وقد ذكرنا ماقاله آتفا . وقال
آخرون : الربع . وقال آخرون : الثلث . وقال بعضهم : إن العمران من الأرض ما بين
الثلث إلى الربع ، أقل من الثلث وأكثر من الربع .

وقال شيخنا ، فريد الدهر ، ووارث العلم والحكمة ، شمس الدين ، أبو الشاء محمود
أبن أبي القاسم الأصمهاني ، أطال الله مدته ! إن العلامة قطب الدين الشيرازي قال
له إنه حرر دور المعمورة من الأرض . فكان أثنى عشر ألف ميل مجبورة ، قطرها
أربعة آلاف ميل مجبورة ، فتكون ألف فرسخ وثلثمائة فرسخ مجبورة .

قال أبن الشاطر : " روى الذي ذكره الشيرازي ما لم يفهم معاه . فإن كان أراد به
ما بين أول المعمور وآخره ، فهو غير موافق ولا يطلق عليه محيط . وإن كان أراد المحيط
ما بين خط الاستواء ونهاية المعمور في جهة الشمال ، فهذا لا يقال له قطر ولا يفي
المعمور بمقدار ما ذكره . ولا نسبة لما ذكر أنه دُرْع القطر إلى ما ذكر أنه دور المعمورة
نسبة قطر الدائرة إلى محيطها . " وقال : " وإذا فرضا مبدأ الهارة خط الاستواء
بخمسة عشر جزءا إلى حدود خمسين جزءا وثلاث في الجهة الشمالية كان نسبه المعمور

إلى باقي بسط كرة الأرض تقارب الثمن ونصف السدس . وإذا نسب إلى
 حدود ستة وستين جزءا كان نسبة المعمور إلى باقي يقارب الربع . لأن
 ماوراء من الخراب يقارب ما قبل من المعمور . ولا يكون أكثر^(١)

وقال الشريف : إن بين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين ، الجنوبيّ
 والشماليّ ، تسعين درجة ، وأستدارتها عرضا مثل ذلك ، إلّا أنّ العمارّة في الأرض
 بعد خط الاستواء أربع وستون درجة ، والباقي من الأرض خلاء ، لا عمارة فيه ،
 لسدّه البرد والجحود . والخلق بجملته على الرّبع الشماليّ من الأرض . والرّبع الجنوبيّ
 الذي هو فوق خط الاستواء غير مسكون ولا معمور ، لشدّة الحرّ به ، وممرّ الشمس
 (وهي أسفل فللكها) على سمتّه ، بجفّت مياهه وعُدم حيوانه ونباته ، لعدم الرطوبة .
 قلت : وفيما ذكره الشريف في الانتهاء إلى أربع وستين درجة فقط ، وإن كان
 الصحيح ، نظر . فإنها في صورة لوح الرسم تنهاى إلى أكثر من ذلك ، وتستكمل من
 حط الاستواء إلى نهاية الشمال سبعين درجة ، سوى ما هو خارج عن خط الأقاليم ،
 حوبا وشمالا ، على ما نذكره في مكانه . وإنما غالب الجنوب والشمال لا عمارة فيه :
 إذ لا يمكن سكّنه .

رأى الإدريسيّ
 في أساس العمارّة
 ما بين القطبين

عند المؤلف هذه
 الطريقة ورهته

(١٧)

ومن تأمل وضع العالم في لوح الرسم ، رأى ذلك بالعيان : خلّو ما تحت
 القطبين ، الجنوبيّ والشماليّ ، والخالى تحت الجنوبيّ أكثر بما لا يقاس . وهكذا
 في الجغرافيا وضعه .

(١) إتحفت الكتّابة في هذا الموضع من الأصل ، سطوا المحلّه على الهامش .

(٢) هو المعروف الآن بالخريطة الجغرافية .

وقد ذكر أبو عبيد مبلّغ طول النهار في الأقاليم السبعة . حتّى انتهى إلى الإقليم السابع . ثم قال : "وأما ما وراء هذا إلى آخر المعمور ، فإنه يتبدى من المشرق من بلاد البُغَرّ وأرض الترك إلى اللان ، ثم يمرّ على البُرْجان والصَّقالِبة ، وبتنهي إلى بحر المغرب ، وهو خارج عن الأقاليم السبعة " . انتهى كلام البكري . وسيأتي (إن شاء الله تعالى) مبسوطا في موضعه .

وإنما ذكرناه هنا للاستدلال على أن الشمال أكثر عمارة من الجنوب . لأننا وجدنا وراء الإقليم السابع عمارةً متمتدة . وليس كذلك فيما وراء الإقليم الأول . اللهم إلا ما هو في قسم المشرق ، وراء خط الاستواء ، من الجزائر المتمتدة في البحر ، أخذة إلى المحيط ، أو ما هو في حكمها بالصين .

فأما قسم المغرب ، فإنما لم نجد وراء الأول فيما يأخذ إلى جهة الجنوب عرضاً ، وإلى البحر المحيط في نهاية المغرب طولاً ، عمارةً ، بل ولا على خطه المستقيم ، بل ولا وحدنا العمارة به إلا ما هو داخل خط الإقليم الأول إلى الإقليم الثاني .

وسند ذكر ما وجدناه من العمارة في كلّ منهما على ما نبيّه .

فأما ما وقع من العمارة في قسم المشرق ، من وراء خط الاستواء الذي هو أول الإقليم الأول ، فنقول : إن صاحب الجغرافيا صور ، فيما هو خارج عن خط الاستواء من مركز دائرة الأرض المسماة عد أهل هذا الشأن قبة آرين ، جرّاً عامرة مسكونة في البحر الهندي ، من وراء سرّنديب في الجنوب ، وهي متصلة بها . وتقدير هذه الجزر في العرض ، عرض إقليم واحد ونصف إقليم تقريباً ، خلف الإقليم الأول ، زائداً على الأقاليم السبعة في جنوب القسم الشرقي . وعرض هذا المقدّر بإقليم واحد

العمارة في الجنوب
قسم المشرق
(جزائر الهند
وبلاد الصين)

ونصف إقليم من حيث يأخذ من قبة أرين على خط الاستواء العرضى جنوبا
محضا، ثلاثة أقسام: كل قسم مقدّر بنصف إقليم.

عرض أولها، وهو الماتر مع خط الاستواء فى خارجه ممتدا على جانب الإقليم
الأول فى غالب النصف الشرقى من قبة أرين إلى جزيرة الجوهر فى البحر المحيط،
نحس درجات. وقد علم عليه فى لوح الرسم هـ .

وعرض ثايبها، وهو الذى يليه، عشر درجات، لارتفاع رأس الجبل والميزان.
وقد علم عليه فى لوح الرسم كى .

وعرض ثالثها، وهو الذى يليه، نحس عشرة درجة. وقد علم عليه فى لوح الرسم يه.
وذكر بها من الجزر العامرة: فلاى؛ وحريرة القمر، وذكر أن طولها أربعة أشهر؛
ومنها سرنديب، داخل خط الاستواء فى الإقليم الأول مائة له حيث هو من الطول
من قبة أرين مائة ونحس وستون درجة. وقد علم عليه فى لوح الرسم قسه.
كل ذلك بحساب الجمل.

وذكر فى هذه الجزيرة، ما هو وراء خط الاستواء، مدنا، منها: حمران، ودهمى؛
ودافور؛ وديمى؛ وعمما؛ ونحزلاتى؛ وتمكاد؛ ومرابانا؛ وتياو؛ وموضع قدم آدم،
عليه السلام (جوبى سرنديب، من وراء خط الاستواء)؛ وفردزا؛ وسونيه؛
وكياما؛ وعيمى؛ ومحلاى؛ وملابى؛ وسمردى؛ يليهما جبل الذهب والحديد، قال
إنهما به كبر؛ وأنونا؛ ومعلا؛ وقصورا؛ واسفيل. ثم جزيرة تعرف بالموجة، أم جزائر
الصين. ثم جزيرة الشمير. ثم جزائر الواو؛ وجزيرة الدجال إلى جزيرة الجوهر،
فى البحر المحيط.

وصور، في البر المتصل من جهة الصين، برزخا بين البحرين الهندي، حيث
أنعطف شرقاً جزيرة الموجة أم جزائر الصين إلى الشمال، وبين البحر المحيط . وذلك
البرزخ من ثلاثة أبحر: في الشرق، المحيط؛ وفي الجوف البحر الهندي حيث خرج؛
وفي الغرب، حيث أنعطف. ويبقى الشمال مكشوفاً، متصلٌ به هذا البرزخ بالصين.
وذكر فيه عدة من المدن.

وأول ما نبداً بما تغلغل إلى الجيوب، بعيداً عن خط الاستواء، حيث هو من
الطول في الجغرافيا مائة وخمس وستون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قسمه
ومائة وسبعون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قطع .

وأولها مدينة حميسه، ومدينة قيطفون، ومدينة شرما، ومدينة سرسه، ومدينة قلا،
ومدينة خائفو (وهي الخنسا على فرضة من البحر الهندي خرجت هناك في الصين
ولم تمتد) مسامتة لجزيرة الياقوت في المحيط. وقد سمّاها الشريف بجزيرة بسياهه.
وليست في لوح الرسم بجزيرة، ولكن كالجزيرة.
كل هذا خارج عن خط الاستواء.

وما وراء خط الاستواء (في القسم الغربي من قبة أرين إلى البحر المحيط الغربي،
مسامتة لجزائر الخالدات، في جميع العرض إلى متهى الجنوب) لا حظ له
في العارة.

٢٠
عدم العارة
في الجنوب من
جهة العرب

وأما ما وقع من العارة وراء الإقليم السابع (تأما ليس في حساب السعة الأقاليم، وهو
الذى أشار إليه أبو عبيد، حين ذكر مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة، وقد نها
عليه، وسيأتى إن شاء الله تعالى مبسوطاً في موضعه، وتقديره في العرض نصف

البارة، را.
الإقليم السابع

إقليم، ممتداً على جانب الإقليم السابع من أول المشرق إلى نهاية المغرب، وسكانه على ما نبينه) فأوله من جهة الشرق قطعة معمورة بأجوج ومأجوج، فيها هو داخل السد، وبلاد سيسبان (وهي آخذة عرضاً من هذا الجزء المقدّر بنصف إقليم وراء الإقليم السابع حتى تقطعه، ثم تقطع الإقليم السابع جميعه، ثم بعض السادس)؛ وبلاد الروسية الثانية (وكُلُّها خارجة عن الإقليم السابع في الجزء الذي يليه)؛ وبلاد أنكرية في هذا الجزء، داخلةً إلى الإقليم السابع.

وعرض هذا الجزء خمس وسبعون درجة. وقد علم عليه في لوح الرسم عه .
وفي بلوغ العهارة هذا الحد وتجاوز أربع وستين درجةً، نظراً.

قالوا : فأما الروسية، فعامرة آهلة . وكذلك الأنكرية . وأما بلاد سيسبان، فقد كانت عامرة آهلة مسكونة ، ثم خربت من قديم، لإغارات أجوج ومأجوج عليهم .
ومن تأمل لوح الرسم، رأى ذلك ممثلاً لعينه في الإقليم السابع، ورأى خط الإقليم الأول خالياً في القسم الغربي، والمعمور من داخله على فرقتي النيل : الفرقة الآخذة على بلاد السودان من الشرق إلى الغرب حتى يصب في البحر المحيط، والفرقة الآخذة على عربي الحبشة إلى شرق النوبة إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي .

بيل السودان
المعروف الآن بهر
البحر

بيل مصر



فعلينا أن سبب عماره ما وراء حط الآستواء من الجزر في القسم الشرقي، وما هو في حكمها، لا اكتشاف البحر الهندي لها، فرطب هواءها، وأنبط ماءها، وأزال جفاف أرضها . فببت بها النبات، وسكن الحيوان . ولم يقع في قسم القسم الغربي، وراء حط الآستواء، بحر يؤثر فيه هذا التأثير . فبق على كيفية طبعه من اليأس والجفاف، لا يمكن به نبات نبات ولا حاة حيوان .

السبب في حمالة
ما وراء حط
الاستواء من القسم
الشرقي . وعدمها
في القسم الغربي

سب العارة فيها
وراء الإقليم السّاح

ووجدنا ما هو وراء خط الإقليم السابع ، قد أمكنت عمارته بالنبات والحيوان
بكيفية طبعه ، لا بسبب آخر من خارج .

لماذا كان الشمال
أعمس من الجنوب

فظهر حينئذ أنّ الشمال أوفق لمزاج الحيوان . فكان أعمر من الجنوب ، لشدة حر
الجنوب على ما بيناه . وهو موافق لرأى الشريف .

رأى الإدريسي
في ذلك

قال الشريف : " لا يكون الحيوان والنبات أبدا ، إلا حيث تكون المياه
والرطوبات " .

رأى البركي
الأندلسي

وقال البركي : " ورغب الله على الأرض حرّم الشمس . لعلمه بالحكمة التي ينبغي
أن يكون عليها تركبُ العالم في فلك أخرجه مركزه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف
من درج فلك البروج . فذلك اختلفت حركة الشمس . فمما مزاج جوهر الهواء
المحيط بالناحية الجنوبيّة ، فكان الجزء المعمور في الناحية الشماليّة . إذ كان كلّ
حيوان ، بطبعه ، أحمل للبرد منه للحر . ألا ترى أنه يتولد في الماء من الحيوان
ما لا يئصّ كثرة ، وكذلك من النبات ؛ ولا يكون في النار منه شيء ، إلا الشاذّ النادر .
إن صح ذلك فيه . كما زعموا أنه يتكوّن في أفوان الزجاجين صرّب من سائر أوص ،
وقد سمّاه أرسطو بالسرفوت وهي حُرّ الألوان ، إذا خرجت عن النار ، هلكت .

١٢

فوجب لهذه العلّة أن يكون اسم الأقاليم السبعة وتحديدها في الجزء الشمالي من
الأرض ، كما ترى في لوح الدائرة (١) .

جملة المعمور على
رأى بطليموس
والشيرازي ،
وتوفيق المؤلف
بهما

وقد ذكر صاحب جغرافيا أنّ جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وحمسائة ميل
وثلاثون ميلا . وهذا أزيد مما حرره الشيرازي بنجمائة ميل وثلاثين ميلا . ولعلّ

(١) لوح الدائرة هو الخريطة الجامعة التي نسميها الآن مابويد تعريفا للقطعة فرنسية Mappe-monde .

هذه الزيادة هي بمعمور ما هو وراء خط الاستواء في القسم الشرقي؛ وما هو خارج الإقليم السابع ما معه . فإن الشيرازي، والله أعلم، لم يحرر إلا معمور الأقاليم السبعة خاصة، وصاحب جغرافيا ذكر المعمور كله . فكان هذا التفاوت كله .

قلت : ولا أذعي أن ما هو خارج عن الإقليم السابع متوغل في الشمال، خارج إحتراز المؤلف
نخروجا مبيناً كلياً . ولكنه خروج مماس مجاور، حكمه ماهر على الخط .
إذ لو كان نخروجا مبيناً، لكان إقليماً ثامناً، وليس كذلك . إذ لا يمكن وجود نبات ولا حيوان لإفراط البرد والجود، كما لا يمكن لإفراط الحز واليبس .

والحكاه تسببه الأرض بمحسب آدمي : التراب الحمه ، والمياه دمه ، والحجارة عظمه ،
والرياح أنفاسه ، والبخارات فضلاته ، رأسه الصين ، ووجهه الهند ، وجيده ما وراء
النهر . وصدره خراسان وما يليها ، وقلبه العراق ، ويده الجنوب والشمال ، وبطنه الشام ،
وسرته جبره العرب . وعجزاه مصر والقسطنطينية ، ونخذه إفريقيه ورومية ، ورجلاه
برعدوة والاندلس .

عدم رصا المؤلف
بهذا التشبيه
وليس هذا التشبيه بشئ .

قال الشريف : "ومع كون الأرض كرة، هي غير صادقة الاستدارة، منها منخفض ومربع . ولهذا قيل فيما أنكشف إنه تضاريس . والبحر محيط بنصف الأرض
إحاطة متصلة، دائرها كالمطقة . لا يظهر منها إلا نصفها، وهو ما دارت عليه الشمس
في فوس النهار . مثل بيضة مفرقة في ماء، أنكشف منها ما أنكشف، وأنغمر ما أنغمر ."
وقد تقدم هذا التمثيل .

وقال شيخنا، فريد الدهر، أبو الشاء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني، أمتع الله به !
 ” لا أُمْنَعُ أن يكون ما أنكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا ،
 منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أُمْنَعُ أن يكون منكشفاً من تلك
 الجهة ، لا أُمْنَعُ أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ،
 أو من أنواع وأجناس أخر^(١)ى“ .

تخيل علماء الاسلام
 لوجود أمريكا
 قبل اكتشافها
 بقرن ونصف

والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً وقللاً، ذكرناه . وبالله التوفيق !

(١) للاصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كريستوف كولومب (وهو بالأندلس) لأنه قال بهذه النظرية
 قبله بقرن ونصف قرن . وللاصفهاني فضل أكبر على مكتشف أمريكا : لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة
 والاستدلال ، وأما كولومب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفي أبو الشاء
 في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) . وأما كولومب فقد أجتهد في إقناع فرديناند وإيزابلا صاحبي الأندلس بصدق
 نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) .

الفصل الثاني

في أسماء الأرض وصفاتها

أسماء الأرض
وصفها من حيث
أسماء

قال تعالى في فقه اللغة:

”إذا آتست الأرض، ولم يتخللها شجرٌ أو نحر، فهي الفضاء، والبرّاز، والبراح،

ثم الصحراء، والعرءاء، ثم الرهاء والجُهرء.

فإذا كانت مستوية مع الاتساع^(١)، فهي: انجبت، والجحد؛ ثم الصّحصح،
والصّردح، ثم القاع، والقرقر، ثم الفرق، والصّصف.

فإذا كانت مع الاستواء والاتساع، بعدة الأكتاف والأطراف، فهي، السّهب^(٢)
والخرق، ثم السّهب والسّملق^(٣).

فإذا كانت مع الاتساع والاستواء، والبعد، لا ماء فيها، فهي: القلاء والمهمه،
ثم التّؤفة والعباء، ثم النّفف والصّرماء.

فإذا كانت مع هذه الصفات، لأجهدى فيها لطيفي، فهي: النّهماء.

فإذا كانت تصلّ سالكها، فهي: المصّلة^(٤)، والمّتيه.

(١) أورد اليسوعيون بهذا اللفظ بالغاء في آخره في علمهم هذا الكتاب (ص ٢٩١) وعارة القاموس

(٢) في مادة قري) تزيد رواية أن فضل الله . وهو فتح الراء وكسرها .

(٣) أورد أن يصل الله هذه اللفظة بالحاء المهملة . وصوابها بالحاء المعجمة كما في طبعة اليسوعيين و
يشهد به القاموس .

(٤) في طبعة اليسوعيين: والمّلق بعد السملق .

(٤) المثبة كسفية وتضم الميم مع كسر الراء وتفتح الميم مع فتح الراء . وقد اختار المؤلف القول الاول واختار
”يسوعيون القول الثاني .

فإذا لم يكن بها أعلامٌ ولا معالمٌ، فهي : المَجْهَلُ، والهَوَجَلُ .

فإذا لم يكن بها أثرٌ، فهي : الغُفْلُ .

فإذا كانت قَفْرًا، فهي : القِيَّةُ ،

فإذا كانت تُبِيدُ سالِكها، فهي : اليبْدَاءُ . (والمفازة كناية عنها) .

فإذا لم يكن بها شئٌ من البُتِّ ، فهي : المَرْتُ والمَلِيعُ .

فإذا لم يكن فيها شئٌ، فهي : المَرَاتُ والسُّبُرُوتُ والسَّلَقُ .

فإذا كانت الأرض علبظة صُلْبَةً، فهي : الجُبُوبُ باثم الجَلْدُ، ثم العَزَازِيثُ ثم الصَّيْدَاءُ ،
ثم الجُدُجْدُ .^(٣)

فإذا كانت صُلْبَةً بآبسة من غير حصى ، فهي : الكَلْدُ ، ثم الجَمْعَاعُ .

فإذا كانت علبظة ذات حجاره ورمل ، فهي : البرُفَّةُ ، والأَبْرَقُ . ١٠

فإذا كانت ذات حصى ، فهي : المَحْصَاةُ^(٥) والمَحْصِيَّةُ^(٦) .

(١) في طعة اليسوعيين لها أعلام ومعالم .

(٢) هكذا في الأصل . والذي في طعة اليسوعيين : " المَرَوْرَاة " . وهي الصحيحة وقد أوردتها في القاموس : في مادة (م ر و) .

(٣) في الأصل : الخدح (مهملتين) . ولعل الإهمال إهمال من السامع . ١٥

(٤) في طعة اليسوعيين يفتح الصاد . وهو غلط مطبعي .

(٥) في طعة اليسوعيين : " المَحْصَاة " والقاموس يؤيد الضبط الذي آختره أن فصل الله .

(٦) في طعة اليسوعيين : " المَحْصَبَة " . والأروحه أن تكون الكلمة بالياء لأن الاشتقاق من المحصى .
وإذا آخترنا الياء بدل الياء وجب أن نقول المَحْصَبَة كما في القاموس .

فإذا كانت كثيرة الحصى، فهي : الأَمْعَز والمَعْزَاء.

وإذا أشتملت عليها كلها حجارة سُودٌ، فهي : الْحَرَّةُ وَاللَّابَةِ.

فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين، فهي : الْجَزِيرُ^(١).

فإذا كانت الأرض مطمئنة، فهي : الْجَوْفُ، والغائط، ثم الهَجَلُ، والهَضْمُ^(٢).

فإذا كانت مرتفعة، فهي : النَّجْدُ والنَّشْرُ.

فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلابة والغِلَظَ، فهي : المَتْنُ، والصَّنْدُ
ثم القَفُّ، والقَفْدَدُ، والقَرَقَرُ^(٣).

فإذا كان ارتفاعها مع اتساع، فهي : اليَقَاعُ^(٤).

فإذا كان طولها في السماء مثل البيت وعرضُ ظهرها نحو عشرة أذرع، فهي :

التل، وأطول وأعرض منها : الرِّيْبَةُ، والرايبة، والأَكْمَةُ، ثم الرِّيْبَةُ وهي التي

(١) لم أجد في القاموس معنى للجزير ولعل اشتقاقه من الحرأى القطع . بدلالة وجود المحارة الى كالسكاكين . وقد وردت هذه اللفظة في طبعة اليسوعيين بالحاء المهملة . ومعنى الجزير كما في القاموس . المكان العليط المقاد . وهو لا يدل على المراد هنا . فليحذر .

(٢) في الأصل بالصاد المهملة . وصوابه بالصاد المعجمة كما في القاموس . وقد ورد على صحته في طبعة اليسوعيين .

(٣) في طبعة اليسوعيين : القَرَدَد . وكلا اللطين لا يدل على طريق الحصر على المعنى الذي أراده الثعالبي . قال في القاموس : " القرد ما ارتفع من الأرض " . وقال : " القرد الأرض المطمئنة البتة " والقاع الأملس .

(٤) في الاصل من .

لا يعلوها الماء . (وبها صرب المثل ، في قولهم : بلغ السيل الزُّبْيُ) ، ثم النَّجْوَة (وهي المكان الذي تظنُّ أنه نجاً بك) ، ثم الصَّاد ، (وهي الأرض الغليظة دون الجبل) .

فإذا أرتفعت عن موضع السيل وأنحدرت عن غَلْظ الجبل ، فهي : الخَيْف .

فإذا كانت الأرض لينة ، سهلة ، من غير رمل ، فهي : الرُّفاق (والبرث) ، ثم المَيْتَاء والدَّمْشَة .

فإذا كانت طيبة الثُّرْبَة ، كريمة المنيب ، بعيدة الأحشاء والزَّوْز ، فهي : العَدَاة .

فإذا كانت حِمْلَة النبت والخير ، فهي : الأريضة .

فإذا كانت طاهرة ، لا شجر فيها ولا شيء يحلط بها ، فهي : القَرَّاح ، والعُرواح .

فإذا كانت مهيأة للزراعة ، فهي : الحُفْل ، والمُتَّارَة ، والدَّوْرَة .

[فإذا لم تُهيأ للزراعة ، فهي : بُورُ] .

(١) حمله وبها صرب الخ وردت ها . ولم ترد في طبعة اليسوعيين .

(٢) في طعة اليسوعيين : محاوُك . ونجا مقصور لامهموز . ورواية آسن فصل الله أوجه .

(٣) وردت في طعة اليسوعيين بالناء المثانة . ورواية آسن فصل الله أصل ويؤيدها القاموس . وإذا كان اللفظ بالناء والذي ورد منه هو البريت على ورد سكبت بمعنى المستوى من الأرض . ولم يرد لقطع البرت في القاموس . وعلى كل حال فعادة رت لاتتلق لها المعنى الذي قصده الثعالبي .

(٤) في طعة اليسوعيين : الدَّمَة .

(٥) » » : بعيدة عن الإحشاء .

(٦) » » : مخيلة للنت .

(٧) الزيادة من طعة اليسوعيين .

فإذا لم يكن يصيبها المطر فهي : ^(١) الْقَلَّ والجُرْز . ^(٢)

فإذا كانت غير ممطورة، وهي بين أرضين ممطورتين، فهي : انْخِطِيطَةٌ .

فإذا كانت ذات ندَى ووَخامة، فهي : النَمِيقَةُ .

فإذا كانت ذات سباح، فهي : ^(٣) السَّبَخَةُ .

فإذا كانت ذات وباء، فهي : الوَيْدَةُ والوَيْسَةُ [على مثال فَعِيلَةٍ وفَعِلَةٍ] . ^(٤)

فإذا كانت كثيرة الشَّجَر، فهي : الشَّجَرَاءُ والشَّجِرَةُ .

فإذا كانت ذات حَيَات، فهي : ^(٥) المُحَوَاتُ .

فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهي : ^(٦) المُسَبِّعَةُ والمَذْبَبَةُ .

(١) في طبعة اليسوعيين : فإذا لم يصيبها المطر .

(٢) في الأصل : الجراز . ولم يرد في القاموس سوى : جُرْز وجُرْز وجُرْز ومجرورة للأرض لم يصيبها
١٠ مطر والجمع أجزاز . ولو قال أين فضل الله أجزاز لصح .

(٣) في الأصل : السلخة .

(٤) الزيادة في طبعة اليسوعيين .

(٥) هكذا ضبطه في طبعة اليسوعيين .

(٦) وضبطه في طبعة اليسوعيين : المُسَبِّعَةُ والمَذْبَبَةُ . والذي ضبطه أين فضل الله أوجه .
١٥

الفصل الثالث

في أسماء التراب وصفاته

أسماء التراب
وصفاته من حيث
الصفة

تراب وجه الأرض يقال له البَوَّغَاءُ.

والدَّقْعَاءُ، التراب الرِّخْو الرقيق الذي كأنه ذَرِيرَةٌ.

الترى، التراب اللِّدَى [وهو كل تراب لا يصير طينا لازما إذا بُلَّ] ^(١).

المور، التراب الذي تمرور به الريح.

الهبَاءُ، النزاع الذي تُطَيِّرُهُ الريح، فتراه على وجوه الناس وجلودهم وشبابهم.

[يلزق لروفا (عن ابن شميل) ^(١)].

[الهابى، الذي دقَّ وأرتفع (عن الكسائي) ^(١)].

السايبَاءُ، التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح. ١٠

النَّبِيئَةُ، التراب الذي يخرج من البئر عند حصرها.

الراهِطَاءُ والدَّامَاءُ، التراب الذي يُخْرِجُهُ اليربوع من محره ويجمعه.

الجُرْثُومَةُ، التراب الذي تجمعهُ النمل عند قريتها.

العَمَاءُ، التراب الذي يُعْقَى الآثَارُ. وكذلك العفر.

الرَّعَامُ، التراب المخلوط بالرمل. ^(٢) ١٥

(١) الزيادة من طبعة البسويين.

(٢) من أول الفصل إلى هاسقول عن الفصل الرابع من الباب ٦٤ من فقه اللغة.

السَّاد، التراب الذي يُسمَّد به النبات . فإذا كان مع السَّرْقِين، فهو الدَّمال .

وإذا كان الطين حُرًّا يابسًا، فهو : الصِّلْصَال .

فإذا كان مطبوخًا، فهو : الفَخَّار .

فإذا كان عِلْكَا لاصفًا، فهو : اللَّازِبُ .

فإذا عيَّرَ الماء وأفسده، فهو : الحَمَاء .

(وقد ينطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة .)

^(١) فإذا كان رَطْبًا، فهو : النَّاطِطَة وَالتُّرْمُطَة [وَالطُّنْجَة] .

فإذا كان رقيقًا، فهو : الرَّدَّاع .

فإذا كان تَرْتِطِم فيه الدواب، فهو : الْوَحْل . وأُسْدَ منه، الرَّدْعَة وَالرَّزْغَة وَأُسْدَ

منهما الْوَرْطَة : تقع فيها الغنم فلا تَقْدِر على التحاوص منها . (ثم صار مثلاً لكل شدة يقع فيها الإنسان) .

^(٢) فإذا كان حُرًّا طَبَّبا عِلْكَا، وفيه خُصْرَة، فهو : النَّصْرَاء .

فإذا كان مخلوطًا بالطين، فهو : السَّعَاع .

^(٣) فإذا جعل بين اللَّيْس، فهو : الْمِلَاط .

(١) الزيادة من طبة اليسوعيين .

(٢) أورد اليسوعيون هاتين الكلمتين مسكون الدال في الأولى (وهو حائر) ومسكون الراء في الثانية ولم يقل به القاموس فإنه نص فقط على الفتحين في (زرع) .

(٣) في الأصل : ميا . وقد أحرّبا رواية اليسوعيين لأنها أשוב .

(٤) في طبة اليسوعيين : ”وهي“ . ولعلها سق فلم .

(٥) من أوّل هذه الصفحة إلى ها مقول عن الفصل السادس من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

الفصل الرابع^(١)

في اسماء الغبار وصفاته

اسماء الغبار وصفاته
من حيث اللغة

النَّفْعَ وَالْعُكُوبَ، الغبار الذي يشور من حوافر الخيل وأخفاف الإبل.

العُجَاجَةُ، الغُبار الذي تثيره الريح.^(٢)

الرَّحْمُ والقَسَطَلُ، غُبار الحرب.

الْخَيْضَمَةُ، غبار المعركة.

العِثِيرُ، غبار الأقدام.

المَينُ، ما تقطع منه.

(١) هذا الفصل منقول عن الفصل الخامس من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

(٢) في طبعة اليسوعيين المعاج .

الفصل الخامس

في أسماء الرمال وصفاتها

(١) ما أَسْتَرْقَّ من الرمل ، يقال له : العَدَابُ^(٢).الْجَبَل ، ما أَسْتَطَالَ^(٣) منه .

الْلَبِّب ، ما آنَحَدَرَ منه .

الْحِفِيف ، ما أَعَوَّجَ منه .

الدَّعْص ، ما أَسْتَدَارَ منه .

العَقْدَه ، ما تَعَقَّدَ منه .

العَقِيقِل ، ما تَرَاكَمَ [وتراكب] منه^(٤).

السَّفْط ، ما جَعَلَ يَنْقَطِعُ وَيَنْصِلُ منه .

الْهُهُورَة ، ما أَشْرَفَ منه .

السَّيْهُور ، ما أَطْمَأَن منه^(٥).

السَّقِيقَة ، ما أَتَقَطَعَ وَغَلَطَ منه .

(١) في الأصل : ما أَسْتَطَالَ . والذي قلناه عن فقه اللغة يؤيده القاموس .

(٢) في الأصل : العَدَاب . وهو عَط .

(٣) في طبعة اليسوعيين : أَسْتَدَق . والقاموس يؤيد رواية آس فصل الله .

(٤) الريادة من طبعة اليسوعيين .

(٥) حاربا طبعة اليسوعيين وإن كان التهور معناه ما أهار من الرمل وما أطمأن من الأرض والذي

في الأصل التهوره .

الكَثِيبُ^(١) والنَّقَا، ما أَحْدَوْدَبَ وانْهالَ منه .

العَاقِرُ، ما لَا يُنْبِتُ شَيْئًا منه .

الْهَدْمَلَةُ^(٢)، ما كَثُرَ شَجَرُهُ منه .

الْأَوْعَسُ، ما سَهْلٌ وَلَانَ منه .

الرَّعَامُ، ما لَانَ منه ، وليس بالذي يسبل من اليد .

الْهَمَامُ، ما لَا يُمَالِكُ أَنْ يُمَسِكَ منه باليد ، للينه .^(٣)

الدَّكَادِكُ^(٤)، ما آتَبَدَ بالأَرْضِ منه .

العَانِكُ، ما عَقَدَ منه ، حتى لا نفدر البعير على المسير فيه .^(٥)

والكثير من الرمل ، يقال له : الْعَقَنْقَلُ .

فإذا نَقَصَ ، فهو : كَثِيبٌ ،

وإذا نَفَصَ منه ، فهو : عَوَكَلُ^(٦) ،

وإذا نَفَصَ منه ، فهو : سَقَطُ^(٦) ،

(١) في الاصل . الكثيف . وهي سق قلم .

(٢) في طبة اليسوعيين : الهَرْمَلَةُ . وهو غلط .

(٣) في طبة اليسوعيين أي يسبل من اليد لليه . وهو تحريف طاهر ، ورواه آين فصل الله متماسكة مع كل ما قبلها ، ولذلك كانت أحسن سكا .

(٤) إحتراس فضل الله صيغة الجمع . والذي في طبة اليسوعيين . الدَكَادِكُ صيغة المفرد (أطرافاموس) .

(٥) إلى هنا مقول عن الفصل التاسع من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

(٦) في طبة اليسوعيين : سه .

(١) فإذا نقص منه ، فهو : عَدَابٌ ؛
(٢)

(١) فإذا نقص منه ، فهو : لَبَبٌ .
(٣)

وقال صاحب الغريب : ”إذا كانت الرملة مجتمعة ، فهي : العَوَكَّةُ ؛ فإذا انبسطت وطالت ، فهي : الكَثِيبُ ؛ فإذا انتقل الكثيب من موضع إلى آخر بالرياح ، وبقي منه شيء رقيق ، فهو : اللَّبَبُ ؛ فإن نقص ، فهو : العَدَابُ .“
(٢)

والله أعلم .

(١) في طبعة اليسوعيين : عنه .

(٢) في الأصل بالذال المعجمة وهو خطأ .

(٣) انْ هُنَا منقول عن الفصل العاشر من الباب المذكور .

الفصل السادس

في أحوال الأرض

هذا فصل قصصنا إفراده، أتريده وضوحاً، وسد كره جملة، وبصيلة، وستطرد في ذلك ذكر الجبال، والأشجار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، وما ينسدرج معها، وذكركم من الآثار القديمة.

فقول، والله التوفيق :

الارتباط بين
الكائنات الحية
وبين الأرض

إنه لما كانت الأرض وما عليها من المركبات من الطائعات الأربع، وهي: التراب، والماء، والنار، والهواء، بطرنا إلى تلك المركبات، فوجدنا ما غلب عليه عصر الهواء (كالطير) فكان في الهواء مفتره، وما غلب عليه عصر الماء (كالمسك) فكان في الماء مفتره. ووجدنا الطير، وإن طلب مركزه المركب منه أكثر أجرائه وهو الهواء، والمسك وإن طلب مركزه المركب منه أكثر أجرائه وهو الماء، لم نجد واحداً منهما ولا شيئاً من الحيوان مطلقاً يطلب الدار ويمسكها، إلا السمنندر وهو نادر. ووجدناه يطلب الأرض ويمسكها كالطير إذا حط إلى الأرض، والحيوان إذا أوى إليه. فعلمنا حينئذ أنهما من لوازم الأرض.

تمام ارتباط
الإنسان بالأرض



فبالأولى أن يكون من لوازمها، ما غلب على عنصره التراب، كالإنسان. ويدل على هذا قوله تعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى".

فغلب حكمها على بقية العاصر، في خلق الإنسان، فقال: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ" إشارة إلى التراب، وجعلها البداية والنهاية، قال: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ". ثم أكد لها التغليب على بقية العاصر الثلاثة التي لا تقوم المركبات إلا بها، بقوله: "وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى". فجعل منها النشأة الأولى في أول الخلق، والثانية في المعاد، وما بينهما، وهو: الموت.

السمر والنداء فإن أعرض معترض بالسمر وأنه بأوى النار، قلنا: هذا شاذ نادر. والشاذ النادر لا حكم له.

الأرض أم البشر وإذا قد نتق أن التراب في تركيب الإنسان أكثر، علمنا أنها مركزه: منها الميلاد، وإليها المعاد.

١٠. علمنا ضرورة أن الأرض أم البشر. أخرجهم من بطونها، فكأوا كالولدان لها. وفوت المولود، ندى الأم، وهو: ما أخرجت لنا من نباتها.

فعلم حينئذ أن نوع الإنسان من لوازمها، يطلب مركزه منها: لما فيه من نقل المركب بها. ألا يرى أن السار ولو عكست. أبى إلا طلب العلو: يطلب مركزها، والعربة المموحة التي قُسرَت بقياسير إذا أُطْلِفَ، طَلَبَ الهواء المملوء به العلو: يطلب مركزه. والماء لا يجري إلا من العالي إلى المخفض من الأرض. يطلب مركزه. وكذلك التراب، حبث رمت به الحق، ينحط إلى الأرض: يطلب مركزه.

فهكذا الإنسان: لا يطلب إلا مركزه، وهو التراب: إذ كان أكثر أجزائه من التراب: وإلى هذا أشار الشرف بقوله: "والنسيم جاذبٌ لِمَا فِي أَيْدَانِهِمْ مِنَ الْخَفَّةِ". والارض حاذبةٌ لِمَا فِي أَيْدَانِهِمْ مِنَ الثَّقَلِ". وقد ذكرناه آنفاً.



ولهذا لم يُقدِّروا في المركبات وجود الاعتدال الكامل المتساوي في أجزاء التركيب :
إذ لو كانت كذلك ، لجدَّبَتها العاصِرُ الأربعة ، جذبا متساويا . فلم يكن له مركزٌ خاصٌ .
وذلك محالٌ .

قوله السار
في الحيوان ، ولماذا
كاتب العذاب
الموعود به

وأقلُّ أجزاء العناصر في الحيوان غالبا ، النار . ثم ينفات الحيوان في ذلك . ولهذا
لا تقوى [الحيوانات] على النار فوثَّتها على الماء والتراب والهواء . ثم ينفات الحيوان
في ذلك ، مأل كلُّ إلى ما غلب على تركيبه . ولا يهاب الحيوان شيئا يفتححه ، كما يهاب
آفتحام النار . ولهذا كانت النار العذاب الموعود به : لمافرة ما بيننا وبين الحيوان ، لقلَّة
موجودها به في جزء التركيب ، كما أشرنا إليه . والله يفعل ما يشاء لا راذا لأمره ،
ولا مُعقَّب لحكمه .

الإسنان أرضي
رائي . وأساس
معاشه من الأرض

فلما كان الإنسان ، بما علب على تركيبه ، أرضيا ترابيا ، من الأرض مبدؤه ، وإليه
معاده ، ثم منها عوده ، كما قال تعالى : ”مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ مَرَّةً
أُخْرَى“ أَصْطَرَّ إلى مركزه ، وأحتاج إلى الاضطراب في أرجاء الأرض ، للكسب :
إما للصيد ، وهو أقل رتب المعاش ، أو الزراعة ، وهي ثاني رتب المعاش ، أو التجارة ،
وهي ثالث رتب المعاش ، على ما يأتي بيانه . فلم يكن له غنى عن معرفة جهات
الأرض ، ليمتد فيها لأسباب معاشه ، فيأخذ كثراته أو غير ذلك ، مما يتفرع منه أو يرتب
عليه .

الإسنان مملوء
على طلب المعاش

زعموا أنه لو وقع إنسان إلى بَرِيَّةٍ يَهْمَاءُ^(١) ، لاساكن بها ، لم يكن له دأبٌ إلا طلب
سبب البقاء ، بما يصيد منه لياكل ، فإذا أكل ، طلب ما هو أزيد سبدا ، فزرع ،

فإذا زرع، طلب ما هو أزيد سببا، فتاجر . ثم يفرع معاشه، وتنشعبت أسبابه،
فاحساج حينئذٍ إلى معرفة أجزاء الأرض وعوالمها . ليعرف أين كسبه، ومن أين
معاشه . ولا يمكنه أن يقصد أرضا في برٍّ ولا بحر، إلا بأعلام دالة عليها، كالنجوم
اللائحة، والجمال المائلة . والأشجار الجارية، والأهوية الحاسبة . وليس هذا موضع
ذكرها . لكان ذكرها، إن شاء الله تعالى، يعد ذكر معرفة القبلة في كل أرض .



وإنما نذكر ههنا ما هو لائق به، وهو ما هو جُئِي من أحوال في الأرض لازمة
لها . من بعضياتها المشهورة في جميع الأقطار : كالجمال العظيمة، والأشجار المنحجرة .
لأن بمواقع تلك الجمال التبهرة . والأشجار المعروفة، نعرف موقع كل جهة من الأرض .
فأما البحار، فإنما قد أفردناها بديانها . وسأتى ذكرها في موضعه . ولم نذكرها هنا
مع الأرض . كما نذكر الجبال والأشجار . لأن الجبال والأشجار من عالم الأرض، وأما
البحار، فإنها عالم آخر، أكبر من عالم الأرض، بما لا نسبة بينهما . فوجب إفرادها
بديانها، إذ كانت كشيء آخر .

أحوال الارض
على الإجمال

البحار واسم
في براد الكلام
عليها

ونحن نُسَمِّ الجبال على الأشجار . لأنها أعلى أعلاما، وأثبت في مواضعها مقامها،
وأكثرها على حالها، لا تتغير دواما .

كلمة من الجبال

والذي نقول الآن : إن الجبال كلها منتسبة من الجبل المستدير بغال معمر
الأرض . وهو المسمى بجبل قاف، وهو أم الجبال . كلها ينشعب منه . فتتصل
في موضع . وتنقطع في آخر . وهو كاللدائرة . لا يعرف له أول على التحقيق . إذ كانت
الحلقة المستديرة . لا تُعرف طرفاها . وإن لم تكن استدارته استدارة كُرِّيَّة، ولكنها
استدارته إحاطة، أو كالإحاطة .

ضربة في تقاضها
طاهرا أو رطبا

فلما لم تنف له على أولي على التحقيق، فقدرنا له أولاً، وهو: كَيْفَ السَّدَّ الجبوني .
وَيُدِيرُهُ بالمعمور . يتصل في موضع اتصاله، وينقطع في موضع انقطاعه، إلى كَيْفَ
السَّدَّ الشمالي: حيث الفُرْجة التي ساوى الإسكندر ذو الفريين فيها، كما قال تعالى
”بين الصَّدَفَيْنِ“ وأقام السَّدَّ وعمل الباب، على ما هو مرسوم في لوح الرسم .

٢١

ما هو جبل
فاف، وندحرافي
المسلمين، هو أم
الحال

ومجموع هذا الجبل - منصله ومقطعه في كل مكان، شرقاً وغرباً وجنوباً
وشمالاً - هو جبل فاف . وهذا هو المستفيض على الألسنة، الطائرين العالم، بما
يعبر به عند كل منهم، على ما تقتضيه اختلاف الألسنة واللغات .

وفد زعم بعضهم أن أمهات الجبال جبلان: نَحْرَجَ أحدهما من لَدُنِ البحر المحيط
في المغرب، وأخذ جنوباً، وخرج الآخر من لَدُنِ البحر الرومي، وأخذ شمالاً، حتى
ملاقيا عند السَّدَّ . وَتَمَّوْا الجبوني فاف، وَتَمَّوْا الشمالي جبل فافوناً . والأظهر - والله
أعلم - أنه جبل واحد محيط بغالب بسط المعمور، لا كما هو البحر، محيط بجميع كرة
الأرض، وأنه هو الذي تصدق عليه التسمية بجبل فاف في كل قطر ومكان؛ ولا
يُعرف في الجيوب إلا هذه التسمية، ويُعرف في الشمال بجبل فافوناً، وبهذا نزول
شبهة من ظن أن كلا منهما عبر الآخر، والله أعلم .

ما هو الحال المحيط
وكيف سبه

والذي نقول، وبالله التوفيق! إن هذا الجبل المحيط بغالب المعمور ممدود من كنف
السَّدَّ آخذاً من وراء صنم انخطأ المخرج إليه، إلى شُعْبَتِهِ الخارجة منه المعمول بها
باب الصين، آخذاً على غربي صين الصين، ثم ينعطف على جوبيته مستقيماً في نهاية
الشرق، على جانب البحر المحيط، مع الفُرْجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندى الداخلة،
ثم ينقطع عند مُخْرَجِ البحر الهندى المحيط مع خط الأستواء، حيث الطول مائة

٣٢

وسبعون درجة) علم عليها في لوح الرسم **قع** بحساب الجمل، ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملا في شعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق، بجنوب كثير من وراء مُحَرَج البحر الهندي في الجنوب؛ وتبقى الظلمات بين هاتين الشعتين : شعبة المحيط الجانية على جنوب الظلمات شرقا بغرب، وشعبة البحر الهندي الجانية على الظلمات شرقا بغرب، حتى تتلاقى الشعتان عند مُحَرَج هذا الجبل، كتصصيل السراويل . ثم يفرج رأس البحرين المتلاقيين شعتين على مبدأ الجبل، ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء. ومبدأ هذا الجبل **قه** هنا وراء قبة أرين، عن شرقها. وبعده منها خمس عشرة درجة . وقد علم صاحب جغرافيا قبالة مبدأ هذا الجبل في القسم الشرقي طولا . وذلك بعد أن آتته درجات القسم الغربي عند قبة أرين إلى سبعين درجة، علم عليها في لوح الرسم **ح** فكان هذا المقدار **ده** . وهو هاوت ما بين العديدين .

ونال لهذا الجبل في أوله : المُجَرَّد . ثم يمتد حتى ينتهي في القسم الغربي إلى طول خمس وستين درجة من أول المغرب . وقد علم عليها في لوح الرسم **سده** . وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر، وينصب منه الليل . ويقال إن به أحجارا براقعة كالفضة البيضاء، تسلألا، تسمى صَجة الباهت : كل من نظرها، صحك وآلصق بها، حتى يموت . وتسمى مغناطيس الناس . قال صاحب جغرافيا، وقد ذكره أرسطو في كتاب الأحجار .

جبل القمر .

(١) في الأصل . ومُحَرَج .

(٢) صطه بعض أهل الجغرافيا هتج القاف والميم . والثقات مهم على أنه بصم القاف وسكون الميم

(أنظر تقويم البلدان طبع باريس صبعة ٦٤) .

وتتشعب منه شُعب تسمى آسيفي . يقال إنه مسكون، وإن أهله كالوحش .
والله أعلم بصفة ذلك .

ثم ينفرج منه فُرجة، ويمرُّ منه شُعب إلى نهاية المغرب في البحر المحيط، تسمى
جبل وحشية: به سباع لها قرون طوال لا تُطاق .

وينعطف دون تلك الفرحة من جبل قاف شُعب منها شُعبان إلى خط
الأسواء يكتنفان مجرى الليل، من الشرق والغرب .

فالشرقي، يُعرف بجبل قاقولي، ويمقطع عد خط الأسواء .

والغربي، يُعرف بأدمدمه . تحرى عليه نبل السودان . المسنى في جعرافنا بحر
الدمادم . ويقطع تلفاء محاللات الحبشة ما بين مدينتي سمغرة وجيمي .

وراء هذه السُعبة، تمتدُّ سُعبة منه هي الأُم من الموضع المعروف في الجبل آسيفي
المفدَّم المذكور إلى خط الأسواء، حيث هو الطول هناك عشرون درجة، وقد علَّم
عليها في لوح الرسم ك .

ويُعرف هناك بجبل كرسفانة . وبه هناك وحوش صارية . ثم ينهي إلى البحر
المحيط وينقطع دونه بفرحة معروفه . وذلك وراء التكرور، عند مدينة قلتبو . ووراء
هذا الجبل هناك سودان، يقال لهم تمُّم، ما كانوا الناس . وستأتي جملة من أخبارهم
في موضعها، إن شاء الله !

ثم تتصل الأُم من شاطئ البحر التام في شماله، شرقي رومة الكبرى، مسامتا
للشعبة المسماة أدمدمه المنقطعة بين سمغرة وجيمي لا تكاد تحيطها، حيث الطول خمس

(١) هكذا في الأصل . ولعلها مم . (وأعتبر لفظة Niam Niam الأفريقية) .

وثلاثون درجة علامتها في لوح الرسم له . ويقع منشأ اتصال هذه الأُم في رسم خط العروض على ن . رسمها في لوح الرسم . وكذلك تقع شعبتها أخذا في الجنوب إلى الخط المُعَلَّم عليه الأطوال في لوح الرسم ، عند أخذها ما بين سردانية وبلنسية على ن .

وإنهاهي وصلة هذه الأُم إلى البحر المحيط في نهاية الشمال ، قبالة حرية برطانية .
وتبقى سوسنة داخل الجبل . ثم تمتد هذه الأُم بعد آقطاع لطيف وتنعطف مع انعطاف خرجة البحر المحيط في الغرب بشمال على الصقلب المسماة بحر الأقليشين^(١) ممتدا إلى غاية المشرق . ويسمى هناك بجبل قاقونا . وتبقى وراء البحرة الحامدة اشدة البرد . ثم ينعطف من الشمال المشرق جنوا بتعريب إلى كَيْف السد الشمالي . فتتلاو هناك الطرفان . وبنهما في الفرجة المنفرجة ، ساوى الإسكندر بين الصدفين .

ومحى بدكرها ما في لوح الرسم من الجبال ، وتقسمه على أربعة أقسام ، نتخذا بها المعمورة طولا وعرضا .

ففي العرض مائة وراء خط الاستواء من المعمور المقدر عرصه بإقليم و نصف إقليم مما أخذ له عرض لأرتفاع الحمل والميزان وهو جزء مقدر بنصف إقليم فيكون ذلك ثلثة لمدر إقليمين من وراء خط الاستواء حيث انتهى أخذ العرض هناك مما ابتدئ من قبلة أربعين جنوبا عشرين درجة ، وقد علم عليها في لوح الرسم ك إلى حيث نهاية المعمور وراء الروسية الثانية ، خارج الإقليم السابع في الجزء المنقدر ب نصف إقليم مازا مع الإقليم السابع من أول المشرق إلى آخر المغرب حيث انتهى

(١) الأقليشين تعريب لكمة English بصيغة الجمع العربي ومعناه : بحر الانكليز .

- أخذ العرض هناك إلى خمس وسبعين درجة على ما قدّمنا ذكره، وقد علم عليه في لوح
 الرسم ٥٤ قاطعا في الطول على خط مستقيم من المشرق إلى المغرب يقع وسطه
 على خط العروض في جزء أخذ عرضه على خمس وثلاثين درجة وهو ما بين خوز
 وعبّادان. وقد علم عليه في لوح الرسم ٥٥. ووقع هذا الخط في المشرق أخذا على
 جنوب السد^(١)، ما را على جنوب كرمان إلى أن ينتهي إلى البحر الشامي حيث مخرج
 الخليج القسطنطيني منه ما بين قبرس ورودس إلى آخر المغرب. وموقع هذا الخط
 على وسط الأقاليم السبعة المقسّمة. فيكون على خط نصف الإقليم الرابع مقسومة
 عليه الأقاليم السبعة نصفين على جانبيين. وموقع هذا الخط الوسط منها.
 (وأما جبال مكة والمدينة، فإننا نذكرها بعد الأرباع، مفردة بذاتها، لتتوقر عليها
 المسادة بإفرادها.)

(١) في الأصل السد.

فالقربع الأول

من هذه الأرباع المفسومة الآن، هو الربع الشرقي الآخذ إلى الجنوب،
 وبه من الحمال في جزيرة القمر العظيم من المعمور الخارج عن خط الاستواء:
 جبل يعرف بجبل قدم آدم، يقال إن آدم (عليه السلام) أهبط عليه، وهو
 حل قدم آدم جوبيّ جريه سرنديب.

ووراءه جبل كأنه باء محذوفة الذيل (ب) . ذكر صاحب جغرافيا في لوح
 الرسم أن أهله سود يأكلون الباس . تقع حدفة ذيله على خط الأسواء، على جزء
 بلع طوله مائة درجة ونحس درجات . وقد علم عليه في لوح الرسم ^(١) من
 حساب الحمل .

١٠ ووراءه ثلاثة جبالٍ مقطعة، صفارا، يتلو بعضها بعضا، أولها جبل شرقي
 هذا الجبل عند قائمته الأولى المشبهة برأس ماء متلو كمتلوى الأرفم [ز] .
 في صفحه مديه علمها، وويليه من شرقه الثاني وهو جبل آخذ على مدينتي ملاي
 وسمردى . ذكر صاحب جغرافيا أن الذهب والحديد به كثيران، وويليه من شرقه،
 الثالث، وهو: جبل هو أصغر الثلاثة، غربي مدينة معلّا.

١٥ ثم ما هو داخل تحت خط الاستواء جبل كثير الشهرة، وهو المشهور في أواخره
 بجبل الديلم . ومنشؤه من البحر الهندى غربى المنبار . يأخذ ممتداً إلى الشمال



(١) العدد يدل على أنها: قه

(٢) في الأصل: ما.

على ورايب. في ذيله الغربي كابل. ثم يخرج إلى قسم هذا الربع الآخذ إلى الشمال،
ويقع هناك على أصفهان، وتنتهي شعبته على منبع نهر مكران، المآذ إلى السند.
وعليه من ذلك الميل في شرفيه، المَحْمَدِيَّة. ذكرناها هنا علامة لهذا الجبل. وإذا قد
ذكرنا هذا الجبل يجموعه هنا، لم يبق حاجة إلى ذكره في قسم هذا الربع.

ومن ذلك جبل أخذ على مستقيم هذا الخط الواقع وسط الأقاليم السبعة
المُخْرَجة هذه الأربع عليه. ويمتدُّ هذا الجبل مُشْرِقًا على تَلَوِّ في أوله، مَارًا، إلى
مسامطة باب الصين على جنوبيه. وهناك يتصل بالأُتَم. وتمتدُّ منه شعبة آخذة
في الجنوب إلى البحر الهندي ممَّا وراء المعبر، مدينة ازهونة. وذلك جميعه خارج
عن الأُتَم، منقولاً من لوح الرسم.

والربع الثاني

حال الربع
الثاني

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الغربي الآخذ إلى الجنوب .

به من الجبال تحت الأُم الخارجة من شعبي البحر المشبهة بتفصيل السراويل
المقدمة المذكور، ثلاثة جبال :

- ٥ (الأول) منها وهو الشرقي جبيل آخذ عن الأُم على جانب فرجة بينهما ،
ممتدا إلى خط الاستواء حتى وقع عليه ويقطع عده . وتقع مدينة لفرمانه في ذيله
على شرفيه ، وبوشة في ذيله على غربيه .
وبليه (الثاني) على غربيه وهو جبيل آخذ إلى مدينة لسويه . وينقطع هناك .
وبليه (الثالث) على غربيه وهو جبيل يعرف بجبل حافولي . ذكر صاحب
١٠ جغرافيا في لوح الرسم أنه معروف عند المسافرين . يأخذ على شرفي النيل حتى
ينتهي إلى مدينه رفوفة حيث آخر خرجة البحر الهندي . وقد بها على ذكر هذا
الجبل . عند وصفا للأُم لمدكورة ، وأشارا إلى أن مخرج الأُم يقع قبالة من شمال
البحر الشامي ، على ما تقدم ذكره .

٢٧١

وعن يسره جبيل آخذ على شرفي النوبة .

- ١٥ ومن ذلك جبيل يقع منه جنوبا مع غريب كثير كأنه "لا" معالقة بالخط
المعربي [لا] .

ومن ذلك جبيل آخر مقطوع ما بين حاخة وجيمي .

ومن ذلك دوسهما جبلان آخران أحدهما يأخذ على الواحات والآخر يأخذ
وراءه غربي بحره ناهون ، وشرقي بحيرة كوكورة .

ومن ذلك وراءه في غريبه جبلٌ كأنه رأس صاَد بالخط المغربي [ح]
وسطه بطحاء سهلة، لا وصول إليها من كل جهة، إلا بعد صعود الجبل والتزول إليها
جانبه الداخل . يجري منه النهر الواصل إلى القيروان المنتهى إلى البحر الشامي .

ويليه جبلٌ يعرف بالفتح كأنه فردة صولجان . عليه حصن الملح وجرولة .
وتنصبُّ منه أنهارٌ إلى المحيط .

ومن ذلك جبلٌ يأخذ بين فاس ومجلماسة وينصبُّ منه نهر بين أسنفي
والمزقة حتى يصب في البحر المحيط، شرق طنجة .

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينشأ في أواخر خط الاستواء غربا، حيث الطول
من الغرب خمس عشرة درجة، عَلم عليها في لوح الرسم يد من حساب الجُمَّل .
ويأخذ جنوبا إلى البحر المحيط .

ومن ذلك جبالان يعرفان بجبل كرسقانة وجبل وحشية . وقد تقدّم ذكرهما .
وذلك كله خارج عن الأتم، منقول من لوح الرسم .

والربع الثالث

الغربي الآخذ إلى الشمال



حبال الرابع
الثالث ، وهي
حبال الأندلس

به من الجبال جبلٌ آخرى جربه الأندلس ، في جنوبها من البحر الشامي
من إسبيلة إلى بَلْبُوس ، وأصبَّ منه هيران : أحد أحدهما على إسبيلة ماراً بينها
وبين مالقه حتى صبَّ في البحر الشامي ، والثاني منها أخذ على البيرة وصبَّ
في البحر المحط .

وفي شرفيه جبلٌ أخذ من فوره إلى وادي آش ، عليه هكل الرّهرة ، وأصبَّت
منه همر مرة على وادي آش وأحد شرقي عرطاطة إلى قُرْطُبه ، وصبَّ في البحر
الشامي .

وفي سرقه جبلٌ نرح من البحر المحط ، من شمالٍ معرباً وأخذ ماراً
في الأندلس إلى بَلْسَبَة وأمهى إلى البحر الشامي .

وهذه الحال كلها وراء وصلة الأم الخارجة على شرقي رومه الكبرى .

ولولا نخرح الأم هـ ، لما أمتع سبيل الأندلس في البر إلى بلاد القسطنطينية
الكبرى والآل والأص والصقلب . ولوصل منه إلى جميع الأرض ، شرفاً وغرباً
وحواً وسملاً ، من غير بحر حائل ولا لُج مانع . فلما لم يبق للأندلس سبيل إلا
من البحر ، بقيت كأنها داحلة هذا الحبل المحيط بالمعمور ، وإن كان موقعه وراءه
من غربيته .

ذكرنا هذا هـا لمفتضيه ، إذ لم يمكن السكوت عنه .

ثم نعود إلى تمة الجبال الواقعة في هذا الربع الثالث .

فمن ذلك جبل يأخذ على بحر بنطس^(١) المتصل بالبحر الشامى ، من شرق هرقلة ويمتد إلى أنطاكية وحلب ويمتد في الشام على شمالى بعلبك ودمشق . ويحصر هذا الجبل البحر الشامى أخذاً معه إلى الجنوب ، على فرجة بينهما تلك الفرجة هي موقع مدائن الروم وهي المسماة الآن ببلاد الروم ، مثل قونية وقصرية وأنطاكية .



ومن ذلك جبل يمتد على ماردين وشهرزور وأخلاط . ينقطع ويتصل بجبل أذربيجان . وتتصب منه أنهار كثيرة : منها ما يصب في البحر الشامى ، ومنها ما يصب في بحر بنطس^(١) ، ومنها ما يصب في البحر الهندى ، ومنها ما يصب في البحيرة البلاءة المقاربة للسد . ويتصل هذا عن فرجات بجبل طبرستان المازين أذربيجان وغزنة . وكذلك يتصل به جبل طوس الآخذ بينها وبين جرجان ، حيث يخرج خط أخذ العروض .

ومن ذلك جبالان منقطعان ، وراء بحر بنطس^(١) ، من شماله بشرق . آخذان على بحيرة الجارس عن شرقها وغربها .

وذلك كله خارج عن الأتم ، منقولا من لوح الرسم .

(١) في الأصل "بنطس" وكذا هو في تقويم البلدان لأبي الفداء . ولكننا اعتمدنا ضبط ياقوت .

والربع الرابع

حال الربع
الرابع

من هذه الأرباع المسمومة، وهو الربع الآخذ إلى الشمال، وبه تمامها .

١) به من الجبال، جبلٌ منقطع ما بين بلاد السد وبين نوار . وسمي القموج
يخري نهرٌ مكران حيث يقطع مدى الصحراء على ذله ويخرج هناك .

٢) ومن ذلك جبلٌ ينزل به غُرُغُ البار . به باب الصين .

٣) ومن ذلك جبالٌ انحطت المحبطة بها على باس بالقي ، وآل بالقي ، وحان بالقي .

ومن ذلك جبلٌ منقطع ، كأنه صليبٌ ذهبٌ أحدُ شُعنه ، ومدينة طَفَارٍ في ذله
المعرب . وشعته الخارجة تقع بلاد اليأس في ذيلها .

ومن ذلك جبلٌ منقطعٌ مَتَلَوْ كالأرقم ، من غربي بلاد أسحرب إلى مائة العارة

١٠ في الشمال . ومنه يصب فرع نهر جيحون .

ومن ذلك جبلٌ في صحراء الفجاء . أحد على معطف النهر المتصل بالمجبرة
الجامدة من شدة البرد .

(١) أطل كثيرا أن المي وقعت في هذا الاسم بدلا من النون طريق السهو . بهذا المكان مشهور باسم قنوج

ويسمى عند الفرنسيين 'KNOU' .

(٢) سماه أبو الفداء بزمهراب وكذلك المؤلف مما أتى . هذا الجزء وهو المشهور بزمهراب

وعند الفرنسيين 'Indu' .

(٣) لعلها . التار .

(٤) لعلها : شش .



ومن ذلك جبلٌ منقطع ينصبُّ منه فرعٌ إلى نهرٍ يُتَيْلُ^(١) في شرقِ صحارى
القبجاق أخذًا بشرق مدينة أوتنا . ووراءها عبدة الشياطين ، على مارسم صاحب
جغرافيا في لوح الرسم .

ومن ذلك شعبة آخذة من الأُمِّ إلى جنوبٍ مُعَرَّبٍ ، ينصبُّ منه ماءٌ إلى النهر
المنتهى إلى البحيرة الحامدة .

ثم إنا نذكر هنا ما رأينا إفراده في هذا المكان ، ليكون أوضح لبيانهِ ، وأدَلَّ على مكانهِ .
وهو الجبل الممتد على الشام ، وجبالٌ شهيرةٌ بجزيرة العرب .

(١) هو المعروف الآن في الجغرافيا الحديثة بنهر فولجا Volga . ومعنى 'تَيْل' بفتح الالف أو بكسرهما
النهر في لغة الأتراك . وهو ببلاد روسيا ، وأكبر أنهار أوربة .

جبال الشام
وأصلاتها

فأما الجبل الممتد على الشام

- فإن أوله بالشرق من الصين من البحر المحيط . فيقطع بلاد التتر على معادنها إلى أن يأتى فرغانة إلى جبال البتم الممتد بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فينقطع، ويعضى فى وسطه بين شعبتين منه، وكأنه قُطِعَ ثُمَّ [وصل] فى وسطه . ويستمر الجبل إلى الخوزجان ويأخذ على الطالقان إلى أعمال مرو الروذ إلى طوس . فتكون جميع مدن طوس فيه . ويتصل به جبال أصبهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندى . وينعطف هذا الجبل ويمتد إلى شهرزور إلى سهرود . فيمر على جباله بسائر دجلة . ثم يتصل بجبل الجودى، موقف سفينة نوح (عليه السلام) . ولا يزال هذا الجبل مستمراً من أعمال آمد وميا فارقين حتى يمر بغير حلب . ويسمى هناك جبل اللكام . ويستمر جبل اللكام إلى أن يعدى الثغور فيسمى بهذا حتى يجاوز حصص فيسمى لبنان . ثم يمتد على الشام حتى ينتهى إلى بحر القلزم من جهة ، ويتصل من الجهة الأخرى ويسمى المقطم . ثم يتشعب وتتصل أواخر شعبه بنهاية المغرب . ونحن وإن كنا قد ذكرنا هذا الجبل ، كليّه وجزئيّه ، مما تقدم على ما اقتضاه الإيضاح فى موضعه على ما صورّ فى لوح الرسم فى أما كنهه ولكنّا أردنا هنا اتصال لحته ليعرف كيف هو بأسمائه فيما يمرّ عليه فى الأرض من شرقها إلى مغربها .

فأما جبال مكة

فاعظمها وأحدها بالقديم وإن بُعد عن مكة مكانا جبل عرفات ، موقف الحج الأعظم ، وركن الحج الأكبر .

ومنها جبل أبي قبيس ولونه أذكى إلى البياض قليلا وإنما قيل له أبو قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه وقيل هو اسم رجل من مدحج كان يُختبئ أما فليس عرف به لأنه أول من بنى فيه . كذا قال الزمخشري : وقال أبو القاسم السهيلي : عرف برجل من جرهم كان قد وسى بين عمرو بن مضا ، وبين أبنه عمه مية وصدت أن لا تكلمه ، وكان شديد الكآف : بها تخلف ليقتل قبيسا ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وأنه طع حبره فإقام ، وإنما تزدى ، فسمى الجبل أما قبيس . وقال ابن عباس : هو أول جبل وضع على الأرض . رواه أبو عمرو به وأبو بكر بن أبي شيبة . وقال الزمخشري : كان يسمى في الجاهلية الأملب ، لأن الركن كان مستودعا فيه ، عام الطوفان . وفي أعلاه مار إبراهيم عليه السلام . وقد جاء في بعض الآثار أن ذلك المار على الموضع الذي نادى منه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بحج بيت الله الحرام . والأكثر أنه نادى من أعلى المقام . وفي أصله الصفا . ومنه يصعد إليه من ناحية المسجد . ويصعد إليه أيضا من شرب أجناد الصغير . وأبو قبيس أحد الأخشين . وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام . وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة .

وجبل الخندمة^(١) وهو على أبي قبيس من ناحية المشرق . وهو جبل أحمر محجر . فيه صخرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلقة ، تشبه الإنسان إذا نظرت إليها

(١) في الأصل "الخندة" بالمهملة ، ولكن ياقوت والقفاوس ذكرها في باب الحاء المعجمة .

من بعيد. نبدو من المسجد من باب السهميين الصغير. وفي هذا الجبل تحصن أهل مكة، إذ أحاط بهم القرامطة وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا الشمس وجميع ما كان في الكعبة، إلى أن رده الله إلى موضعه، على يد ولد الذي قلعه. وتحت هذا الجبل شُعب علي بن أبي طالب (رعى الله عنه).

٥ والجبل الأبيض. الذي على الأطح إلى باب الملى يسمى عاضرة.

الحل الأبيض

والجبل الآخر. على المحون ووجهه إلى قُفَيْعَانَ، على قبر عبد الله بن الزبير.



والأخاشب والجبابج. جبال مكة. وفيه الثنية، وهي العقبة. وعند أصله بقيع مكة. ومن هذا الجبل إلى الجبل الأبيض بجى المقتدر السور، وجعل له بابا من حديد وهو المعروف بباب منى، وشُعب الحُصْب.

الأخاشب
والحاشب

١٠ وجبل قُفَيْعَانَ. وهو يقابل أبا قُيَيس من ناحية الشمال. وهو جبل أخضر. يقال من الكعبة ما بين الركن العراقى والميزاب. وهو حد أخشى مكة.

حل قُفَيْعَانَ

وجبل أجياد. إنما سمي بأجياد لأن الله تعالى لما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع

حل أجياد

القواعد من البيت، أعطى كل واحد منهما كثرًا من كنوزه. فأوحى الله إلى إسماعيل:

”إني معطيك كثرًا من كنوزى، لم أعطه لأحد قبلك. فأنرج فناد بالكثرة، يأتك“.

١٥ قال فخرج إسماعيل - وما يدرى ذلك الكثرة ولا يدرى كيف الدعاء به - حتى أتى أجياد.

فألم الله إسماعيل الدعاء بالخيل: ”باخيل الله، أجيبي!“ فلم يبق في بلاد العرب كلها فرس إلا أنه وذللّه الله له، وأمكنه من نواصيها. قال ابن عباس: فلذلك سُمي ذلك الموضع بأجياد. وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش. فقال شاعر قصير

يرتجز بذلك: ^(١)

أبونا الذي لم تُركب الخيل قبله * ولم يذر خلق قله كيف تُركب!

وجبل ابن عمران، وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قُبَيْس وأجباد . وهو خلفها . يظهر على بعد كأنه بينهما . يقابل من الكعبة الشق الباقى . فهذه الجبال المحيطة بالمسجد الحرام .

ثم في العطف في آخر ذى طوى في طريق التعميم جبل البكاء . وقربه على يسار حل البكاء . الماز إلى التعميم ، الحجر الذى قعد عنده رسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) مستريحاً عند إقباله من العمرة . فلأن فيه موضع رأسه ، حتى استند إليه . وهو مشهور بقعد الناس عنده ، عند أنصرفهم من العمرة ، وعند جبل البكاء نحتت مما يلي الغرب .

قال الفاكهى : وبمكة في فجائها وشعابها من باب المسجد إلى مار مسجد سقايات مكة . التعميم وجميعه نحو من مائة سقاية . وفي أصله مما يلي الشمال مياه ، وكانت قد بنا بساكنين . والوادي أسفل منها في المحجة . كل ذلك على يمين الماز إلى التعميم . وشامة وطفيل . تحت الثنية السفلى غربى ذى طوى .

ومن ناحية الشرق في طريق منى جبل ثبير . وهو حل عظيم مرتفع أسود كثير المحارة في عطف وادى إبراهيم (عليه السلام) من يسار الماز إلى منى . قال السهيلي : "عرف رجل من هذيل . مات قدس به يعرف به الجبل" . وقال الزمخشري : "بيران جبلان متفرقان تصب بينهما أفاعة ، وهى واد يصب من منى ، قال لأحدهما ثبير غيتا وللآخر ثبير الأعرج ."

ثم جبل حراء . وهو على يسار الماز إلى منى أيضا . وهو الجبل الذى كان

(١) لعله حين

(٢) هكذا في الأصل . ٢٠

حُبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَلُوءُ فِيهِ، حَتَّى أَتَاهُ الْوَحْيُ. وَلَيْسَ فِيهِ غَارٌ.
إِنَّمَا كَانَ فِيهِ مَوْضِعٌ مِنْهُلٍ شَبِيهِ بِالْحَوْضِ فِي أَصْلِ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ.

- حل ثور وجبل ثور ليس في جبال مكة أعلى منه ولا أوعر . وهو خلف مكة على
طريق مكة . يسمى ثور أطلح . والغار في جانب منه ، في أعلاه دون التنبئة
فليلا . وفيه نزل جبريل على النبي ، صلى الله عليه وسلم والغار الذي آخفى فيه ه
عليه السلام مع أبي بكر صخرة واحدة مصيبة ، ومدخلها ضيق طوله خمسة أشبار إلا ثلثا
وعرضه في أوسع مكان فيه ، شبر وأربع أصابع . وصفة الغار أنه مستطيل من
ناحية الغرب إلى الشرق ، وليس نفائض إلى أسفل . طوله ثلاثة وعشرون شبرا ،
وعرضه تسعة أشبار إلا ثلثا . وله بابٌ ثانٍ في آخره ، من ناحية الشرق . وهو
الذي وصفه جبريل عليه السلام حين ضربه محتاحه إلى الصخرة ، فأنفج هالك باب ١٠
طوله ستة أشبار وعرضه أربعة . وفيه خرج عليه السلام ، يوم خرج إلى المدينة .

- حالة المدينة المنورة وأما جبال المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فأشهرها
حل أحد حل أحد وهو حل أحمر أعلاه دَكْدَكٌ . بينه وبين المدينة ميل وأفسح فليلا .
في تَمَالَى المدينة . وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أَحَدُ جَبَلٍ مِجْبَأً وَمِجْهَةً " .
وفي الحديث أنه يكون يوم القيامة أحد ركعتي باب الجنة . ويعضده قوله صلى الله ١٥
عليه وسلم . " المرء مع من أحب " . كذا قال السُّنَيْلِيُّ . وجبل سُلْعٌ . وهما
حل ثور وحل ثور أشهر الجبال هناك . وحل ثور وغلط فيه بعضهم . وجبل عير والحرم ما بينه
وبين أحد .

فهذه هي جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة في جميع المعمورة وما قاربها .
لم نخل منها إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يُصوِّره في لوح الرسم؛ وإن كان، فهو
القليل . وفيما ذكرناه كفاية .



° وأما الأشهار المعروفة فحق نذكرها ما في لوح الرسم من الأشهار ونقسمه على
اربعة أقسام نُحزِّي بها المعمورة طولا وعرضا، كما ذكرناه فيما تقدم قبل ذكر الجبال .
وبالله التوفيق !

فالقربع الأول

أنهار الربع الأول من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرقي الآخذ إلى الجنوب . وبه من الأنهار ما يُذكر .

من ذلك في جزيرة القمر العظيم^١ ثلاثة أنهار :

٥ شرقها آخذ من قطورا ومعلا .

وبليه ثانيا في غربيته ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سسابا ، ويأخذ مازا إلى مدينة قزدر . ويمجر هناك بحره في جنوبيها مدينة كيما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس .

١٠ وبليها ثالثا في غربيته ، ويخرج من الجبل المشبه بباء محذوفة الذيل [ك] .
يَطْوُو بمدينه دَهْمِي ، فتبقى مدينة دهمي بيه وبين البحر الهندي في جزيرة بينهما .
سكون هو محيطا شرقا وجنوبا وغربا . فتكون لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي . وتقع مدينه فورانه في غربيه حين يصب في البحر الهندي^(١) .

ومن ذلك نهر ينصب من جبل فاف عند وصلة الأُم في شعبي البحر المشبه بتفصل السراويل . وينصب في الشعبة الجنوبية من تلك الشعبتين على مدى غير بعيد . وذلك جميعه غير منقول من لوح الرسم .

١٥

(١) لعله : "حب" . [والكلمة الآ في الاصل ربما يصح التعبير بها .]

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الغربي الآخذ إلى الجنوب.

أنهار الربع الثاني

وبه نهر ينصب من جبل قاف، ما زل في الشمال إلى خط الاستواء حتى ينصب في البحر الهندي شرقاً قبة أرين .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الماز على غربي مدينة لقمرانية حتى ينصب عند خط الاستواء في البحر الهندي .

ومن ذلك نهر النيل . وهو النهر الأعظم الذي لا يعدله في عظم نفعه شيء : لعظم ما عليه من البلاد وطوله في الأمم . وهو ينصب من جبل القمر . وقد قدما عند ذكر الجبال طرفا فيه ، وإن كان لا مقال بوقبه ، لأنه إحدى الكبر ، وأولى العرب آية من آيات الله في أرضه ، وعجيبه لمن تأمل من خلقه . ساقه الله تعالى إلى مصر وأجبا به بلدة متنا وسفاه أمة عظيمة^(١) . وإن لم تكن هي المعتردة بعمقه ، فإنها كالمعتردة به : لعظيم منفعتها منه وعميم مصلحتها به . يحيى إليها أحوج ما كانت إلى عيشه ، ويصرف أحوج ما كانت إلى أنصرافه . وذلك تقدير العزيز العلم . (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

وفيه يقول القاضي الفاضل : ” النيل المصري الذي بكسو القضاء نوبا فضيًّا ، ويذكر في الأرض ماؤه سراجا من النور مضيًّا ، ويتدافع تياره دافعا في صدر الجند بيد الخصب ، وتوضع أمهات خلجائه المزارع ، فتأتي أبنائها بالعصف والاب . وفيه

كبتان للقاضي
الفاضل

(١) لعل الوجة : أحيا به بلادنا وسقى به أمة عظمى .

يقول أيضا: "وأما النيل فقد أمتدت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه، ولا يعرف الآن بمصر قاطبة نهر سواه، ولا من يرجى ويخاف إلا إياه".

أصول النيل وحس نذكر كيف هو، فنقول والله أعلم: إن النيل ينصب عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم الذكر. كل خمسة أنهار من شعبة. ثم تتجر تلك العشرة الأنهار في بحيرتين: كل خمسة أنهار تجر بحيرة بذاتها. ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قافولى، ويمتد إلى مدف هناك، ثم يصب في البحر الهندي. ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار. من كل بحيرة ثلاثة أنهار. ثم تجتمع تلك الستة الأنهار في بحيرة متشعبة.

وصول آخر سلاطين حذثنى أفضى القضاء شرف الدين أبو الروح عيسى الزاوى، أن الأمير أبا دبوس ابن أبي العلى أبو دبوس ووالده آخر سلاطين بؤ العدو من بنى عبد المؤمن حدثه أنه وصل إلى هذه البحيرة، في أيام هربه من بنى عبد الحق، ملوك بنى مرين القائمين الآن.

وصف البحيرة التي يجر منها النيل رجعتنا إلى ذكر مجتمع تلك الأنهار الستة في تلك البحيرة وبعضهم يسميها: البطيحة. فنقول.

وفي تلك البطيحة تفرسة جبل: يفرق بها الماء نصفين.

يخرج الصف الواحد من غربي البحيرة. وهذا الصف هو المعروف بنيل السودان. ويستقل نهر يسمى بحر الدمام. يأخذ مقربا ما بين سمفرة وغانة، على جوبي سمفرة وشمالي غانة. ثم ينعطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا إلى غانة، ثم تمر على مدينة برسة، ويأخذ تحت جبل في جنوبها خارج عن خط الاستواء إلى رقيلة.

ثم يتبحر في بحيرة هناك . وتستمر الفرقة الثانية مغرّبة إلى بلاد مالى والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط ، شمالاً مدينة قلَبُتُو .

ويخرج النصف الآخر متشاملاً آخذاً على الله إلى شرقى مدينة جِيمى . ثم يتشعب منه هناك شُعبة تأخذ شرقاً إلى مدينة سَحَرَة . ثم ترجع جنوباً . ثم تعطف شرقاً بجنوب إلى مدينة سَحَرَة . ثم إلى مدينة مركة ، متبهاً في العود هناك إلى خط الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة علم عليها في لوح الرسم لسه . ويبحر بحيرة هناك .



مرور النيل
في بلاد السودان

ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشُعبة شرقاً مدينة شيمى متشاملاً آخذاً على أطراف بلاد الحبش . ثم ينشامل على بلاد السودان إلى دُفْلة ، حتى يرى على الجنادل إلى أسوان إلى قُوص ، متحدراً يسقُ بلاد الصعيد شقاً ، حتى يقابل قرية تعرف بَدْرَة سَربام . وقد تعرف الآن بدروة الشريف : نسبة إلى الشريف ابن ثعلب ، التاثرى الأيام الظاهرية الركبة بالصعيد ، لمقامه بها .

ويتشعب منه في غريبه شُعبة تسمى المُنهى ، تستقل نهراً يصل إلى القيوم . يقال إن يوسف (عليه السلام) أحترقه أيام توليه لأُمور ملك مصر . وهو يعرف إلى الآن ببحر يوسف . وهو نهر لا ينقطع جريانه في وقت من أوقات السنة ، بجلاى بنية ما يتشعب بالديار المصرية من خُلجان النيل . فيسقى القيوم عامة ، سقياً دائماً لا ينقطع . ثم يُبحر فاضل مائه في بحيرة هناك .

مشاهدة للزمام
في بحر يوسف

ومن العجب - وهو مما رأيته بعينى - أنه ينقطع ماؤه من قُوته أو أنْ أنقطاع المياه من خُلجان الديار المصرية ، ويندئ دون قُوته ، ثم يكون له بلل دون المكان

(١) هو هذا الصط في معجم البلدان لياقوت وتسمى الآن دروط الشريف (أو بيا . قل الرا) . وهو تصحيف جرى على ألسنة العامة واستعاص .

المسكى، ثم يجرى جرياً ضعيفاً دون مكان الليل، ثم يستقل نهراً جارياً لا ينقطع إلا بالسفن . ويتشعب منه أنهار، وتنقسم قسماً نعم اليوم لسقى قُراه ومزارعه وبساتينه وعانة أماكنه .

عمود السل
في الصعيد

ثم نعود إلى ذكر عمود السل الممتد : فقول .

- ٥ لأنه من درود سربام حيث ينشعب المنهى يستمر في بقية الصعيد، يشقه شقاً إلى مدينة السطاط (وهي التي يسميها الآن عامة أهل مصر بمصر) حتى يتعدها .
(١١)
ثم يتفرق فريقي : تأخذ إحداهما على دمياط، والأخرى على رشيد . وعندهما انتهاء الليل، ويصب في البحر الشامي .



- ومن مسدٍ هبوطه من أسوان مازا في الصعيد إلى أن نصب فوقناه في البحر الشامي، تقسم منه الحار والأنهار، ونشعب منه الخللج والمساقي . تجري في زيادته،
١٠ وتقطع في قصه .

- وحدثني الشيخ التبت سعيد الدكالي (وهو من أقام بمالي خمساً وثلاثين سنة، مضطراً في بلادها، بمنعها بأهلها) قال : ” المستفيض ببلاد السودان أن السل في أصله يحدر من جبال سود تبارك على بعد كأن عليها الغمام . ثم يتفرق
(٢١)
نهرين . يصب أحدهما في البحر المحط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبي، والآخر يصل
١٥ إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي “ .

م معرى أقام
بالسودان ٣٥ سنة
وأحر المؤلف عن
أصل النيل

قال الشيخ سعيد الدكالي . ” ولقد توغلت في أسفار في الجيوب مع الليل . فوأيته متفرقا على سبعة أنهار، تدحل في صحراء مقطعة، ثم تجتمع تلك الأنهار السبعة،

تدحل هذا العام
في الأسفار بأفريقية
مع النيل

(١) وأسمها الآن مصر القديمة، ومصر الحقيقة .

(٢) هو بحر البحر الذي سقى الكلام يليه في صفحة ٦٨ وحاشيتها .

وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا مجتمعاً . كلا الرؤيتين في بلاد السودان . ولم
أره لما اجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها ، إذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها .
قلتُ : والأقوال في أول مجرى النيل كثيرة . ذكر فيها المسعودي وغيره مالا فائدة فيه .
والشائع على ألسنة الناس أن أحداً ما وقف على أوله بالمشاهدة . وجعل كل واحد
منهم سبباً لعدم الوقوف على حفة أوله .

احتراف الأقوال
في أصل النيل

فقال بعضهم : إنه انتهى أناس وصعدوا الجبل فرأوا وراء بحراً عجاباً ، ماؤه
أسود كالليل ، يشفه نهر أبيص كالنهار ، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ،
ويتشعب على قبة هرمس المبنية هناك . وزعموا أنه هرمس الهرامسة ، وهو المسمى
بالمثلث بالحكمة^(١) . ويؤمن بعضهم أنه إدريس عليه السلام . بلغ ذلك الموضع وبني به
قبة . قالوا : وسى بالمثلث ، لاجتماع الثلاثة له : النبوة ، والحكمة ، والملك .

وقال بعضهم : إن أناساً صعدوا الجبل ، وبقي كلما تقدم منهم واحد ، صحك
وصقَّ بيديه وألقى روحه إلى ما وراء الجبل . تخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك ،
فرجعوا .

وزعم بعضهم : أن أولئك إنما رأوا حجر الباه . فبقى كل من رآه منهم ، صحك
وتقدم إليه وألتصق به ، حتى مات .

روايات عن بحث
ملوك مصر
الأقدمين عن
أصل النيل

وسبأني إن شاء الله ما ذكره صاحب الجغرافيا عن أرسطو في خاصية هذا الحجر .
وقال بعضهم : إن ملكاً من ملوك مصر الأول جهز أناساً للوقوف على أوله .

(١) في الأصل : أن .

Triomphiste (٢)

أفاتهوا إلى جبال من نحاس، لما طلعت عليها الشمس وانعكست عليهم أشعتها،
أحرقت غالبيتهم فخرج البقية .

وقال بعضهم : إنهم آتَهِوا إلى جبال بَرَاقَة لماعة كالبلُور . فلما أُنْعِست عليهم أشعة الشمس الواقعة عليها ، أحرقتهم .

وقال بعضهم - وهو الصحيح - والله أعلم : إنه لو عُثِلَ منبعه في الخراب المنقطع
من وراء خط الاستواء ، نغذر السلوك إليه ؛ لبعد المسافة وشدة الحر .

فان قال قائل : فما مع قدماء الملوك ، مع ولهم بمعرفة أحوال البلاد وحقائق ما هي عليه ، أن يجهزوا من يقف على حقيقة أوله ؟ قلنا له : وأى فائدة نفي بركوب هذا المهلك في أرض لا ينبت بها نبات ولا يعيش حيوان^(١) ، ولا يعرف مقدار ما استعد له المسافر . ولا ما استظهر به الظهر .

وإنما غالب ما يهال في هذا (واقته أعلم) مما أظهره نظر العلم لانظر العيان.
واقته من ورائهم محط .

وإدفعنا من الكلام في الليل، فلندكر فية الأنهار الشهيرة الواقعة في هذا الربع الثاني، فنقول:

رأى المؤلف في أن
هذه الأقوال مبدية
على لطريات
'علمية لأعلى'
المشاهدة


 حبة مهر الريح
 الثاني

(١) مما يجب ذكره في هذا المقام أن سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان يشتهي أن يعرف
 أخبار النيل . فسمي شراء عسد صغار ورج وما شاكلهم . حلب لم يستعروا . وسلبهم لصيادي السمك
 والحجارة ليعلمهم صفة البحر وسيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير . فإذ هموا في ذلك تصع
 لهم مراكب صغار ليكنوا فيها وياتوه بحر النيل . (أطرومطالغ البدوري مازل السورج ج ٢ ص ٧٥ و ٧٦)
 والمظاهر أن هذا المشروع لم يتم بطرا للإضطرابات التي كانت حاصلة في مصر في ذلك الوقت أولا بهجوم
 الصليبيين وثانيا فإراض السلالة الأيوبية . وهذا المشروع قد تم بعمل اسماعيل خديو مصر الكبير في هذا
 العهد الحديدي .

ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل المشبه برأس صااد بالخط المغربي [٢٠].

ياخذ أحدهما مشرقا ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاى ،
شمالى كوكورة وجنوبى محالان جاى . ثم يخرج مشرقا إلى بحيرة أخرى يتجر بها
غربى مدينة زافون . ثم يخرج متشاملا شمالا بغرب ، على غربى أرض الملح السواخة .
ثم تتشعب منه شعبة تأخذ جنوبا إلى مدينة أودغست^(١) ونستمر سائرة نهرا ماذا إلى
مدينة فاس ، فيصب في البحر الشامى .

وثانيهما ينصب آخذا إلى الشمال على مدينة القيروان إلى أن ينصب في البحر
الشامى .

ومن ذلك نهر يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وسجلماسة مازا بين أسى
والمزمة حتى يصب في البحر الشامى ، شرق طنجة . ١٠

ومن ذلك أنهار ثلاثة تنصب من الجبل المشبه بفردة صولجان : تجرى من
جنوب سجلماسة ، واحدا بعد واحد ، ونصب الثلاثة مفرقة في البحر المحيط .^(٢)

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المشبه بتعيق لا معلقة بالخط المغربي [٢١]
وراء خط الأسنواء . يصب في المحيط . وقد تقدم ذكر بعض هذه الأنهار ، في صمن
ذكر الجبال . وذلك جميعه منقول من خط الرسم .

(١) كذا في باقوت أودغست مصبولا بالعارة ، وكذا في تقويم البلدان الا أنه نص على إهمال الدال .

وفي الأصل اودعش ولعله تصحيف من الداع .

(٢) في الأصل . "وتصير" »

والربع الثالث

أهارالربع الثالث من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربي الآخذ إلى الشمال، به ما يذكر من الأنهار:

نهر إشبيلية
أو الوادي الكبير
من ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيلية، ينصب من الجبل الفاصل بينها وبين قُرطُبة، وينصب في البحر الشامي. وهو من أحسن الأنهار وأجلها، محفوف بالبساتين والدور والقصور، ومصت فيه - أيام ملك المسلمين لها - أوقات مسرة وهوى. وحكى الفتح بن خاقان، قال: "ركب عبد الجليل بن وهبون، وأبو الحسن علام البكري من إشبيلية في ليلة أنظّم من قلب الكافر، وأشد سوادا من طرف الظني البافر؛ ومعهما علام وضى. قد أطلع وجهه البدر ليله تمامه، على عصن بان من قوامه؛ ويس أيديهم شمعان قد أزرنا بنجوم السماء، ومزقنا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجنين الماء، فقال عبد الجليل أرجعنا: ١٠

كأتما الشمعتان إذ سمتا * خذاً علام محسن الفيد.

وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى إلى كبدى.

وقال غلام البكري: (٢١)

أحبب بمظّر ليلة ليلاء * نجي بها اللذات فوق الماء. (٢٢)

في زورق يرهى بقرّة اغيد * يختال مثل البانة القيناء ١٥

(١) هذه السحبات يظهر أها من صفة آس فصل الله . وإلا فالدى في "قلائد العقبان" (ص ٢٤٣ و ٢٤٢)

وفي "معج الطيب" (ح ١ ص ٣٥؛ من طبعة أورنة) يخالفها، وهما متعلقان أيضا في بعض الألفاظ.

(٢) ها سمحات أعلها مؤلعا.

(٣) في المعج : نجي.

قَرَنْتُ يَدَاهُ الشَّمْعَتَيْنِ بِوَجْهِهِ * كَالْبَدْرِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْجُوزَاءِ .

وَأَلْتَأَحَ ^(١) فَوْقَ الْمَاءِ ضَوْءُ مَنِمَا * كَالْبَرْقِ يَخْفِقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ .

قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا النِّهْرِ أَخَذْتُ إِشْبِيلِيَّةً ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ "لَسَبُ إِشْبِيلِيَّةَ عَقْرُهَا ،
وَسَاوَرَهَا أَرْقَمُهَا" . يَرِيدُ بِالْعَقْرِ شَرْفَهَا الْمُطَّلَّ ، وَهُوَ عَقْرِي الشَّكْلَ ، وَالْأَرْقَمُ
نَهْرُهَا . قَالُوا : وَهُوَ مِنَ الْعَجَائِبِ .

وَحَكِي أَبُو ظَافِرٍ ، قَالَ : "رَكِبَ [الْأُسْتَاذُ] ^(٥) أَبُو مُحَمَّدٍ بَنُ صَارَةَ [مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ] ^(٦)
فِي نَهْرِ إِشْبِيلِيَّةَ فِي عَتَمَتِهِ سَالَ أَصِيلُهَا عَلَى الْجَيْنِ الْمَاءِ عَقْبَانَا ، وَطَارَتْ زَوَارِقُهَا
فِي سَمَاءِ اللُّهُو عَقْبَانَا ، وَأَبْدَى نَسِيمُهَا مِنَ الْأَمْوَاجِ [وَالدَّارَاتِ سُرَرًا وَأَعْكَانَا ،
فِي زُورِفٍ يَجُولُ جَوْلَانِ الطَّرْفِ] ، وَيَسُودُ آسُودَادَ الطَّرْفِ [. فَقَالَ بَدِيًّا : ^(١١)

تَأْمَلْ حَالَنَا وَالْجَوْ طَلْقُ * مَحْيَاهُ ، وَقَدْ طَلَعَ الْمَسَاءُ .

وَقَدْ جَالَتْ بَنَاتُ عَذْرَاءٍ حُلِيٍّ * تَجَذَّبَ مِرْطَهَا رِيحُ رُحَاهُ .

بَنَهْرٍ كَالسَّجْجِ كَوْثَرِيٍّ * تُعْبَسُ وَجْهَهَا فِيهِ السَّمَاءُ .

(١) فِي الْفُلَانْدَرِيِّ فِي الْمَحْ : تَحْتَ .

(٢) لَسَبُ : مَعْنَى لَدَعَ .

(٣) هُوَ الْمَعْرُوفُ الْآنَ عِنْدَ أَهْلِ إِسْپَايَا بِاسْمِ Aljaraite .

(٤) أَوْ رَدَّهَا صَاحِبُ مَحْ الطَّيِّبِ عَنِ الْبَدَائِعِ بِرَوَايَةِ قَرْيَةِ حَدَا مِنْ رَوَايَةِ آخِرِ فَصْلِ اللَّهِ (ح ٢ ص ٢١٥)

(٥) الرِّيَادَةُ مِنْ "بَدَائِعِ الْبَدَائِعِ" .

(٦) فِي الْبَدَائِعِ : سَأَلَ أَصْلَهَا . وَهُوَ عُلُطُ مَطْبَعِيٍّ . [وَوُرِدَتْ بِالصَّبِيحِ فِي مَحْ الطَّيِّبِ] .

(٨) فِي آيِنِ فَضْلِ اللَّهِ : جَوَارِيهَا [وَقَدْ اسْتَحْسَنْتُ رَوَايَةَ فَحْ الطَّيِّبِ] .

(٩) فِي الْفَحْ : النَّهْرُ . [وَقَدْ اسْتَحْسَنْتُ هُنَا رَوَايَةَ الْبَدَائِعِ وَأَيْنَ فَضْلِ اللَّهِ] .

(١٠) فِي الْبَدَائِعِ : وَطَارَتْ زَوَارِقُهَا فِي سَمَاءِ الْمَاءِ عَقْبَانَا . وَرَوَايَةُ آخِرِ فَصْلِ اللَّهِ أَصْلُ .

(١١) الزِّيَادَةُ عَنِ الْبَدَائِعِ وَالْمَحْ .

ولما وقف عليها ابن خفاجة، أستحسنها وأستظرفها وأستطابها. فقال يعارضها،
على وزنها ورويتها وطريقها:

أَلَا يَاجِبُّ ذَا صَحِّكَ الْحُمَيَّا * بِحَاتِبِهَا، وَقَدْ عَبَسَ الْمَسَاءُ!

وَأَدْهَمُ مِنْ جِيَادِ الْمَاءِ نَهْدُ * تَنَازَعِ جَبَلُهُ رِيحُ رَحَاءُ!^(١)

إِذَا بَدَتِ الْكَوَاكِبُ فِيهِ غَرْقُ * رَأَيْتَ الْأَرْضَ تَجْدِبُهَا السَّمَاءُ.^(٢)

ونهر سرقسطة. وهو نهر جليل كبير منسج الجوانب.

نهر سرقسطة

وذكر ابن حاقان أن المستعين بن هود ركب هذا النهر يوما لتفقد بعض معاقله،

المنتظمة بجسد ساحله. وهو نهر غزر مائه وراى، وأزرى على نيل مصر ودجلة^(٣)

العراق. وقد اكتشفته البساتين من جانبيه، وألقت طلالها عليه، فما تكاد عين الشمس^(٤)

تنظر إليه. هذا على أنساع عرصه، وبعد سطح مائه وأرضه. وقد توسط زورقه^(٥)

(١) في البدائع وآبى فصل الله: الليل. [وقد استحسن رواية هج الطيب].

(٢) في الملح: تحمدها.

(٣) يشير إلى فلاند العقيان (ص ١٨٥، ١٨٦). والحكاية سببا وهصبا في بدائع الدائمه (ص ٢١٤).

وأفطر هج الطيب طبع بولاق (ح ١ ص ٢٥، ٤ ح ٢ ص ١٨١). ولكن السجلات التي في القلائد هي^(٦)

مخالفة للكاتب التي أوردناها. فصل الله عن البدائع، والتي قلها أيضا صاحب هج الطيب. وأظهر هج^(٧)

الطبيب طبع أوروة (ح ١ ص ٣٠٥، ج ٢ ص ٨١٨).

(٤) في البدائع وفي الملح. رو. [وهي أرق].

(٥) في الملح: وزرى.

(٦) في الأصل: على نهر نيل مصر.

(٧) في البدائع: ودجلة والعراق. [والروا الثانية رائدة الطبع في أثناء الطبع].

(٨) في البدائع: أن تظر. [ورواية أبى فصل الله أفضل، وبمثلها في الملح].

(٩) في البدائع: وبعد سطح الماء من أرضه. [وهذه الرواية أحسن وأمتن. وفي الملح: وبعد سطح

مائه من أرضه].

زوارق حاشيته توسط البدر للهاله، وأحاطت به إحاطة الطفاوة بالغزاله . وقد أعدوا
من مكاييد الصيد ما أستخرج ذخائر الماء، وأخاف [حتى] حوت السماء . وأهله
المالات طالعة من الموج في سحاب، وقانصة من بنات الماء كل طائفة كالشهاب .
فلا ترى إلا صيودا كصيد الصوارم، وقودود اللهازم، ومعاصم الأبكاز النواعم . فقال
الوزير أبو الفضل بن حسداى، والطرب قد أستهواه، وبديع ذلك المرأى قد أسترق
هواه، وأرتجل :

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مُذهبُ الآصال والبُكر!
كأنما الدهر لمّا ساء، أعتبنا * فيه بُعتي وأبدى صفح معتذر.
نسير في زورق حفّ السفين به * من جانبيه بمظوم ومتستر.
مد الشراع به نشرًا على ملك * بذّ الأوائل في أبامه الأخير.
هو الإمام الهمام المستعين حوى * علباء مؤمّن في هدي مقتدر.
تحوى السفينة منه آية عجا * بحر تجع حتى صار في نهير.
نثار من قعره الثينان مُصعّدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر.
وللندامى به عبّ ومبرّسَف * كالراح بعذب في ورد وفي صدر.
والشرب في ودّ مولى خلقه زهر * يذكو، وغرته أبهى من القمر.

١٠

١٥

(١) في أين فصل الله وفي المعج : المرج .

(٢) في المعج : كقصص .

(٣) في الدائع . حداى . وهو غلط مطبوع .

(٤) في معج الطيب شرح لطيف وافي على هذا الجمع (ح ٢ ص ١٨١، ١٨٢) .

(٥) في الأصل : كالريق، وكذلك في المعج، وفي القلائد . [وأعتمدت رواية البدائع] .

(٦) في الدائع وفي أين فصل الله : وبهجهته . [وأعتمدت رواية القلائد والمعج] .

٢٠

بنته أهارا الأندلس ومن ذلك نهر^١ ثان ينصب من ذلك الجبل أيضا . ينزل على مدينة إلبيرة ، وينصب إلى المحيط .

ومن ذلك نهران يصبان من الجبل الفاصل بين طليطلة ووادي آسن ، المينى (٥١) بسمعه الجنوبي قبة الزهرة . يأخذ الأول منهما جنوبا إلى قرطبة ، وينصب في البحر الرومي . ويأخذ الثاني شمالا بين بطليوس وقورة ، ويصب في البحر المحيط .

ومن ذلك نهر ينصب وراء خليج البنادقة ، من وصلة الأثم الخارجة من البحر الشامي ، شرقي رومية الكبرى . يأخذ من هذا النهر غربا بشمال على مدينة لبطيرة شمالي قرنسية . ويصب في البحر المحيط .

ومن ذلك نهر يصب من الجبل المحيط ، حيث يسمى بجبل قافونا أخذا شرقي مدينة سوسية إلى مدينة قسططنبنة العظمى . ويصب في البحر الرومي عندها .

ومن ذلك نهر يصب من الجبل المحيط المذكور ، شرقي هذا المصب ، أخذا على بلاد الصقل ، ماذا شرقي بلاد الحوكس والماجار إلى أن ينتهي إلى مدينة ورم ويصب في بحر بنطس^(١) .

ومن ذلك نهر يصب من جبال همسدان وخلاط من شمالي ماردين ، أخذا على شمالي ماطة ، حتى يسق بن مدنتي نهر وقمرى . ويصب في البحر الشامي .

ومن ذلك نهر جيحان . يخرج من بلاد الروم تحت حصن المتق . يأخذ ما بين عين ررما وكفريتا . ثم يمتد إلى المصيصة ويصب في البحر الشامي .

(١) في إقوت وسطه بسم الطاء ، العبارة وص على إعمال السين . وفي الأصل : نطش . وهو تعرف

من الساحل شاع في كثير من كتب العرب . وقد سبق التبيه على ذلك في حاشية صفحة ٥٧ . وسحرى على

التسمية المعتمدة في بقية الكتاب . لأن هذا الأسم مأخوذ عن اللغات الافرنجية وهو المعروف عندهم باسم

Pontus واسمه المعرف عند العربيين Pont-Eusein .

ومن ذلك نهر سَيْحَان . يخرج من شماله ويمر على أَذْنَه^(١) . ثم يصب في البحر الشامي .

ومن ذلك في نهاية الشمال عشرة أنهار : منها اثنتان بصبان من الجبل الائم المذكورة ؛ وثمانية تنصب من الجبلين المكتنمين شرقا وغربا بحيرة جَارْس ، ينزل من كل واحد منهما أربعة أنهار . تنصب هذه العشرة الأنهار في هذه البحيرة المذكورة .

ومن ذلك أربعة أنهار تنصب من جبال الديلم : ينزل الأول غربي أَرْجَان ، يليه الثاني ينزل من شرقيه ، ويليه الثالث ينزل من شرقي المسن ، ويليه الرابع ينزل من سابور . وتنصب الأربعة في البحر الهندي .

١٠ ومن ذلك نهر دَجَلَة . يصب من حمال شهرزور وآمد . ويمتد بين آمد وميافارقين إلى الموصل . ثم يمتد الزابان : الزاب الأكبر والزاب الأصغر . وهما نهران كبيران . ثم يأخذ إلى تكريت غربي ديار بني شَيْمَان (تَأْشُرَى وَعُكْبَرَا والدادان) إلى بغداد . ثم يتشعب ما بين بغداد والمدائن ، جنوبي بغداد وشمال المدائن شعبه منه ، يأخذ منه شرقا محضا . هو المسعى بالهروان . ثم يمد عمود دجلة مستقيما على الجنوب ، ثم يتشعب منه بين النعمانية وجبل جَرْجَرِيَا جنوبي النعمانية ، وشرقي جبل جَرْجَرِيَا شعبه أخرى ، يأخذ شرقا محضا ، تمتد بين حُلوان وَعُقُوبَا . ثم يمد عمود دجلة إلى واسط . فإذا عداها إلى سوادها ، لاقاه الْفَرَات هناك . ويجتمع الكل إليه نهرا واحدا ، يمد إلى الْمَفْتَح^(٢) . ويتشعب منه نهر مَعْقِل ، وهو النهر المشهور . وينصب بعضه إلى بطائح الْبَصْرَة .

(١) هي المدينة التي سميها الترك الآن : أَمَلَة ، متاخلا لاحتلاط في الكثرة بها وبين أدره .

(٢) في الأصل : لَاقَه .

(٣) الذي يقال فيه : إذا جاء نهر الله ، طل نهر معقل .

ويستدير بآقيه بالمربد والأبلّة شرقاً البصرة. ثم يمدّ عمود دجلة مستقيماً على الجنوب. ثم تشعب منه شعبة أخرى صغيرة، تسمى على جنب الأبلّة فتشق أرضها عرضاً، وتلاقى الشعبة المستديرة بها. ثم يمدّ عمود دجلة آخدا جنوباً إلى عبّادان. ويصب هناك في البحر الهندي.

٥٢

نهر الفرات

- ومن ذلك نهر الفرات. يصب من جبال الروم ويأخذ على ملطية، إلى سُميساط، إلى الرقة، إلى قريسيا، إلى الرجة، إلى الدالية، إلى عانة، إلى هيت، إلى الأنبار. ثم تتشعب منه أنهار: منها نهر عيسى، ونهر صرصر، ونهر الملك، ونهر صور، ونهر الصّرة، وهو المشهور، وإياه غنى الشاعر في شعره. بقوله:

أَوْ ما وجدتم في الصّرة ملوحة * مما أرقق في الفرات دموعي ؟

- ثم يمتدّ عمود الفرات ويمر ما بين القصر وبين الكوفة على بابل. ويستدير منه شعبٌ بخانقين، وتكون هي جزيرة بوسطه. ويصب ذلك الشعب من تحت حانقين في بطائح الكوفة. ثم يأخذ عمود الفرات فوق حانقين من حيث أستدار ذلك الشعب عليها ما تلا على الجنوب مشرفاً. ثم يتشعب منه شعبٌ آخر إلى بطائح البصرة. وينعطف عمود الفرات آخدا شرقاً بشمال على وراية قليل إلى السواد واسط. ويلاقى هناك دجلة. ويختتم عمودهما هناك نهراً واحداً، حتى يصبّ غرباً إلى عبّادان، في البحر الهندي.

- ومن ذلك نهر الساجور. يصب من جبال الروم آخدا شرقاً حتى يحاذي منبج. ثم يصب في الفرات. ويتشعب منه شعبٌ، لولاها لم يذكر الساجور. وهو نهر يسمى قُويق. يمد من مغاربه إلى أن يزل حلب. ويسقي الأرض والمزارع. ويتناهي إلى شرق قنسرين. ويحيط هناك بحيرات لطيفة. وإنما ذكرناه لشهرة نهر قُويق. ولهذا علمناه بالأحمر.

نهر الساجور

هر قويق

ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي . يصبُّ من وراء نهر بعلبك ، من منابع شتى في وطاءه أرض . قلتُ من قرينة تعرف باللوبة ومغارة الراهب . ثم بأخذ شمالاً ما زلتُ حتى بقارب غربي حصص . فيصبُّ هناك في بحيرة متوسطة في الاتساع . ثم يخرج منها ويمر غربي حصص إلى حماه إلى شيزر إلى أفامية . فيصبُّ في بحيرة بها . ثم يخرج فيشق في جبال تعرف هناك الآن بجبال الغرب ، إلى ديركوش ، إلى بلد يعرف بالإقليم . ثم نزل العُصفا إلى أنطاكية إلى السويدية . ويصبُّ في البحر الشامي ، حيث ينعطف هناك . وقد سمينا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن .

(١)
ومن ذلك نهر ينصبُّ من الجبل الممتد على الشام شرق طرابلس المستجدة البناء ، حيث يسمى الجبل هناك بلبنان . يجري من قرينة تعرف الآن برسعين ، فيدخل تحت قناطر معفودة جدها الأبرس حين غلبت المرنج على طرابلس ، تُعرف به . فيشق المدينة المستجدة ويصبُّ في البحر الشامي .

(٢)
ومن ذلك نهر بردا . ويخرج من عين في صحراء الزبداني بين بعلبك وبين دمشق . ثم يمتد نهر يخرج من الجبل الممتد على الشام من مكان يعرف الآن بالصيعة تحت حصن عزنا ويمتد إلى دمشق . وينقسم قبلها وبعدها أنهاراً ، يعمُّ دورها وبساتينها ، ويسقي بعض قراها ومزارعها ، ثم يحرق فاضل مائه شمالي القوطة في بحيرة هناك .

(١) إشارة إلى ماعله السلطان قلاوون حين أخذها من الفرنج فاه هدهما . ثم إلى المدينة الحديدة الباقية إلى الآن بعيدة عن مكان الأولى التي كانت واقعة على البحر مباشرة .

(٢) Le Prince.

(٣) المشهور كتابه بالياء : ردى . وهو هر دمشق المشهور

(٤) وهذا الاسم باق إلى الآن . ويعرف المكان في عصرنا حين الصيعة . وقد جرّوا منه الماء في أبايب

إلى مدينة دمشق

ومن ذلك نهر الأردن^(١).

الأردن

ولا يسمى بهذا الاسم إلا حيث خرج من بحيرة طبرية. ويسمى الآن الشريعة. ويشق وادي كنعان شقاً في الطول حتى ينتهي إلى بحيرة زُغر (وهي سدوم، دار قوم لوط، وتعرف الآن بالمتنتة)؛ والوادي بالغور. وله في كل مكان اسمٌ بحسب ما يضاف إليه من مشاهير القرى التي فيه.

وأصل هذا النهر من مرج عيون والهرماس. وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضي والملاحه، وهي عين بعيدة العمق جداً، ونهر نانياس.

وتسمى هذه الأمواه كلها: الشريعة الشمالية. وترى تحت جسر بعقوب وتجتمع في بحيرة طبرية. ثم تمتد فتتلاقى هي والشريعة القبليّة بفريّة تعرف بالبقارية، ويأتيان جسر الصنيرة إلى الجسر العادلي، وهو تحت عقبة فيق، فرب الدير الأسود، ثم أنى جسر شاهه المقارب لقريّة المجامع. وتمتد فيلقيها نهر الزرقاء، دون دامة، ثم تمتد ترمي في البحيرة المتنتة.

وسد ذكر أصل الشريعة الشمالية. وهو من دير الحرير والجولان واليرموك ووادي الأشعرى والفوار والمدان، مع ما يضاف إلى ذلك من ينابيع. ويحصل من البلاد المرتفعة. ويجتمع تحت حمة جَدَن. وهي تحت فيق، وعليها قبو معقود ببناء خشن طويل. وبه أحواض. يقال إن كل حوض لعله من العليل يربتها، بإذن الله، إذا استجم منه العليل بها. قالوا: ولم تزل على هذا حتى أتى بعض قدماء الحكماء فهمد القبو والأحواض وجمع الماء كله إلى مجرى واحد. إلا فرعين تركهما: أحدهما لمن به ريح، والثاني لمن به جرب. والماء الغمر لسائر الأسقام. وماء هذه الحمة عذب. وآثار الأبنية باقية.

(١) في الأصل ناياس مقدار خمسة سطور. وضع المؤلف بدلها تخريجاً مضافاً على صحائف الكتاب

وهي عبارة عن الكلام التالي.



الربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الشرق الآخذ إلى الشمال، وبه ما يذكّر من الأنهار: أهار الربع الرابع

فمن ذلك نهران يصبان من الجبل المشبه بصليب ذهب أحد شعبه.

ينصب أحدهما من جنوبي هذا الجبل واقعا شرقي مدينة طغان الواقعة في شمال هذا الجبل بغرب. يميز بين طغان وتركستان مغربا، حتى يصب في بحيرة خلّاط.

والنهر الثاني منهما ينصب من شرقي هذا النهر الأول وعلى سمته . يمتد نهر، ثم يتشعب على شعبتين : الشعبة الجنوبية منها تأخذ شمالي مدينة طغورا مشرقا على قصر الدّهال المقارب لبلاد كغند، ثم ينعطف آخذا إلى الجنوب يسوق بلاد الهند حتى يصب في البحر الهندي، شرقي كوام. والشعبة الثانية منهما تأتي جنوبي الأرض المحفورة، على ما قيل، حتى نصب في البحيرة البلاءة.

ومن ذلك نهر ^(١) أثيل . وهو المركب عليه مدينة السراي . ومجره من عين تنبع من أثيل في ذيل جبل قاقونا، ثم يقتبل الجنوب آخذا بغرب في صحاري القبقاق على شمالي معادن الفضة، حتى يصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهران ببلاد الخطأ، نازلان من الجبل الغربي من جبال المحيط بها. تأخذ الشمال منهما مشرقا ويخرج جنوبي خان بالق. ثم يمتد مشرقا بجنوب حتى ينتهي إلى المالح والآخر ينتهي إلى باش بالق. وينتهي عندها.

(١) أنظر حاشية ١ ص ٥٩ .

(٢) سبق ورود هذا الاسم : الدماق، وغيره وصل

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الواقع فيه باب الصين ، ينزل على قراقرم
ويأخذ مشرقاً على بلاد الهياطلة حتى يصب في بحيرة السودان هناك .^(١)

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتد من وراء العوج ، ينزل من شرقيه
على مدينة قلنبر . ويمر في بحيرة هناك .

٥٦٩

ومن ذلك نهر يسمى نهر الطيب . يخرج من قشمر السفلى .
نهر الطيب

ومن ذلك نهر ينزل من الجبل ، شمالي السد حتى يصب في بلاد عبدة الشياطين ،
في بحيرة هناك ، تسمى بحيرة الشياطين .

ومن ذلك نهر جيحون . ينزل من جبل قاقونا . وتمده أنهار من جبال تمده فيمتد
حتى يخرج من هذا الربع إلى الربع الغربي القسم له . فصب في بحر طبرستان .
نهر جيحون

ومن ذلك نهر سيحون . الآخذ على بلاد فرغانة ويمده نهر الشاش ويخرج إلى
حائط عبد الله بن حميد حتى يصب في بحر طبرستان .^(٢)
نهر سيحون

ومن ذلك نهر السغد . ينصب من جبال البتم ، وينتهي إلى بخارا ، ويمر في بحيرة
هناك .
نهر السغد

ومن ذلك نهر مكران . يصب من جل الديلم فيمتد آخذاً على مدينة الحمديّة .
على كرمان إلى بلاد السند .
نهر مكران

١٥

ومن ذلك نهر عماس . في بلاد الترك .
نهر عماس

• Les Huns (١)

(٢) أي سنان .

ومن ذلك الأنهار العشرة . الآخذة منها خمسة تجري من شعبة منقطعة من الجبل المحيط متصلة بالبحر المحيط ، وتمتد أنهار من جبال النواذر الواقعة شرقي الصين حتى يصب في نهر حمدان ، ثم يمتد الجميع نهر واحد حتى يصب في المحيط .

ومن ذلك نهر حمدان الأعظم . وهو ينزل من جبال أرويه ومانوس على مدينة اطراغا ، ويبحر هناك . ثم يمتد مشرقا إلى مدينة لوقر . وينعطف في الصين حتى تلاقيه هناك الأنهار العشرة ، أعنى المتقدمة الذكر ، دون خط الاستواء في أوائل الإقليم الأول . يقال إنه يصبّ به نهر كل المنصب من الصين الداخل . ويمتد الجميع نهر واحد موعلا في الفرجة الداخلة في الصين من البحر المحيط والبحر الهندي ، إلى وراء خط الاستواء . ثم يصبّ هناك في البحر المحيط .

ومن ذلك نهران : أحدهما نهر الكر والآخر نهر الرّس . يصبان من جبل الديلم يسمى جبل قابولا . ويحيى الكر على تفليس . ويلاقى الرّس نهر ينزل من سيلان بين ترزند ووزنان ، ثم يصب الكر جنوبي شروان . ويصب الرّس غربيّه . كلاهما يصبان في بحيرة طبرستان .

ومن ذلك نهر يسمى الآن قراصو . وهو اسم باللغة التركية أي الماء الأسود يأتي من شروان وشماني ويسكب في بحر طبرستان .

ومن ذلك نهر آخر يسمى أرس . يأتي على شرقي المكان المسمى الآن صحراء بيلسوان . ويصب في بحر طبرستان .

(١) في الأصل : أحدهما على نهر .

(٢) في الأصل : فراتوا [وهو تحريف ظاهر] .

ومن ذلك - على ما قيل - نهران يتزلان من الجبل المحيط ويسقيان بلاد يأجوج
ومأجوج. ينزل أحدهما جنوبى السد، والآخر من شماليه. وهكذا صوره صاحب
جغرافيا فى لوح الرسم .

فهذه هى جميع الأنهار المشتهرة فى جميع المعمورة وما قاربها . ولم نُحَلِّ منها
إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يصوره فى لوح الرسم . وإن كان، فهو القليل . وفيما
ذكرناه كفاية .

البحيرات المشهورة

ثم نحن نذكر ما في معمورة الأرض من البحيرات المشهورة . ونحن قسمها على البحيرات المشهورة
نصفين : نصفاً شرقياً ونصفاً غربياً.

فالنصف الأول هو الشرقى فيه ما يذكر من البحيرات :

٥ من ذلك بحيرة كيما . بحيرة القمر الخارجة عن خط الاستواء . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة اطراغا بالصين . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة سرنك بالهند . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة السوكران ببلاد الهياطلة ، شرقى قراقوم بشمال . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة بخارا . وهي عذبة .

١٠ ومن ذلك بحيرة خوارزم . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة تهامة . يصب بها نهر انكش في بلاد الترك .

ومن ذلك بحيرة زرّه ببلاد سجستان . وهي ملح .

ودلك على ما نقل في لوح الرسم .

والنصف الثانى وهو الغربى ، به من البحيرات ما يذكر . :

١٥ من ذلك بحيرات النيل الثلاثة .

اعلاها بحيرتان ، حيث تنصب في أوله ، ثم البحيرة الكبرى التى دونهما ونسبها
البحيرتان اللتان
بحرهما النيل
البطيحة .

ثم بحيرة الفيوم ^(١) ذكرناها هنا لأنها من النيل من الفرع الآخذ من نيل السودان
خلف بلاد غانة. وهي عذبة. بحيرة الفيوم وهي
غير التي في أرض مصر

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضا . وهي عذبة . ولم ينبه على أن
هانين البحريين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لتعليم أن أرضهما لم تغير ماءهما
ولا أفسدت طعمهما .

ومن ذلك بحيرة زاقون . يحورها النهر المصب من الجبل المشبه بتعيقه ^(٢) لا
بالخط المغربي .

ومن ذلك بحيرة بين فصر عيسى وبين كوكورة ، وبحيرة بين كوكورة ومجالات جاي .
ومن ذلك بحيران عدد بزر من بلاد إفريقية : إحداهما ملح ، والأخرى عذبة .
تحرى العذبة في الشتاء ستة أشهر ، وتسكب في البحيرة الملح فلا يعذب ماؤها ثم
نقطع . ونجري البحيرة الملح ستة أشهر أخرى غمام السه ، وتسكب في العذبة
فلا تملح . وبها أنواع من الحلتان يخرج كل شهر من الشهور العربية نوع منها .
فإذا فرغ الشهر ، ذهب ذلك وجاء غيره ، ثم لا يوجد من نوع الحوت الذي كان
في الشهر الماضي شيء أبته إلى مدة ذلك الشهر من السه الآتية . وحكى لي ذلك
المغاربة . فسبحان من بيده الأمر كله !

ومن ذلك بحيران بأقصى المغرب : إحداهما على مقربة من قصر ابن عبد الكريم
في غانة الانساع . بوسطها حريرة دووها مقدار ثمانية عشر ميلا وتسمى بأبي

(١) يشير إلى بحيرة في نيل 'سودان' المعروف الآن بـ'النيل' . ويكون الفيوم حينئذ اسمًا لموضع عبر
المنشور بـ'ديار مصر' .

(٢) في الأصل هنا . شريعة لام . وقد أحرثت الأصطلاح الذي ذكره المؤلف فيما سبق .

سُلهام . تمتد أودية لتحد من جبال غمارة . وفي تلك الجزيرة يأوي عرب ذلك
الموضع بذخائرهم ورعي بهائمهم .

والآخرى بأزغان شمالى مكاسة . تمتد أنهار تحدر من جبال أزرو جنوبى
مكاسة . وليس لمياهها منفذ .

ومن ذلك بحيرة ابزو . وهى ملح .

ومن ذلك بحيرة الإسكندرية . وهى ملح .

ومن ذلك بحيرة تنس^(١) . وهى ملح .

ومن ذلك بحيرة جارش . بالشمال وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة طبرية . وهى عذبة .

بحيرة طبرية
وهما متبا

(وبها الحمة المعروفة بحمام طبرية . واللناس فيها أكاذيب . وهى صورة سور مثل سور الكلس تكون سعته نحو
عشرة أذرع تقريبا . يجرح منه ماء يدير جرى رقى . مهما وضع فيه أحرق لإفراط حرارته . قد أستخرج منه
-دول فى عرص الحسل يمتد - وألف دراع تقريبا ، لتقلُّ سعد المدى حرارته . ثم يأتى بئرين مسقوفين
- وسقوفهما بالخمر - أحدهما لاستحمام الرجال والآخر لاستحمام النساء والحمة ماؤها ملحج مكرت) .

ومن ذلك بحيرة زُعرى . وهى المخسوف بها ، وهى المتنة .

بحيرات أخرى

ومن ذلك بحيرة دمشق . وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة حمص . وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة أفامية . وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة أنطاكية . وهى عذبة ، وتعرف بحيرة يَغْرَا ، وهى موسطة المنفاد .

ومن ذلك بطائح العراق : آثنتان بالبصرة ، وواحدة بالكوفة . الجملة ثلاث بحيرات عذبة .

(١) لعله يريد : تنيس ، التى كانت بها المدينة المشهورة بالقرب من ديباط .

ومن ذلك بحيرة خَلَاطَ . وهى ملح .

ومن ذلك بحيرة أيودان . وهى ملح .

وذلك منقول من لوح الرسم ، أو تحقق بالسؤال ، وإن حصل فى بعضه إخلال .

وفى أتيننا به غنى عما سواه . وبعض الشئ فى هذا الباب أستدراك ، إذ المراد بذلك

ما يستدل على الأرض بأعلامها الظاهرة . وفى الدليل الواحد كفاية .

وإذ أتينا إلى هنا نذكر رمل الهبير . لأنه مما هو ممتد فى الأرض . فكان من

رمل امير .

أعلامها المشهورة المشهودة فى الآفاق .

قال صاحب كتاب "معرفة أشكال الأرض" : "وأما الرمل الهبير ، فطوله من وراء

جبل طيقي إلى أن يتصل مشرقا بالبحر . ويمضى من وراء جبل طيقي إلى أرض



مصر ، ثم إلى بلد الوبة . ويمتد إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر . ومنه عرق

يصر من القادسية إلى البحرين . فيعبر البحرين ، فيمتر على مشارق خوزستان

وفارس إلى أن يرد إلى سجستان . ويمر مشرقا إلى مرو وأخذا على جيحون فى برية

خوارزم . ويأخذ فى بلاد الخرنج^(١) إلى بلد الصين والبحر المحيط فى جهة المشرق .

وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق إلى المحيط بالمغرب . وفيه منه جبال

عظام لا تتوقل ولا تُزنى . وبعضه فى أرض سهلة ينتقل من مكان إلى مكان . ومنه

أصفرتين اللس . وأحمر قاني ، وأزرق سماوى ، وأسود حالك ، وأكل مُشبع كالنيل ،^(٢)

وابيض كالثلج . وبعضه يحكى الغبار نعمة ، وبعضه خشن جريش اللس .

ونحن نين كل شئ بحسب ما يمكننا من الطاقة والاجتهاد . وفوق كل ذى علم عليم !

(١) مسة الخرنج صف من الترك وقد يتصف هذا الاسم إلى الخرنجية والخرنجية وغير ذلك والصواب ما هنا .

(٢) أى نبات التيلج المعروف فى مصر بأسم البيلة . [Indigo] .

الآثار البينة في أقطار الأرض

ثم إنا نحن نعقب ذلك بذكر جبل من الآثار البينة في أقطار الأرض ماجرت مجرى الأعلام، وقامت في الاستدلال مقام ماقدنا ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات. وسند كرها مبيته. وبالله التوفيق! ^(١)

المساجد الثلاثة

٥ سنداً بذكر المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى.

وهي التي تُشدُّ إليها الرحال، وتُجدُّ إليها الركائبُ الترحال، تُسرِّي إليها سرى السحاب في المحال، وتُسمو والكواكب غر في سمو حجاب الماء حالاً على حال.

١٠ روى أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد ^(٢) جدى، ومسجد بيت المقدس. رواه الإمام أحمد.

ويتبع كل مسجد منها بما تعلق بذيل أستاره، وتألَّق بإشراق بوره وإسفاره، مما صمّه نطاق سوره، وأفص عليه رثه سوره، إلى غير ذلك من آثار، ومواطن تُحدِّد الدموع فيها النثار.

١٥ وأقول ما نبداً به:

(١) ترك المؤلف هنا بياناً قدره خمسة سطور.

(٢) هكذا في الأصل على الإضافة لاعتلى الوصفية. كما هي العادة وفيه هو الأشهر.

ذكر الكعبة

البيت الحرام
وصفاؤه ومدلولاته

البيت الحرام. أول بيت وُضِعَ للناس، وُرفِعَ على قديم الأساس. بُني مثالا للبيت المعمور، ودُعِيَ إليه كل مأمور. وأذن إبراهيم (صلوات الله عليه) إليه بالحج، ودعا إليه الناس فاتّوه من كل فج. حَجَّته الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهده ما تقدم. ويقال إنه لم يبق نبي حتى حَجَّه. وبعد عدة أنبياء دُفِعوا في الحجر منه. ولم تزل شعائره مكرمه، ومشاعره محترمه. عَظُمَ في الجاهلية والإسلام، وحُرِّمَ من حيث بُنِيَ الأعلام. ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. وهو البيت المحجوج المحجوب، والمفصود بالزواره قصدة الوجوب. وبه الحجر الأسود الذي هو يمين الله في أرضه، والشاهد لمن حجّ وقلبه بأداء فرضه. سماء الدعاء، وحرم تحريم الدماء. أامن به الحجاج سأكا، ومن دَخَلَهُ كان آمنا.

١٠

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَّامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

وعن أبي ذر الغفاري. قال: قلتُ لرسول الله: أيُّ مسجد وضع في الأرض؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أيُّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. رواه البخاري. وأبو عروبة وزاد: وأينا أدركك الصلاة فهو مسجد.

١٥

قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: تأويله "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ يُعْبَدُ الله فِيهِ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ لَلَّذِي بِبَكَّةَ". قالوا: وليس هو أول بيت وضع في الأرض، لأنه

فقد كان قبله بيوت كثيرة. ثم أسند هذا القول عن علي بن أبي طالب والحسن ومطير وسعيد (وأظنه ابن جبير) ثم قال : وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس . وأختلف هؤلاء في صفة وضعه أول . فقال بعضهم : خلفه قبل الأرض ، ثم دُحيت الأرض من تحته . وأسند هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال : خلق الله البيت قبل الأرض بالثي سة ، وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء ، فُدحيت الأرض من تحته . وعنه عن مجاهد وقناة والسدي . وقال آخرون : موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض . وأسند عن قناة ، قال : دُكر لنا أن البيت هبط مع آدم . وحين أهبط قال الله : أهبط معك بيتي يطاف به كما يطاف حول عرشي . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين . حتى إذا كان زمن الطوفان ، رفعه الله وطهره من أن يصبه عمو به أهل الأرض . فصار معمورا في السماء . ثم إن إبراهيم تنبع منه أثرا بعد ذلك ، فبناه على أساس قديم كان قبله . وقوله تعالى ﴿ الَّذِي بَنَىٰ بَيْتَهُ ﴾ يعني للبيت الذي ببكة . قال الزخشي : وهو علم للبلد الحرام . ومكة وبكة لغتان . وقيل : مكة البلد ، وبكة موضع المسجد . وقيل : بكة موضع البيت ، ومكة ماحوله . وقيل : بكة البيت والمسجد ، ومكة الحرم كله .

وقال عطاء بن أبي رباح : وجّه آدم إلى بكة حين استوحش . فشكى ذلك إلى الله (عز وجل) في دعائه . فلما انتهى إلى بكة ، أنزل الله تعالى ناقوته من ياقوت الجنة . فكانت على موضع البيت الآن . فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان ، فوفعت تلك الياقوتة . حتى بعث الله عز وجل إبراهيم فبناه . فذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ رواه أبو عروبة .

وروى أبو الوليد الأزرقي بسنده عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

قال : إنا الله (تبارك وتعالى) بعث ملائكة ، فقال أسوا لي بناء في الأرض يمشي
اللهت وقدره . وأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا به ، كما يطوف أهل
السماء بالبيت المعمور . قال : وكان هذا قبل خلق آدم ، عليه السلام . والله أعلم !

وقيل إن آدم أول من بناها . وقيل شيث بن آدم . وكانت قبل بنائه خيمة من
نافوثة حمراء ، يطوف بها آدم .

وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن قواعد البيت من
حِراء ، وذكر لنا أن البيت من خمسة أجبل : حِراء ولُئنان والجودي وطور سينا
وطور زينا .

وقال ابن جريح : بُني أساس البيت من خمسة أجبل . (فذكر مثله) .

وحكى السَّمِئِيُّ أن الملائكة كانت تأتي إبراهيم عليه السلام بالمجارة . وقيل رُفعت
لحمه في الطوفان وأودع الحجر الأسود أنا قيس . وبقى موضعها ربوة ، سمّوها هود
وصالح . ويقال إن يعرب قال لهود : ألا نبنيه ؟ قال إنما بينه نبي يتخذ الله خليلا .
ولما بناه إبراهيم دلّته عليه السكينة . وكانت تنزل عليه كالخفّة .

وقال الأزرقي : لما بُني إبراهيم عليه السلام المكة ، جعل طولَ بناها في السماء
نسعه أذرع . وطولها في الأرض ثلاثين ذراعا ، وعرضها في الأرض اثنين وعشرين
ذراعا . وكانت غير مسقوفة . ثم بنتها قريش في الجاهلية . فزادت في طولها في السماء تسعة
أذرع . فصار ارتفاعها في الهواء ثمانية عشر ذراعا . ونقصوا من طولها في الأرض
سنة أذرع وشبرا ، تركوها في الحجر .

ولم تزل كذلك حتى كان زمن عبد الله بن الزبير . فهدمها وبناها على قواعد
إبراهيم . وزاد ارتفاعها في الهواء تسعة أذرع . فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا .

هدمها ونحديدها
بم أم الزبير



سأله الحاج لها

ثم بناها الحاج بن يوسف الثَّقَفِيّ، فلم يغير ارتفاعها . ونقص الحجر وأعادها كما كان في الجاهلية .

وأعلم أن الكعبة بُنيت في الدهر خمس مرات :

إحداهنّ ، بناء الملائكة أو آدم أو شيث ، على ما تقدم .

الثانية بناء إبراهيم .

الثالثة بناء قريش . والسبب في ذلك أن الكعبة استهدمت ، فكانت فوق القامة . فأرادوا تعليتها . وكان بابها لاصفا بالأرض في عهد إبراهيم وعهد جرهم إلى أن بنتها قريش . فقال أبو حديفة بن المغيرة : يا قوم ! أرفعوا باب الكعبة ، حتى لا يدخلها أحد إلا بسُلم ! فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم . فإن جاء أحد ممن تكرهونه رميته به فسقط وصار نكالا لمن يراه . فرفعت بابها ، وجعلت لها سقفا ، ولم يكن لها سقف . وزادت ارتفاعها ، كما تقدم . وكان عمر النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ ذاك خمسا وعشرين سنة ، وقيل خمسا وثلاثين ، فحضر البناء وكان ينقل الحجارة معهم ، كما ثبت في الصحيح . وتنافس قريش فمين يصع الحجر الأسود موضعه من الركن ، ثم رضوا بأن يضعه النبي ، صلى الله عليه وسلم .

الرابعة بناء عبد الله بن الزبير . والسبب في ذلك ، على ما ذكر السهيلي ، أن أمراًة أرادت أن تُحجر الكعبة ، فطارت شررة من الحجرة في أستانها . فأحترقت . وقيل طارت شررة من أبي قبيس ، فوقعت في أستان الكعبة ، فأحترقت . فشاوَر ابن الزبير من حضره في هدمها . فهابوا ذلك ، وقالوا : نرى أن نُصلح ما وهى منها ولا نُهدم . فقال : لو أن

على يد آب الزبير

بيت أحدكم أحترق لم يرض له إلا بكل إصلاح، ولا يكفل إصلاحها إلا بهدمها.
فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر. فحزكوا حجرا منها.
فروا تحت نارا وهو لا أفرعهم. فبنوا على القواعد.

ووي الخبر أنه سترها وقت حفر القواعد، فطاف اللاس بتلك الستارة، ولم تخل من
طائف. حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير، أشد الحرب وشغل اللاس حينئذ، فلم
يرطاف يطوف بها إلا بجل. وتم بناءها وألصق بابها بالأرض. وعمل لها خلفا أى بابا
من ورائها وأدخل الحجر فيها. وذلك لأن خاله عائشة (رضي الله عنها) حدثته أن
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة حين بنوا
الكعبة، فأقتصروا على قواعد إبراهيم. ثم قال: لولا حدثان قومك بالجاهلية، لهدمتها
وجعلت لها خلفا وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر. فقال ابن الزبير:
فليس با عجز عن الفقة. فباها على مقتضى حديث عائشة.

وحكى أبو الوليد الأزرقي أنه لما عزم على هدمها. نرح أهل مكة إلى منى.
فأقاموا بها ثلاثا. خوفا أن ينزل عليهم عذاب لهدمها. وأمر ابن الزبير بهدمها. فما
احترأ على ذلك أحد. فعلاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمى أحجارها.
فلما رأوا أنه لا يصيبه شيء، صعدوا وهدموا. فلما تم بناؤها، خلقها من داخلها
وحارجها، من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القباطي. وقال: من كانت لى عليه
طاعة، فليخرج فليستمر من التمتع، ومن قدر أن ينحر بدنة فليعمل، ومن لم يقدر
فليذبح شاه، ومن لم يقدر عليها فليصدق بوسعه. وخرج ابن الزبير ماشيا، وخرج
الناس مشاة. فاعتمروا من التمتع، شكرا لله تعالى. فلم يروم أكثر عتيقا وبدنة.
محورة وشاة مذنوحة وصدقة من ذلك اليوم. ونحر ابن الزبير مائة بدنة.

قال السهيلي: ولما قام عبد الملك بن مروان في الخلافة، قال: لسانا من تخليط أبي خُبيب بشيء (يعني عبد الله بن الزبير) . فهدمها وأعادها على ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا في ارتفاعها، ثم جاء الحارث بن أبي ربيعة المخزومي ومعه رجل آخر، فحدثاه عن عائشة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالحديث المتقدم، فندم وجعل يبكت بمخصرة في يده الأرض، ويقول: "وَدَدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ أَبَا خُبَيْبٍ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ ذَلِكَ".



وتولى البناء - في زمن عبد الملك بن مروان - المجاح بن يوسف الثقفي، وهو البناء الخامس الموجود الآن.

والذي هدمه المجاح هو الزيادة وحدها. وأعاد الركنين، وسد الباب الذي فتحه ابن الزبير. وسدّه بين إلى الآن. وجعل في المحر من البيت دون سبعة أذرع. وعلامة ذلك في داخل المحر لوحان من مرمرٍ متقوشان متقابلان في الجانبين. وصار عرض وجهها، وهو الذي فيه الباب، أربعة وعشرين ذراعا. وفيل إن الكعبة بنيت مرتين أخريين، غير الخمس.

ساء العالقة

إحداها بناء العالقة بعد إبراهيم،

ساء حرم

والثانية بناء حُرَّم بعد العالقة.

١٥

تريم الكعبة

قال السهيلي: إنما كان ذلك إصلاحا لما وهى منه. لأن السيل كان قد صدع حائطه. وكانت الكعبة بعد إبراهيم (عليه السلام) مع العالقة وجُرم إلى أن انقرضوا. وخلصهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم: لكثرتهم بعد القلة، وعزمهم بعد اللذلة. وكان أول من جدد بناءها، بعد إبراهيم، قُصِيُّ بن كلاب. وسقفها بنشب الدوم وجريد النخل.

٢٠

وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري - مرفوعا - أن أول من جدد الكعبة بعد
كلاب بن مرة، فُصي.

وحكى السهيلي أن أول من آخذ للكعبة علقاً تبع، ثم ضرب لها عبد المطلب بابا
من حديد، وهي الأسياف القلعة التي كانت مع الغزاليين الذهب. وهو ما استخرجه
عبد المطلب من بئر زمزم، لما احترقها بعد ما طمها الحارث بن مضاض، لما أخرج
الله جرمهم من مكة بسبب إحداثهم في الحرم واستحفاهم بالحرم وبقي بعضهم على
بعض، فتغور ماء زمزم. وعمد الحارث إلى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان
من ذهب وأسياف قلعية، كان ساسان أهداها إلى الكعبة، وقيل سابور. وجاء
نحت الليلس ودفن ذلك في زمزم، وعفى عليها. ولم تزل دارسة حتى حفرها
عبد المطلب واستخرج ذلك كما هو مذكور في موضعه.

١٠

وآخذ عبد المطلب من الغزاليين المذكورين حليبه للكعبة. وهو أول ذهب
جلبت به الكعبة.

١٥

فلما جاء الإسلام وآلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، بعث إلى واليه على
مكة خالد بن عبد الله القسري بسنة وثلاثين ألف دينار. فصر منها على باب
الحكمة صفائح الذهب، وعلى الميزاب، وعلى الأساطيم التي في جوفها، وعلى الأركان.
وهو أول من ذهب البيت في الإسلام.

نقله عنه
الذهب في الإسلام



ودكر السهيلي أن الذي عمله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بن داود (عليهما
السلام) من ذهب وفضة، حمل إليه من طليطلة، من جزيرة الأندلس. وكانت لها
أطواق من زبرجد وياقوت، وكانت قد احتملت على بفل قوي، فتفسخ تحتها.

ثم لما آلت الخلافة إلى الأمين، رفع إليه أن الذهب الذي عمله الوليد قد رُق. فأرسل إلى عامله على ضواحي مكة، سالم بن الحِترَاح، بثمانية عشر ألف دينار ليضربها صفائح على باب الكعبة. فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزيد عليها ثمانية عشر ألف دينار. وضرب الصفائح والمسامير وحلقت الباب والعنتة. فالذي كان عليه من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال.

فلت: ثم جُدد الباب الشريف في الأيام الزاهرة الملكية الناصرية سقى الله عهدا. عُمل بمصر مُصَفَّحًا بالفضة. وأنا كتبتُ نسخة ما كُتِبَ عليه. وُجِّهَ به رَسْمُ بَغَا الناصري.

تحديد باب الكعبة
في رَسْمِ الناصر محمد
أبى قلاوون

فال الأزرقى: وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأبيض والأخضر والأحمر في جوفها. فوزَّره جذرانها، وفرشها بالرخام. فجميع ما في الكعبة من الرخام هو من عمل الوليد. وهو أول من فرشها بالرخام وأزَّره جذرانها.

رحيم الكعبة
في أيام الوليد

فلت: تم هَلَعَ غالب ذلك. وغالب ترخيمها وما فيها الآن من آثار المظفر يوسف بن عمر بن رسول، صاحب اليمن. وأسمه في الرخام داخل الكعبة، حيث بُصِّلَ المصلى، بين العمودين نُجَّاه وجهه في الجدار المتصل بالركن الباقى.

رحيم المظفر
يوسف بن رسول

وآختلف أهل السَّير في أول من كسا الكعبة الديباج.

فقال ابن إسحق: هو الحاج بن يوسف. وقال ابن بكَّار: هو عبد الله بن الربيع. وقال السَّاوردي: أول من كساها الديباج خالد بن جعفر بن كلاب. أخذ لطيمة تحمل البز وأخذ فيها أنماطا، فعلقها على الكعبة. وذكر جماعة - منهم الدارقطني - أن نُبَيْلَةَ بنت جناب أمَّ العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلَّت العباس صغيرا.

كسوة الكعبة في
الحاخلة والإسلام



فندرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج.

وحكى الأزرقي أن معاوية كسا الكعبة الديباج. قال: وكانت تكسّى يوم عاشوراء.
ثم إن معاوية كساها مرتين.

ثم كساها المأمون ثلاث مرات. فكانت تكسوها الديباج الأحمر يوم التروية،
والقنطاريّ يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان.

وهذا الأبيض أبدأه المأمون سنة ست ومائتين حين قالوا له: الديباج الأحمر
يقتزق قبل الكسوة الثانية. فسأل عن أحسن ما تكون فيه الكعبة. فقالوا: الديباج
الأبيض. ففعله.

قلت: وهي الآن تكسّى في العام مرة واحدة في وقت الموسم. وتجمل إليها الكسوة
من الخزانة السلطانية بالديبار المصرية، صمعة الرك، فتتولى ذلك أمراء الرك.
ويحصرول بأفسهم فكسّى، وأخذ الأشراف وبو شبله الكسوة العتيقة وشمسوها.
وأخذون في كل قطعة منها أوفر الأعواض. وتجمل إلى سائر البلاد للبركة.

وعهدى بصاحب اليمن يبعث إليها كسوة، فتلبس تح الكسوة المصرية. وهما
سوداوان من الحرير الأسود، بكتابة بيضاء، فيها آيات حات في القرآن في ذكر
الكعبة.

ولما حججت سنة ثمان وثلاثين وسعمائة. صعدت أنا وأمراء الرك المصري
لتلبس الكعبة الشريفة، حتى تكأ على سطحها. فرأيت به مبلط بالمرمر والرخام
الأبيض. ومن جوانبه حدر قصار فيها حلق لمرباط الستور، نُجِّرت فيها الكسوة بحبال،
ثم تُربط في تلك الحلق.

وأنا أحمد الله، إذ يبدى توليت خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبسها الكسوة
الجديدة.

١٩
هدية سلطان مصر
للملك العرب

وَحُمِلَتِ الْكِسْوَةُ الْعَتِيقَةُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى السُّلْطَانِ بِمِصْرَ، لَتُجَهَّزَ إِلَى السُّلْطَانِ
أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيُومِيِّ مَعَ مَا يُجَهَّزُ عَوَضَ هَدِيَّةٍ بَعَثَهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، صَاحِبَةُ مَرْيَمَ زَوْجَةُ
أَبِيهِ وَعَرِيفُ السُّوَيْدِيِّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَكْبَرِ دَوْلَتِهِ، وَعُوِّضَ بَنُو شَيْبَةَ وَالْأَشْرَافُ
عَنْهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمِصْرَ.

٥ والعادة جارية أن تنسل الكعبة المعظمة بماء زمزم في السابع والعشرين من
ذي القعدة، وتُسَمَّرُ ستورها، وتُلْبَسُ يَوْمَ الْأُخْصَى، وتنسل بماء الورد عدد عود
الركب من مَنَى، أو أوانٍ مُنْصَرَفِهِمْ.

عسل المؤاب
للحكمة
وكلُّ ذَلِكَ حَضْرَتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَبَوَلِيَّتُهُ بَيْدَى. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ!

وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ مَطْلَقًا

١٠ شَكَى الْأَزْرَقِيُّ عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ أَنَّ تَبَعًا أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ كِسْوَةً كَامِلَةً. أَرَى
فِي الْمَنَامِ أَنَّ يَكْسُوهَا. فَكَسَاهَا الْأَطَاعَ، ثُمَّ أَرَى أَنَّ يَكْسُوهَا الْوَصَائِلَ، فَكَسَاهَا،
وَهِيَ ثِيَابُ حَبْرَةٍ مِنْ عَصَبٍ.
ثُمَّ كَسَاهَا الْمَاسَ بَعْدَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

١٥ قَالَ السَّهْبِيُّ: وَيُرَوَّى أَنَّ شَعًّا لَمَّا كَسَاهَا الْمُسُوحُ وَالْأَطَاعَ، أَتَقَصَّ الْبَيْتُ. فَرَأَى
ذَلِكَ عَنْهُ حِينَ كَسَاهَا انْخَصَفَ، وَهِيَ ثِيَابُ عِلَازٍ. فَلَمَّا كَسَاهَا الْمَلَأَاءُ وَالْوَصَائِلُ
(وَهِيَ ثِيَابُ مَوْصِلَةٍ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ وَاحِدَتُهَا وَصِيلَةٌ)، قَبْلَتَهُ. ذَكَرَهُ قَاسِمٌ فِي "الدَّلَائِلِ".

كسوة النبي
والراشدين
وَرَوَى الْأَزْرَقِيُّ بِإِسَانِيدٍ مُتَّفِقَةٍ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَسَا الْكَعْبَةَ.
ثُمَّ كَسَاهَا أَبُو بَكْرٍ، وَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَسَاهَا عُثْمَانُ، وَمَعَاوِيَةُ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وفال تبع لما كسا البيت.

بول تبع عند
كسوة الكعبة

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مُلَاءً مُعَصِّدًا وَرُودًا.

فَأَقْنَتْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا * وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا .

وَنَحَرْنَا بِالشَّعْبِ سِتَّةَ أَلْفٍ . فَتَرَى النَّاسَ نَحْوَهُنَّ وَرُودًا .

ثُمَّ سَرْنَا عَنْهُ ثُمَّ سَهَّلًا . فَرَفَعْنَا لِرِوَاءِنَا مَعْقُودًا .

وأما صفة الكعبة



وصف الكعبة
ودرعها

فَاعْلَمْ أَنَّ الْكَعْبَةَ، الْبَيْتَ الْحَرَامَ، مُرَبَّعَةُ الْبُنْيَانِ فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ. أَرْتَعَاهَا مِنْ
الْأَرْضِ سَبْعَةَ وَعَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُ الْجُدَارِ، وَجُفْهُهَا الْآلُ، أَرْبَعَةُ وَعَشْرُونَ
ذِرَاعًا، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ بَابُهَا، وَعَرْضُ مُؤَخَّرُهَا مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَرْضُ جِدَارِهَا الَّذِي
بِالْيَمِينِ - وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالرُّكْنِ الْعِرَاقِيِّ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ الْحِجْرُ الْأَسْوَدُ -
عَشْرُونَ ذِرَاعًا. وَإِلَى وَسْطِ هَذَا الْجِدَارِ كَانَ يُصَلِّيُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَبْلَ
هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَعَرْضُ جِدَارِهَا الَّذِي بِلِلِ الشَّامِ، وَهُوَ الَّذِي فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ
الشَّامِيِّ وَالرُّكْنِ الْغَرْبِيِّ، أَحَدُ وَعَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَهُوَ بَابُ الْكَعْبَةِ عَلَى وَسْطِهِ يَسْكُبُ
فِي الْحِجْرِ، وَمِنْ أَصْلِ هَذَا الْجِدَارِ إِلَى أَقْصَى الْجِدَارِ سِتَّةَ عَشْرَ ذِرَاعًا.

(١١)
وَعَرْضُ بَابِ الْحِجْرِ الشَّامِيِّ خَمْسَةُ أَذْرُعٍ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا، وَعَرْضُ بَابِهِ الْغَرْبِيِّ سِتَّةَ
(١١)
أَذْرُعٍ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا، وَجِدَارُ الْحِجْرِ مَدْبُورٌ مِنْ بَابِهِ الشَّامِيِّ إِلَى بَابِهِ الْغَرْبِيِّ، كَالطَّلَاسَانِ .
وَعَرْضُهُ ذِرَاعًا، وَأَرْتَعَاهُ مِنَ الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْبَارٍ.

والحجر الأسود، في الركن العراقي المقابل لزمزم . وهو [على] سبعة أشبار من الأرض.

وباب الكعبة على أربعة أذرع من الأرض، وعلوه سنة أذرع، وعرضه أربعة أذرع .

وما بين الباب والحجر الأسود أربعة أذرع . ويسمى ذلك الموضع الملتزم: لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين فرغ من طوافه ألزمه ودعا فيه، ثم ألتفت فرأى عمر، فقال: "هاهما تسكب العبرات".

ومن الباب إلى مصلى آدم (عليه السلام) حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة، وهو موضع الخلق، ومن أزار الكعبة، أخرج من سعة أذرع، وكان هناك موضع مقام إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) .

وصلى النبي (صلى الله عليه وسلم) عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، وأنزل الله تعالى عليه: "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى". ثم نفله (صلى الله عليه وسلم) إلى الموضع الذي هو فيه الآن . وذلك على عشرين ذراعاً من الكعبة: لتلا يقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو ترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كبر الناس، وليدور الصف حول الكعبة، ويرى الإمام من وجهه. ثم حمله السبل في أيام عمر وأخرجه من المسجد . فأمر عمر برده إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وبين موضع الخلق - وهو مصلى آدم عليه السلام - وبين الركن الشامي ثمانية أذرع.

ومن الركن الشامى إلى اللوح المرمى المنقوش فى الحجر الذى بنى هناك ابن الزبير
ركن البيت (وهو على قواعد إبراهيم عليه السلام) تسعة أذرع .

وفى ما بين الحجر إلى مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعا ويسمى ذلك الحطيم .
لأنه يحطم الذنوب أى يسقطها ؛ وقيل لأنه حطم من البيت ؛ وقيل لأن من حلف
هناك كاذبا أنحطم دينه ودنياه .

وما بين الركن العراقى (وهو الذى فيه الحجر الأسود) إلى مصلى النبى (صلى الله
عليه وسلم) قبل هجرته إلى المدينة ، عشرة أذرع . وكان يستقبل بيت المقدس ،
ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس . ولهذا لم يبين توجهه إلى بيت المقدس إلا
لما هاجر إلى المدينة .

وبين الركن الباقى وبين الباب المسدود فى ظهر الكعبة أربعة أذرع . ويسمى
ذلك الموضع المستجار من الذنوب ، وعرض الباب خمسة أذرع ، وأرتفاعه سبعة
أذرع . وبينه وبين الركن الغربى ثلاثة عشر ذراعا .

وبين الركن الغربى وآخر قواعد إبراهيم - وهناك اللوح المرمى المنقوش - أزيد من
سبعة أذرع . وإلى هناك بنى ابن الزبير .

وقد قدما أن أرتفاع الكعبة فى الهواء سبعة وعشرون ذراعا .



وأما صفة المسجد الحرام المحيطة بالكعبة

فنقول : قد ذكر الأزرقى والماوردى والسهيلى وغيرهم ، وفي كلام بعضهم زيادة على بعض :

كان المسجد الحرام ، أعنى المحيط بالكعبة فناء لها وفضاء للطائمين . ولم يكن له على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبى بكر جدارٌ يحيط به . فضيق الناس على الكعبة وألصقوا دورهم بها . وكانت الدور مُحْدَقة بالكعبة . وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية .

فلما استُخلف عمر ، وكثر الناس ، قال : " لا بد لي بيت الله من فناء ! وإنكم تدخلتم عليه ولم يدخل عليكم " . فوسع المسجد واشترى تلك الدور وهدمها وزادها في المسجد . وأتخذ للمسجد جداراً قصيراً ، دون القائمة . وكانت القناديل توضع عليه . وكان عمر أول من أتخذ الجدار للمسجد الحرام .

ثم لما استُخلف عثمان ، آتباع منازل ووسعه بها . وبني الأروقة للمسجد ، فيما ذكر الأزرقى والماوردى وغيرهما .

ثم إن ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة . واشترى دوراً ، من جملتها بعض دار الأزرقى ، اشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار . وجعل فيها عمداً من الرخام .

ثم عمره عبد الملك بن مروان ، ولم يزد فيه ، لكن رفع جداره ، وجلب إليه السوارى في البحر إلى جُدَّة ، وسقفه بالساج . وعمره عمارة حسنة .

ثم وسع ابنه الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرخام .

وصف المسجد
الحرام

من الحفاب
ع الملكة
لتوسيع المسجد

عثمان بن عفان
يبنى به

أب الزبير يشتري
بها

تعمد عبد الملك
أب مروان لا يجد

توسيع الوليد له

زيادة المصور
العباسي، وأعمدة
الرحام
ديانة المهدي

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة الرخام.

وزاد فيه المهدي مرتين : إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها تَوَفَّى المهدي .

وأستقر بناؤه إلى الآن.

روى المسند
الحرام وسفهاء

وأما الرواق فنقول : إن له سقفي، أحدهما فوق الآخر ، وبينهما فرجة قدر الدراعين ، أو نحوهما .

فأما الأعلى منه ، مسطوحه فرش مسقف بالدُّوم اليابس .^(١)

وأما الأسفل منهما ، فهو مسقوف بالساج ، مزخرف بالذهب .



أشبه

وعدد أساطينه (ذلك من الرخام والحجر الأبيض ، سوى ما جُدد في دار الندوة وسوف الحطة) أربعمائة وأربع وثمانون أسطوانة . بين كل أسطوانتين ستة أذرع : منها في الجانب الشرقي الذي يلي المسمى مائة أسطوانة وثلاث أساطين ، وفي الجانب الشمالي مما يلي الصفا مائة أسطوانة وإحدى وأربعون أسطوانة ، وفي الجانب الغربي مائة أسطوانة وخمس أساطين ، وفي الجانب الشمالي الذي فيه دار الندوة مائة وخمس وثلاثون أسطوانة .

وفي وسط هذا الشق أو نحوه الذي يلي المسجد سارية خمس أساطين : ذكر أنها كانت يهودية فسامها النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها ، فأبث بيعها إلا بوزنها ذهباً ، ففعل النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك ، فوُضِعَ في ميزان ، ووضع مثقال واحد مريح المثقال ببركة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

شراء النبي
لأسطوانة بوزنها
ذهباً

ومنها على باب المسجد اثنتان وعشرون؛ ومن ناحية المسجد ست؛ ومن ناحية
الوادي والصفاء عشر؛ ومن ناحية بني جُمح أربع؛ ومن ناحية دار الندوة اثنتان.
وفي دار الندوة سوى ما ذكرناه سبع وستون أسطوانة بالحجارة مبيضة، وطول كل
أسطوانة منها عشرة أذرع، وتدويرها ثلاثة أذرع، وذراع ما بين كل أسطوانتين ستة
أذرع ونصف.

وعدد طاقاته وهي الحنايا المعفودة على الأساطين أربعمائة طاق وثمان وتسعون
طاقا، سوى ما في دار الندوة.

وذراع المسجد الحرام من باب بني جُمح إلى باب العباس، الذي عند العلم الأخضر،
وعرف بباب بني هاشم، أربعمائة ذراع وأربعة أذرع، وعرضه ما بين دار الندوة إلى
باب الصفاء ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع.

وذراع ما بين وسط جدار الكعبة الشريفة الذي يلي المسعى مائتا ذراع وثلاثة عشر
ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة الغربي إلى جدار المسجد الغربي الذي يلي بني جُمح
مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة الحنوبي إلى جدار
المسجد الذي يلي الوادي مائة ذراع وأحد وأربعون ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة
الشمالي الذي يلي الحجر إلى جدار المسجد الذي يلي دار الندوة مائة ذراع وتسعة
وثلاثون ذراعا؛ ومن ركن الكعبة العراقي ويقال له الشامى إلى المنارة التي تلي المروة
مائتا ذراع وأربعة وستون ذراعا؛ ومن ركن الكعبة الشامى ويقال له الغربي إلى المنارة
التي تلي باب بني سهم (وهو باب العمرة) مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعا؛ ومن الركن

(١) يظهر أن هاسقطا. وأصل الكلام "وذراع ما بين وسط جدار الكعبة الشريفة إلى جدار المسجد
الشرقي" الخ كما تصح ذلك من طائره عد.

اليانتي إلى المنارة التي تلي أجياد الكبرى وبين الحزورة مائتا ذراع وثمانية أذرع؛
ومن الركن الأسود إلى المنارة مستمرة تلي المسعى والوادي من ناحية الصفا مائتا
ذراع وثمانية وعشرون ذراعا .

ارتفاعه في السماء ٥
وأرتفاع جداره في السماء مما يلي المسعى ثمانية عشر ذراعا؛ ومما يلي الوادي والصفا
أثنان وعشرون ذراعا؛ ومما يلي بى حُحج اثنان وعشرون ذراعا؛ ومما يلي دار الندوة
سبعة عشر ذراعا ونصف .

شرفته
وعدد شرفاته من داحله وحارجه ، أربعائة وخمس وتسعون شُرَافة . هذا
من خارجه .

وعدها من داخله اربعائة وثمان وتسعون شُرَافة .

١٠ بجميعها ألف شُرَافة إلا سبع شُرَافات :

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ يُطَاقُ وَيُرَادُ بِهِ عَيْنُ الْكَعْبَةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ” قَوْلٌ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ “ ، إِذْ لَمْ يَفْلُ أَحَدٌ مِنَ الْمَسَامِينِ بِالْاِكْتِفَاءِ بِالتَّوْجِهَةِ إِلَى
اسْتِفْهَالِ الْمَسْجِدِ الْمُحِيطِ بِالْكَعْبَةِ . وَهَذَا هُوَ أَصْلُ حَقِيقَةِ اللَّفْظِ ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ” إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ “ وَقَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَمَّا
سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ ، قَالَ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ .

المسجد تدراد به
الكعبة كلها

٧٥

وقد يطأ المسجد الحرام ويراد به المسجد المحيط بالكعبة . وهو الغالب في الاستعمال
على وجه التغليب المجازي ، كَمَا فِي قَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ” صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي
هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ “ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ” سُبْحَانَ
الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ “ . عَلَى قَوْلٍ مَنْ رَوَى أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا
فِي الْمَسْجِدِ الْمُحِيطِ بِالْكَعْبَةِ .

المسجد الحرام
قد يراد به المسجد
المحيط بالكعبة
فقط

المسجد الحرام
قد يراد به مكة
أو الحرم بأكمله

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به مكة أو الحرم بأكمله، على قول من يقول إن المراد بالمسجد الحرام مكة. لأنه (صلى الله عليه وسلم) كان نائما في بيت أم هانئ لما أسرى به، وكما في قوله تعالى "ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاصِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ". على قول من يقول إن المراد الحرم الخارج عن مكة بأكمله.

وهذا كله على وجه التغليب المجازي. ولا ريب فيه. وإلا يلزم الاشتراك في موضوع المسجد الحرام. والمجاز أولى منه. والله أعلم.

ومما يشتمل عليه المسجد الحرام بئر زمزم وهي سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ، وَهَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُسِ حَبْرِيْلَ، طَعَامُ طُعْمٍ، وَشِفَاءُ سَقَمٍ، لَا تَزِفُ وَلَا تَدُمُ، وَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا ذَمٌّ، بِلَقِيَةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَدَلِيلُ سُودْدِهِ. وَلَا كَذِبُ. وَفِي الْحَدِيثِ: "مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ".
١٠ قال السُّهَيْلِيُّ: كَانَتْ زَمْزَمُ سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. جَرَّهَا لَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بَعْقِبِهِ. وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا لَعَفْبُ إِسْمَاعِيلَ وَزَائِهِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وَالْقِصَّةُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ.

وتلخصها أن إبراهيم (عليه السلام) لما احتمل إسماعيل وأُمُّهُ هَاجَرَ إِلَى مَكَّةَ، أَتَمَّحَمَلُ مَعَهُ لَهَا قُرْبَةً مَاءٍ وَمِزْوودَ تَمْرٍ. وَتَرَكَهُمَا بِمَكَّةَ وَعَادَ. فَلَمَّا فَرَعَ النَّوْرَ وَالْمَاءَ عَطَشَ إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ صَغِيرٌ، وَجَعَلَ يَدْشَعُ لِلْمَوْتِ، جَعَلَتْ هَاجِرٌ تَسْعَى مِنَ الصَّبَا إِلَى الْمَرُوءَةِ، وَمِنَ الْمَرُوءَةِ إِلَى الصَّبَا، لَتَرَى أَحَدًا. حَتَّى سَمِعَتْ صَوْتًا عِنْدَ الصَّبِيِّ. فَقَالَتْ: قَدْ أَسَمِعْتُ، إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوْثٌ. ثُمَّ جَاءَتْ الصَّبِيَّ. فَلَإِذَا الْمَاءُ يَنْبَعُ مِنْ تَحْتِ خَدِّهِ. فَجَعَلَتْ تَغْرِيفُ بِيَدَيْهَا، وَتَجْعَلُ فِي الْقُرْبَةِ. وَسَيَّاتَى بَعْدَ ذَلِكَ لَهُ حَبْرٌ. قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَوْ تَرَكْتَهُ لَكَانَ عَيْنًا (أَوْ قَالَ: نَهْرًا مَعِينًا).



صل نسبة
م

قال الحرقي: سميت زمزم بزمزمة الماء، وهي صوته. وقال المسعودي: سميت
زمزم لأن الفرس كانت تتجج إليها في الزم الأول، فترمزم عندها. والزمزمة صوت
تخرجه الفرس من خياشيمها، عند شرب الماء، وأنشد المسعودي:
زمزمت الفرس على زمزم. وذلك في سالفها الأقدم.

وذكر البرقي عن ابن عباس: أنها سميت زمزم، لأنها زمت بالقراب، لتلا يسبح
الماء يمسا وسمالا، ولو نكت لساحب على الأرض، حتى تملأ كل شيء.

ممة حوت
ممة حوت
ممة حوت

وقد ذكرنا طم الحارث بن مضاض إناها. ولم تزل دارسة، حتى أرى عبد المطلب
أل أحمر طيه. فسميت طيبة، لأنها للطيبين والطيبات، من ولد إبراهيم وإسماعيل
وقيل له: أحمر برة. وقبل: أحمر المضونة، صنت بها على الناس إلا عليك.
وذلك عليها علامات ثلاث: بقرة الغراب الأعصم، وأنها بن الثرث والدم، وعند
وربه النمل.

وروي أنه لما قام ليحفرها، رأى ما رسم له من فرية النمل وبقرة الغراب، ولم ير
الثرث والدم. وبينما هو كذلك، نذت بقرة لجازرها، فلم يدركها حتى دخلت المسجد
الحرام، فحفرها في الموضع الذي رسم له. فسأل هناك الثرث والدم، فحفر عبد المطلب
حسب رسم له.

وقبل اعد المطلب في صننها: إنها لا تتزف أبدا. وهذا برهان عظيم، لأنها لم تتزف
من ذلك الحين إلى اليوم قط. وقد وقع فيها حبشي فترحت من أجله. فوجدوا
ماءها يشور من ثلاث أعين: أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود. رواه
الدارقطني. وروي الدارقطني أيضا مسندا عن النبي (صلى الله عليه وسلم): "من



شرب من ماء زمزم، فليس يعل، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين. لا يستطيعون أن يتضلعوا

منها". أو كما قال. ورؤى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "ماء زمزم لما شرب له". ورؤى أن أبا ذر تقوت من مائها ثلاثين، بين يوم وليلة. فسمن حتى تكسرت عكته.

وذكر الزهري في سيرة أن عبد المطلب أخذ حوضا لزمزم يستقي منه. وكان يحب بالليل، حسدا له. فلما عمه ذلك، قيل له في اليوم: "قل: لا أحلها لغتسل، وهي لشارب حلّ وبّل". وقد كفيتهم". فلما أصبح، قال: نعم. وكان بعد من أرادها مكروه، رمى بداء في جسده، حتى انتهوا عنه. (١)



الصفاء والمروة

قال الله تعالى: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا".

لصفه والمروة

فَرَقَدَا الْأَرْضَ، وَجَارَا الْبَيْتَ الْحَرَامَ، وَطَوَّأَ لِمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِمَا، وَسَمَىٰ بَيْنَهُمَا أَوْ إِلَهُمَا . وسذكر ما هما، فنقول:

أما الصفا فحجرٌ أزرقٌ عظيمٌ في أصل جبل أبي قُبَيْسٍ، قد كُسِرَ دَرَجٌ إِلَى آخِرِ مَوْضِعِ الْوُقُوفِ. وأكثر ما ينهى الناس منها إلى اثنتي عشرة درجة أو نحوها.

وصف الصفا

وأما المروة فحجر عظيم إلى أصل جبل متصل بجبل قُبَيْعَانَ . كأنه قد أنفسم على حَرَّابَيْنِ، وبقت بينهما فرجة، بين منها دَرَجٌ عليها إلى آخِرِ الْوُقُوفِ.

وصف المروة

"وَذَرْعٌ مَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَهُوَ الْمَسْعَى . سَبْعَانَةُ ذِرَاعٍ وَثَمَانُونَ ذِرَاعًا".

المسعى

من الصفا إلى الميل الأخضر المائل في ركن المسجد على الوادى مائة وثمانون ذراعاً.

"وَذَرْعٌ مَا بَيْنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالصَّفَا مِائَتَا ذِرَاعٍ وَأَثْنَانِ وَسِتُونَ ذِرَاعًا".

ومن الميل الأصغر إلى الميل الأخضر الذى بإزاء دار جعفر بن العباس ، وهو

مَوْضِعُ الْهَرُولَةِ . مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا.

موضع الهرولة

ومن الميل الثانى إلى المروة أربعانة وخمسة وسبعون ذراعاً.

١٥

بجميع ما بين الصفا والمروة سبعمائة^(١) وثمانون ذراعاً .

(١) في هذا الحساب اضطراب . ولذلك وضعنا بين شولتين مزدوحتين " المسافة الكائنة بين

الحجر الأسود والصفا، لتكون النتيجة موافقة للقدمية وليصح الحساب .

دار الندوة

قال الماوردي : لم تكن مكة ذات مازل . وكانت قريش ، بعد جُرُهم ، والعماقة ، ينتجعون جبالها وأوديتها . ولا يخرجون من حرّما أنسابا إلى الكعبة لاستيلائهم عليها ، وتخصيصها بالحرم لخلوهم فيه . وبرون أن ذلك يكون لهم بسببه شأن . وكان كلما كثر فيهم العدد ونسأت فيهم الرئاسة ، قوى أمهلهم وعلموا أنهم سيقدمون على العرب . وكان فضلائهم يخيلون أن ذلك لرئاسة في الدين وتأسيسا لنبوّة ستكون . فأول من أُلِهم ذلك منهم كعب بن لؤي بن غالب . وكانت قريش تلتئم إليه في كل جمعة . وكان بخطبهم فيه ، ويذكر لهم أمر نبينا (صلى الله عليه وسلم) .

ثم انتقلت الرئاسة إلى قُصيّ بن كلاب ، فبنى بمكة دار الندوة ليحكم بها بين قريش ، ثم صارت لتشاؤريهم وعقيد الألوية في حروبهم . وكانت هذه الدار ، لا ينكح رجل من قريش ولا امرأة إلا فيها ، ولا يُعقد لواء الحرب لهم ولا لعيرهم إلا فيها ، ولا يُعدّر غلام إلا فيها ، ولا تُدرّع جارية من قريش إلا فيها : يُسقى عليها درعها ثم تُدرّع ويُطلق بها إلى أهلها ، ولا تخرج عبر من قريش ويرحلون إلا منها . ولا يهدمون إلا نزلوا فيها .

قال الكلبي : " وكانت أول دار بُنيت بمكة ، ثم تتابع الناس فَبَنُوا الدور . كلما قربوا من الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد ، حتى دانت لهم العرب " .

قال الماوردي : صارت بعد قُصيّ لابنه عبدالدار . فابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قُصيّ ، وجعلها دار الإمارة .

وروى الأزرقي أن معاوية اشتراها لما حج، وهو خليفة، بمائة ألف درهم.
 وذكر السهيلي أن هذه الدار صارت إلى حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى
 ابن قصى فباعها في الإسلام بمائة ألف. وذلك في زمن معاوية. فلامه معاوية
 في ذلك، وقال: "بعت مكرمة آبائك وشرفهم". فقال حكيم: "ذهبت المكارم إلا
 التقوى. والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق نحر، وقد بعثها بمائة ألف، وأشهدكم أني
 جعلتُ منها في سبيل الله! فأينما المغبون؟"

قال الحارثي: هي اليوم (يعني دار الندوة) في المسجد الحرام.
 قال الأزرقي: وهي جانبه الشمالي. وقد تقدم ذكرها.^(١)

دجود في المسجد
الحرام وموضعها
—

مِنَى



يسى

حيث تُرْمَى الجمرات، وتُهْمَى العَبَرَات، وذوات الليالي المُقَمَّرَات، والآيَامُ الَّتِي سُلِّخَ من الكافور ثياب عشاياها المعنبرات، يُحَلَّى بها من كل رَبِّ عَاطِلُهُ، ويلتقي في كل سِرْب كل ذى دِينٍ ومَاطِلُهُ .

وهى بطحاء بين جبلين، مهدفة الجوانب، فيها مجتمع الجميع . والمُحَصَّب منها موصع الجمرات . وهى على مدرجة السوق الأعظم، حيث يُنَصَّب كلُّ سنة، أيامَ الموسم . يجتمع فيه الخليطان من شامٍ ويَمَنَ، وتنزل الركوب به في مازلم : من شَرَف الوادى إلى حيث تُنَحَّر البدَنَات تحت العقبة الأولى، حيث تُنَصَّب سقايات الحَاج .

وكانت في قديم الإسلام موسم لقاء الحبايب، ومكان موعد كل مفارق . وثلاث ليالى منى معروفة موصوفة، قد أكثر فيها الشعراء وترنم بها التيمون . وبمِنَى بيوتٌ هى كالقرية . منها ماهو مسكون ومنها ماهو برسم بضائع الكارم، أيام الموسم، تُكْرَى بأجرة طائلة .

وبها آثار متخذة لحزن ماء الأسنية، يباع على الجميع . وهو ماء ثقيلٌ وبِئْسَ ما يحمل من أوساخ الذبائح، وبقايا الأضاحى، ودماء القرابين .

وفيهامسجد الخفيف . وهو على يمين المتوجه من مكة إلى عرفات . والخفيف هو البستان . وجدد بناؤه في الأيام الزاهرة الناصرية، سقى الله عهدها !

وفيهامسجد إسماعيل، ويسمى بمسجد الكبش . وهو على يسار المتوجه من منى إلى عرفات . يقال إن الفداء لإسماعيل نزل به . ويتزل المصريون منه إلى منى، ويتزل

مسجد الحبيب

مسجد الكدش

المَكُونُ منه إلى مُعَرَّفٍ، ويقع نُجَاهُ مسجد الخَيْف منحرفاً عنه على ذروة من الجبل .
يَحِيلُ بينهما مجرى ماء من ماء الشَّاء . يَزِلُ فيما يليه إلى الطريق العظمى رُجُلَانُ العرب .

جمع (أى المزدلفة) - هي المزدلفة . وكلها مَشْعَرٌ إلا بطن مُحَسَّرٍ . ومنها نُوْخِدُ حَصَى الجمرات .
وبذلك فسر على وابن مسعود قوله تعالى : "نُوسَطُنْ بِهِ جَمْعاً" . قالوا : يعنى المزدلفة .

المزدلفة - ومسجد المَزْدَلِفَةِ عن يسارك إذا مضيت إلى عرفات . وفيه يجمع بين المغرب
والعشاء ، إذا نحر الحاج من عرفات . وهى التى عنى الشريف الرضى بقوله :

عَارِضًا بَى رَكَبٍ الْحَاجَازِ نَسَا نَاسُهُ : متى عَهْدُهُ بِأَيَّامِ سَلَمٍ
وَأَسْتَمَلًا حَدِيثَ مَنْ سَكَنَ الْخَيْفَ وَلَا تَكْتَبَاهُ إِلَّا بَدْعَى .
فَاتَنَى أَنْ أَرَى الدِّيارَ بِطَرْفَى ، فَلَعَلَّى أَرَى الدِّيارَ بِسَمْعَى !
هَلَفَ نَفْسَى عَلَى اللَّيْلِ تَقَضَّتْ * لَى يَجْعُ ! وَأَيْنَ أُمَامُ جَمْعُ

قال الزمخشري فى قوله تعالى "فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ" : المشعرُ الحرامُ
قَرْحٌ ، وهو الجبل الذى يَقِفُ عليه الإمام وعليه المِيقَدة .

المشعر الحرام

وقيل : المشعر الحرام ما بين جبلى المزدلفة إلى ما زِمَى عِرْقَةُ إلى وادى مُحَسَّرٍ . وليس
المَأَزِمَانُ ولا وادى محسر من المشعر الحرام .

والصحيح أنه الجبل . لما روى حابر أن النبى (صلى الله عليه وسلم) لما صُلَّى
الفجر - يعنى بالمزدلفة - ركب ناقته حتَّى أَتَى المشعر الحرام ، فدعا وكبر وهلل . ولم يزل
واقفا حتَّى أَسْمَرَ .

وقوله "عند المشعر الحرام" معناه مما يلي المشعر الحرام، قريبا منه، وذلك للفضل،
كالتقرب من جبل الرحمة، وإلا فالزبدلفة كلها موقف، إلا وادى مُحَسَّر. وجعلت
أعقاب الزبدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به، عند المشعر.

وقيل سميت "الزبدلفة" و"جمعا" لأن آدم اجتمع فيها مع حواء وأزدلف إليها،
أى دنا منها. وقال قتادة: لأنه يجمع فيها بين الصلاتين. ويجوز أن تكون وصفت بعمل
أهلها، لأنهم يزدلفون إلى الله تعالى، أى يتفربون بالوقوف فيها. وعن علي: "لما
أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقف على قُزَح، فقال: هذا قُزَح! وهو
الموقف". وجمع كلها موقف.

أنصاب الحرم

هى العلامات المبنية على حدود الحرم. ١٠

وأول من بناها إبراهيم (صلوات الله عليه). وأشار له جبريل إلى مواضعها. هكذا
ذكره أبو عمرو وبه الأزرقي وغيرهما.

وروى الأزرقي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بتجديد العلامات التى على
الحرم، التى عملها إبراهيم، وجبريل يريه مواضعها، ثم عمر، ثم عثمان، ثم معاوية.

وهذه العلامات بنية إلى الآن، بحمد الله تعالى. ١٥

وحدة الحرم، من طريق مدينة النبي (صلى الله عليه وسلم) - دون التعميم عديبوت
نغار - على ثلاثة أميال من مكة؛

ومن طريق اليمن، طرف أضواء اليمن فى ثنية لبن، على سبعة أميال؛

ومن طريق العراق، على ثنية جبل بالمقطع، على سبعة أميال؛

ومن طريق الجِعْرَانَةِ في شعب آل عبد الله بن خالد، على تسعة أميال؛

ومن طريق الطائف على عرفات، من بطن تَمْرَةٍ، على سبعة أميال؛

ومن طريق جُدَّة، منقَطَع الأعشاش، على عشرة أميال.

فهذه حد ما جعله الله تعالى حَرَمًا، لما اخْتَصَّ به من التحريم، وبَيَّنَّ بحكمه

سائر البلاد.

٥

تعطيه وتخربه

وصحَّح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : ” إن هذا البلد (يعني مكة)

حرَّمه الله يومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ” . وفي رواية : ” قبل أن يخلق السماوات

والأرض ” . فيكون تحريمها قبل خلق السماوات والأرض كِتَابَةً تحريمها في اللوح

المحفوظ، أو تقديرُ حرمتها. ورُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن إبراهيم حَرَّمَ

مَكَّةَ . ومعناه أظهر حرمتها . قال السَّهْبِيُّ : رُوي في التفسير أن الله تعالى لما قال

للسماوات والأرض : ” ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ” لم يُجِبْ هذه المقالة من

الأرض إلا أرض الحرم . فلذلك حرَّمها . فصارت حرمتها كحرمة المؤمن : إنما حُرِّمَ دَمُهُ

وعرضه وماله ، بطاعته لربه . وأرض الحرم لما قالت ” أَتَيْنَا طَائِعِينَ ” حُرِّمَ صيدها

وشجرها وحلَّاهَا، إِلَّا الْإِذْحَارَ ، فلا حرمة إلا لذي طاعة . جعلنا الله من أهل طاعته !

١٥ وصحَّح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : ” إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . لا يُعَصَّدُ شجره ولا يُنْفَرُ

صَيْدُهُ وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ ” .

وما زال الناس في الجاهلية والإسلام يعظمون هذا الحرم ويحتنبون قطع شجره .

حطط شجره

قال الواقدي : لما أن أردت قریش البنيان ، قالت لقصى : ” كيف نصنع في شجر

الحرم؟ فحذّروهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك. فكان أحدهم يُحَرِّف بالبنان حول الشجرة، حتّى تكون في منزله.

قال : وأوّل من ترخص في قطع شجر الحرم، عبد الله بن الزبير .

قال السهيلي : أبنتي ابن الزبير دُورا بَقِيعَمانَ وترخّص في قطع شجر الحرم، وجعل دية كل شجرة بقرة . وكذلك روى عن عمر أنه قطع دَوْحَة كانت في دار أسد بن عبد العزى، وكانت أطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة. وذلك قبل أن يُوسّع المسجد. فقطعها وودّأها ببقرة.

٨٣
قطع شجره ومقدار
دية كل شجرة ببقرة

عَرَافَات

عِراق مَلْتَقَى الْخَلِيطَيْنِ مِنْ شَامٍ وَيَمَنٍ، وَمَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ مِنَ الرِّقْعَةِ إِلَى عَدْنٍ. بِهِ يَتَجَلَّى اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِهِمْ الْمَغْتَرَةُ. وَهِيَ الصَّخْرَاتُ، مَوْفَقَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَيْثُ تَقِفُ الْحَامِلُ.

قصة آدم وعلى قُتِبَ هَذَا الْجَبَلُ قُبَّةَ آدَمَ. هَكَذَا تُسَمَّى. ٥
وَيُقَالُ إِنَّ هُنَاكَ تَعَارَفَ آدَمُ وَحَوَّاءُ، بَعْدَ أَنْ أَهْبَطَا.
وسمى عرفات علم للموقف، سُمِّيَ بِمَجْمَعٍ، كَأَذْرَعَاتٍ.

وَأُخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَّتِهَا بِذَلِكَ. فَقِيلَ: لِأَنَّهَا وُصِفَتْ لِإِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا أَنْصَرَهَا عَرَفِيهَا؛ وَفِيهِ إِنْ جَبْرِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يَدُورُ بِهِ فِي الْمَشَاعِرِ، يَرِيهِ إِيَّاهَا، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ؛ وَقِيلَ: التَّفَنَّى فِيهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ فَتَعَارَفَا، كَمَا تَقَدَّمَ. وَقِيلَ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَعَارَفُونَ ١٠
بِهَا. وَهِيَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُرْتَجَلَةِ. لِأَنَّ عَرَفَةَ لَا تَعْرِفُ فِي أَسْمَاءِ الْأَجْناسِ. (١)

مسجد نَمْرَة

وَيُسَمَّى مَسْجِدُ إِبْرَاهِيمَ. يُقَالُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَاءَهُ. وَلَا يَصِحُّ هَذَا. ١٥
وَهُوَ عَلَى يَمِينِ السَّالِكِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى عَرَافَاتٍ، قَرِيبِ الطَّرِيقِ، مَدَانِيَا لِعَرَفَةَ.

وعادة الخطابة به في وقتنا لإمام الطائفة المالكية بمكة المعظمة.
وَجُدْرُهُ قَائِمَةٌ. وَكَذَلِكَ مِيَرُهُ. وَلَا سَقْفَ لَهُ.

مسجد عائشة

رضي الله عنها

هو بالتنعيم في الحِلِّ، عند أول الحرم، ولا يحضرني مَنْ بناه، وكل مسجد هناك يسمى بهذا، وأشهرها المصَاقِب للطريق على يسار الداخل إلى مكة، وإنما نُسب إلى عائشة لكونها آتَمَرَتْ من التنعيم، ولعلَّها أحَرَمَتْ في البقعة التي بُنِيَ بها المسجد، وعمرتها معروفة على ما تضمنته الأحاديث.

مسجد ميمونة

رضي الله عنها

وسمى بذلك المكان قبرها، وهناك مات أبو جعفر المصور، ودُفِنَ مُحَرِّمًا، على ما هو مذکور في موضعه.

وميمونة هي بنت الحارث، إحدى أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وكانت أحبها أُمُّ عبد الله بن العباس.

المواقيت

المواقيت أي
مواضع الإجماع

روى ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقت لأهل المدينة ذَا الحُلَيْفَةِ، ولأهل الشام الْجُحْفَةَ، ولأهل نجد قَرْنَ الْمَنَازِل، ولأهل اليمن يَلْهَم. وقال: "هَنَ لَهَنَ وَلَمَنَ أَتَى عَلَيْهِنَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ، مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ. وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ، مِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ، حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ." أخرجاه في الصحيحين.

فهذه المواقيت التي وقتها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يجوز لأحد رد الحج والعمرة أن يتجاوزها إلا مُحَرَّمًا. وأما مَنْ لم يرد الحج أو العمرة، فكذلك عدا قفها.

الأمصار، وقولان عبد الشافعي. وموضع ذلك كتب الفقه.

٨٥

در الحليفة،
مبقات أهل الشام
في عصر المؤلف

فأما ذو الحليفة فهو أبعد المواقيت، على عشر مراحل من مكة، أو سبع منها.
(وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام). ومنها يُحرم الآن الركب الشامي.

آ. وهذا الطريق

وبها آبار تسمى آبار على. وبعض الناس يقول بئر المحرم.

الخفة

والخفة موضع على ثلاث مراحل من مكة. (وهي بضم الجيم وسكون الخاء
المهملة بعد الجيم).

(اسمها القديم
مهملة)

وذكر ابن الكلبي أن المالقي أخرجوا بني عَيْل (وهم إخوة عاد) من يثرب. فزلوا
الجحمة، وكان اسمها مَهْيعة، (بفتح الميم وسكون الهاء على وزن مقتلة وقيل بكسر
الهاء على وزن قبيلة). فجاءهم سيل فأجتفحهم، فسميت الجحمة.

ولما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة أصابهم حمى. فدعا النبي
(صلى الله عليه وسلم) الله تعالى أن ينقل حمأها إلى الجحمة.

١٠

وهي شرق رابع ممر الركب المصري. ومن رابع يُحرم الآن.

رابع موضع إبرام
الركب المصري
في عهد المؤلف
قرن المارل

وَقَرْنُ الْمَنَازِل (بفتح القاف وسكون الراء)، موضع على مرحلتين من مكة. وقد
غلط الجوهري في قوله بفتح الراء، وقوله إن أويسا القرنى منسوب إليها. بل هو
منسوب إلى قرن بفتح القاف والراء بطن من مراد.

(تعليل المؤلف
لجوهري)

ويلهم (ويقال ألملم بالهمزة عوضا عن الياء)، موضع معروف على مرحلتين من
مكة. وهو بفتح الياء واللام وسكون الميم بعد اللام.

يللم

ومن المواقيت ما لم يذكره النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث. وهو ميقات
العراقيين، وهؤلاء عَرِقي. وبينه وبين مكة خمس مراحل.

دات مرق



المسجد النبوي

على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

الحرم النبوي

موضع منبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأولاه .

الروضة المباركة

وبجانبه حجرات المعظمه، التي صمّت أعظمه، والله القائل :^(١)

ياخير من دفنت في القاع أعظمه، * قطاب من طيبين القاع والأكرم !

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه، * فيه العفاف وفيه الجود والكرم !

قدوم النبي
إلى المدينة ومصلاته
فيها

قال أنس : "قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزل في علو المدينة، في حثي

يقال لهم بنو عمرو بن عوف . فأقام فيهم أربع عشرة ليلة . ثم إنه أرسل إلى ملائكة

النجار، فجاءوا متقلدين سيوفهم . فكأنني أنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على

راحلته، وأبو بكر ردفه، وملائكة النجار حوله، حتى ألقى ببناء أبي أيوب . قال : "وكان

يصلى حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرائب الغنم" .

سأله النبي
أسجد للمدينة

ثم إنه أمر بالمسجد . فأرسل إلى ملائكة النجار، فجاءوا . فقال : يا بني النجار، نامنوني

بمخاطبكم هذا . فقالوا : لا والله ! . انطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى .

قال أنس : وكان فيه نخل، وقبور المشركين، وحرب . فأمر النبي (صلى الله عليه

وسلم) بالسحل فقطع، وقبور المشركين فنُبشت، وبالنخرب سُويت . قال : وصهوا

(١) في المواهب اللدنية (ج ٢ ص ١٠ طبع بمحمدشاهين بالقاهرة سنة ١٢٨١) أن محمد بن حرب الهلالي

أنقذ النبي (صلى الله عليه وسلم) . فرأه وحلس بمحاده . فجاء أعزق فراده . ثم قال : يا حبيب الرسل إن الله

أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه : "ولو أنهم إذ ظفروا أنفسهم جارك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوحدهوا الله توأما رجيا" . وقد حثك مستغفرا من دعي . مستغفرا لك إلى دني ! وإنشأ هول :

* يا حبيب من ذهب . . . البشير *

وأظن أيضا شرح "المواهب" للزرقاني (ج ٨ ص ٣٦١ من طبعة لولاق سنة ١٢٧٨)

الحل قبله، وجعلوا عصادنيه حجارة، قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم، وهم يقولون:

اللهم إله لا حبر إلا خير الآخرة! ، فَأَنْصِرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ!
(رواه البخاري وسلم)

وروى عن السَّفَاء بنت عبد الرحمن الأنصارية، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى المسجد يؤمُّه جبريلُ إلى الكعبة ويُقيم له القبلة.

قال السَّهْلِيُّ: بنى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسُقِفَ بالجريد وجُعِلت قبلته من اللَّيْنِ، وبُال: بل من حجارة منصودة بعضها على بعض، وحيطانه باللَّيْنِ، وجُعِلت عمدته من جدوع النخل. فَتَحَرَّبَ في خلافة عمر، فحُدِّدَهَا.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: "كانت هذه القبلة في شمالي المسجد. لأنه (صلى الله عليه وسلم) صَلَّى ستته عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا إلى يَبِ المَقْدِسِ. فلما حُوِّلَت القبلة بَنَى حَائِطَ الْقِبْلَةِ الْأَوَّلَى مكان أهل الضُّعْفَةِ".

قال أبو سعيد الخُدْرِيُّ: كان سقف مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) من جريد الخَلِ. وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أَكُنَّ النَّاسُ مِنَ الْمَطَرِ، وَإِذَا كُنَّ أَنْ تَحْمُرَ أَوْ تَصْفُرَ، فَتَقِينَ النَّاسَ!

١٥

وعن عبد الله بن عمر أن المسجد كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منبيا باللَّيْنِ، وسُقِفَه الجريد، وعمده خُشْبُ الْحِلِّ. فلم يزد فيه أبو بكر شيئا. وزاد فيه عمر وبناه على بناءه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باللَّيْنِ والجريد، وأعاد عمده خَشْبًا. ثم عيره عثمان، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفَصَّةَ، وحمل عمدته من حجارة منقوشة، وسُقِفَه بالسَّاجِ. (رواه البخاري في صحيحه)

٢٠

زيادة حمويه

وبنيانه

زيادة عثمان
أس سعاد

وعن عكرمة قال: قال لي عبدالله بن عباس ولائنه علي: "انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه". فأنطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فأحسني ثم أنسا بمحدثنا حتى أتى علي ذكر بناء المسجد. فقال: "كنا نحمل لبننة لبننة، وعمار لبنتين لبنين. فرآه النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل ينفض التراب ويقول: ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! قال: هول عمار! أعوذ بالله من الفتى!" (رواه الحارثي)، وزاد معمر في "جامعه" أن عمارا كان ينقل لبنتين لبنتين: لبننة عنه ولبنة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "للناس أجر أولك أجران، وآخر زادك من الدنيا سربة لبن، وتقتلك الفئة الباغية."

مساحة الحرم
في عهد النبي

وعن خارجة بن زيد، أحد فقهاء المدينة السبعة، قال: بنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسجده سبعين ذراعا في ستين ذراعا، أو يزيد. فلما كان عثمان، زاد فيه. جعل طول المسجد مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة، كما كانت في زمن عمر. وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أئمة المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة (وهي التي دفن فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه رضى الله عنهما). فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد. فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور الذي نهى عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اتخاذ المساجد على القبور. ثم بنوا حدارين من ركني القبر الشماليين، حرفوها حتى ألتقيا، كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قالت عائشة (رضي الله عنها): "ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يُخذ مسجداً."



ثم إن الوليد بن عبد الملك زاد فيه جعل طوله مائتي ذراع وعرضه في مقدمه مائتين، وفي مؤخره مائة وثمانين.

ثم زاد فيه المهدي سنة ستين ومائة، من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث.

زيادات العباسيين

ثم زاد فيه المأمون سنة اثنتين ومائتين، وأتقن بنبائه ونقش فيه: "هذا ما أمر به
 عند الله المأمون" في كلام كثير

قال العلامة أبو زكريا النووي، رحمه الله: فينبغي للصَّلى أن يعنى بالمحافظة على
 الصلاة فيما كان في زمنه (صلى الله عليه وسلم). فإن الحديث الصحيح عن رسول الله
 (صلى الله عليه وسلم): "صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه،
 إلا المسجد الحرام" إنما يداول ما كان في زمنه، لأنه هو الذى حصلت الإشارة
 إليه. لكن إذا صلى في جماعة، فالتقدم إلى الصف الأول، ثم إلى ما يليه أفضل.
 فليست بذلك.

وذرع ما بين المنبر ومقام النبي (صلى الله عليه وسلم) الذى كان يصلى فيه حتى
 نوى، أربعة عشر ذراعا وشبر.

المسافة بين المنبر
 ومصلّى النبي وقدره

١٠

وذرع ما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعا وشبر.^(١)

بيوت النبي



صلّى الله عليه وسلم

قال السهيلي: كانت بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) تسعة: بعضها من جريد
 مطين بالطين وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة
 بالجريد أيضا.

بيوت النبي

١٥

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: "لم يلعنا أنه (صلى الله عليه وسلم) بنى له تسعة
 أبيات، حين بنى المسجد، ولا أحسنه فعل ذلك، إنما كان يريد بيتا حينئذ لسودة،
 أم المؤمنين، ثم لم ينجح إلى بيت آخر، حتى بنى لعائشة في شوال سنة اثنتين، وكأنه
 (صلى الله عليه وسلم) بناها في أوقات مختلفة. والله أعلم."

٢٠

(١) يابض بأسفل الصفحة في الأصل مقدار سبعة أسطر.

وقال الحسن بن أبي الحسن : كنتُ أدخل بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنا غلام مرافق فأناال السقف بيدي . وكان لكل بيتِ حُجْرَةٌ . وكانت حُجْرُهُ (عليه السلام) أكسبَةً من شَعِيرٍ مَرْبُوطَةٍ فِي حَشَبِ عَرَبِيٍّ .

وفي تاريخ البخاري أن بابه (صلى الله عليه وسلم) كان يُقَرَّع بالأظافر . أي لاحتق له .

تداخل بيوته
في المسجد . أيام
عبد الملك بن
مروان

ولما تولى أزواجه (صلى الله عليه وسلم) حُلطت البيوت والحجر بالمسجد . وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان . فلما ورد كتابه بذلك ، ضحَّ أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته .

قال السهيلي : وهذا يدلُّ على أن بيوته (صلى الله عليه وسلم) إذا أُضيفت إليه ، فهي إضافة ملك : كقوله تعالى : "لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ" . وإذا أُضيفت إلى أزواجه كقوله : "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ" فليست إضافة ملك . وذلك أن ما كان ملكاًه ، فليس بموروث عنه .

مسجد قباء



مسجد قباء
(وهو أول مسجد
بنى في الإسلام)

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسسه لبي عمرو بن عوف . ثم انتقل إلى المدينة .

وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أسسه ، كان هو أول من وضع حجراً في قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر . ثم أخذ الناس في البناء .

وذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ عَنِ السَّمُوسِ بِنْتِ النِّعَمِ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حِينَ بَنِيَ مَسْجِدَ قُبَاءَ بَاتِيَ بِالْمَجْرٍ قَدْ صَهَرَ إِلَى بَطْنِهِ، فَيَأْتِي الرَّجُلَ يَرِيدُ أَنْ يَقْبُلَهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ حَتَّى يَأْمُرَهُ أَنْ يَدْعَهُ وَيَأْخُذَ غَيْرَهُ.

فَالسَّبِيلِيُّ: وَهَذَا أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي أَهْلِهِ نَزَلَتْ: "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا"، فَهِيَ عَلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الَّذِي "أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى"، وَإِنْ كَانَ قَدْ رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَأَلَ عَنِ الْمَسْجِدِ الَّذِي "أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى" فَقَالَ: هُوَ مَسْجِدِي هَذَا. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ: وَفِي الْأَرْضِ حَيْرٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ قَالَ لِبْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ حِينَ نَزَلَ "لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى" مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا: مَا الظَّاهِرُ الَّذِي أَنْشَأَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ "فَذَكَّرُوا لَهُ الْأَسْدِجَاءَ الْمَاءَ بَعْدَ الْأَسْتِجَارِ بِالْمَحَارِهِ. فَقَالَ: هُوَ ذَاكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِهِ!

فَالسَّبِيلِيُّ: وَلَيْسَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ نَعَارُضٌ. كِلَاهُمَا أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، غَيْرَ أَنَّ فَوَلَدَ سُبْحَانَهُ "مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ" يَقْتَضِي مَسْجِدَ قُبَاءَ، لِأَنَّ تَأْسِيسَهُ كَانَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ حَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) دَارَ هِجْرَتِهِ وَالْبَلَدِ الَّذِي هُوَ مُهَاجِرُهُ.

فَالْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: عَمَّارُ بْنُ بَاسِرٍ أَوَّلُ مَنْ بَنَى مَسْجِدَ اللَّهِ، يُصَلِّي فِيهِ. رَوَاهُ أَبُو عَمْرٍو، وَدَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَمَّارٍ فِي خَبَرِ بَاءِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ. فَالسَّبِيلِيُّ: إِذَا عُنِيَ بِهَذَا مَسْجِدَ قُبَاءَ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِبَيْتَانِهِ. وَهُوَ الَّذِي جُمِعَ لَهُ الْمَحَارِ. فَلَمَّا أُسِّسَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَسْتَمَ بِنِدَائِهِ عَمَّارٌ.



وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يزور قباء راكبا وماشيا، فيصلي فيه ركعتين ^{مؤثقتين}، وفي رواية: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يأتي مسجد قباء كل سبت، راكبا وماشيا، وكان ابن عمر يعمله.

مسجد الضرار

رُوي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء - وكان يأتيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويصلي فيه - حسدهم إخوانهم بنو غنم بن عوف، وقالوا: نفي مسجدا ونرسل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب، إذا قدم من الشام. ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوانهم، زعموا. وأبو عامر هو الذي سماه النبي (صلى الله عليه وسلم) الفاسق. وقال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم. فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما أنهزمت هوازن، خرج هاربا إلى الشام. وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصرا، وآت بجود، ومُخرج مجدا وأصحابه من المدينة.

فبنوا مسجد الضرار إلى جانب مسجد قباء. وقالوا للنبي (صلى الله عليه وسلم): "بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاطية. ونحن نحب أن تصلي لنا فيه، وتدعونا بالبركة". فقال (صلى الله عليه وسلم): "إني على جناح سحر وحال شغل. وإذا قدما، إن شاء الله، صلينا فيه". فلما قتل من غزوة تبوك، سأله إتيان المسجد، فنزل قوله: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا" إلى قوله "لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا" الآيات.

فدعا بمالك بن الدُخْشُمُومَ وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَامِرُ بْنُ السَّكَنِ وَوَحْشِيُّ، قَاتِلَ حَمْزَةَ،
فَقَالَ لَهُمْ: "انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ. فَاهْدُمُوهُ وَأَحْرِقُوهُ". ففعلوا. وَأَمَرَ
أَنْ يُجْعَلَ مَكَانُهُ كُتَاةً تَلْقَى فِيهَا الْحَيْفُ وَالْقُمَامَةُ.

وَقِيلَ كُلُّ مَسْجِدٍ بَنِيَ بِمَاهَاةٍ، أَوْ رِيَاءٍ وَشُمْعَةٍ، أَوْ لَغْزٍ سِوَى أَنْبَاءِ وَجْهِ اللَّهِ،
أَوْ بِمَالٍ عَيْرِ طَيْبٍ فَهُوَ لَاحِقٌ بِمَسْجِدِ الضَّرَارِ.

وَعَنْ شَقِيقِي أَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِ بَنِي عَامِرٍ، فَقِيلَ لَهُ: مَسْجِدُ بَنِي فَلَانٍ،
لَمْ يَصِلُوا فِيهِ بَعْدُ. فَقَالَ: "لَا أَحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ فِيهِ، فَإِنَّهُ قَدْ بَنِيَ عَلَى ضِرَارٍ". وَكُلُّ
مَسْجِدٍ بَنِيَ عَلَى ضِرَارٍ أَوْ رِيَاءٍ، فَإِنْ أَصْلَهُ يَنْتَمِي إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي بَنِيَ ضِرَارًا.

وَعَنْ عَطَاءٍ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ الْأَمْصَارَ عَلَى عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْنُوا
الْمَسَاجِدَ وَأَنْ لَا يَتَخَذُوا فِي مَدِينَةِ مَسْجِدَيْنِ يَضَارُّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدَ الضَّرَارِ وَذَكَرَ فِيهِمْ جَارِيَةَ بَنِي عَامِرٍ، وَكَانَ
يَعْرِفُ بِحِمَارِ الدَّارِ. وَهُوَ جَارِيَةُ بَنِي عَامِرٍ بَنِي مُجَمِّعِ بْنِ الْعَطَّافِ. وَذَكَرَ فِيهِمْ ابْنَهُ مُجَمِّعًا،
وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا حَدَّثَنَا قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ. فَقَدَّمُوهُ إِمَامًا لَهُمْ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بَشْيَئٍ
مِنْ شَأْنِهِمْ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فِي أَيَّامِهِ، أَرَادَ عَزْلَهُ عَنِ الْإِمَامَةِ. وَقَالَ: أَلَيْسَ
بِإِمَامٍ مَسْجِدَ الضَّرَارِ؟ فَاقْسَمَ لَهُ مُجَمِّعٌ أَنَّهُ مَا عَلِمَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَا ظَنُّ إِلَّا الْخَيْرَ.
فَصَدَّقَهُ عُمَرُ وَأَقْرَبَهُ.

مساجد المدينة

قال السهيلي: كانت مساجد المدينة تسعة، سوى مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم). كلهم يصلون بأذان بلال. كذلك قال بكير بن عبد الله بن الأشيج، فيما روى عنه أبو داود في مراسيله، والدارقطني في سننه.

فمنها مسجد راتج، ومسجد بن عبد الأشهل، ومسجد بن عمرو بن مبدول، ومسجد جهينة، وأسلم (وأحسبه قال مسجد بن سلمة). وسائرهما مذكور في السنن.

وذكر ابن إسحاق، في المساجد التي في الطريق، مسجداً بنى الخليفة. وكذا وقع في كتاب أبي بحر الخلاء معجمة، ووقع بالحسين في كتاب قرئ على ابن السراج وابن الأفلح.



بقيع الغرق

بقيع الغرق

وهو مدفن أهل المدينة النبوية. وفيه تدافن أكثر أهل المدينة.

قبة العباس ومن فيها من أهل البيت

وفيه قبة العباس بن عبد المطلب، عم النبي (صلى الله عليه وسلم). وفيها معه الحسن بن علي. وكان الحسن أوصى أن يدفن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن يخاف أن يراق في ذلك محجم دم، فمنعه مروان. وكادت الفتنة أن تقع. وأبى الحسن [ابنه] إلا أن يدفن مع جده. فكلبه عبد الله بن جعفر ومِسُور بن غزمية. فدفن بالبقيع في قبة العباس. وفيها أيضاً زين العابدين، وأبنة محمد الباقر، وأبنة جعفر الصادق.

قبة عثمان بن عفان

وفي البقيع أيضاً قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وكان موضع القبة وما حوله بستاناً لرجل من الانصار اسمه كوكب. وكان يقال حُش كوكب. والحُش البستان.

فاستتره عثمان (رضي الله عنه) وزاده في البقيع . وكان يقول إنه يدفن هاهنا رجل صالح . فكان أول من دُفن بهذه الزيادة .

وفي البقيع أيضا قبة لإبراهيم بن النبي (صلى الله عليه وسلم) .
وقبة فاطمة الزهراء .

قبة لإبراهيم
(ابن النبي)

قبة فاطمة وعندها
من أمهات المؤمنين
والصحابة والتابعين

وفي البقيع أيضا جماعة من أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) وعُمَّتُه صفية .
وفيه خلائق من الصحابة والتابعين .

وفيه قبة مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة .

قبة مالك بن أنس

وأول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون . قال المطلب بن عبد الله بن حنطب :
أول من دفنه النبي (صلى الله عليه وسلم) بالبقيع ، عثمان بن مظعون ، ثم قال لرجل
عنده : أذهب إلى تلك الصحرة ، فأنتي بها حتى أضعها عند قبره . فمن مات من أهلنا
دفناه عنده . رواه ابن أبي شيبة .

أول مدفون بالبقيع

قال علي بن أبي طالب : ثم أتبعه إبراهيم بن النبي (صلى الله عليه وسلم) . رواه ابن
أبي شيبة أيضا .

قال الأصمعي : قُطِعَتْ غُرُقْدَاتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، حِينَ دُفِنَ فِيهِ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ .
فَسَمِيَ بِقَبْرِ الْغُرُقْدِ لِهَذَا .

سبب تسميته
بالغرقد



معى الغرقد

وقال الخليل : ”البقيع من الأرض موضع فيه أروم شجر . وبه سمى بقيع الغرقد .
والغرقد شجر كان ينبت هناك“ .

والبقيع على باب المدينة الذي في جهة الشرق ، الذي وراء دار عثمان بن عفان .
ومنه يخرج إلى البقيع .^(١)

(١) يابض بالاصل مقدار مئة سطور .

المسجد الأقصى

كلمة ساءة على الحرم
المقدس

معهد الأنبياء، ومعهد الأولياء، وثاني البيت الحرام في البناء، وأول القبلتين
حال الابتداء، شيدت ملوك بني إسرائيل معاهدته، وشنت بقباب البروج معاهدته
ثم تدارك بنو أمية ذمائه، وصفحوا أرضه وسماؤه؛ وهذا هو على ما هو عليه من حمل
الآلام، واختلاف دول الكفر والإسلام؛ ومن صخرته المقدسة المعراج، حيث
خرج بناتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام) من حضرة القدس إلى حضرة القدس،
وبسط له بساط الأنس؛ ودنا من ربه مقاماً لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل
إليه ملك مقرب ولا نبي كريم، وقد أُم في ذلك المسجد بالببين، وصعد منه إلى أعلى
عليين، وإلى صفيح تلك القعة المحشر، ومنها يوم القيامة المنشر، والصحرة بها
عرش الله الأبدى، ومقام الفخار الأسنى؛ وهي التي ترف إليها عروس الكعبة زفا،
وتقسم الناس لشقاوة وزلي ... الفضائل التي لا تحصى.
قد تقدم حديث أبي دز: أول مسجد وضع، المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى.
وبينهما أربعون عاماً.

٩٥

وروى عن علي بن أبي طالب، قال: كانت الأرض ماء، فبعث الله ريحاً فمسحت
الأرض مسحاً، وظهرت على الأرض زبدة فقسمت أربع قطع، خلق من قطعة
مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة. ذكره أبو العرج
أبن الجوزي.

بيت المقدس

وروى أبن منته بسنده، أن كعباً قال: بنى سليمان بن داود بيت المقدس على
أساس قديم، كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم.

- قال ابن الجوزي: سكن الجبارون في الأرض المقدسة فسُلط عليهم يُوشع، ثم سُلط الكفار على بيت المقدس فصيره مزبلة. فأوحى الله (عز وجل) إلى سليمان فبناه. وروى عن سعيد بن المسيب قال: أمر الله تعالى داود أن يبني مسجد ببيت المقدس. قال: رب! وأين أبنيه؟ قال: حيث ترى الملك شاهرا سيمه. قال: فراه في ذلك المكان. قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما أرفع أنهمد.
- ٥ فقال داود: يارب! أمرتني أن أبني لك بيتا، فلما أرفع هدمته. فقال: يا داود إنما جعلتك خليفتي في خلقي، لم أخذته من صاحبه بغير ثمن؟ إنه بينه رجل من ولدك. فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض، فقال: هي بقطار. فقال سليمان: فد استوجبتها: فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذاك؟ قال: لا بل هي خير.
- ١٠ قال: فانه قد بدا لي. قال: أو ليس قد أوجبتها؟ قال: بلي، ولكن البيعين بالخيار مالم ينزقا. (قال عبد الله بن المبارك، هذا أصل الخيار). فلم يزل يراذه، ويقول له مثل قوله الأول، حتى استوجبها منه بسبعة قناطير. فبناه سليمان حتى فرغ منه. وتغلقت أبوابه. فعالجها سليمان أن يفتحها، فلم تفتح، حتى قال في دعائه: بصلوات أبي داود إلا تفتح الأبواب! ففتحت الأبواب.
- ١٥ قال: ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل: خمسة آلاف بالليل، وخمسة آلاف بالنهار. لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار، إلا والله عز وجل يُعبد فيه.
- وقال أبو عمرو الشيباني: أوحى الله إلى داود: إنك لن تُتم بناء بيت المقدس. قال: أي رب! ولم؟ قال: لأنك غمرت يدك في الدم. قال: أي رب! أو لم يكن في طاعتك. قال: بلي وإن كان.

وقال كعب: أوحى الله تعالى إلى سليمان أن آبن بيت المقدس. فجمع حكماء الإنس
وعفاريت الجن وعظماء الشياطين. ثم فرق الشياطين، فجعل منهم فريقا يبنون، وفريقا
يقطعون الصخور، وفريقا يقطعون العُمد من معادن الرُّحام، وفريقا يفوضون
في البحر فيخرجون منه الدرّ والمرجان. وأخذ في بناء المسجد، فلم يثبت الساء.
وكان عليه حير بناءه داود. فأمر بهدمه. ثم حفر الأرض حتى بلغ الماء. فقال:
أَسْؤُوا عَلَى الْمَاءِ. فَأَلْفُوا فِيهِ الْمَجَارَةَ. وكان الماء يلفظ الحجارة، فاستشار في ذلك،
فأشاروا عليه أن يتخذ قِلَلا من نحاس، ثم يملأها حجارة، ثم يكسب عليها ماعلى خاتمته
من ذكر الوجود، ثم يلقها في الماء لتكون أساس الساء. ففعل. فثبت وبني. عمل
بيت المقدس عملا لا يوصف، وزينه بالذهب والفضة والألوان الجوهر في سماءه
وأرضه وأبوابه وجُدُرُه. ثم جمع الناس وأخبرهم أنه مسجد لله، وأنه هو الذي أمر
ببنائه، وأنه من أنقصه أو شيئاً منه، فقد صاّد الله، وأنه كان قد عهد إلى داود
في ذلك، ثم أوصى سليمان بذلك من بعده. ثم اتخذ طعاما وجمع الناس.

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالى: "فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورِلَهُ
بَابٌ بَاطِلُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ" قال: هو سور بيت المقدس
الشرقي. وقد أضر بنا عن كثير مما ورد في البناء السلجاني والعجائب التي كانت فيه.
لعدم صحته بالتقل.

وأما ما ورد في فضله.

فصل بيت المقدس

فنه حديث أَسَس. قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): صلاة الرجل

في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبايل بست وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يُجمع فيه بمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بمئتين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة.

٩٧

وعن أبي ذر قال : قيل : يا رسول الله ! صلاة في بيت المقدس أفضل ، أم صلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قال : "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه . ولنعم المصلّي ! هو أرض المحشر والمنشر ، وليأتين على الناس زمانٌ ، وتبسط قوس من حيث يرى بيت المقدس ، أفضل وخير من الدنيا جميعاً!"

وصح عن موسى (عليه السلام) أنه لما أُحضِر قال : يا رب أدنني من الأرض المقدسة رميةً بحجر! .

١٠

ونزله أبو ذر وأكثر فيه الصلاة . وصلى فيه ابن عمر . ومات فيه عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ، وأبو أبي بن أُمّ حرام ، وأبو ريحانة (وأسمه شمعون) ودو الأصابع ، وأبو محمد التجارى . هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به . والذي أعقب منهم عبادة وشداد وسلامة بن قيسر وفيروز الديلمى . والذي لم يعقب منهم أبو ريحانة وأبو محمد التجارى وذو الأصابع .

١٥

وقال أبو الزاهرية : أتيت بيت المقدس أريد الصلاة . فدخلت المسجد وغلقت عني سدة المسجد ، حتى أطفئت الفاديل ، وأنفطعت الرجل ، وغلقت الأبواب . فبدأ ألكدك إذ سمعت حفيفاً له جناحان ، قد أقبل وهو يقول : "سبحان الدائم القائم ! سبحان الدائم القائم ! سبحان الحى القيوم ! سبحان الملك القدوس !

سبحان رب الملائكة والروح! سبحان الله وبحمده! سبحان العلي الأعلى! سبحانه وتعالى“، ثم أقبل حفيفً يتلوه، يقول ذلك، ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها، حتى أمتلأ المسجد، فإذا بعضهم قريب مني. فقال: آدمي؟ قلت: نعم. فقال: لا رَوْعَ عليك، هذه الملائكة! قلت: سألتك بالذي قواكم على ما أرى! من الأول؟ قال: جبريل، قلت: ثم الذي يتلوه؟ قال: ميكائيل. قلت: من يتلوهم بعد ذلك؟ قال: الملائكة. قلت: سألتك بالذي قواكم على ما أرى! ما لقائهم من الثواب؟ قال: من قالها مرة في كل يوم، لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة، أو يرى له.



وروى أبو عبد الله بن باكوية، بسنده إلى محمد بن أحمد الصوفي، قال: قال لي أستاذي أبو عبد الله بن أبي شبة: “كُتبت بيت المقدس، وكنت أحب أن أبيت في المسجد، وما كنت أترك. فلما كان في بعض الأيام، صُرتُ في الرواق بحُصْر قائمه. فلما أن صليت العتمة وراء الإمام، أتيت الحُصْر، فأختبأت وراءها، وأنصرف الناس والقوام. ثم خرجت إلى الصخرة. فلما سمعتُ غلق الأبواب، وقعت عيني على المحراب وقد أنشق ودخل منه رجلٌ ثم رجلٌ إلى أن تم سبعة. وأصطف الفوم. ولم أزل واقفا شاخصا زائل العقل إلى أن انفجر الصبح. فخرج القوم على الطريق الذي دخلوا.”

وبه إلى ذي النون قال: يبنا أنا في بعض جبال بيت المقدس، سمعتُ صوتا يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخُدّام، وهَلَّتْ بالطاعة عن الشراب والطعام، وألِفَتْ

(١) في الأصل: قال.

(٢) في الأصل: لما.

(٣) أي: وسده يعني سد أي عداقه من ما كويه.

قلوبهم طول الصام ، بين يدي الملك العلام ! فتبعَت الصوتَ . فإذا أمرُدْ مصغرُ
الوجه ، يميل ميل الفصن إذا حركته الريح ، عليه سملة قد آتَرَبَها ، وأخرى قد آتَشَح
بها . فلما رآني ، توأرى عني بالشجر . فقلت : ليس الحفاء من أخلاق المؤمنين . فكَلَّنِي
وَأَوْصَنِي . فخر ساجدا ، وجعل يقول : هذا مقام مَنْ لا ذك وأستجار بمعرفتكَ وَالْفَ
محبتك ! فإي آلِه القلوب ، أحميني عن القاطعين لي عدك ! قال : فغاب عني ولم أره .
وَرُويَ عن قَنَادَة في قوله تعالى : ” يَوْمَ يُنَادِي الْمُسَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ “ قال :
من صحرة بيت المقدس . وقال يزيد بن جابر في الآية : يقف إسماعيل على صحرة بيت
المقدس ، فيسبح في الصور ، فيقول : أيتها العظام النخرة ، والجلود المتمزقة ، والأشعار
المتقطعة ، إن الله تعالى امرَك أن تجتمعى للحساب !

- ١٠ وروى ابن منده بسنده عن أنس بن مالك قال : إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت
المقدس . وبيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي سرة الأرض . (يعني الصحرة) .
وبه عن أبي إدريس الخولاني قال : يحول الله صحرة بيت المقدس مرجانة تبصاء
كعرض السماوات والأرض ، ثم يصب عليها عرشه . ثم يقصى بين عباد ، يصيرون
منها إلى الجنة وإلى النار . وقال أبو العالية في قوله تعالى : ” إلى الأرض التي باركنا فيها “
قال : من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صحرة بيت المقدس .
قال المفسرون في قوله تعالى : ” وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُسَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ “
قالوا : هو إسماعيل . يقف على صحرة بيت المقدس فنادى : يا أيها الناس ، هلموا إلّا
الحساب ! إن الله بأمركم أن تجتمعوا لفصل القصاء ! (وهذه هي النفخة الأخيرة .
والمكان القريب صحرة بيت المقدس) .

قال كعب ومقاتل : هي أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا . وقال ابن السائب :
بأثنى عشر ميلا .

وروى أن كعبا قدم لإبلياء قرشاً [حبراً] من أحبار يهود بضعة عشر ديناراً على
أن دلّه على الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرع من بناء المسجد .
وصلى مما يلي ناحية باب أسباط . فقال كعب : قام سليمان بن داود على هذه
الصخرة ثم استقبل بيت المقدس كله . فدعا الله عز وجل بثلاث . فأراه نجيل
إجابته في دعوتين ، وأرجو أن يستجيب في الثالثة . فقال : ” اللهم هب لي ملكا
لا ينبغي لأحد من عدي ، إنك أنت الوهاب ” فأعطاه الله (عز وجل) . وقال : ” اللهم
هب لي ملكا وحكماً يوافق حكماً ! ” . ففعل الله (عز وجل) ذلك به . ثم قال : ” اللهم
لا يأتي هذا المسجد أحد يريد الصلاة فيه ، إلا أخرجته من خطبته كبوم ولدته أمه ! ”
هذه نبذة يسيرة من ابتداء وضعه .

فتح بيت المقدس
في أيام عمر ، ثم في
أيام صلاح الدين ،
ثم تسليمه للفرنج ،
وأستفاده منهم



وأما ما يتعلق بفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
وأستيلاء الفرنج عليه ، ثم فتحه على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ،
وتسليمه إلى الفرنج بعد ذلك في أيام الملك الكامل ، ثم أستفاده منهم بعد ذلك على
يد الناصر داود بن المعظم ، فليس هذا موضعه . وسيأتى إن شاء الله تعالى في التاريخ
التلويح بذلك والإشارة إليه . فهناك ذكره أنسب .

وسمعه ومزاراه
إلى سنة ٧٤٣

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصى ، وما أشتمل عليه من المزارات ، على
ما استقر عليه بناؤه إلى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

نصيب خاص في الحرم المقدسي
وفد ألف في ذلك صاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك تاليفا
صغيرا سماه: "سلسلة المسجد، في صفة الصخرة والمسجد"، نقلت منه ما يليق بهذا
الموضع، معتمدا في ذلك على ما حتره بالذراع.

الصخرة الشريفة
ونتندى بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها، فتقول:

- أما البناء المبارك من وجه الصحن المعروش بالبلاط المصقول، فارفعاه ثمانية
عشر ذراعا، يعلو ذلك كرسى القه، وأرتفاعه عشرة أذرع وربع، ودوره مائة وثلاثة
أذرع وثلاث ذراع. في دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شبابيك،
وهي مئمة الأركان. كل ثمينة تسعة وعشرون ذراعا وثلاث ذراع. والبناء من ظاهره
مكسو منه أرتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر. ومن أعلاه سبعة أذرع
إلى الميازيب بالقص المذهب المشجر المختلف. وتحتوى كل ثمينة على سبع طاقات:
إثنان في الطرفين مسدودتان، والخمسة مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها
الشابيك الحديد. ومن أعلى الميازيب حائط أرتفاعه أربعة أذرع، مكسو بالقص
بالصفة المذكورة، مشخص في كل ثمينة منه ثلاثة عشر محرابا. ولها أبواب أربعة:
فالقبلى أرتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثن. وأمامه من
خارج رواق مفروش بالرخام الأبيض المشجر طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون
ذراعا ونصف، وعرضه أربعة. سقفه بسط مدهون. والوسط أمام الباب قنطرة
بالقص المذهب، محمول على ثمانية أعمدة من الرخام: منها غرابي اثنان في طرفيه،
وخضمر مرسيني تلوهما أربعة وشم ولحم، اثنان، بين الأعمدة الغرابي والخضمر هنأ
رخام، مقوش الظاهر سعته ذراع وثلث، تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب.

ويُعلق على الباب المذكور مصرعان من الأبواب ملبسة بالحاس الأصغر المنقوش .
وعلى يَمْنَةِ الداخل وبُسْرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراع، في رؤوس التثمينية
الأقولة خاصة . ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتي
ذكرها ثمانية أذرع وثلاث ذراع، بأعلاها سقف بسط مدهون بأبواع الدهان، ارتفاعه
خمسة عشر ذراعاً، محمول على حائط الصخرة . والأعمدة والحائط من باطن التثمينية ،
مُلبس جميعه بالرخام بغير فص بانذار به رخام منقوشة تقدير ذراع مذهب .^(١)

كل تثمينية من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجر والمؤن
البديع . دور كل سارية أحد عشر ذراعاً وثلاث ذراع . وطولها ثمانية أذرع وثلاث ذراع ،
وجبهما الذي يلي الصخرة بقرتين . ومع السارية عمودان : أحدهما ”ششم“ ولحم ”والآخر
أخصر مرسيني“ . بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع . ودوره دراعان وثلاث ذراع .
وارتفاعه خارجاً عن القواعد ستة ونصف يعلوها ”بساتل“ ملبسة بالحاس الأصغر
المنقوش المذهب فوق نقشه . يعلو ”البساتل“ قناطر بالعص المذهب البديع .

بهذه التثمينية الأولى ، ثمانية سَوارٍ وستة عشر عموداً . منها أبيض وأزرق عشرة ،
وأخضر مرسيني ثلاثة ، و”ششم“ ولحم ثلاثة .



وتفليس من واجهة قواعد هذه العمدة عشرة أذرع لتثمينية ثانية عليها سقف
”مقالى“ مذهب ، ارتفاعه ارتفاع السقف الأول . و”مقالية“ مركبة بغير تسمير لأجل
كنس السقف . والسقف الذي يعلوه الرصاص خمسة أذرع من الباطن . وبآخر هذه
التثمينية الدائرة الدرابزين المحيط بدور القبة . والحامل للقبة أربعة سَوارٍ مربعة ملبسة

(١) هكذا في الأصل . وربما كان المراد : أستانته .

بالرخام مثل الأولى. بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام "الشحم والحلم"
والأخضر المرسني. يعلو ذلك قناطر من الوجهين : فص مُدَّهَبٌ، والباطن رخام
أبيض وأسود . جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عمودا : منها أخضر ومرسني
سبعة ، و"شحم وحلم" خمسة .

- ٥ قال : ولقد فسَّتُ عمودا منها "شحمًا وحلمًا" فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفا وارتفاعه
(١)
خارجا عن القواعد سبعة أذرع وثلاثي ذراع .

وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة
وأربعون ذراعا ، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع ، ومن ظاهر القبة
الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف .

- ١٠ قال : ولقد قست الدور الحامل للقبة بالأعمدة والسواري فكان مائة وثلاثة أذرع .

وصفة الشاك الحديد الذي بين هذه العمود والسواري ، له أربعة أبواب : الشمال
مها مغلق ، والثلاثة مفتوحة . فأما القبلي فيصعد إليه بدرجتين . ومن حد عتبه من
داخل إلى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع . وحجر الصخرة من هذه الجهة
ملبس بالرخام المألون ارتفاع ذراعين . ويحيط بحجر الصخرة من تمة أقطاره درابزين

- ١٥ من الخشب المقش ، دوره أربعة وسبعون ذراعا . وبآخر هذه الصخرة المنحمة من

عرب إلى جهة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار ، قبل إنه أثر قدم النبي
(٢)
(صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج . وقبالة القدم المشار إليه امرأة من السبعة معادن
يسمونها "درة حمزة" محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف : منهن اثنتان "رُوحَان في جسد" .

أثر قدم النبي
يقال
١٠٢
(درة حمزة)
مرآة من السعة
معادن

(١) بالاصل : وثلاثا .

(٢) بالاصل : السبع معادن .

وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلاث ذراع، تعلوه شرفة خشب مدهونة.
و أعلى الشرفة شمعانات حديد.

والمحراب الذى يصلى به إمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلى داخل
الدرابزين الخشب المقدم الذكر . وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة،
معقود قطرة بالرخام الغرب، على عمودين "شمعية" ينزل إلى باطنها بأربع عشرة
درجة . طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع، وعرضها سعة ونصف
من القبلة للشمال .

و جميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام .

وباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار . كل محراب على عمودى رخام
إطاف . وأمام المحراب الأيمن صفةٌ نُسِيتُ "مقام الحصر" ، طولها من الشرق للغرب
ذراع وثلاث ذراع، ومن القبلة للشمال ذراعان وربيع . وبواجهها عمود رخام قائم
للسقف، وعمود راقد مرّد لها . وبالركن الشمالى من المغارة صفةٌ نفّرتُ فى الصخرة
يسمونها "مقام الخليل" . عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف، ومن الشرق للغرب
ذراع وربيع .

وأما الباب الشرقى من بناء الصخرة، فهما بابان : أحدهما داخل الآخر .
جُعل الباب الخارج وقايةً للداخل من الأمطار والتلوج . ملبس بالرخام . رحاب
ماين البابين عرض أربعة أذرع وربيع، وطول نرجسته اثنا عشر ذراعاً ونصف .

على يمينه الخارج بيت للبواب . وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف، وعلى
يساره بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسنيّة وزُرُق .

الباب الشرقى
للصخرة

وعقد ما بين البابين بالصص المُنْهَب . ومن عتبة الباب الثاني منهما إلى العمدة
سبعة أذرع وثلاثان وهو الحامل للسقف البسط .



ومن واجهة العمدة للشباك الحديد أحد عشر ذراعاً . ومن باطن الشباك الحديد
إلى الدرازين الخشب السائر للصخرة أربعة أذرع وربع . ومن حد هذا الباب
الشرقي على يسرة الداخل منه طالباً للقبلة على مسافة تسعة أذرع ، عمودان مرسقي
أخضر . بأعلامهما دُقيسي مُنْهَب يطلع من باطنه إلى ظهر سقف الصخرة والقبلة .
وأما الباب الشمالي ويسمى باب الجنة فله خرجة كالتي في الباب الشرقي
وصفتها وحليتها .

الباب الشمالي
المسمى باب الجنة

وفيا بين العمودين اللذين أمام الباب - داخل درازين خشب مذهب به محراب
لطيف - إشارة على الرخامة السوداء التي يصلح الناس عندها . وقُدت هذه الرخامة
من مده زمانية ، وعمل مكانها رخامة خضراء . والناس يصلون ويدعون عندها .

وأما الباب الغربي فله خرجة كالباين الشرقي والشمالي .

الباب الغربي

وسعة ما بين تمامين الصخرة من داخل مثل الباب الشمالي خلا السعة من الشباك
الحديد للدرازين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلاث ذراع .

هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والنساء المضمن المحيط بها .

وأما الصحن المحيط بها ، فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول .

الصحن وساحته

وذرع من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً ، ومن الشرق للغرب
مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع .

وذرع ما بين الرواق الذي قبلي الباب القبلي من أبواب الصخرة إلى رأس السلام الموصلة للجامع ، ثلاثة وخمسون ذراعاً . ومن رأس السلام إلى عتبة الجامع مائة وخمسون ذراعاً ونصف وربع .

وبأعلى هذه السلام أربع قناطر محمولة على ثلاثة أعمدة وركنين من الساء : منها عمودان صوان أحمر ، والوسطاني رخام أبيض فيه نقر مربع .
ذكروا في التواريخ أن الدعاء عنده مستجاب .

وشرق هذه القناطر على مسافة أربعين ذراعاً قناطر مثلها . أعمدتها أشنان أخضر مرسيني . وفيما بين هاتين القنطرتين في سفلى الحرم صفة كبيرة تسمى صفة السبع درج . يقال إنها مأوى الصالحين والسيّاح في الليل ، وعليها يتركون .

(١٠٥)

وبجانب القنطرة المذكورة أولاً ، مدهون صورة محراب ، بحذيه عمودا رخام لطاف . وفي ركنها الغربي قبتان من رخام ، واحدة تعلو الأخرى : كل منهما قطعة واحدة ، تسمى قبة الميزان ، محمولة على اثني عشر عموداً من الرخام "الشحم والحلم" بقواعد "شمعية" . والقبة التي عليها كمثل ارتفاع القبة المذكورة بكاملها : ثمانية أذرع وثلثان . وارتفاع العمدة السفلى ذراعان وسدس ؛ وارتفاع العمدة الفوقاني ذراع ونصف وربع . وتعرف أيضاً بقبة النجوى .

قبة الميزان

قبة الجوى

وبالقربة القبلية من جهة غربي الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية ، طولها من ظاهرها أربعة وثلثون ذراعاً ، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع . لها بابان يُفتحان للشمال ، بحدّهما ثلاثة أعمدة من الرخام ، كل عمود به أربعة في جسد واحد ،

المدرسة المعظمية

(١) في الاصل : مساحة .

ملقوفة "متعبة". وتلو ذلك عمودان لطاف. وأرتفاع بناؤها تسعة أذرع من أرض
صحن الصحرة.

ويَدْخُلُ من البابين المذكورين رواقٍ طوله ثمانية عشر ذراعاً ونصف في عرض
ستة، يستقف شامئ مذهب ثلاثة عشر مربعا. بصدرة القبلي ثلاث طاقات مطلة
على الحرم وأبواب الجامع.

وبالجهة الغربية منه قبة معفودة، بكل جهة من جهاتها القبليّة والشماليّة
والغربيّة ثلاث طاقات، ولجتها الغربيّة باب للدخول إليها من الرواق المذكور،
وطاقة نطل على الرواق المذكور.

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكور قبة ألطف من هذه. سكن الإمام، وقيم
المكان، وحاصل الزيت.

قبة الملك المعظم

الإمام والفضة
أحاف همد
المدرسة

وربب الملك المعظم لها إماما مفردا يصلي الصلوات الخمس. وربب بها خمسة
وعشرين نفرا من طلبة الحو وشيخا لهم، وشرط أن يكونوا حنيفة من جملة طلبة
مدرسته التي خارج الحرم. ووقف على ذلك قرية تسمى بيت لقيا، من عمل القدس
الشريف. وعلى سقفها مكتوب أنه أهتم بعمارة ذلك في سنة ثمان وستمائة.



القرية الموقوفة
لها

وأمام الشيايبك الشماليّة التي بالقبة الغربيّة من هذا الرواق، على تقدير خمس
أذرع، ممشاة معفودة عتبتها سبع عشرة درجة، عرض كل درجة ذراع، يتوصل
منه إلى سفل الحرم.

وأمام القبة الشرقية من هذا الرواق صُفَّةٌ عليها رخامة منقوشة مِرْزُولَةٌ لإخراج
ساعات النهار، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلاثان، وعرضها ذراع وثلث،
وارتفاعها ذراع ونصف.

مرحلة المدرسة

٥

١٠

١٥

١

٢٠

قبة للتصديدين
بالحرم المقدس

ويقابل هذه المدرسة في القرنة الشرقية من هذا الصحن قبة لطيفة مكسوة من ظاهرها بالياض، خلوة لبعض المتصدين بالحرم الشريف، يفتح بابها للشمال. وتتمه جهاتها الثلاث بكل منهن طاقة مظلة على الحرم.

وفي حائطي هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان تعلو إحدهما قبة من جهة الغرب والأخرى في الشمال سقف على عمودين رخام، يصلي عليها المبلغون في الصلوات الخمس.

وذراع ما بين عتبة الباب الشرقي إلى حد الدرج، نهاية صحن الصخرة المبلط من جهة الشرق، ستة وسبعون ذراعا.

وبأعلى هذا الدرج خمس قناطر معفودة على أربعة أعمدة وساريتين، بنحدرت القبلي والشمال خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم. وأرتفاع عقد هذه القناطر عشرة أذرع، أسوة أرتفاع القناطر التي على سائر السلام. وبقى ثلاث قناطر منهن مفتوحة، يخرج منهن إلى هذه الدرج المسماة بدرج البراق. وعنتهن ست وثلاثون درجة. وذراع ما بين أول درجة من هذا الدرج إلى حد السور الشرقي مائة وستة وخمسون ذراعا وثلاث.

وذراع ما بين الباب الشرقي البراق وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع.

وهذه القبة محمولة على اثني عشر عمودا أخضر مرصفي و"شحم ولحم". طول كل عمود، خارجا عن قواعده، ثلاثة أذرع وثلاث وربع وثمن، وأرتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية أذرع.

جميع ما بين الأعمدة محروق . وما بين العمود والعمود مُتَكَابِةٌ من الحجر الصوّان
 المححوت المجلي ، تقدير شبر لا غير . طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع ونصف .
 وعرض ما بين عمودي المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملوّن ، بمجذى المحراب
 عمودان رخام أبيض . وبأعلى هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالفص المذهب والأخضر
 المختلف الألوان . ارتفاع القناطر ذراعان وربيع ، وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية
 عشر ذراعاً . وبباطن هذه القبة قبة محمولة على ستة أعمدة أخضر مرسنيّة و”شخم
 ولحم” . ما بين العمود والعمود أربعة أذرع سعتها ثمانية أذرع ونصف . بأعلى الأعمدة
 قناطر ملبسة بالفص ، طول أربعة أذرع ونصف . والقبة الخشب من أعلى ذلك .

السلسلة المعلقة
 من السماء والأرض

روى أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي الخطيب ، بسنده إلى أبي مالك بن
 نعلة ، قال : سمعتُ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدث عن أبيه عن جدّه (رفعه)
 ١٠ “أن سليمان بن داود جعل سلسلة معلقة من السماء إلى الأرض ليتبين الحق من
 المبطل ، فالحق ينالها والمبطل لا ينالها ، وأن يهوديا استودع مائة دينار فحدها ، فجاؤوا
 إلى السلسلة - وقد سبك اليهودي الذهب في عصا - وناولها صاحب المال وحلف :
 لقد أعطيته دنائره . وحلف الآخر أنه لم يأخذ . فأرفعت السلسلة من ذلك اليوم” .
 ويقال إن السلسلة كانت موضع القبة المذكورة . والله تعالى أعلم .

١٥

وذرع ما بين الباب الشمالي من أبواب الصخرة (المسمى بباب الجنة) إلى منتهى
 الصحن المحيط بها إلى القناطر الثلاث المعقودة على عمودين رخام وسارينين مائة
 وثمانية أذرع .



ويُنزل من هذه القناطر في ثمان درج إلى الحرم الشريف . وأمام الدرج ممشاة المشاة الموصلة للحرم مستطيلة مفروشة بالبلاط ، عرضها خمسة أذرع وربع وينتهي متشاملا إلى باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء ؛ وطول هذه المشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعا . وسيأتي (إن شاء الله) ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم .

وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه في منتهى شمالي الصحن مسطبتان . ٥ طول كل منهما ثمانية أذرع ونصف ، من الشرق إلى الغرب ، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلاث ذراع . يصلي الناس عليهما .

ومن هذا الباب الشمالي على مسافة آثني وأربعين ذراعا طالبا للغرب عمل مسطبة ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع ، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعا وثلاث ، وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع . بُني عليها قبة مئمنة ، تسمى ١٠ قبة المعراج . بابها يفتح للشمال ، سعته ذراع وثلاث ، وطوله ذراعان وثلاث . بظاهرها الفصة المذكورة حاملا لأركانها من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عمودا . طول كل عمود ، خارجا عن القواعد ، ذراعان وثلاث ذراع .

والثمنينة التي بين الأعمدة ملبسة ألواح رخام ملكي مشجرة بأزرق . يُصعد إلى بابها بثلاث درج رخام . ثم ينزل إلى داخلها بمثلهن . ١٥

أرضها مفروشة بالرخام الأبيض ، وحيطانها من داخل كذلك ، مثل الظاهر . ياطنها من الأعمدة أيضا ثمانية عشر عمودا . وبأعلى الرخام المذكور طاقات بصاص شبه الجلس "المكندج" ثلاثة ، وزجاج أربعة . وبأعلى الطاقات كرمي القبة . وعرضها من الشرق للغرب سبعة أذرع ، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع . سعة محرابها ٢٠ ذراع وثلاث ذراع ؛ وهو بأول المسطبة لجهة القبلة . والباب والسلام بأخرها لجهة الشمال . وثمة المسطبة يصلي عليها الناس .

ومن قطب القبة لأرضها ارتفاع ستة عشر ذراعاً . وبظاهرها في أعلاها قبة لطيفة مكان الهلال ، محمولة على ستة أعمدة صغار رخام شمعية ؛ طول كل واحد منها تقدير ذراع .

(١٤٩)

وذرع ما بين الباب الغربي إلى رأس القناطر التي أمامه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعاً وثلاث ذراع . وهي أربع قناطر معقودة على ثلاثة أعمدة مكتبة بالأزرق وساريتين . ويتزل من هذه القناطر بأربع وعشرين درجة إلى الحرم . ومن حد هذه الدرج إلى السور الغربي (وهو الذي فيه الباب الجديد المعروف الآن بباب القيسارية ، وفيه باب الميضأة وسائر الأبواب الغربية الآتى ذكرها إن شاء الله عدد ذكر أبواب الحرم) خمسة وثمانون ذراعاً وثلاث ذراع .

وبظاهر هذا الصحن من الصهاريج المركب على فوهة كل منهن خرزة رخام أو حجر منحوت سبعة ، لكن تسعة أبواب . منها بالجهة القبلية بئر يعرف بالرمانة له بابان : هذا الباب الذي بالصحن ، وباب أسفل الحرم أمام الجامع ، وبالجهة الشرقية بئران ، يعرف أحدهما بالشوك ، ويعرف الآخر ببئر الورد له بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة . وبالجهة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة . وبالجهة الغربية ثلاث آبار : أحدها يعرف بالكاس لأن على فوهته كأس رخام طويل ، والآخر له بابان من الصحن ، والآخر يعرف .

أما ذكر وصف ربيع
صحن الحرم

(١) بالأصل : وساريتين .

(٢) بالأصل : الصور .

(٣) بالأصل : من من الصهاريج . ولا يستقيم الكلام في رأينا إلا بإعمال لفظة من وأعتبرها رائدة .

(٤) في الأصل : تذكير البئر في مواضع وصف اللغويون على تأنيها .

وإذ ذكرنا ما في هذا الصحن من الصهاريج، فلنذكر ما في سُفْل الحرم من الصهاريج، فنقول:

الصهاريج في سفلى
الحرم المقدسى

في سُفْل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجاً .

بالجهة القبلى ستة : بالقرب من الزاوية الفخرية واحد، وبباب الجامع واحد؛
وداخل باب الجامع الشرقى واحد، ويسمى ببئر الورقة، وله بابان أحدهما هذا الذى
داخل باب الجامع، والآخر فى مكان يعمل فيه نجارة الحرم، والبئر الأسود، وله
ثلاثة أبواب : أحدها يُنزل إليه بدرج، وبئر يعرف بالبحيرة، له بابان، وبئر فى الحاكورة
التى عند الباب الشرقى، وله بابان : واحد فى الحاكورة، وباب خارج عنها .

❦

وبالجهة الشرقية ثلاثة آبار : منها بالقرب من باب الرحمة واحد، له بابان .

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار : بئر بركة بنى إسرائيل، وبئر بباب شرف الأنبياء، وبئر
بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوى وخلفه الإسعردى .

وبالجهة الغربية ثلاثة : أحدها بباب الغوانمة، والآخر عند باب الرباط المنصورى،
وله بابان : باب فى الحاكورة، وباب خارج عنها، يعرف بأبن عروة، وبئر عند الباب
الحديد مغطىً بحصر الأروقة .

وهذه الآبار الأثتان والعشرون معمرة بالمياه .

وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة . واحد عند درج الميزان، والثانى
عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم .

(١) ليس فى الأصل فقط . فقطنا الكلمة ولا نعلم أنها مائة لما أراد المؤلف، وبحوران تكون بحارة .

(٢) يظهر أن هذه الكلمة مصروبة عليها فى الأصل ولكن بكيفية توحش الشك .

وقد أستوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما أشتمل عليه .

فلذكر ما بباطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك .

ونتدئ أولاً بذكر السور المحيط بذلك جميعه .

صفة السور القبلي وما صاحبه من المساجد وغيرها

- وأول هذا السور من جهة الغرب مسطبة طوله من المحراب للشمال ستة أذرع
وعرضها ستة ونصف . وبصدرها محراب . ويتلوها من جهة شرقها باب الزاوية
المحرية ، ويتلو باب الزاوية الفخرية من الشرق صفة عشرة أذرع وربيع ، وعرضها
ثلاثة ونصف . ويتلو هذه المسطبة باب جامع المنارة . وطول جامع المنارة من
محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعاً ونصف ، وعرضه أحد عشر ذراعاً ونصف .
ومحرابه لطيف ، مركب على عمودين رخام لطاف . ومن ظاهره حائط هذا المحراب
إلى حائط جامع النساء نرجة في الزاوية الفخرية التي إلى جانبه ، وطول دهليزه أحد
عشر ذراعاً وثلاثة أذرع ، وعرضه أربعة أذرع وثلاثة أذرع .

السور القبلي
ومساحته ومحاربه



وفي باطن سوره الشرق مسطبة لطيفة ، عرضها ذراع ونصف ، وطولها ثمانية
أذرع ونصف وربيع وثمن .

- وفي ثنائس السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القومة به . وله باب واحد يفتح
للشمال . سعته أربعة أذرع وارتفاعه خمسة أذرع .

بائس القمدين
والحوائج

جامع المغاربة
و جامع النساء

وقولنا جامع المغاربة، لغلبة هذا الاسم على السنة الجمهور. ولو قلنا مسجد المغاربة، لما علم الجمهور بالقدس. وكذلك جامع النساء. كل ذلك ليس بجوامع تقام فيها خطبة. وإنما لكل منها إمام مفرد، يصلى فيه الصلوات الخمس لغير.

ويتلو جامع المغاربة فضوة كبيرة يتلوها جامع النساء. وطوله من الشرق للغرب آثنان وستون ذراعاً ونصف ذراع، وعرضه من القبلة للشمال آثنان وعشرون ذراعاً وثلاث ذراعاً، وهو رواقان سقفهما آثنا عشر عقداً: كل رواق ستة عقود محمولة في الوسط على ست عضاء. ويصدره من الشبايك خمسة: عرض الشباك الأول منها ذراعان ونصف، وعمقه في السور ثلاثة أذرع، وهو عرض السور جميعه في هذه البقعة، وارتفاعه ثلاثة أذرع وثلاث ذراع. وثمة الشبايك دون هذا المقدار.

وبحائطه الغربي شباك مطل على حارة المغاربة. ١٠

وباب هذا الجامع يُفتح للشمال. وبكل خذ أربعة أعمدة رخام أبيض في جسد واحد. طولها خارجاً عن القواعد ذراعان إلا ربعاً. وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز، تحتهما مسطبة يصلى الناس عليها.

ويدخل من الباب المذكور ويتزل بنحس درج إلى الأروقة المذكورة. ومن باب جامع النساء على مئبى سبعة وعشرين ذراعاً من جهة الشرق، الباب العربى ١٥ من أبواب الجامع المسمى الآن بالمسجد الأقصى.

(١) في الأصل: وعرضها ... وهى . [والسياق يدل على أن المراد مساحة ذلك الجامع . لذلك استعملنا الصيرين المذكورين].

صفة السور الشرق



السور الشرق
(وفيه مهد عيسى)

تقدم أن في قُرْنة السور القبليّ مهّد عيسى، عليه السلام. وشماليّه رواق معقود على ستة عقود قد حُرِّبَت مساطبه من العائر القديمة. وبعض أرضه مبسوطة بالقص. طوله ثلاثة وأربعون ذراعاً، ومن جانبه للقبلة كشفٌ إلى حدّ مهّد عيسى.

- مسجد باب الرحمة
- وشماليّ هذا الرواق، على مصيّ ثلاثمائة ذراع، مسجد باب الرحمة. وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعاً، وعرضه قبلةً وشمالاً أربعة عشر ذراعاً ونصف. وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع. يصلى فيه إمام معرد. وهو معقود بالحجر المنحوت ستّ قباب: اثنتان مرتفعتان، وأربعة منبسطة على عمودين صوّان بيض في الوسط وساريتين في وسطه طول كل عمود أحد عشر ذراعاً ودورته أربعة أذرع ونصف. وهذا المسجد متخذ باطن البابين المسميين باب الرحمة.
- باب الرحمة

١٠

وهما بابان قديمان قد سُدّا. على كل منهما مصراعان من خشب مصفح من خارج بالحديد. طول كل منهما أحد عشر ذراعاً، وعرضه ستة ونصف. وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة إلا أنّهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش. قد سُمِّرَا وأُحْكِمَ غلقهما. قيل إنّهما من بقايا العائر السلجانية. سُمِّيَا بأبواب الرحمة.

- ومنتهى السور الشرقيّ رواق طوله من القبلة للشمال ستة عشر ذراعاً ونصف. ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلاث، ويعقبه في أول السور الشماليّ باب أسباط. وسيأتي ذكره، إن شاء الله.

١٥

(١) بالاصل : وعرضها.

(٢) بالاصل : شمال.

وليس في هذا السور الشرقي الآن بابٌ يُسلك منه للحرم الشريف . ولم يكن له في الزمن القديم سوى البابين المذكورين .
ويقال إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) غلقهما لما فتح القدس . فلم يفتحها إلى الآن .

المقبرة خارج
هذا السور

وقد اتخذ الناس ظاهرَ هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم . وفيها قبر شداد بن اوس .

١١٢

وادي جهنم
وادي من غلات
المانى والآثار
والقوش والمعاد
القديمة

وتلو المقبرة المذكورة وادٍ عميقٌ يعرف بوادي جهنم ، يزرع . وفيه كروم وبساتين . ومنه يُتطرق إلى العين [ماء] . وفيه أبنية عجبية وآثار غريبة ونقوش ومعابد قديمة . وهو وقف على المدرسة الصلاحية . وحدّ هذا الوادي من الشرق طُور زَيْتَا الذي يقال إن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام منه . وبه قبر رابعة العدوية ، يُزار قصداً . وفيما بين السور الشرقي وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين . تقدير عدتها مائة شجرة ، يستظل الناس تحتها ويصلون .

قال صاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك :

وصف الفصول
الارعة بالحرم
المقدس

”ولقد مضى علىّ في مجاورة هذا الحرم الشريف الفصول الأربع ، فرأيتُ له في كل فصل محاسنَ في غيره لم تُجمع ، وهو أنه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزهار المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لبّ الذكي الأروع . وكلُّ أحد من له معرفة بالأعشاب يأتي إليه ، ويأخذ من تلك الأزهار ما علم منفعتها ومضرته“ .

قال : ”وأما ما شاهدته بالعيان ، أني جلست وقتاً في بقعة منه تكلمت بأزاهر من الشقائق والهبّار والأخْوان ، وإلى جانبي فقير عليه أطمارٌ رثةٌ يبدى تبسماً ، وتارة يعلل صوته

- بالتسبيح والتكبير تَزَمُّ، ويقول: سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل
 الفاخرة، وجعلك تحتوى على كنوز الدنيا والآخرة! فقلت له ياسيدى! أما فضله
 وركته، فقد صدق العيانُ فيها الخبر، وقام بها الدليل والبرهان وتواترها الأثر؛ لكن
 ما كنوز الدنيا؟ فقال: مامن زهرة تراها إلا ولها فى النفع والضرر خواص، يعرفها
 أهل الاختصاص! فقلت: لعل تُظهر للعيان شيئاً مما عرفتَ يزداد به اليقين تبصره،
 وتكون هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسفرة، فأخذ بيدى ومثنى خطوات
 إلى جهة من جهات الحرم، ومدّ يده أخذ قبضة من ذلك الكلال، وقال: هل
 معك خاتم أو درهم؟ فقلت نعم، فأخرجتُ درهماً معي، فعرّكه بذلك الكلال،
 فعاد كالدينار فى صفرته، ثم أخذ حشيشة أخرى، وعرّكه بها، فعاد أبيض،
 أبيضٌ مما كان أولاً، وقال: هذه رموز آتحت على تلك الكنوز، ولم يترك نبي الله
 سليمان شيئاً من المواهب التى مجّه الله إياها، والمنافع التى وصلت إليه من الإنس
 والجن على اختلاف صورها ومعناها، إلا وأودعه فى هذا الحرم، فأين من يهم تلك
 المعانى، أو من كان لها يُعانى؟ ثم أخذ منها غير ما كنت أسلكه، فسألته التثبت
 والتلبث، فقال: الدنى من صرف نظره إلى العَرَضِ الأدنى، والسرى من صرف
 رماه بالتهجد فى هذا المنفى، أو صيكت أن تغتم الفرصة فى ركعات تقدّمها بين يديك،
 وما سواها فان، ولا تلتفت إلا إلى ما هزتك من الرحمن، فقلت: ناسيدى! ومثلك
 من يفتح أبواب الصواب، فقال: ما بعد السنة والكتاب من باب، ثم فارقتى مهرولا،
 معلماً بصونه ومرتلاً، يقول: سبحانك يا دائم! سبحانك يا قُدُّوس! سبحانك
 يا رحمن! سبحانك يا حيّ النفوس! فجعلتُ هذا الذكر لى ديدناً، وكلما اشتاقت له
 منى عينٌ أطربتُ بذكره أذناً.

صفة السور الشمالي وفيه عدة أبواب

أولها من جهة الشرق بابٌ يسمى باب أسباط، وهو تلو الرواق المقدم ذكره
الذي هو نهاية السور الشرقي. وأرتفاع هذا الباب خمسة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع
ونصف وربع وثمن ذراع.

ويعقب هذا الباب من غربته، رواقٌ معقود على عشر سوارٍ، طوله آشان وسبعون
ذراعا، وعرضه ثمانية أذرع، يصدره أربعة شبابيك مُطلة على بركة بنى إسرائيل.
وهي بركة قديمة عميقة.

ويعقب هذا الرواق ساحةٌ، وهي أرضٌ كشفٌ ببعضها مصبٌ مياه لبركة بنى
إسرائيل. وبعضها كشفٌ، قصد أن يُبنى به أروقة. وإلى الآن لم تُكمل، وطولها أربعة
وسبعون ذراعا.

ويعقب هذه الأرض المدرسة الكريمة، وجاورت ما أمامها من الأروقة بمخاططين: ^(١)
المدرسة الكريمة. وغربية وشرقية، وجعلوا مصيفين قدامها. وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب
خمسة وعشرون ذراعا، وجعل قدام هذه الأروقة مسطبةً يصعد إليها بأربع دَرَج بارزة
في الحرم، طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا. وهذه المدرسة بناها كريم الدين
عبد الكريم، ناظر الخواص الشريفة السلطانية الناصرية. ويعقب هذه المدرسة بابٌ،
يسمى باب حطة. عرضه أربعة أذرع وثلاث أذرع، وأرتفاعه ثمانية أذرع. أمامه ممشاة

معروشة بالبلاط، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعا، وعرضها خمسة أذرع وكُسِّرَ
يُصعد من آخر بدرج إلى ثلاث قناطر معقودة على عمودين رخام وساريتين، يدخل
منهن إلى صحن الصخرة .

وبجُدَى هذا الباب مسطبتان لطيفتان، عرض كل منهما ذراعان: الشرقية منهما
لصيقة للدرسة الكريمة المذكورة؛ وتلوّ الغريسة رواق، طوله اثنا وسبعون ذراعا
في العرض المذكور .

وفي سورة ثلاثة شبائك للرباط العَلَمَى الدوادارى . وبأوله من الشرق بالقرب
شباك للتربة الأوحدية، من بنى أيوب .

ثم يتلو هذا الرواق باب يعرف بباب شرف الأنبياء . طوله ثمانية أذرع وعرضه
أربعة، وأمامه ممشاة نظير الممشاة المذكورة . وقد تقدم ذكر هذه أيضا .

ويتلو هذا الباب رواق طوله سبعة وأربعون ذراعا، وعرضه سبعة أذرع ونصف،
معقود على ثمان سَوَارٍ . وأوله شباك، أحدهما مفتوح يتوصل منه إلى زاوية
الصاحب أمين الدين، المعروف بأمين الملك . وتلوّهما باب يُصعد من باطنه إلى زاوية
اللاوى . وتلو الباب مسطبة، فيها صهيح .

ويعقب هذا الرواق من الغرب رواق معقود عقدين على ثلاث سَوَارٍ . طوله
تسعة عشر ذراعا ونصف، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع . ويصلّى به الآن
بعض النسوة . الصلوات الخمس، خلف الأئمة .

مدرسة آل ملك
وحاقدا الاسعدي

وبأعلاه مدرسة الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار، وخانقاه مجد الدين
الإسعدي التاجر. وبأوله جوار الصهرج المذكور، سلم يصعد منه إلى المدرسة
وإخاقاه المذكورين.

ويعقب هذا الرواق كشف ليس به أروقة. وهو صورة مسطبة عالية. ويترل
من وسطها بست درج إلى الحرم.

مدرسة الحاول

وبأقصى ارتفاع هذا السور خمسة شبايك لمدرسة الأمير علم الدين سنجر
الحاولي، رحمه الله. وليس لها استطارق إلى الحرم. ومن حد هذا الكشف، طالبا
لجهة الغرب، خلوتان. لكل منهما باب يُفتح للجهة القبالية من الحرم. وداخلهما كله
في باطن السور الشمالي. وهي من جبل صخر أصم، صفة مغارة. وقيل يعرف قديما
بمغارة إبراهيم. وفي الشرقية منهما شبك لطيف. وإلى جانب هاتين الخلوتين، خلوة
لشيخ الحرم. وبها شبا كان على الحرم الشريف. وطولها ستة عشر ذراعا. وأمماها
مسطبة في الطول المذكور، وعرضها أربعة أذرع وثلاث. وبأعلى هذه الخلوة، خلوة
يُصعد إليها بسلم، بسبع درج في حد الباب الذي يفتح للشرق.

ويتلوا ذلك رواق على عقدين طولها من الغرب طالبا للشرق خمسة عشر ذراعا
وعرضه تسعة ونصف. وتلوه سلم مستطيل جدا، يصعد من أعلاه إلى مأذنة، وإلى
دار هناك لبني جماعة. وهذه المأذنة هي أقصى السور الغربي، وأرتفاعها ثلاثة وخمسون
ذراعا. وبأعلاها درابزينات خشب منقوشة. وهي مكلفة من العمد الرخام اللطاف
بأحد وثلاثين عمودا.

صفة السور الغربي

السور الغربي ويشتمل على سبعة أبواب بما فيه من باب الطهارة، فإنه الآن غير نافذ .
وامام كل باب شجرة كبيرة من الميس أو التوت، وتحتها مسطبة يصلي الناس عليها،
ويستظلون، خلا باب الفوائمة، فليس قدامه شيء .

ومبدأ السور من المأذنة المذكورة .

٥

أوله وأول أبوابه من هذه الجهة، باب الفوائمة . وطوله أربعة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع .
يُصعد إليه من الحرم الشريف بعشر درج . وبجده الشمالي خلوة للبواب ، بارزة
في الحرم تقدير خمسة أذرع . ومن حد هذه الخلوة إلى المأذنة المذكورة خمسة وثلاثون
ذراعا . ومن الباب المذكور - على مصى ثمانية عشر ذراعا طالبا للقبلة - باب لطيف
خلوة في باطن عرض السور لبعض الفقهاء المجاورين . ومن حد هذه الخلوة إلى نهاية
أربعة وعشرين ذراعا حاكورة بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمى .

١٠

وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدمين ، وله تأثيرات حسنة في الحرم من
المواعيد والأبنية .

آثار علاء الدين
الأعمى باطر الحرم

وطول الحاكورة طالبا للشمال خمسة وأربعون ذراعا، في عرض سبعة أذرع وكسر .

ومن نهاية الحاكورة إلى أقصى السور وهو المأذنة المذكورة ثشف بلا أروقة .

١٥

ولصيق هذه الحاكورة من القبلة باب كبير يعرف بباب الرباط المنصوري . طوله
سنة وعرضه خمسة ونصف . وأمامه ممشاة يتوصل بها إلى السلم الذي يتوصل منه
إلى صحن الصخرة، قبالة الباب الحديد الآتي ذكره .

باب الرباط
المنصوري

وبعد الباب المذكور إلى جهة الشمال عقد على ساريتين ، طوله تسعة أذرع وعرضه عرضُ الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به . وهذا العقد أول العقود في السور الغربي .

وتعمل في ثمانية الحائط التي في أوله مع ثمانية السارية خلوة صغيرة للقيم والبواب
بالباب المذكور .

وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشر يومئذ للنظر في المصالح . وتلو الباب
المذكور عرضه عرضُ الأروقة ، وطوله مائة وثمانية أذرع ، معقود على ست عشرة
سارية . وعلى تقدير عشرة أذرع من أوله شبكُ القاعة التي هي سكن الناظر على
أوقاف الحرم . وهي من وقف الحرم . وفي آخره خلوة لطيفة سكنُ القيم وبرسم
القناديل .

وتلو ذلك الباب المعروف بالحديد . طوله أربعة أذرع ونصف ، وعرضه ذراعان
وثلاث ذراع . وأمامه ممشاة مبلطة يتوصل منها إلى سلم لصحن الصخرة الشرفة .
عرضه ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف وعدد درجه إحدى وعشرون درجة . وليس
أعلاه قناطر أسوة بقية السلام .

وتلو هذا الباب رواق على ثمان سوار طوله ثمانية وخمسون ذراعا وعرضه عرض
سائر الأروقة . وبآخره باب لطيف لخلوة لبعض الفقهاء .

ثم يتلو هذا الرواق باب كبير عميل من قريب وأستجد فتحه ، يُنزل إليه بعشر
درجات . له مساطب في خديه . طول كل منها سبعة أذرع وعرضها ذراع وثلاث ذراع .

(١) في الاصل : مصالح .

قد أقيمت عمارته . وارتفاعه ثمانية أذرع وعرضه خمسة أذرع . وعقدته بوجهين ،
 مقنوش بالبحر الملون . وطرار كاتبه بالذهب ، نُقِر في الحجر . وأبوابه مصفحة بالنحاس .
 المذهب المخزم ، متقن العمار والزخرفة . ويتوصل منه إلى القيسارية المستجدة .
 وتشتمل على صفتي حوانيت ، بعضها وقف على الحرم ، وبعضها وقف على المدرسة
 والحقاقه اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكر ، رحمه الله ، وسيأتي ذكرها
 عن كُتب . إن شاء الله !

وإلى جانب هذا الباب رواقٌ معقود على ساريتين بكار جدًا طوله خمسة عشر
 ذراعاً ، وعرضه إلى خارج الساريتين سبعة أذرع وثلاث ذراع إلى باطنهما خمسة
 أذرع ونصف . بصدرة شباك لقاعة من وقف الحرم . وبجانب الشباك خلوة
 لطيفة للقيم والبواب . وإلى جانب هذا الرواق بابُ الطهارة . وهو يشتمل على
 طهارتين : إحداهما للنساء ، والثانية للرجال . وتشتمل طهارة الرجال على ثلاثة وعشرين
 بيتاً وفسقية كبيرة . وبأعلى طهارة النساء مساكن تُكْرَى لوقف الحرم .

الحلاوى
والطهارات
والمساكن
١٢٠

وباب الطهارة يُنزل إليه من أرض الحرم بأربع درجات . وطول الباب أربعة أذرع
 وثلاث ذراع ، وعرضه ثلاثة وثمّن . وبعده سبع درجات إلى دهليز مستطيل ، يتوصل
 منه إلى طهارة الرجال وإلى سلم يتوصل منه إلى علو طهارة النساء . وطهارة النساء
 في أوائل الدهليز ، على يمين الداخل .

باب الطهارة

ويتلو باب الطهارة رواقٌ طوله ثلاثة وستون ذراعاً ، وعرضه سبعة ونصف .
 معقود على تسع سواير .

وفيه في ثمانية السور بابان خلوتين: إحداهما للقيم والأخرى برسم فقير. وفي آخره من جهة القبلة محرابٌ ملاصقٌ للأذنة، يُصلّى فيه صلاةٌ مفردةٌ بإمامٍ مفردٍ. وتجاوره المأذنة المختصة بالحرم وارتفاعها ثمانية وأربعون ذراعا. وباعلاها درابزينان من الخشب، وهي مكللة من العمدة الرخام اللطاف بثمانية أعمدة.

باب السلسلة
(وهو باب السحرة)

ويتلو المأذنة بابان قد غُلقَ الشمالى منهما وُسُمرَ والمأذنة إلى جانبه. ويسمى البابُ المفتوح باب السلسلة، ويعرف قديما بباب السحرة، سبعة خمسة أذرع وثلاث، وطوله ثمانية ونصف. وكذلك المغلق^(١). وأمام هذا الباب ممشاة قلع يتوصل منها إلى سلام صحن الصخرة بعددِ قِالة المعظميّة. ذرعها سبعة وسبعون ذراعا وربع. ويتلو الباب رواقٌ معقود على عشر سوارٍ طوله سبعة وخمسون ذراعا، وعرضه سبعة أذرع وربع، وارتفاع عقده عشرة أذرع ونصف. وهو نظير ارتفاع سائر سقوف أروقة الحرم.

وهذا الرواق فيه شبا كان للمدرسة التنكزية: أبوابها من الآبنوس والعاج. ودخلهما المدرسة، وظهره حامل للخانقاه التنكزية. وفي آخره باب لطيفٌ يصعد منه إلى أعلى المدرسة وسكن الصوفية. وفي آخر سواريه ستة أعمدة من صوّان كبار. ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبةً ارتفاعها ذراع وطولها من الجنوب للشمال ثمانية وثلاثون ذراعا إلا ثمنا، وعرضها عرض الرواق المذكور.

باب حارة المغاربة

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعا، تجدد باب حارة المغاربة. وسعته ثلاثة أذرع وربع، وطوله أربعة ونصف.

وتلو الباب المذكور على ثلاثة أذرع مسطبة . وهى نهاية السور الغربى وأول السور القبلى . وهذه المسطبة مجاورة للزاوية الفخرية التى هى أول السور القبلى من جهة الغرب . وقد تقدم ذكرها .



وإذ قد أسنوبنا صمة السور المحيط، فلندكر الآن ما وعدنا بذكره مما أشتمل عليه سوى صحن الصخرة .

ونبدأ بما هو تحت صحن الصخرة، وعدته تسع خلايا : أحدها جعل حاصلًا لأصناف الحرم .

الخلاوى
والحواصل تحت
الصخرة

فإنها بالجهة القبلى ثلاثة : منهن ماعلى أبوابه مساطب ومعرشات كرم، وفيه أبواب الرواق المعظمى التى تحت مدرسته . وهو مصلى للحنابلة بإمام ممرد، وبجانبه الشرقى حاصلان يُجعل فيهما زيت الحرم وأصنافه .

وفى الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع خلايا : منها ماعمل قدام أبوابه حاكورة وغُرست أشجارا . والجهة الشمالية خالية من الخلاوى والحواصل .

وبالجهة الغربية خلوتان . إحداهما جعلت حاصلًا لأصناف الحرم . وفيه أبواب للرواق المعظمى . وقبالة أبواب الرواق المعظمى من الغرب قبة موسى عليه السلام . وهى أمام باب السلسلة وأمام رواق الحنابلة . بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعا . وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعا . وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف ؛ وأرتفاعها نصف ذراع . وبصدر المسطبة القبلى القبة المذكورة . طولها من ظاهرها من القبلة إلى الشمال

عشرة أذرع، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك. وارتفاع كرسى القبة من ظاهر المسطبة ثمانية أذرع. تشتمل هذه القبة من باطنها على أرض معروشة بالرخام .
 بابها يفتح للشمال . عرضه ذراع ونصف ، وطوله ذراعان وثلاثان . وبجذبه شباكاً حديد في طول الباب وعرضه . وبكل جهة من جهاتها شباكاً حديد . يُغلق على كل شباك زوج أبواب . وهي محمولة على الأركان . وبين كل حائط وأخيه قوس عقدي .
 وبأعلى كرسى القبة كرسى ثانٍ ، فيه خمس طاقات زجاج . وبأعلى الكرسى الثاني القبة المعقودة . تقدير ارتفاعها من ظهر الكرسى الثاني ثمانية أذرع . وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية ، حتى ولا في خدّى المحراب .

صفة قبة سليمان عليه السلام

وهذه القبة بالجانب الشمالى من الحرم . وهى مسامنة للصهرىج والسلم الذى بُصِّدَ منه إلى الخلفاء الإسعديّة والمدرسه السيفيّة آل ملك .

ومن واجهة الصهرىج إلى باب القبة ثمانية وأربعون ذراعاً . وهو يفتح للشمال .
 طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع وثمن . بجذبه عمودا رخام ومسطبتان : يبنى وسرى . طول كل منهما خمسة أذرع وربع ، وعرضهما مثل ذلك .

وبجذّى الباب المذكور شباك كان مطلقاً على هاتين المسطبتين . طول كل شباك منهما ذراعان وثلاث ذراع ، وعرضه ذراع وثلاثان .

يُدخل من هذا الباب إلى قبة مثنّة . وثلاثة التثمينات مسدودة . بها أربعة وعشرون عموداً من الرخام طول كل عمود - خارجاً عن القواعد - ذراعان ونصف . فى كل تثمينه

من المسدودات أربعة أعمدة حاملة للرخامة التي في عقد القناطر . وبجذبي المحراب عمودان لطيفان طول كل منهما ذراع ونصف .



وفي نهاية العمدة - عند نهاية كرسى القبة - طاقات زجاج بدائرها . سعة القبة ستة أذرع ونصف ، وارتفاعها من قطب القبة للأرض عشرون ذراعا .

وعلى بئمة المصلى في المحراب صخرة صغيرة طولها ذراعان وربيع ، وعرضها من الجبهة ٥ القبلية ذراع ، ومن الشمالية ثلثا ذراع . يدعو الزوار عندها . ويقال إنها من الآثار السلمانية ، وإن الدعاء عندها مستجاب .

صخرة سليمان

وفي حائط هذه القبة القبلي ، من خارج ، عمودان من الرخام . وبهما تكمل ما بهذه القبة من الأعمدة ثلاثين عمودا .

١٠ . صفة المجلس الذي بناه سليمان عليه السلام

ويسمى الآن بمصطبل سليمان

قال صاحب تاج الدين : هذا المجلس بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذي أعلاه . وله من داخل الخانات الصلاحية (يعني المجاورة لمقصورة الخطابة) بها الآن شيخ يدعى الحنفي ، وبه تعرف الآن) سلمان : أحدهما ست وثلاثون درجة يُتَزَلُّ منها إلى ١٥ حصص أقسام المجلس المذكور ، والثاني أربع وخمسون درجة ، يُتَزَلُّ منها إلى بقية أقسام المجلس المذكور .

صحن سايب

قال : والمكان في عابة النور لما عمل له من المناور والطافات المحكمة . وهو رواقات عقودها محمولة على عمد من الصوان وأركان البناء . وعرض هذه المجالس من القبلة إلى الشمال : منها ماعرضه ثمانية أذرع ، ومنها ماعرضه تسعة أذرع ، ومنها ماعرضه

عشرة أذرع ؛ وأرتفاع عقودها من الأرض التي بها الابواب النافذة لرأس وادى عين سلوان منها ما تقدير أرتفاعه عشرون ذراعا، ومنها ما تقديره خمسة عشر ذراعا.

ويقال إن أحد هذه الأبواب كان منه دخول الأنبياء عليهم السلام.

وفي إحدى أسطواناته حَلَقَةٌ، يقال إن البراق ربط بها ليلة الإسراء.

مرط البراق

وهذه الأروقة كلها آخذة من الشرق للغرب . فمنها ما يمكن قياس طوله ، الذي



أمكن التطوق إليه . فكان تقديره ثلاثة وتسعين ذراعا . ومنها ما لم يمكن قياس طوله لكون أطواله قسمت حيطانا : منها ما هو في وقتنا هذا مملوء بالتراب المهول ؛ ومنها ما هو صفة حواصل ؛ ومنها ما هو مساكن ومرافق لسكان الخلفاء المذكورة .

قال : ونطاق النطق ضاف عن استيعاب وصف هذا المجلس . لكن الأماكن التي

أمكن التطوق إليها والمشى لها هو نافذ منها دلت على أن البقعة المسماة بالجامع (يعنى المسجد الأقصى) موضع الخطبة الآن ؛ وبقعة جامع النساء وغالب المشاوات التي بالحرم والأشجار المزدرة : كلها معلقة على هذه العقود والسواري .

قلت : ولقد دخلت إلى بعض هذه الأماكن ، ورأيت من عجائب الأبنية بها

رياسة المؤلف

ما يملأ العين . وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الخنثى ثم أفضيت منها

إلى الكروم وظاهر المسجد .

(١) بالأصل : دل .

(٢) يابس آخر الصحفة بالأصل مقداره تسعة سطور .



قبر الخليل عليه الصلاة والسلام

وما جاوره من قبور بنيهِ والأزواج

وكلها داخل ذلك المسور ، وفي حدود ذلك المكان المنور .

قبر الخليل ، رابع
وروجه سارة
وأسمه إسحاق

روى الحافظ أبو القاسم مكيّ بن عبد السلام بن الحسين الرُمَيْليّ المقدسيّ ، بسنده إلى كعب الأجبّار ، قال : أوّل مَنْ مات ودُفِنَ بِحَبْرَى سَارَةُ ، وذلك أن إبراهيم خرج لما مات ، يطلب موضعا ليقبرها فيه . فقدم على صفوان ، وكان على دينه . وكان مسكنه وناحيته حَبْرَى . فَأَشْتَرَى مِنْهُ الْمَوْضِعَ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا . وكان الدرهم ذاك العصر خمسة دراهم . فُدْفِنَتْ سَارَةُ فِيهِ . ثُمَّ تُوُفِيَ إِبْرَاهِيمُ فُدْفِنَ لَصِيْقَهَا . ثُمَّ تُوُفِيَتْ رَبْقَةُ زَوْجَةُ إِسْحَاقَ ، فُدْفِنَتْ فِيهِ . ثُمَّ تُوُفِيَ إِسْحَاقُ فُدْفِنَ لِزَيْقَهَا . ثُمَّ تُوُفِيَ يَعْقُوبُ فُدْفِنَ فِي الْمَوْضِعِ . ثُمَّ تُوُفِيَتْ زَوْجَتُهُ لَيْقًا فُدْفِنَتْ مَعَهُمْ .

فَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى زَمَنِ سُلَيْمَانَ . فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ ، أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى قَبْرِ خَلِيلِي حَيْرًا حَتَّى يَكُونَ لِمَنْ يَأْتِي بِعَدِكَ ، لَكِي يُعْرِفَ .

خَرَجَ سُلَيْمَانُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَتَّى قَدِمَ أَرْضَ كَنْعَانَ . فَطَافَ فَلَمْ يَصْبِهِ . فَجَرَعَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا سُلَيْمَانُ ، خَالِفَتْ أَمْرِي ! قَالَ : يَا رَبِّ ، قَدْ غَابَ عَنِّي الْمَوْضِعُ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : امْضُ ، فَإِنَّكَ تَرَى نُورًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، هُوَ مَوْضِعُ قَبْرِ خَلِيلِي . خَرَجَ سُلَيْمَانُ فَانْيَا ، فَنَظَرَ فَأَمَرَ الْجَنَّ قَبَنُوا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَقَالُ لَهُ الرَّامَةُ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ الْمَوْضِعُ ، وَلَكِنْ

(١) حَبْرَى كَسْرُ الْهَاءِ أَظْهَرَ الْقَامُوسُ . وَفَدُفِنَ أَوْدُ الْقَعْمَةِ فِي "مَعْبَدِ ياقوت" ج ٢ ص ١٩٥ ببعض تصحيح في الاسماء .

اذا رأيت النور قد ألتقى بأعنان السماء، فخرج سليمان فنظر إلى النور قد ألتقى بأعنان السماء إلى الأرض . فبنى عليه الحير .

قلتُ : ولم يكن لهذا الحير بابٌ . وإنما المسلمون لما أفتتحو البلد، فتحوا له بابا . وبناءه بناء محكم . وفي حائطه حجارة هائلة في كبر القدر ، منها ما طوله سبعة وثلاثون شبرا .



وقد أقيم هذا الموضع خطبةً، ورُتّب به إمام ومؤذنون .

وفي قبلته بابٌ يترل منه بدرج كثيرة إلى سرداب ضيق تحت الأرض، يأخذ متشاملا إلى بخوة فيها ثلاث نصاب قبور في حائطه، يقال إنها قبر الخليل وزوجته وإسحاق .

وهناك طاقة لا يعرف إلى أين تنتهي، لكن يقال إنها إلى مغارة تحت أرض الحرم، فيها الموتى . وتلك أمثال القبور من فوق .

زيارة المؤبد
للسرداب الذي فيه
قورا الأنبياء.

ولقد أتيتُ إلى هذا السرداب ومشيتُ به زحما، لضيقه . ولتطاطؤ سقفه، لا يقدر أحد على المشي منتصبا به . وهو خطوات يسيرة تنتهي إلى الفجوة المذكورة . وهي نحو أربعة أذرع في مثلها . وهيئة القبور في قبلة المسجد الآن قبران : الأيمن قبر إسحاق، والأيسر قبر زوجته . وفي شماله مما هو منفصل عن المسجد بعيتين متقابلتين قبران : الأيمن قبر إبراهيم الخليل ، والأيسر قبر سارة زوجته . وفي شمالي الحرم فة مفردة مسامنة لقبة الخليل . وفيها قبر يقال إنه قبر يعقوب . ولا شك ولا ريب أن إبراهيم (صلوات الله عليه) ومن ذكر معه مدفونون داخل هذا المسور . وأما تعيين موضع القبر، فالله أعلم .

قال علي بن أبي بكر الهروي : حدثني جماعة من مشايخ بلد الخليل أنه لما كان في زمان بردويل الملك، أنخسف موضع في هذه المغارة . فدخل جماعة من القريج إليها بآذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقد يَلَيْتُ أكفانهم، وهم مستندون إلى حائط، وعلى رؤوسهم قناديل . وهي مكشوفة . فجند الملك أكفانهم ثم سدّ الموضع . وذلك سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . حكى ذلك شهاب الدين بن الواسطي . قال : وقيل إن هو آدم وروح وسام في المغارة . قال : والمغارة تحت هذه المغارة التي تُزار الآن . والله أعلم .

اكتشاف قبور
الأنبياء في أيام
احتلال الصليبيين
بلد الخليل

قد آنسوه - م

ووراء الحرم موضع فيه قبر يسب إلى يوسف، عليه السلام . يقولون إنه لما بُني المكان، أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم . فسمع بانيه وهو سليمان (عليه السلام) فائثا يقول : دعوه خارج الحرم، فعليه خراج مصر !

قد يوسف وسب
وحوده - ح
الحرم

١٣٧

و يقال إن موسى (عليه السلام) لما خرج من مصر، استصحب معه تابوت يوسف، ودفنه هناك قربا من آبائه، ولم يدفنه عندهم، لما ناله من الملك . هكذا يقال، والعهددة على قائله . والله أعلم .

قلت : وهذا الحرم مؤزر جدره بالرحام الملوّن والمُدَّهَب . وعله أوقاف جليله . وُبذّ فيه كلّ يوم بعد العصر سِتَاطٌ وهزى فيه من الخبز على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم .

حرفة الخبز
الخالص وصيادته

ولقد رتب الخليل (صلوات الله عليه وسلامه) في ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسعمائة . فأخبرني جماعة المباشرين أن في بعض ليالي العشر من هذا الشهر في هذه السنة فرقوا رواده على ثلاثة عشر ألف رغف، وأن غالب أيام العام ما بين السبعة

يذه الخروب
بقبر إبراهيم الخليل
سنة ٧٤٥

١٠

١٥

آلاف والعشرة آلاف. ويُفَرَّقُ أيضاً مع الخبز طعام العَدَسِ بالزيت الطيب والسُّمَّاق .
وفي بكرة النهار يُطَبِّخُ أيضاً قدر من الدَّشِيشِ، ويُفَرَّقُ على الواردين . وفي بعض ايام
الأسبوع، يُطَبِّخُ ماهو الغر من ذلك .

وله خُدَّام برسم غربلة القمح وطحنه وعجينه وخبزه . لا يَبْطَلُونَ ليلاً ولا نهاراً .
وأهراء القمح والطاحون والفرن، نافذٌ بعض ذلك إلى بعض . بحيث إن القمح
يُنَزَّعُ في الأهراء ويُخْرَجُ خبزاً محبوزاً . ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام
والليالي والأيام، لا ينقطع له مدد، ولا يُحَصَرُ بضبط ولا عدد .

ولما آستولوا الفرنج على بلد الخليل (عليه السلام) أجزوا هذا السَّماط وزادوا على
من كان قبلهم، وبالفوا في صلة هذا المعروف .

ثم زاد ملوك الإسلام في السَّماط . وهو معروفٌ يشمل المأمور والأمر، والغنى
والفقير .

وقلتُ من قصيد مدحتُه، عليه الصلاة والسلام :

هذا حليل الله إبراهيم قد * لاحتنا أعلامه الشَّمُّ الذُّرَى !

هذا الذي سنَّ القِرَى لضيوفه * كرماً، ولولاه لما سنَّ القِرَى !

هذا الذي مَدَّ السَّماط فما أنطوى * ذاك السَّماط تكراً، وسَلَّ الورى !

وقلتُ من أخرى :

هو ذا صاحب السَّماط ولكن * صاحب الحوض نخله ودووه !

ذو فناء يُقَرَى به كلُّ ضيف * لم يُخَيَّبْ تحت الدُّجَى طارقوه !

منعمٌ سَيِّدٌ حوادٍ كريمٌ * منذ مدوا سماطه ما طووه .

فتح الصياغة
وأهراؤه

استمرار السَّماط
في أيام الفرنج
وزيادتهم

زيادة ملوك
الإسلام فيه

قصائد للؤلؤف
في مدح الخليل



وقلتُ من أنكرى، حين زرتَه في ذى الحجة سنة خمس وأربعين [وسبعائة]:

خَلِيلُ إِلَهِ الْعَرْشِ أَوَّلُ مَنْ قَرَى * ضَيُّوفا! وها قد جئتُه وأسْتَضَفْتُهُ.

أَتَيْتُ كَرِيماً لَا تَزَالُ رِحَابُهُ * مُطَبَّقَةً بِالْوَفْدِ حَيْثُ نَظَرْتُهُ.

دَعَتْ نَارُهُ الضَّيْعَانَ فِي عَسَقِ الدُّجَى * وَلَيْسَ سِوَاهَا بَارِقاً ثُمَّ شَمِتَتْهُ.

فَتَى الْحَوْدِ شَيْخُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعِهِمْ * وَالِدُهُمْ حَقّاً، يَقِيئاً عَلِمَتْهُ.

وقلتُ، عند الْوَدَاعِ في هذه السنة:

هَذَا الْخَلِيلُ وَهَذِهِ أَسَاؤُهُ! * يَكْفِيكَ بَعْدَ فِرَاقِهِ أَنْبَاؤُهُ!

هِيَهَاتَ لَا تُؤَيِّ أَقْلٌ حَقُوقِهِ * وَلَوْ أَنَّ جَفَنَكَ لَا يَحْجُفُ بَكَوَأُهُ!

فَامْسِكْ فَوَادِكَ إِنْ مَلَكَتْ عَنَانُهُ! ؛ هِيَهَاتَ قَدْ طَارَتْ بِهِ أَهْوَاؤُهُ!

وَتَعَزَّ عَنْ أَهْلِ الْكَثِيبِ وَإِنَّمَا * مِنْ أَيْنَ لِلصَّبِّ الْكَثِيبُ عَزَاؤُهُ!

قلتُ : وَكَانَ قَدُومُنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ عَلَى الْخَلِيلِ (عَلَيْهِ السَّلَام) يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ

عَشْرَةٍ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَتُهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . فَبِتْنَا لَيْلَتَنَا نَتَبَرَّكُ

نَحْنُ حَوْلَ تِلْكَ الْقُورِ مِنَ الْعِظَامِ الْعِظَامِ ، وَنَعْفُرُ الْوُجُوهَ فِي تِلْكَ النِّقْعَةِ الْمُشْرِفَةِ

فِي مَوَاصِعِ أَقْدَامِ أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ . ثُمَّ أَصْحَبْنَا وَقَدْ حَمَدْنَا السَّرِيَّ عِنْدَ الصَّبَّاحِ ،

وَطَلَبْنَا حَوَائِجَنَا عِنْدَ تِلْكَ الْوُجُوهِ الصَّبَّاحِ . فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنَ الزِّيَارَةِ الْأَرْبَ ، وَهَزَّتْنَا

مِنَ النَّوْبَةِ الْخَلِيلِيَّةِ الطَّرَبَ ، بَعَثْتُ وَرَاءَ الصَّاحِبِ نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ

الْخَلِيلِيِّ التَّمِيمِيِّ الدَّارِيَّ . وَهُوَ بَقِيَّةُ هَذَا الْبَيْتِ الْخَلِيلِيِّ ، وَالْمُنْتَهَى إِلَيْهِ النَّظَرُ عَلَى وَقْفِ

الْحَبِيبِ سِدْنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَبَلَدِ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِيِّ . وَاقْتَسَمْنَا مِنْهُ

تفصيل المؤلف
لر يارته



استحضر المؤلف
سعة الإطلاع
النوى تيم الدار
ووصفه لها

(١) إحضار الكتاب الشريف النبوي المكتتب لهم بهذه النطية . والمُشرف لهم به على سائر البرية . فأنعم بإجابة الملتبس ، وجاء به أقرب من رَجْع النَّفْس . وهو في خرقه سوداء من ملّحم قطن وحرير ، من كُم الحسن أبي محمد المستضيء بالله أمير المؤمنين ، وبطاتها من كُتَّان أبيض على تقدير كل إصبع منه ميلان أسودان ، مشقوقان بميل أبيض ، جعل ضمن أيكاس يضمها صندوق من آبنوس يُلَفُّ في خرقه من حرير . والكتاب الشريف في خرقه من خُفٍّ من آدم ، أظنها من ظهر القدم . وقد موه سواد الجلد على الخط ، لا أنه أذهبه ، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه . وهو مالحط الكوفي المليح القوي . فقبلنا تلك الآثار ، وتمتعنا منه بمد الأنوار . ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهدة لهم بمضمونه ، ومزيلة لشك الشاك المريب وطنونه . ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره :

١٠

”نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه“

”تيم الداري وإخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه“

”من غزوة تبوك في قطعة آدم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه“

”نسخته كهيئته“

(١) أي العلية ، لغة العن . وذلك إشارة إلى إطلاع تيم الداري ”صاحبي“ وسياى حكاية هذا الإطلاع

”بسم الله الرحمن الرحيم“

”هذا ما انطىٰ محمد رسول الله لتميم“

”الدارى وإخوته حبرون والمرطوم“

”وبيت عینون وبیت ابراهيم وما فيهن“

”نَظِيَّةَ بَيْتِ بَذْمَتِهِمْ وَنَقَذْتُ وَسَلَبْتُ ذَلِكَ لَهُمْ“

”ولا عقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم“

”لَعَنَهُ اللَّهُ شَهِدَ عَتِيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَعُمَرُ بْنُ“

”الخطاب وعثمان بن عفان وكتب على بن“

”بو طالب وشهد“

١٠

هذه نسخة الكتاب الشريف .

و” أبو قحافة “ ألف وباء وواو - ثم ” قحافة “ - و” بو طالب “ باء وواو - ثم

” طالب “ . وليس في ” بو “ ألف . بين ذلك يُعرف . و” كتب “ في ذكر عليّ

رضي الله عنه مقدّمةً ، و” شهد “ مؤخّرةً . بين ذلك أيضا يُعرف .

وقد رأيتُ ذلك كله بعينى ، ومن خط المستضىء نقلت . وهو خطه المعروف

١٥

المألوف . وقد رأيته وأعرفه معرفة لا أشكُ فيها ولا أرتابُ . وقرأته من الكتاب

نقل هذه النسخة
من خط الخليفة
المستضىء .

النوى نفسه . وهو موافق لما كتبه المستصفي ، نقله عنه . على أن آثاره كادت تنقضي ، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتفتن^(١) .

وكان التبرك رؤية ذلك على ظهر القبو الصغير الشمالي ، في الحرم الخليلي الملاصق لغبر زوج يعقوب (عليه السلام) المفصلي منه إلى المأذنة بحضرة مخزن العدس .

(١) وقد رأى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قل أب فصل الله . في ذلك ما رواه صلاح الدين الصمدى (في و دقي ٢٧ و ٢٨ من الجزء ٨ من تذكروته ، وهذا الجزء مخطوط ومحموط بدار الكتب الخديوية) . وهذا نص ما فيه .

قال الفقيه القاضي أبو بكر العربي الماعري رحمه الله تعالى في كتاب القس له : " وقد كان عند أولاد نعيم الدارى رضى الله عنه محزون بدمشق . قرية إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، كتاب النى صلى الله عليه وسلم في قطعة من أديم : (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تمبا الدارى . أقطعه فريق حبرون وعيون فريق إبراهيم الخليل . يسير فيهما بسيرة . وكتب على س أنى طالب . ونسب فلاں وفلاں) فبقينا في يده يسير بسيرة . وشاهد الناس كتابه إلى أن دخلت الروم سنة ستين | لعلها ست | وتسعين . ولقد أعرضه فيهما بعض الولاة فان يريلهما من يده إبان كوني بالشام . فحضر غسله القاضي حامد الهروى . وكان حميا في الطاهر ، ومعتريا في الباطن ، ملجدا شيعيا . وكان الوالى سكان س أرتك | أرتك | . فاستظهر أولاد نعيم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال القاضي حامد : هذا الكتاب لا يلزم ، لأن النى صلى الله عليه وسلم أقطع ما لا يملك . فاستقى الفقهاء . فقال الطوسى : وكان بها حينئذ : هذا كافر ، والنى صلى الله عليه وسلم كان يقطع الحة ويقول : قصر عمر ، قصر فلاں . فكيف لا يتقطع في الدنيا " وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رويت لى الأرض ... الحديث . فوعده صدق و كتابه حق . فخرى القاضي والوالى ، وبقى أولاد نعيم بكتابهم . "

وما يدل على وجود هذا إلى ما بعد أن فصل الله ثلاثة أرباع القرن أو القلقتندى صاحب "صح الأعشى" كتب فصلا طويلا على هذا الإقطاع وعلى الكتاب السوى الكريم . وذكر في آخره ما نصه : " وهذه الرقعة التى كتب بها النى صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدى التمييز حدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن . وكلما نازعهم أحد ، أنوا بها إلى السلطان بالدار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم . وقد أحضروا رؤيتهم غير واحد . والأديم التى هى فيه قد حلق لطول الأمد . " | أطر مسح الأعشى ح ٧ ص ٣٩ من النسخة المحفوظة بخزانة | وذلك يدل على أن الكتاب السوى كان موجودا إلى سنة ٨٢١ هجرية .

وقد كنتُ رأيتُ ذلك مرة متقدمة بالحصن سكني بنى الخليلي، بظاهر البلد ،
لما أتيتُ زائراً بعد العود من الحج على الدرب المصري في المحرم سنة تسع وثلاثين
وسبعائة. ولكنني إذ ذاك لم أنقله.

روية المؤلف لهذا
الكتاب الشريف
سنة ٧٣٩

قبر يونس بن متى عليه السلام

(١٢١)

- ٥ قرية حَلْجُولَ على يسار الذهاب من بلد القدس إلى بلد الخليل عليه السلام .
ويعرج الزائر إليه . وعليه بناء وقبة . وله خادم .
زُرْتُهُ مرَّاتٍ . وآخر عهدي به في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعائة .
وكتبتُ على جدار القبة بيتين حطرا لي في ذلك الوقت، وهما: (١)

قبر يونس بن متى
وربارة المؤلف له
مراسل آخره
سنة ٧٥٥

قبر موسى بن عمران عليه السلام

- ١٠ بالقرب من أريحا. ويعرف القرية بِسِيحان .
رأيتُ بخط علاء الدين ابن الكلّاس ما صورته : "قال الشيخ إبراهيم ابن الشيخ
عبد الله بن يونس الأرموي عن والده قال : زرتُ قبر موسى (عليه السلام) الذي
بالقرب من أريحا . قال الشيخ إبراهيم : وكان إذ ذاك لم تُبنَ عليه قبة ولا مشهد .
قال : فقلت في نفسي : اللهم أرني ما أزداد به يقينا في صحة هذا القبر. قال : فبينما أنا قائم
رأيتُ كأن القبر آنسَقَ وخرج منه إنسانٌ طَوَّال . قال : لجنّتُ إليه وسلمتُ عليه ، وقلتُ
له : من أنت ؟ قال : موسى بن عمران ، وهذا قبري . وأشار إليه . ثم قعدنا . وإذا بالقرب

رواية في تحقيق
موضعه زمانه
عجب

منا رجل يطبخ في قدره فلما استوى طعامه، أحضره إلينا وإذا هو شوربة أرز .
فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق ، وأنا ثلاث ملاعق ، والرجل ثلاثا .
ثم تداولناها بيننا إلى أن فرغت . قال الشيخ عبد الله : وكنتُ على عزم العود إلى
بلاد العجم إلى عند شيعي . فقال لي موسى عليه السلام : أنت لا تسافر إلى شيعك .
وكيف تسافر ؟ وأنت تريد تزوج بأمراه من نسل الرسول ورُزق منها أربعة أولاد .
وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة ، وضم الإبهام إلى باطن كفه ، يحكيه .
قال الشيخ إبراهيم : فكان كما ذكر موسى عليه السلام ، فلم يسافر والدي ، وتزوج بأمراه
شريفة ، وهي أمي . ورُزق أربعة أولاد ، أنا أحدهم . ولما حضرته الوفاة ، قلت له :
باسيدي أنت راضٍ عني ؟ فقال : كيف لا أرضني عنك ، وقد بشرني بك موسى
عليه السلام .^(١)

(١) يياص آثار الصعقة بالاصل مقداره ثلاثة عشر سطرا .

مسجد دمشق

١٢٣

المسجد الاموي
وقواته

مسجدٌ عظيم، ومعبود قديم . لا يُعرف على الحقيقة بانيه ولا زمن بانيه . فتح
المسلمون الشام، وهو كنيسة لأهل دمشق يُتعبَّد فيها، زمن الروم . وقد كان قبلهم
معبدًا لأُمم مختلفة . وتزعم الكلداسه أنه من بنائهم وأهم بنوهم فيما بنوا من الهياكل
السبعة التي أخذوها للكواكب السبعة، جعلوه بيتًا للمشتري . قالوا ولهذا استمر التعمُّد
فيه إذ كان المشتري طالع الديارات والتأله . هذا ما زعموه .

وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دُحيم : حطَّاه مسجِدُ دمشق الأربعة من بقاء هود
(١) وما كان من حدِّ السيفساء إلى فوق، فهو من بناء الوليد .

حيث أنه

وقال الوليد بن مسلم : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق، وجدوا
في حائط المسجد القليل لواح من حجر، فيه كتابٌ نقش . فاتوا به الوليد . فبعث إلى
الروم فلم يستخرجوه . فدلَّ على وهب بن ميه . فأقدمه عليه ، فأخبره بموضع ذلك
اللوحي . ويقال ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام . فلما نظر إليه وهب ، حرك
رأسه . ثم قرأه ، فإذا هو .

لوحي . يكتب فيه
سورة الفاتحة
في أيام الولاة
ورغم وهب بن ميه
فإنه

”بسم الله الرحمن الرحيم . ابن آدم ! لو طرقت يسير ما بقي من أجلك، لرهطت
في طول ما زرجو من أملاك ! وإنما تلبى ندمك ، لو قد زلت بك فدمك ، وأسألتك
أهلك وحشمتك ، وآصرفت عك الحبيب ، وودعتك القريب ، ثم صرت تدعى فلا
تحيب ! فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد . فأعمل لنفسك قبل يوم الصامه ،
وقبل الحسرة والدمامه ، وقبل أن يحلَّ بك أجلك ، وتترع منك روحك ! فلا ينفعك

سورة مائى اللوح

مَالُ جَمْعَتِهِ، وَلَا وَلَدٌ وَلَدَتْهُ، وَلَا أُخٌ تَرَكَتَهُ! ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى بَرْزَخِ الْمَثْوَى، وَبِجَاوِرَةِ الْمَوْتِ، فَانْتَعِمِ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَالْقُوَّةَ قَبْلَ الضَّعْفِ، وَالصَّحَّةَ قَبْلَ السَّقَمِ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِالْكَفِّ، وَبِإِحَالٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعَمَلِ، وَكُتِبَ فِي زَمَانِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

دحول العرب
دمشق وآنحس



وَلَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ دِمَشْقَ (عَلَى مَا بَأَى ذِكْرَهُ، إِنْ تَسَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) دَخَلَ أَمِيرُ الْجَيْشِ أَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجَوَّاحِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِالْأَمَانِ مِنْ غَرْبِ الْبَلَدِ، وَدَخَلَ خَالِدُ ابْنِ الْوَلِيدِ بِالسَّيْفِ مِنْ شَرْقِهِ.

الكنيسة صهيها
للصاري وصهيها
للسلمين، إلى أيام
الوليد

فَكَانَتْ دِمَشْقُ بَصِيرِينَ. وَالْكَنِيسَةُ كَذَلِكَ. فَاتَّخَذُوا مِنْهَا الصَّفَ الشَّرْقِيَّ الْمَفْتُوحَ عَنُودًا، مَسْجِدًا يَصَلُّونَ فِيهِ. وَنَصَلَّى النَّصَارَى فِي الصَّفِّ الْآخَرِ. فَتَأَذَّى الْمُسْلِمُونَ لِمَحَاوِرَةِ النَّصَارَى لَهُمْ فِي مَكَانٍ تَعُدُّهُمْ، وَكَرِهُوا فِرْعَ الْنَوَاقِيسِ بِإِزَائِهِمْ. وَأَشْتَدَّ ذَلِكَ

حيلة لطيفة للوليد
مع إمبراطور الروم

عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ مُغَرَّبِي فِي سُلْطَانِهِ بِعَارِضَةِ الْمَسَاجِدِ وَبَاءِ الْمَعَابِدِ. فَأَعْطَى رَجُلًا دَيْتَهُ حَتَّى أَتَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ. وَدَخَلَ فِي زِيِّ النَّصَارَى كَنِيسَتَهَا الْعَظْمَى يَوْمَ الْأَحَدِ، وَالْمَلِكُ فِيهَا فَنَنَ دُونَهُ. فَلَبِثَ حَتَّى رَأَى أَنْ جَمْعَهُمْ قَدْ آسَتْكَل. ثُمَّ فَامَ فَأَذَّنَ، فَأُخِذَ وَأُحْضِرَ لَدَى الْمَلِكِ، وَقَدْ جَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ الْبَطْرِيَّكُ، وَأَسْتَدَارَ بِهِمَا الْقُسُوسُ وَالشَّهَامِسَةُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ أَنْتَ، وَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَعَتَ؟ فَقَالَ: أَمَا

المصلحة
على احتصاص
المسلمين به في طي
استنثار الصاري
كنيسة مريم كلها

أَنَا، فَرَجُلٌ مِنَ الْمَسَاهِينِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقِ؛ وَأَمَا مَا حَمَلَنِي عَلَى مَا صَنَعْتَ، فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ، أَيُّهَا الْمَلِكُ: هَلْ سَاءَ مَا فَعَلْتُهُ وَكَرِهْتَهُ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: بَع. فَقَالَ: وَنَحْنُ فِي مَعْبَدٍ فِي شَطْرِهِ النَّصَارَى، نَسْمَعُ نَوَاقِيسَهُمْ، وَنُسَاءَ بِجَاوِرَتِهِمْ. فَأَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْرِفَكَ أَنْتَا نُسَاءَ بِذَلِكَ، كَمَا سَاءَ كَمَا فَعَلْتُ. نَفَخْنَا عَنْهُ، وَكَانُوا قَدْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: صَالِحُونَا عَلَى عَوَضٍ. فَصَوَّلُوا عَنْهُ بِنَصْفِ كَنِيسَةِ مَرْيَمَ، وَكَانَتْ شَطْرَيْنِ.

ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بنائه وتحصين فئائه . أبقى منه ما أبقى ،
وجدد ما جدد .

شروع الوليد
في تحميمه

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المَقْرِي : حدثني أبي عن أبيه المغيرة ، أنه
دخل يوما على الوليد بن عبد الملك فرآه مغموما ، فقال : يا أمير المؤمنين ماسدك !

رواية أخرى
في أفراد المسند

فقال : يا مغيرة إن المسلمين قد كثروا ، وقد ضاق بهم المسجد . وقد بعثت إلى هؤلاء

لندخل كنيسهم في المسجد ، فأبوا . وقد أقطعهم قطعاً كثيرةً وبذلت لهم مالا ،

فامتنعوا . قال : لا نغتم يا أمير المؤمنين ! قد دخل خالد من الباب الشرقي بالسيف ،

ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان . فماسبهم أي موضع بلغ السيف ، فإن

مكن لنا فيه حق أخذناه . قال : فرجعت عني ! فتول أن هذا فتولاه . فبلغت المسحنة

١٠

إلى سوق الرمان حتى حاذي من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسرا بالقاسمي .

وإذا باقى الكنيسة قد دخل في المسجد . فبعث إليهم . فقال : هذا حق قد جعله

حد النصارى
ربع كنائس في حد
مهم

الله لنا ! لم يَصَلْ المسلمون في عَصَب ولا ظلم ، بل نأخذ حفا . قالوا : قد أقطعنا أربع

كنائس ، وبذلت لنا من المال كذا وكذا . فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن نتفصل بذلك

علينا ، فافعل ! فتمتع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه . فأعطاهم كنيسة محمد بن دزء .

وكنيسة أخرى عند سوق الحبس ، وكنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة .

ثم جمع الوليد المسلمين لهدم الكنيسة . فقال بعض الأقباء للوليد ، والقباس على

محاوة القدوسة
لمع هدم كنيسة
توسعة ، ومباشرة
لوليد الهدم نفسه

كتمه ، وعليه قباء سمرجلى ، وقد شد قباءه : إني أخاف عليك من الشاهد . قال .

ويلك ! إني ما أضع فأسي إلا في رأس الشاهد ! ثم إنه صعد . فأقول من وضع فأسه

في هدمها الوليد بن عبد الملك . وكبر الناس .

وقال يعقوب القسوى: سألت هشام بن عمار عن هدم الكنيسة . فقال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة . فأما أهدم كنيسة توما ، وكانت أكبرهما . قال : فرضوا أن هدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد . وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذي يُصلّى فيه . قال : وهدم الكنيسة في أول خلافته . وكانوا في بنيانه تسع سنين . ولم يتم بناؤه .

وقال يزيد بن أبي مالك : أرسل إلى الوليد حين أراد أن ينقص الكنيسة فأناه النصارى فقالوا : كنيسة تالانهمها ! قال : فإني أتركها وأهدم كنيسة توما ، لأنها لم تكن في العهد . فلما رأوا ذلك ، قالوا : إنا نتركها لكم ، وتدع لنا كنيسة توما . فصعد الوليد وصعدنا معه . فكان أول من صرب بفأس في هدمها .

قال : وأراد أن يبنى المسجد أسطوانات إلى الطاقات . فدخل بعض البنائين فقال : لا يبنى أن يبنى هكذا . ولكن يبنى أن يبنى فيه قناطر وتُعدّ أركانها ، ثم تجعل أساطين وتجعل عمدا . وتُعدّ فوق العمد قناطر تحمل السقف وتخفف عن العمدة البناء . ويجعل بين كل عمودين ركنا . قال : فبني كذلك .

وفال إبراهيم بن هشام الغساني : حدثني أبي عن يحيى بن يحيى ، قال : لما هم بهدم كنيسة مَرْيَمَ ليزيدها في المسجد ، يعني الوليد . صعد المنارة ذات الأضلاع المعروفة بالساعات ، وفيها راهب يأوي في صومعة . فأحدره من الصومعة . فأكثر الراهب كلامه . فلم تزل يد الوليد تدق في قفاه حتى أحدره من المنارة . ثم هم بهدم الكنيسة . فقال له جماعة من نجاري النصارى : ما نجسر على هدمها . فقال : أتخافون ؟ هات

(١) العرب تقول للرجل نجار ، وإن كان لا يعمل بالثقوب والمنشار ونحوه ، ولا يصرب بالمضلع ونحو ذلك .

التعويض على
الصارى كنيسته
أخرى

المعول، بإعلام ! ثم أتى بسلّم فنصه على محراب المذبح، وصعد فضرب بيده حتى
أثرفه أثرا كبيرا، ثم صعد المسلمون فهدموه، وأعطاهم الوليد مكان الكنيسة الكنيسته
التي بحمام القاسم، حذاء دار أم البنين في الفرائيس، قال يحيى بن يحيى: أنا رأيت الوليد
فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق.

مساومة الوليد
مع الصاري
وتعويضهم به
إدخالها هدمها
وه إشارة اهدم
شبه التذكير

وروى الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره، قال: لما كان الوليد وأراد بناء
المسجد، فقال: إنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيسةكم هذه، ونعطيك عوضها حيث
شئتم. وإن شئتم أعطيتكم ثمنها، وأضعف لكم الثمن. فأبوا ذلك، وقالوا: لنا دقة
وعهد، والله إنا أبجد ما يهدمها أحد، إلا جُنَّ! قال: فإنا أول من يهدمها، فقام وعلمه
قباء أصفر فضرب، وهدم الناس معه.

قال أحمد بن المَعْلَى: فأخبرني شيبه بن الوليد، قال حدثني أبي، قال: كنت أمرت
بعبد الرحمن بن عامر اليحصبي (وهو شيخ كبير أزرق) وهو جالس بالروضة، فيقول لي:
ألا تأتي حتى أكتب لك آرتجاز جدك وهو يصرب بالفأس في الكنيسة بعد الوليد؟
قلت: نعم، ولكن حدثني الحديث. فقال: لما عزم الوليد على هدم الكنيسة، قالوا
إبه لا يهدمها أحد إلا جُنَّ. فقام جدك يزيد بن تميم فجمع له وجوه أهل البلد،
وأمره الوليد أن يخذ فأسا صغيرة. ففعل. ثم خرج الوليد وتبعه وجوه أهل البلد
حتى علا الكنيسة. ثم ألقت إلى يزيد بن تميم، فقال: أبين الفأس، فأنابه به. فقال

(١) هو الذي سماه "الشاهد" في الرواية المتقدمة في صفحة ١٨٠

(٢) في الأصل: قالوا.

(٣) في الأصل: فقالوا.

(١٦٦)

إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أول من يهدمها يُحْيى، وأنا أول من يُحْيى في الله. وأخذ بقبه قبائه فوصعها في منطقتيه. ثم أخذ الفأس فضرب به صربات. ثم ناوله جثتك فصرب به بعده، وتناول الفأس كل من حصر.

وصاح النصراني على الدرج وولولوا. فالتفت إلى يزيد بن نعيم، وهو على خراجيه، فقال: أبعث إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها. ففعل. فجاء اليهود فهدموها.

قال ابن الملقى: وأخبرني همام بن محمد بن عبد الباقي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني مروان بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان، قال: لما أراد الوليد ساء مسجد دمشق، أحتاج إلى الصنائع. فكتب إلى الطاغية أن وجه إلى بجائي صانع من صنائع الروم، فإني أريد أن أبني مسجدا. وإن لم تفعل، غزوك بالحيوش، وحربت الكنائس، وفعلت. فكتب إليه: "لئن كان أبوك فهمها فأغفل عنها، إنها اوصمة عليه؛ وإن كنت فهمتها وغيبت عن أبيك، إنها لوصمة عليك. وأما موحه إليك ما سألت". فأراد أن يعمل لها جوابا، فجلس عقلاء الرجال يذكرون. فقال الفرزدق: أما أحبيه، قال الله تعالى: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ وَكُلَّ آتِنَا حُكْمًا وَعَلَّمَا". ففسرني عنهم.

وعن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه، قال: كنت ملك الروم إلى الوليد: "إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها. فإن كان حقاً فقد خالفت أباك. وإن كان باطلاً فقد أخطأ أبوك". فلم يجبه أحد. فوثب الفرزدق، فقال: أنا أبو فراس! "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ"! قال فكتب به الوليد إلى ملك الروم.

(١) سبي الرازي أو ابن فضل الله إيراد الزجر الذي أشار إليه في صدر الكلام في الصفحة السابعة.

(٢) هكذا بالاصل. والرواية التالية أكثر وصوحاً وطهوراً.

بكتابة ملك الروم
سؤال الهدم

١٥

٢٠

وقال أحد بن إبراهيم بن هشام بن مَلاس: حدثني أبي عن أبيه عن جده، قال: بنى الوليد قبة مسجد دمشق، فلما استقلت وتمت، وقعت، فسُق ذلك عليه. فاتاه بناء، فقال: أنا أتوئي بناءها، على أن لا يدخل أحد معي في بنائها. ففعل، فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء. ثم بناها. فلما استقلت على وجه الأرض، غطاها بالحُصْر. وهرب. فأقام الوليد يطلبه ولا يفدر. فلما كان بعد سنة، قَدِم، فقال له: ما دعاك إلى الهرب؟ قال: تخرج حتى أريك. فأتوا، فكشف عن الحُصْر. فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الأرض. فقال: من هذا كنت تُؤثني! ثم بناها حتى قامت. وقال عمر بن الدَّرَقَس الفسائي: رأيت قبة مسجد دمشق. وقد حُصِر لأركانها حتى بلغوا الماء، وآلَى على الماء جُرْأ الكروم. وبى الأساس عليه.

سقوط القبة
بعد سائها

حيلة هندسة
في تشييدها

١٣٨

وقال إبراهيم بن أبي حُوشب: كان جندى أحد قوَّة المسجد في بساتنه. فحدث أن الوليد بعث إليه عند وراعه من القبة، ولم يبق إلا عقد رأسها. فقال: إني عزمْتُ على أن أعقدها بالذهب. قال: يا أمير المؤمنين! اختلطت؟ هذا شيء يُقدَّر؟ فقال: ما جِئْتُ، تقول لي هذا؟ وأمر به، فصرَّب خمسين سوطاً. ثم قال: أذهب، فافعل ما أمرتُ به. قال: فذكر لي أنه عمل لينةً من ذهب. فحملها إليه. فلما رآها وعرف ما فيها، قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا. ورضي عنه وأمر له بخمسين ديناراً.

مخوفة جندى عند
رأس القبة
بالذهب، وتقرع
خداً أصغاه

وقال أبو بكر أحمد بن البرامي، حدثنا أبي: سمعت بعض شيوخنا قال: لما فرغ الوليد من بناء المسجد، قيل له: أنتبت الناس في طينه كل سنة. فأمر أن يُسَقَّف بالرصاص من كل بلد. فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصاً، فكتب إليه بعض عماله: وجدنا عند امرأة منه شيئاً، فأبْت أن تبعه إلا وزنا بوزن. فكتب إليه خذه بما

نقشبة سطا، حه
رأى راص

شراوة رصاصاً من
أمرأة يهودية فوره
دها، ثم ترعها
نقش السحار، رات
من عدل الخليفة

أرادت . فأخذ منها وزنا ووزن . فلما وقأها ، قالت : هو مني هدية للمسجد . وقالت :
أنا ظننت أن صاحبكم يظلم الناس . وقيل كانت يهودية .

سليمان بن
عبد الملك يتولى
أمر الصاع بعينه

وقال الوليد بن مسلم : لما أراد الوليد بناء المسجد ، كان سليمان بن عبد الملك
على الصنّاع .

وروى محمد بن عائذ عن مشيخة قالوا : ماتم مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة . لقد
كان يفضل عند الرجل منهم الفلس ورأس المسار ، فيجىء حتى يضعه في الخزانة .

ما كان في من
الرحاء والمزمر

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام : سمعت أبي يقول : ما في مسجد دمشق من
الرخام شيء ، إلا رحامنا المقام الغربي . فإنه يقال لإنهما من عرش سبيل . وأما الباقي
فكله مرمر . المقام هو مقصورة الخطابة والرخامتان هما السماق البراق ، لا يُدري
ما قيمتهما .



قلت : قوله في ذلك مردود .

ماتة المؤلف
عن الرحام والمرمر
والحجارة . وتفصيل
أنواع الرحام
الملون

فقد أجمعت الحكماء على أن الرحام هو الأبيض . فأما الملون فكله حجارة .
وبمسجد دمشق من الرحام الأبيض وقرميين من الإبل . وإن كان الساني رحاما
برعمه ، فمعه من الملون كالغزالي والمنقط والمشحم والأخضر والسماق غير اللوحين شيء
كثير . والناس تطلق على كل ذلك اسم الرحام .

رحم به
ومن بعده

وقد استجند شيء كثير منه في الحائط الشامي ، جندده الطاهر بيرس . واستجند
بعد ذلك كثير .

(١) في الأصل بالعدل المهمة وقال في " خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال " لصفي الدين
الحررجي : هو بالعدل المهمة الدمشقي .

وفيه المقام الغربي - إشارة إلى محراب مفصولة الخطابة - فإن المسجد لم يكن في حائطه القبلي - في ذلك الوقت إلا هذا المحراب، والمحراب الشرقي المعروف بمحراب الصحابة .

قال دُحَيْمٌ: وحدهما الوليد، حدشوا مروان بن جراح عن أبيه، قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم.

عدد المرحبين
١٢,٠٠٠

(١١) وقال أبو ثقيف هشام بن عبد الملك: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: لما أخذ الوليد في بناء المسجد وطهر من تزوفه وبناؤه وعظم مؤنته، تكلم الناس وقالوا: محقّ بهوت الأموال في نفس الخشب وتزويق الحيطان. فصعد المنبر، حمّد الله وأثنى عليه، ثم قال: "قد لعنني مقاتلكم، وليس الأمر على ما ظننتم. ألا وإنّي أمرتُ بإحصاء ما في بيوت أموالكم فأصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة".

ترويته وسقته
الماهة وأحضاح
الامة على الوليد
ورده المنع

(١) في الأصل بالموحده وهو تصحيف من النسخ . وصوابه بالمشاة فوقية والقاف كما صطه في "حلاصة تذهيب تدرج الكمال في أسماء الرجال" لصفي الدين الحررسي .

(٢) أقام اليونانيون في حياتهم (٤٣٨ ق.م) هيكلًا فخامًا سموه بالبارثون | Le Parthénon على رأس الصخرة المقدسة عندهم | l'Acropole | في مدينة أثينا . وأسترقوا في بناءه شرسين إلى أثينا عتده . ولا تزال أطلاله ماثلة للآلآن . موصفا للحب العجائب . وقد بلغت القفزة عليه ٢٥٠٠٠ "ت" أي بدرجة أوحشية . والثالث ٦٠٥٠٠ فوك ، قريبا من ٥٠٠٠ ديسار ، فيكون مجموع المصروف عليه ٦٥٠٠٠٠٠ من الدراينر | نحو بل القدي إلى ما يعادله في أيام الدولة الأموية | . وقد قدم حاكم من المخلصين للحكومة قائلاً : أهل أثينا على رعيهم الخليلب الشيرير بيكيليس | Pericles | وهو عليه هذا الإسراف العاجش وهذا الدخ الباهط . فجمعهم الرجل ، وألقى عليهم خطبة أخذت بحمام قلبه بهج . وسرهم أن هذه القفزة الطائفة لا تتكاد تذكر في حب هذا الصغر الذي سبق ولم أعفاهم مدنى الدهر . فأقره القوم وأنصروا راضين .

١٨١ المسحح الأرميني فقد كان بدء العمل فيه سنة ٨٨٨ للهجرة. وقد علبا من الرواية المتقدمة في صفحة ١٨١ بهم. "فأما في بيان تسع سبب وفي تم بناءه". هذا وقد عرفنا أبو قصي العذري (كما في صفحة ١٨٨) =

وقال الوليد عن عمر بن مباح، قال: حسبوا ما أنفق على الكربة التي قبلي مسجد دمشق فكانت سبعين ألف دينار.

- ٥ و ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أصبغ بن محمد بن محمد بن لبيبة السكسكي قال: ذكر أن الوليد بن عبد الملك حين بنى مسجد دمشق، أمر بـ رجل يعمل في المسجد وهو يبي. فقال: ما قصتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! كنت رجلاً حالاً، فلقيني يوماً رجل فقال: أتحملي إلى مكان كذا وكذا؟ وذكر موضعاً في البرية، فقلت: نعم، فلما حملته وسرنا بعض الطريق، أنثفت إلى فقال لي: إن بلغنا الموضع الذي ذكرته لك، وأناحي، أعينتك، وإن مت قبل بلوعي إليه، فأحمل جثتي إلى الموضع الذي أصف لك. فإن تم قصراً خراباً، فإذا بلغته، فأمكنك إلى صحوة النهار. ثم عد سبع شرافات من القصر وأحفر تحت ظل الساعة منها على قدر فامة، ستظهر لك بلاطة، فاقلعهما فإنك ستري تحتها مغارة، فادخلها، فإنك ترى في المغارة سريرين على أحدهما رجل ميت. فأجعلني على السرير الآخر، ومدني عليه، وحمل ما معك مالا من المغارة وأرجع إلى بلدك. فمات الرجل في الطريق، ففعلت ما أمرني به. وكان معي أربعة جمال وحمار فأوسقمتها كلها مالا من المغارة، وسرت بعض الطريق، وكانت معي مخلاة نسيت أن أملأها وادخلني الثرة. فرجعت بها وتركت الجمال والحمار في الطريق.
- ١٥ فلم أجد المكان، وعدت. فلم أجد الدواب، فبقيت أدور أياماً. فلما يئست، رجعت

= أن الفقة عليه بلغت ٤٠٠ صندوق، في كل صندوق ١٤,٠٠٠ دينار. فيكون مجموع الفقة عليه ٥,٦٠٠,٠٠٠ دينار وهو يعادل تقريباً ما صرفه أهل أثينا وأحلامهم على ساء هيكلهم.

- ٢٠ فأتت ترى أن المدة التي استغرقها ساء الهيكل الوثني وباء الجامع الإسلامي تكاد تكون واحدة. كذلك، كان الشأن في أعراض الوثنيين والمسلمين، وفي الرد الذي أحاب به كل من رعيم الوثنيين وأمير المسلمين، وإن كانت المدة بينهما ١٢٥٠ سنة. أفليس التاريخ يعيد نفسه، كما يقولون، ولو عدت نوال الدهور وتعاقت القرون؟

إلى دمشق ولم أحصل على شيء واضطرنى الأمر إلى ما ترى : أعمل فى التراب كل يوم بدرهم . وكلما ذكرتُ حالى ، لم أملك نفسى ! أن أبكى فقال له الوليد : لم يقسم الله لك من تلك الأموال شيئاً ، وإلى صارت ، فبنت به هذا المسجد ، ثم وهبه شيئاً .

وقال أبو قُصَيِّ العُذْرَى : وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق ، فكان أربعائة صندوق ، فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار . وبلغ الوليد أنهم تكلموا ، فقال : يا أهل دمشق إني رأيتكم تفحرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فأحببتُ أن يكون مسجدكم انخامس .

وقال خالد بن تبولك : اشتريتُ الوليد العمودين الأخضرين اللذين نحت النُسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار .

وقال أحمد بن إبراهيم الغساني : حدثنا أبى عن أبيه عن ريد بن واقد ، قال : وكنتُ الوليد على العُمال فى بناء مسجد دمشق ، فوجدنا فيه مغارة ، ففرقنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافى ، والشموع ترهر بين يديه ، فنزل . فإذا كيسة لطيفة : ثلاثة أذرع فى ثلاثة . وإذا فيها صندوق . فإذا فيه سَقَط ، وفى السَقَط رأسٌ يجيى بن زكرياء . فأمر به الوليد . فوُذ إلى المكان . وقال أجعلوا العمود الذى فوقه معياراً من الأعمدة . فجعل عليه عمود مسَقَط الرأس .

وقال آبن البرامى : سمعتُ أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازنى يقول : لما كان فى أيام الوليد وبناؤه المسجد ، أحترقوا فيه فوجدوا باباً مغلقاً . فأتى الوليد ، ففتَح بين يديه . فإذا معاره فيها تمثال رجل على فرس ، فى يده الواحدة الدُّرَّة التى كانت فى الخراب ، ويده الأخرى مقبوضة . فأمر بها ، فكسرت . فإذا فيها حبتان : حبة قمح وحبة شعير . فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركتُ الكف ، لم بسوس فى هذه المدينة قمح ولا شعير .

العقبة عليه
٥٠٠٠٠٠٠
دينار

٥٠٠٠٠٠٠
دينار
٥٠٠٠٠٠٠
دينار

٥٠٠٠٠٠
دينار

رأس يحيى بن
زكريا فى كسبه
٥٠٠٠٠٠٠
دينار

تمثال قديم
وجوده فى حجر
الأساس

الأقناء المعقودة
تحت المسجد

قلت: وحكى لي شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد النجار الخزازي الكاتب المجود، وكان يشار به بعض العائر، أنه فتح في حصرتة الشرقية المعروفة تحت الساعات لكشف قُبَيِّ الماء. فإذا تحت المسجد أقباء معقودة وعمد مصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة، قد أحكم بنسائها، وشُدَّتْ في سلاسل الأساس معاقدها. قد بنيت بالصفاح^(١) والعمد، والباء الذي ماهو في قدرة أحد. قال: ودخلناها وحُلنا في جوانبها.

الرواق الذي كان
محيطاً به ،
وأقاصه وماداً
بيها

وحكى لي المعلم علي بن محمد بن التقي المهندس، قال: حدثني أبي عن أبيه. قال: كان لهذه الكنيسة رواقٌ يحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة. في كل جهة باب. فالشرقي باب جبرون، وكان الباب الغربي تلقاه وراء المسروية، ما بين العُصرونية وبينها. وبقي إلى زمن العادل أبي بكر. فسكَّه لما عمّر القلعة. ونقل حجارته وعمده إليها.

قال: وكان في هذا الرواق قَلَالِيٌ وصوامعُ.

قلت: ومن آخر ما نُقص منها الباب وما يحاوره برأس الفباقيين، مما يلي عتبه الكتائف.

وبُني منه مباراة الجامع الشرقية، بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعائه.

وتأخر من حجارته بقايا أشتريت لعمارة الجامع اليلغاوي، جوار بردًا، سنة ثمان وأربعين وسبعائة.

وتَمَّ بقايا من سور ذلك الرواق وباب قديم، موجود بين المدرسة الثورية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام.

(١) الصفاح حجارة عراض كما في اللسان. وقد استعملها كتائب الأندلس بمعنى الصخور (راجع دوري

٢. في تكملة المعجمات العربية). قلل ابن فضل الله حرى في هذا المقام على هذا الاصطلاح.

١١١

نعويص عمر
من عبد العزيز
على النصارى
لكمة أخرى

وقال ابن الملقى: أخبرني أحمد بن أبي العباس، حدثنا ضمرة عن علي بن أبي جميلة قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز، قالت النصارى: يا أمير المؤمنين، قد علمت حال كنيسنا! قال: إنها صارت إلى ما زور، فعرضهم كنيسة من كنائس دمشق، لم تكن في صلاحهم، يقال لها كنيسة توما.

عمر بن عبد العزيز
أراد رجلا
نصارى، وكيف
رضاهم القوم
بصواعه

- ٥ قال ابن الملقى: وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر أنهم رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم، فكلهم ورفع لهم في الثمن، حتى بلغ مائة ألف. فأتوا. فكتب إلى محمد بن سويد الفهري أن يدفع إليهم كنيسهم، إلا أن يرصهم. فأعظم الناس ذلك، وفيهم بقية من أهل الفقه. فشاورهم محمد بن سويد، متولى دمشق، فقالوا: هذا أمر عظيم! ندفع إليهم مسجدنا، وقد أذنا فيه بالصلاة وجمعا فيه. يهدم ويعاد كنيسة. فقال رجل منهم: ها هنا حصلة، لهم كنائس عظام حول المدبسة، دير مران، وباب توما، والراهب، وغيرها. إن أحبوا أن نعطيهم كنيسهم، ولا يبقى حول دمشق كنيسة إلا هدمت، وإن شاؤوا تركت هذه الكنائس ونسجل لهم سجلا، ثم عرصوا عليهم ذلك، فقالوا: أنظرونا، ونظري أمرنا! فتركهم ثلاثا، فقالوا: نحن نأخذ الذي عرصت علينا، ونكتب إلى الخليفة نخبره بذلك، ويسجل هو لنا بأمان على ما في القوطه. فكتب إلى عمر. فسرّه ذلك وسجل لهم كنائسهم، إنهم آمنون أن تخرب أو تُسكن. وأشهد لهم شهودا بذلك.

- ١٥ وقال صفوان بن صالح: حدثنا الوليد، حدثنا محمد بن مہاجر: سمعت أني عمرًا قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وذكر مسجد دمشق، فقال: رأيت أموالا أنفقت في غير حقها، أنا وسيدك ما استدركت منها، فإزده في بيت المال: أعمد إلى ذلك الفيسينساء والرحام، فافلعه وأطيه، وأززع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالا، وأززع

شروع عمر بن
محمد بن مہاجر
رجله لوضع
تمها في بيت المال
وكيف رزقه عن
ذلك مع المحاشة



تلك البطائن . وأبيع جميع ذلك . فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد عليهم . فخرج إليه اشراقهم فيهم خالد القسري . فقال لهم خالد : أنذروا لي حتى أكون أنا المتكلم . فادعوا له . فلما أتوا دير سمعان استأذوا على عمر . ثم قال له خالد : بلغنا يا أمير المؤمنين أنك هممت بكذا وكذا . قال : نعم . قال : والله مالك ذلك . فقال : عمر لمن هو ؟ لأتمك الكافرة ! (وكانت بصرانية أم ولد) . فقال : إن كنت كافره ، فقد ولدت مؤمنا . فاسحني عمر ، وقال : صدقت ! فما فؤلك "ماداك لي" ؟ قال : لأننا كنا معشر أهل الشام ، وإخواننا من أهل مصر والعراق يعرفون علي الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزا بالصغير من سيفساء ، وذراعا في دراع من رخام . فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب . وبسناجر على ما حملوه إلى دمشق . ويحمل أهل حمص إلى حمص فيستأجر على ما حملوه إلى دمشق ، ويحمل أهل الشام ومن وراءهم حصتهم إلى دمشق . فذاك قولي : ماذا لك . فسكت عمر .

ويورد الروم
ويعاجبه به

ثم جاءه بريد من وإلى مصر يخبره أن قاريا ورد عليه من رومية ، فنه عشره من الروم يريدون الوصول إلى أمير المؤمنين . فأذن لهم وأمره أن يوحه معهم عشره من المسلمين يحسنون الرومية ، ولا يعلمونهم بذلك حتى يحملوا إلى كلامهم . فساروا حتى نزلوا دمشق ، خارج باب البريد . فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم في دخول المسجد . فأذن لهم ففروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القلعة . فكان أول ما استقبلوا المقام . ثم رفعوا رؤوسهم إلى الصفة . فخر رئيسهم معشرا عليه . فحمل إلى منزله ، فأقام ماشاء الله أن يقيم . ثم أفانق . فقال له أخصابه بالرومية : ما قصبتك ؟ وما الذي عرض لك ؟ قال : كنا معشر أهل رومية نخذت أن يقاتل العرب قليل . فلما رأيت ما تبوءوا علمت أن لهم مائة سيبلعونها . فذلك أصابي ما أصابي . فلما قدموا على عمر ، أخبروه . فقال : لا أرى مسجد دمشق إلا عيظا على الكفار . فترك ما كان هم به من امره .

١٠

١٥

٢٠

رواية أخرى

في عزيمته على تحريد
نفسه من فيها
من السوء

- وقال أبو زرعة الدمشقي : حدثني أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدثنا أبي عن أبيه
عن حمزة، قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يجزّد ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب .
وقال إنه يسْقَل عن الصلاة . ف قيل له : يا أمير المؤمنين إنه أتفق عليه في المسامحة
وأعطائهم . وليس يجتمع منه شيء ينفع به . فأراد أن يلبسه بالحِصّ . ف قيل له : تنهب
النفقات فيه . فأراد أن يستره بالخزف ف قيل له : صاهيت الكعبة . فبينا هو كذلك إذ
ورد عليه وفد الروم . فاستأذنوا في دخوله فأذن لهم . وأرسل معهم من يعرف الرومية
وقال : أحفظوا ما يقولون . فلما وقفوا تحت القبة ، قال رئيسهم : كم للإسلام ؟ قالوا :
مائة سنة . قال : فكيف تُصغّرون أمرهم ؟ ما بجي هذا البنيان إلا ملكٌ عظيم . وأتى
الرسول عمر فأخبره ، فقال : أما اد غابظ العدو ، فدعه .

- وقال أحمد بن إبراهيم بن ملاحس : حدثنا أبي عن أبيه قال : لما قدم المهديّ
بريد بيت المقدس ، ومعه أبو عبيد الله الأشعريّ كاتبه ، فقال : يا أبا عبيد الله ! سقنا
سوا مئة بثلاث : بهذا البيت ، لا أعلم على الأرض مثله ، وبثبل الموالي ، وبعمير بن
عبد العزيز . لا يكون والله فينا مثله أبدا . فلما أتى بيت المقدس ودخل الصحرة قال :
يا أما عبيد الله ، هذه رابعة .

بقرار المهديّ
ماتى بفصل
سنة في سنة
منه

- قال أحمد . وحدثنا أبي أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم وبجي
بن أكنم قال : ما أعجب ما في هذا المسجد ؟ قال المعتصم : دهنه وبفأوه ، فإننا ندعه
في قصورنا فلا يعضى عليه عشرون سنة حتّى يتغير . قال : ما ذاك أعجبنى منه . فقال
بجي بن أكنم : تأليف رخامه ، فإنّي رأيت فيه عقدا ما رأيت مثله . قال : ما ذاك
أعجبنى . قالوا : ما هو ؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدم .

بغير المأمون
مدحه على بيزنطال
منه

عجائب الدنيا
حسن عبد الشافي
مبا المسجد
الأموي
(١٤٤)

وقال الشافعي: عجائب الدنيا خمس: منارة ذى القرنين، والثانية أصحاب الرقم بالروم، والثالثة امرأة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة إذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ وجاء أهله إليها، يرون أصحابهم من مسافة مائة فرسخ، والرابعة مسجد دمشق، والخامسة الرخام والفسيفساء، فإنه لا يُدري له موضع. فلت: وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر.

صاعة
القصية
وأواعها

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق. ومن هذا النوع المسحور. وأما الموزن فمعجون.

القصية
التي أحترقت
سنة ٧٤٠

وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحُصل منه عدة صناديق وفسدت في الحريق الواقع سنة أربعين وسبعائة، وعمل منه قبل للجامع التنكري ما على جهة الخراب.

الفرق بين القديم
والجديدة في أيام
المؤلف

غير أنه لا يبيى تماماً مثل المعمول القديم في صعاء اللون وبهجة المنظر. والفرق بين الحديد والقديم أن القديم قطعه متناسقة على مقدار واحد، والحديد قطعه مختلفة. وبهذا يعرف الحديد والقديم.

هذا المسجد
يشق إلى الحة

وروى الوليد بن مسلم عن ابن توبان قال: ما ينبغي أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق، لما يرون من حسن مسجدنا.

الدرة المسماة
"قليلة"

وروى أحمد بن البراء بسنده عن عبد الرحيم الأنصاري قال: سمعت [بعض] الأعراب وهم يدورون المسجد، يقولون: لا صلاة بعد القليلة. ف قيل له: رأيت القليلة؟ قال: نعم، وهي تضيء مثل السراج. قلت: من أخذها؟ قال: أما سمعت المثل؟ "منصور سرق القلة، وسليمان شرب المرة" منصور الأمير، وسليمان

الامين يسرقها
والأموال يردّها
للتشيع عليه

صاحب الشرطة، يعني صاحب شرطته. وذلك أن الأمين كان يحب البلور، فكتب إلى صاحب شرطة منولى دمشق أن يُنفذ إليه القليلة، فسرقتها ليلاً، وبعث بها إليه. فلما قُتل الأمين رد المأمون القليلة إلى دمشق لِيُشنع بها على الأمين.

وكانت في محراب الصحابة . فلما ذهب حُمل موضعها برنية زجاج رأيتها ثم أنكسرت فلم يجعل مكانها شئ .

صباغها
وأنكسار العريه
الراح التي
وصعت محلها

وقال علي بن أبي حميلة : كنا ستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود حسنة، فدخلته الريح فهزته، فنار الناس نغرقوا اللبود.

ستر المسجد

قلتُ : وأما بناؤه، فهو وثيق البناء، أنيق البهاء، قد بُني بالحجر والكس إلى منتهى حوائطه، وشرف بالشراريف في أعاليه، وأُخذت له ثلاث مائر اثنتان في جناحي قبلته، شرقاً وغرباً، والثالثة في شامه وتعرف بالعروس .

وسب المنزلة
بأنه الوثيق
الأنيق

ويُدخل إليه من ستة أبواب، منها أربعة أصول، وأثنان مستحذات . فالأصول باب الزيادة، وهو في حائطه القبلي، وباب الساعات وهو في حائطه الشرقي، يقصى إلى حصره الساعات المعمولة لمعرفة الأوقات، تدار بالماء، وتعلق بها أبواب الساعات. وتُجاهه في الحائط الغربي باب البريد، وهو أشهر من الشمس في الآفاق، وأكثر ذكرًا من "ذكرى حبيب ومزلي" للرفاق. وهو حصرة فسيحة في جانبيها حوانيت للفواكه والشمع والعطر والشراب وأطياب المأكول . وبها القني من المياه الجارية، توقد عليها المصابيح بالليل فيمويه الماء دهب شعاعها، وتطرب أنابيبها الأسماع بلذة إيقاعها . والرابع باب النطافين وهو في حائطه الشمالي، تلاصقه الخانقاه الشميشاطية وتجارها الأندلسية .

نويه القديمه
والمستحذة

١٠

١٥

(١١٥)

وأما البابان المستجدان فهما الباب النافذ إلى الكلاسة، والباب النافذ إلى الكاملية.

وهما جناحا باب النطافين.

والمسجد ذو صحن يصاقب باب النطافين، قد فُصِّصَتْ حوائطه بالنقش والفسيفساء
الرومي المذهب والملون بفرائب الأشجار والصبغة.

صحن المسجد
وميسفائه

ويدور به رواق قد أُزِّرت جُدُرُه وسواريه بالرُّخام الملون، وعُقدت رؤوس عمده
وسواريه بالقناطر. وجعل على قنطرة منها طاقاتٌ صغارٌ، بفصل بين كل اثنتين منها
عمود رخام أوسارية.

رواق الصحن

وفي ببلته ثلاثة أروقة، وفي وسطها القبة المعروفة بالنسر: قد عُقدت على المحراب
الكبير الذي يصلَّى به خطيب الجامع وعاتقه الناس؛ ومقصوره الخطابة وسها المنبر؛
وأمامه سُنة الأذان.

روقة القبة
وقبة النسر

والى جانبه الأيسر المصحف العثماني نخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان
رعى الله عنه.

المصحف العثماني
الذي كان فيه

وفي شرفى هذه المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة. وهو محراب
المسلمين الأول. وبه تصلى المسالكبة الآن.

محراب الصحابة

وعربى المحراب الكبير محرابٌ يعرف باللازورده. تصلى به الحنفية، جوار دار
الخطابة.

محراب الحنفية

ثم يليه باب الزيادة، ويليه من الغرب محرابٌ تصلى به الحنابلة.

محراب الحنابلة

ولكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام ومؤذن. وقد وقف في كل محراب منها وقفٌ

على مدرّس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة: كل طائفة في محرابها.

٢٠

وصف الأروقة وكلُّ أروقة بالعمد والعضائد ، عليها طافات القناطر المعقودة بعضها على بعض . وقد أُزُرتْ جُدُرُ هذه الأروقة بالرَّخام الأبيض والحجرُ والأحمر المنقُط والأخضر المرشوش والأسود الغرابي والأبقع والمعجون الأزرق .

وصفة الدبر وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النسر القبلي والشامي فن الرخام إلى أعلى الجدر والأركان معمولٌ بالفسيفساء ، مسعوفٌ بالطائِن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجفر والإسفيداج والأصبغ الخالصة من لونٍ والمركبة من لوين .

مشاهد الخلفاء وقد جُعل في أركان المسجد الأربعة أربعة مَشَاهِدَ أُتِّخِذَتْ على أسماء الصحابة الأربعة . فالشرقي بقبيله [مشهد] على اسم أبي بكر، وبه عِدَّة خَزَائِن كُتِبَ وقف . وشامية مشهد على اسم علي ، والغربي بقبيله مشهد على اسم عمر ، ويعرف الآن بمشهد عروءة ، وبه شيخ حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعِدَّة خَزَائِن كُتِبَ وقف . وشامية مشهد على اسم عثمان ، وبه بصلي نائب السلطان في شاكه والحاكم الشافعي إلى جانبه .

وهذا الشاب يحكم الحاكم بعد الصلاة ، كأنه كرسى ملك له . وهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التي لا ينفرد بها حاكم . فبجتماعهم بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم .

سمي ربر العابدين وداحل مشهد على مشهد لطيف يعرف بالسجن . يقال إنه يُسجن به زين العابدين حين أقدم على زيد ، وجواره في زاوية الرواق الشامي - شرق الباب النافذ إلى الكاملية - مقصورة قد جاورها جماعة من الفقهاء وتعرف بالحليية . وبها خزانة كتب وقف .

وفي كل من ذلك إمام يؤتم به، ومؤذن يقيم الصلاة ويبلغ.

العمارة والمدارس
التي أوصت إليه

وفي هذا المسجد زيادات في شماله أوسع بها فناءه، ونفسحت أرجاؤه .

منها الزاوية الحلبية المذكورة في أول حده الشمالي من الشرق ؛

ثم التربة الكاملية، ولها مسجد له إمام ومؤذن ؛

والكلاسة، وبها إمامان ومؤذنان .

وفي شامها، الأشرمية والمدرسة العزيزية ينفذ إليهما، ولكل منهما إمام ومؤذن .

وجوار المدرسة العزيزية التربة الصلاحية من غربها .

هذا إلى عدة أئمة تقوم فيه احتسابا .

ورشة بالمرمر
وعمدته وعصائده
بالرخام المذهب

وقد فُرس المسجد بالمرمر (ومقطعه من جبل المزة) وعمد قائمه بالرخام الملون

والمقنوش المذهب .

وكذلك عملت عضائده ودُهب قواعده وعمده ورؤوسها . وأجرى الماء في صحن

عُقدت عليه قبة في صحنه، وفي صحن في ركن النسر من داخل الرواق، وفي جمع

مشاهده وزاداته، وفي ميضأة أُتخذت أسفل المنارة الشرقية منه . هذا إلى ما في حضره

باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية ، وأسواق قائمة، وسُرج تتقد

ليلا كالأنجم، ويبيت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسم .

سود الى وصف
الفئة

فأما القبة فما لا يحول مثلها في نطق، ولا يدور في فكر. قد تعلق رفرها بالغمام

عائنا، وحلق طائرهما إلى أخويه النسر ينفي أن يكون لهما ثالث . قد بُنيت على

فاطر، ممتدة على قناطر، ببقود مُحَكَمَة، وقطع صحور مُنَظَّمَة، إلى سقوف مُدَبَّجَة،
ومحاسن موجرة مسهبه.

وعلى رأس القبة هلالٌ عالٍ في أنبوبة، طولُ الرمح .

سور هلال القبة

قد غُلِّقت هي وكل الأسطحة بالرصاص . وحُكَّت ميازيبه، وُجِع فيه من كل
حَسَن غريبه .

قال أبو محمد بن زَبْر القاصي: سُمِّي باب الساعات لأنه عمل هناك ببيكار الساعات^(١)،
'علم بها كل ساعة تمضي، عليها عصافيرُ من نُحَاسٍ وحية من نُحَاسٍ وغرابٌ من
نحاس، فإذا تمت الساعة خرجت الحية، وصمرت العصافير، وصاح الغراب، وسقطت
حصاة في الطَّسْت .

وصف
المسجد

وكان في الجامع قبل حريقه طَلْسِمَاتٌ لسائر الحشرات، مُعَلَّقَةٌ في السقف فوق
الطائن . ولم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت
الطلسمات، وُجِدَتْ، وبما كان فيه طَلْسَمٌ للصنونات لاتعشش فيه، ولا يدخله غرابٌ،
وطَلْسَمٌ للغار، وطَلْسَمٌ للحيات والعقارب، وما أبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفأر.
وفيه طَلْسَمٌ للعنكبوت.

صلى الله عليه وسلم
قل حريقه



وكان حريق الجامع في نصف شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وكان سببه أن أمير الجيوش بدرًا الجمالي ورد من مصر إلى دمشق في هذه السنة،
فلما كان بعد العصر يوم نصف شعبان، وقع القتال بين المشاركة والمغاربة . فضربوا

حريق الجامع
سنة ٥٦١ وسمه

(١) هكذا في الأصل . وصوانه "بكاء" . وهي الساعة المائية التي وصفها ابن جبير الأندلسي في رحلته

(٢) هو الفأزر المعروف باسم سبور وعد العرب وأسمه عصمور الجنة عند عامة مصر . وأسمه القرمي

دارا كانت مجاورة للجامع بالنار، فبادرت إلى الجامع. وكانت العامة تعاون المغاربة. فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع. فخل الأمر وعظم، فجعلوا سيكون ويتضرعون.

وصف العباد
الكلت هذا
الحريق

ووصف العباد الكاتب هذا الحريق في كتاب. فقال: "وفي النصف من شعبان هذه السنة، أحترق جامع دمشق. ففُجِع الإسلام بمُصَابِهِ؛ وَصَلَّتِ النَّارُ فِي عِجَابِهِ؛ وَاشْتَعَلَ رَأْسُ الْقُبَّةِ شَيْبًا بِمَا شَبَّتْ، وَأَكَلَتِ النَّارُ أُمَّ اللَّيْلِ مِنْهَا مَارِبَتٌ؛ وَطَارَ النَّسْرُ مَحْسَاحَ الضَّرَامِ؛ وَكَادَ يَحْتَرِقُ عَلَيْهِ قَلْبُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ؛ فَكَأَنَّ الْجَحِيمَ اسْتَجَارَتْ بِهِ مِمْسَكَتٌ بِذِيْلِهِ، وَكَأَنَّ النَّهَارَ ذَكَرْنَا أَعْدَهُ فَعَطَفَ عَلَى لَيْلِهِ، فَوَاهَا لَهُ! مِنْ مَسْجِدٍ أَحْرَقَتْهُ نَفْعَاتُ أَهْلَ السَّاجِدِينَ؛ وَعَلِقَتْ فِيهِ لَفَعَاتُ قُلُوبِ الْوَاجِدِينَ؛ ثُمَّ تَدَارَكَهُ اللَّهُ بِالْأَلْطَافِ وَالْإِلْطَافِ، وَأَتَاهُ بِالشِّفَاءِ بَعْدَ الْأَسْتِفَاءِ؛ وَقَالَ حَسْبُهُ أَصْطِلَاءٌ وَأَصْطِلَامَا، وَحَقَّقَ فِيهِ قَوْلُهُ: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا".

آيات في ذلك
الحريق

وقال ابن العين زربي في الحريق المذكور:

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى دِمَشْقِ الَّتِي كَا * نَتْ جَمَالَ الْآفَاقِ وَالْأَفْطَارِ!
وَعَلَى مَا أَصَابَ جَامِعَهَا الْجَا . مَعَ الْعِجَابِ وَالْآثَارِ!
إِذْ أَتَتْهُ النَّيِّرَانُ طُوكُلًا وَعَرَصًا * عَنْ عَيْنٍ مِنْ قُطْرِهِ وَيَسَارِ!
ثُمَّ مَرَّتْ عَلَى حَدَائِقِ نَخْلٍ * فَإِذَا الْجَمْرُ مَوْصِعَ الْجُبَارِ!

الفوارات التي
وتوارج إشائها
وسقوط عمدها
وما فوقها

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: أقيمت القبة الرخام التي فيها فؤارة الماء في سنة تسع وستين وثلثمائة. قال: "وقرأت بخط إبراهيم بن محمد الحنّائي: أنشئت الفؤارة المنحدرة في وسط جبرون سنة ست عشرة وأربعمائة. وأمر بجز القصعة من ظاهر



فصر حجاج إلى جبرون وأجرى ماءها الشريف فخر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني". وتحت بخط محمد بن أبي نصر الحميدي: "وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، من جمال تحاكَّت بها. فأنشئت كَرَّةً أخرى".

قال ابن عساكر: ثم سقطت عمدتها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة في سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: ثم عمل لها الشاذرون، في آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشرة وستمائة.

عن شذرون
٦١٠ سنة

قال: "ورأيت القصعة وهي أكبر من التي في وسط طهارة جبرون. وفي زيارتها الأوسط ست أنابيب صغار، تفور حول الفؤارة. وعليها درابزينات، فلما احترقت اللبادين سنة إحدى وثمانين وستمائة، تلفت هذه القصعة وبقي عوضها هذه البركة المثلثة. وينبع الماء في هذه البركة من فتاه دُفنت إليها من مكان مرتفع، فيعلو بها الماء نحو قامة. وسمعة الفؤارة أعظم من مرآها، وأسمها أجل من معناها".

وصف الذهبي
للمسحوق الفؤارة
التي هي وما هي
عوضها بعد
حريق سنة ٦٨١

قلت: ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة بسوق الدهشة والطرائفين وتشتت وجه الجدار الذي للشهد المعروف بأبي بكر وتعلت شرر النار حتى وصلت إلى دائر المارة الشرقية وشرعوا في إصلاحها وهي من ذلك، وجدوا أعاليها متداعية، وحجارتها مفحرة مفطرة، فوقف عليها الحكم وقامت البينة بالضرورة الداعية إلى نقض المارة وتجديد بنائها. فنقضت جذورها الأربعة إلى حد أوتار الرواق القبلي، ونقض الجدار القبلي والجدار الشرقي إلى الأرض، وحفر ما بين الجدران في وسط المارة عدة

حريق سنة ٧٤٠
وتجديد المارة
على أصلها

قامات . وبُني ذلك لَبْنَةٌ واحدة، وبُنيت المنارة ببناء جليلا لم يُبن من زمن الوليد أجلُّ منه ولا أوثق.

مقامة الصعدي
في وصف الحريق
س ٧٤٠

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء الصفدي من مقامة أنشأها في الحريق المذكور، من فصل يتعلق بالجامع :

« فسألتُ الخبر، ممن خبر، فقال : إن الحريق وقع قريبا من الجامع، وأنظر إلى شبح الحوكيف أنشئت فيه عقائق اللهب اللامع ! فبادرتُ إلى صحنهِ والناس فيه قطعة لحم، والقلوب ذائنة بتلك النار كما يذوب الشمع . ورأيتُ النار، وقد نشرت في حداد الظلام مُعَصِّفَاتٍ ذوائبها، وصعدت إلى السماء عَدَبَاتٍ ذوائبها :

ذوائبُ لَحَتْ في عُسْلُو كَأَنَّمَا * تحاولُ نَارًا عند بعض الكواكب .

وعلت في الجوكأنها أعلام ملائكة النصر، وكان الواقف في المدان يراها وهي "رَمِي بِسَرِيرٍ كَأَنَّمَا" ، بفم "زُمر" ، "أضحت" ، لذلك "الدُّخَانُ" "حائيه" . وكمنفس كانت "في النازعات" ، وهي تتلو "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاسِيَةِ" ، ولم تزل النار تأكل ما يليها، وتنفى ما يستعملها ويعتليها، إلى أن ارتفعت إلى المارة الشرفية، ولعبت ألسنتها المسودة في أعراض أخشابها النفض، وثارب إليها من الأرض لأخذ النار، وأصبح صخرها كما قالت الخنساء "كأنه علم في رأسه نار" . فُنكست وكانت للتوحيد سبابة، ولعبدها المطرب شبابة، وأبْثَلِي رأسها من الهدم والنار بسفقه، وأدار الحرق على دائرها رحيقه :

وبالأرض من حُبِّها صفرة ، فها تُثَبَّت الأرض إلا بهاراً .

وأصبح "باب الساعات" وهو من آتات الساعة، وخلت مصاطب الشهود من

السنة والجماعة، وعادت الدهشة، وقد آل امرها إلى الوحشة؛ وحسنها البديع وقد
تلت النار عرشه. كأن لم أربها سميرا، ولا شاهدت من بناتها وقاشها جنة وحريرا.
وقال جمال الدين عبد الله بن غانم، من كتاب عن كافل الشام، تنكر (رحمه الله)
إلى نائب طرابلس في هذه الواقعة.

وصف آس - م
لهذا الحريق

«وأصحى» ثم الفؤارة^(١) يصاعد حمرات أنفاس، و «سوق النحاسين» يرسل منه
إلى سور الجامع «شواطئ من بار ونحاس»؛ وأقعد «بيت الساعات» إلى قيام الساعة،
ودخل إلى باب الجامع لكن لغير طاعه؛ وكاد يصلّي من به يصلّي، ويقبل على
صف العابد - فيولّي. وأهزرت المأذنة محي نافص، وتسعت وجه المشهد الأبي
بكرى فكأما أصابته عين الروافص، وترقرقت عون العابدين من الألم، وورق صحى
الجامع لما تم هذاه الساجدين من المأذنة بنار على علم؛ وما زالت امرأة اللهب حتى
نحزبت النار، وصفت بعد ذلك في صحى الجامع مأفضل عن أكل النار.»

١٥٠

قلت: وهذا المسجد معمور بالداس كل النهار وطرى الليل، لأنه مزمع المدارس
والبيوت والأسواق. وفيه ما ليس في غيره من كثرة الأئمة والقراء، ومشايخ العلم
والإقراء، ووجوه أهل التصدير والإفتاء، ووطائف الحذب وفراء الأسباع والمجاورين
من دوى الصلاح. فلا تزال أوقاته معمورة بالخير، أهلة بالعبادة. قل أن يخلو طرفه
عن في ليل أو نهار من مُصلٍّ، أو جالس في حاجة منه لأعتكاف، أو مرسل لقرآن،
أوراق بعيرته بأدان، أو مكر في كتاب علم، أو سائل عن دين، أو باحث في معتقده،
أو مقتر لمذهب، أو طالب لحل مشكل: من سائل ومسؤل، ومفت ومستمع.
هذا إلى من يأتي هذا المسجد مستأنسا لحديث، أو مرتضا لقراءة أيج، أو متفرجا

وصف المؤلف
لعاز هذا المسجد
بالناس دائما

في فضاء صحنه وحسن مرأى القمر والنجوم ليلا في سمانه . هَذَا إِلَى فَسْحَةِ الْقَضَاءِ
وطيب الهواء وَبَرْدُ رُؤُوفَاتِهِ ، أَوَاقَاتِ الْمَجِيرِ ؛ وَحَسَنَ مَرَأًى مِيزَانِهِ ، أَحْيَانًا الْمَطَرِ .
وفي كل ناحية من وجهها قمر .

وعلى هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يَسْتَقِيلُ بِهِ إِلَّا دِيوَانُ مَلِكٍ ؛ وَعَلَيْهِ
حلائل الأوقاف . إِلَّا أَنَّ الْأَيْدِيَ الْعَادِيَّةَ قَدْ أَسْتَوْلَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُ لِسَبِّهِ الْأَكَارِ ٥
وَالْمُنَاصِبَاتِ . وَعَبْرَ ذَلِكَ مِمَّا عَمِلَ عَلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ النَّصَاتِ .

وقد أضيف إليه وقف المصالح ، وقد كان أُفِرِدَ زَمَنُ بَوْرِ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ . وَهُوَ
لَا يَجَاوِزُ نَسْعِينَ أَلْفًا فِي السَّنَةِ . جُعِلَ لَهَا مَصَارِفُ أَخَذَ بِحِجَّتِهَا كُلِّ مَالِ الْمَسْجِدِ
وَعُلِّلَ بِالْبَاطِلِ وَرُتِبَ مِنْهُ لَغَيْرِ ذَوِي الْأَسْتَحْقَاقِ . وَحُمِّلَ حَتَّى كَلَّ مَطَاهُ . وَأُخِذَتْ ١٠
حَتَّى قَصُرَتْ خُطَاهُ . وَهِيَ هِيَ الْآنَ قَدْ أَخْتَلَّتْ أَحْوَالُهُ ، وَأَكَلَتْ وَشَرِبَتْ أَمْوَالَهُ .
وَأَصْبَحَ نَهْجُهَا مُقْسَمًا ، وَسَوَامَا صَبِيحَ فِي حَجَرَانِهِ . وَآلُ حَالٍ مَسَامِيرُهُ إِلَى أَسْوَأِ الْحَالِ
وَشَرِّ الْمَالِ .

وَكَاوُوا غِيَاثًا ثُمَّ أَصْحَحُوا رَزِيَّةً . ۞ أَلَا عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا ، وَجَلَّتْ !
وقد أنفقت كلمة السُّفَارِ فِي الْآفَاقِ إِلَى أَنَّهُ فُردُ فِي عَاسِنِهِ ، بِدَيْعٍ فِي نَظَرَاتِهِ .

مقام إبراهيم بيرزة

(١٥١)

م . م . إبراهيم
م . م . ربه
(بالعظة)

روى مكحول عن أبي عباس ، قال : وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ بِقُوفَةِ دِمَشْقَ فِي فَرِيَةٍ يُقَالُ لَهَا
رَبْزَةٌ ، بِجَبَلِ قَاسِيُونِ .

(١) في الأصل : "لسه الأكابر والمناصب" وفي الكلام إيهام . ولعل المؤلف أراد أن يقول .
"لله الكبار والمناصب ."

وعن حسان بن عطية قال: أغار ملك نبط هذا الجبل على لوط فسباه وأهله .
فأقبل إبراهيم في طلبه، في عدة أهل بدر : ثلثمائة وثلاثة عشر . فالتقى هو وملك
الجبل في صحراء معور . فعبي إبراهيم ميمنة وميسرة وقلب . وكان أول من عبي
الحرب هكذا . فالتقوا . فهزمه إبراهيم وأستنقذ لوطا وأهله . فأتى هذا الموضع الذى
برزة ، فصلّى فيه .

وروى أحمد بن حميد بن أبى العجائز عن أبيه عن شيوخه، أن الآثار التى
فى برزة عند المسجد الذى يقال له مسجد إبراهيم فى الجبل (عند الشق) أنه مكان
إبراهيم، وأن الآثار التى فوق الشق فى الجبل موضع رأى إبراهيم، فمن صلى فيه^(١)
ودعا أجابه الله، وأن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم فى مواضع
من الجبل . أدركت الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون . وهو نافع لقسوة القلب
وكثرة الذنوب، وأن بعضهم جاء من مكة فصلّى فى الموضع الشق، لمنام رآه .

وعن أبى الحسين محمد بن عبد الله الرازى، قال: قال أحمد بن صالح: أدركت
الشيوخ بدمشق وهم يصلون مسجد إبراهيم عليه السلام ببرزة ويقصدونه ويصلون
فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب، وهو موضع عظيم شرف . ويذكرون ذلك عن
شيوخهم ويقولون إن الشق الذى فى الجبل خارجا عن المسجد هو الموضع الذى^(٢)
احتأى فيه إبراهيم من النمرود، صاحب دمشق .

وعن عروه بن رويم عن أبيه عن عليّ : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وسأله رجل عن الآثار بدمشق فقال: لها جبل يقال له قاسيون، فيه قتل ابن آدم

(١) محل المراد: موضع رؤى يام .

(٢) فى الأصل . وهو .

أخاه، وفي شرقه ولد إبراهيم، وفيه آوى الله عيسى بن مريم وأمه من اليهود. وما من عبد أتى معقل روح الله فأغتسل وصلى فيه ودعا، إلا لم يرد خائباً. وهو جبل كلمه الله. (والحديث طويل. وهو موضوع، وإنما ذكرته لئلا يُفترّبه.)

مغارة الدم

(١٥١)

مغارة الدم
وصلها، خصوصاً
في الاستسقاء.

قال أبو زرعة الدمشقي: سألت أبا مسير عن مغارة الدم. فقال: مغارة الدم موضع الحجرة، موضع الحوائج. يعني بذلك الدعاء فيها والصلاة.

وقال محمد بن أحمد بن إبراهيم: حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، سمعت سعيد ابن عبد العزيز: حدثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل الله أن يسقينا، فسقانا.

قال مكحول: ونخرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدم يستسقون. فلم يرحوا حتى سألت الأودية.

قال سعيد بن عبد العزيز: صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل آدم نسأل الله أن يسقينا، فأتى مطر، فأقنا في الغار الذي تحته ثلاثة أيام.

وقال هشام بن عمار: صعدت مع أبي وجماعة - نسأل الله سقياً - إلى موضع قتل ابن آدم أخاه. فأرسل الله علينا مطراً غزيراً، حتى أقما في المعار. فدعوا الله فارتفع عنا، وقد رويت الأرض.

وقال محمد بن يوسف الهروي: سمعت يزيد بن محمد وأبازرعة وأحمد بن المعلى وسليان بن أيوب بن حذلم وغيرهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمار وهشام

أَبْنُ خَالِهِ وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِ^(١) وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْقَاسِمُ بْنُ عَثْمَانَ الْجَوْعَى يَقُولُونَ: سَمِعْنَا الْوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبْنَ عَيَّاشٍ يَقُولُ: «كَانَ أَهْلُ دِمَشْقَ إِذَا أَحْتَبَسَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ أَوْ غَلَا سَعَرُهُمْ أَوْ جَارَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ أَوْ كَانَتْ لِأَحَدِهِمْ حَاجَةٌ، صَعَدُوا إِلَى مَوْضِعِ أَبْنِ آدَمَ الْمَقْتُولِ، فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ، فَيُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا.»

قال هشام: ولقد صعدتُ مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله سقياً. فارس. ٥
الله علينا مطراً غزيراً حتى ألقنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام.

قال هشام بن عمار: وسمعت من يذعن كعب قال: أختبأ إلياس من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين، حتى أهلك الله الملك وولّى غيره. فأتاه إلياس فعرّض عليه الإسلام. فأسلم وأسلم من قومه خلق، سوى عشرة آلاف منهم. فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم.^(٢)

١٥٦

مقام عيسى بالربوة

روى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم: قال حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية أن ملكاً من بني إسرائيل حصره الموت، وأوصى بالملك لرجل حتى يدرك ابنه. وكانوا يؤمنون أن يدرك ابنه فيه لكونه. قال: مات فجزعوا عليه. فلما خرجوا بجنائزته، وفيهم عيسى بن مريم، دنا من أمه فقال: أرايت إن أنا أحييت لك ابنك، أتؤمنين بي وأنا عيسى؟ قالت: نعم. فعدا الله. فجعلت أكفانه فتحلل عنه، حتى استوى جالسا. فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة. وطلبوه حتى أتته إلى شعب النيرب. فأعتصم منهم

مقام عيسى بالربوة

محمّد بن عيسى

(١) الحواري بوزن سكارى. انظر القاموس (في مادة ح ورد).

(٢) يياض في الأصل مقدار سبعة سطور.

بقلعة على الصخرة متعالية. فأتاه إبليس فقال: «جئتك، وما أعتذر إليك من شيء. وهذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شير من الأرض، صنعوا بك ما صنعوا. فلو ألقى نفسك من هذا المكان، فتلطاك روح القدس فذهب بك إلى ربك فتستريح منهم؟» فقال: «يا غوي، الطويل الفؤاد! إني واحد فيما علمني ربي، عز وجل، أني لأجرب ربي حتى أعلم أراض عني أم ساخط عليّ» فأقبلت أم الغلام، فقالت: يا معشر بني إسرائيل! كنتم تبكون وتشتقون ثيابكم جزا عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله. قالوا: فما تأمرنا به؟ قالت: إيتوه فآمنوا به. فأتوه فقالوا: خصله سينا وبنك! إن أنت فعلتها، آتبعناك. قال: وما هي؟ قالوا: نحبي لسا عزيرا قال: دلوني على قبره. فقتل عيسى معهم حتى أتوه إلى قبره. قال: فتوضأ وصلى ركعتين ودعا، فجعل قبره يتفج عنه التراب، ونخرج قد أبيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول: هذا فعلك يا ابن مريم! قال: لم أصع بك. هذا فعل قومك. زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتبعوني حتى أحبك لهم. وهذا في هدى قومك سير. قال فأقبل عليهم يعظهم ويأمرهم بآتباعه. فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس والحية! فما لصف رأسك ولحيتك قد أبيض؟ قال: سمعت الصبحة، فظننت أنها دعوة الداعية، حتى أدركني ذلك، قال: إنما هي دعوة ابن مريم. فأتته الشيب إلى ماتري.

وآختلف أهل التفسير في تعيينها.

وروى مرفوعا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: «وَأَوْبَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ». قال: تدرون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هي بالشام بارض يقال لها القُوطَة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن الشام.

وروى عن ابن عباس قال: الرَبْوَة أنهار دمشق.

اختلاف
المفسرين في موقع
الرَبْوَة

وكذا قال سعيد بن المسيّب ويزيد بن شجرة؛ وقال كعب أمر الله تعالى عيسى بن مريم وأمه أن يسكنا دمشق، وهي إرم ذات العماد.

وقال الحسن في تفسير الآية: هي ارض ذات أشجار وأنهار، يعني أنهار دمشق.

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مشيخته أن بني إسرائيل هُتِمَ بعيسى فأمره الله

أن ينطلق إلى دمشق، وقال الحسن: ذات قرار ومعين، ذات معيشة تقوتهم وتجعلهم وماء جارية. قال: هي الربرة، هي دمشق.

وقيل إن الربرة في القرآن هي الرملة. روى مرفوعاً عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

وزاد به: ولا تزال طائفة من أمتي على الحق، طاهرين على من ناولهم، حتى يأتي

أمر الله وهم كذلك. فلنا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بأكاف بيت المقدس.

وروى عبد الزاق في تفسيره عن أبي هريرة قال: هي الرملة من فلسطين.

(١٩٨)

ويروى عن قتاده: هي بيت المقدس.

وقال زيد بن أسلم: هي الإسكندرية.

وقال وهب: هي مصر.

(١١)

ويروى عن جابر الجعفي عن أبي جعفر: وأوتياها إلى ربرة، قال: الكوفة؛

والمعين العرات.

وقيل غير ذلك. والراجح عند الأكثرين أنها ربرة دمشق.

وهذه الأقوال واهية. وإنما ذكرناها للتعجب، اقتداءً بالحافظ أبي القاسم بن

عساكر، رحمه الله!

استناد المؤلف
على هذه الأقوال

الكهف بقاسيون^(١)

سنة الكهف
فاسيوسنة ٣٧٠
ورؤيا عربية
في ذلك

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق: ذكر أبو العرج محمد بن عبد الله
ابن المعلم أنه ابتداء ببناء الكهف سنة سبعين وثلثمائة. قال: وبالله ربي أعصم من
الكذب، وأسأله أن ينطق بالصدق لسانی. رأيت جبريل عليه السلام في النوم.
فقال لي: إن الله بأمرك أن تبني مسجداً يُصلّى فيه ويُذكر أسمه، وهو هذا. فقلت:
وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سميتُه أنا: كهف جبريل. وقلت:
أني لي بذلك؟ قال: إن الله سيوفق لك من يُعيتك عليه.

مسجد عمرو بن العاص

مسجد
عمرو بن العاص
بالفسطاط بمصر

مسجد عظيم بمدينة الفسطاط. بناه عمرو بن العاص، موضع فسطاطه وما جاوره.
وموضع فسطاطه منه، حيث المحراب والمنبر.
وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام. ووقف
عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلوا فيه.

ولا يخلو من سكنى الصلحاء، معمور الأوقات بالذكر. وتقف صلاة الصبح فيه
أوقات مشهودة ومواسم خير لاتعد.

وصف المساجد
والشمس فوق
النيل في وقت
العروب

وحكى علي بن ظافر [الأزدی] قال: روى لي أن الأعز أبا الفتوح ابن قلاص
[و] [نحو الملك علي بن مفرج] بن المنجم أجمعاً في منار الجامع في ليلة فطر ظهر بها

(١) أي مسجد الكهف.

(٢) وقعت هذه الحكاية في صفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتاب "بدائع البداة" المطبوع في بولاق
سنة ١٢٧٨. وهناك زيادة ونقص في الألفاظ. فلذلك جمعت بين روايته ورواية ابن فضل الله.

الهلل للعيون، وبرز في صمحة بحر النيل كالنور^(١)، ومعهما جماعة من غواة الأدب،
الذين ينسلون إليه من كل حذب . فحين رأوا الشمس فوق بحر النيل غاربه ، وإلى
مستقرها جارية ذاهبه ، قد شمردت للغرب^(٢) الذيل ، وأصفرت خوفا من هجمة الليل^(٣) ،
والهلل في حمرة الشفق ، كحاجب الشائب أو زورق الورق ، فأقترحوا عليهما أن يصنعا
في ذلك الوقت التزيه ، على البديه .

فصنع ابن قلافس :

أَظَرُّ لِي الشَّمْسُ فَوْقَ النَّيْلِ غَارِبَةٌ * وَأَنْظَرُ لَهَا بَعْدَهَا مِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ !
غَابَتْ وَأَبْقَتْ شُعَاعًا مِنْهُ يَجْلُهَا * كَأَنَّمَا أَحْتَرَقْتُ بِالْمَاءِ فِي الْغَرَقِ !
وَالْهَلَالُ ، فَهَلْ وَافَى لِيَنْقُدهَا ، * فِي إِثْرِهَا زُورَقٌ قَدْ صَيَغَ مِنْ وَرَقِ "

وصنع ابن المنجم :

يَارُبُّ سَامِيَةٌ فِي الْحَوَاقِثُ بِهَا * أَمْدٌ طَرَفِي فِي أَرْضٍ مِنَ الْأَفُقِ .
حَيْثُ الْعِشِيَّةُ فِي التَّمَثِيلِ مَعْرَكَةٌ * إِذَا رَأَاهَا جَبَابٌ ، مَاتَ لِلْفَرَقِ .
شَمْسٌ نَهَارِيَّةٌ لِلْغُرْبِ دَاهِبَةٌ * بِالنَّيْلِ مُصْفَرَّةٌ مِنْ هَجْمَةِ الْغَسَقِ .
وَالْهَلَالُ أَنْعَاطٌ كَالسَّنَانِ دَا * مِنْ سَوْرَةِ الطَّعْنِ مُلْقٍ فِي دَمِ الشَّفَقِ .

وحكى علي بن ظافر أيضا ، قال : أخبرني [أبو عبدالله] بن المنجم الصواف ، بامعناه

(١) في كتاب البدائع : كانون . [وهو غلط] .

(٢) في » » : للغيث .

(٣) في » » : هجوم .

(٤) يعنى المأذنة .

(٥) ورد هذا الشطر في كتاب البدائع هكذا : "والشمس هاربة للحرب دارة" .

(٦) بدائع الدانه ص ١٢٩ وفيه زيادة ونقص عن ابن فضل الله . وقد جمعت بين الروايتين .

قال : صعدتُ إلى سطح الجامع بمصر في آخر شهر رمضان مع جماعة . فصادفتُ به الأديب الأعزُّ أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك عليّ بن مقرِّج بن المنجم وآبن مؤمن وشجاعاً المغربيّ في جماعة من الأدباء. فأنصفتُ إليهم . فلما غابت الشمس وفاتت ، ودُفِنَتْ في المغرب حين ماتت ، وتطرز حِداد الظلام بعَلَم هلاله ، وتحلّى زنجيُّ الليل بِجَلْخاله ، اقترح الجماعة على آبن قلاقس وآبن المنجم أن يعملّا في صفة الحال . فاطرق كلُّ منهما مفكراً ، وميز ما قدفه إليه بحر خاطره من جواهر المعاني متخيِّراً . فلم يكن إلا كرجع الطرف ، أو وثبة الطرف ، حتّى أنشدا .

فكان ما صنعه نشو الملك :

وَعِشِّيْ كَأَنَّمَا الْأُفُقُ فِيهِ * لَا زُورُ دُ مُرْصَعٌ بُنْضَارِ!^(١)
فَلْتُمْ لَمَّا دَتَتْ لِمَغْرِبِهَا الشَّمْسُ وَلَاحَ الْهِلَالُ لِلظُّلَارِ:^(٢)
أَقْرَضَ الشَّرْقُ صَوَاهِغَ الْغَرْبِ دِينَا . رَا فَأَعْطَى الرَّهْيَنَ نَصْفَ سَوَارِ!
وكان الذي صعه آبن قلاقس :

لَا تَنْظُرِ الظَّلَامَ قَدْ أَحْذَا الشَّمْسُ وَأَعْطَى النَّهَارَ هَذَا الْهِلَالَ .
لِأَنَّمَا الشَّرْقُ أَقْرَضَ الْغَرْبَ دِيَا * رَا فَأَعْطَاهُ رَهْنَهُ خَلْخَالَا!^(٣)

(١) البدائع : وعشا .

(٢) في آبن فصل الله : الهار | وهي ليست مطابقة للقام ، ولعلها سقط قلم . فذلك آحترت رواية بدائع البدائه | .

(٣) في البدائع : فأعطاه الرهن .

قال: وهذا مما تواردت في معناه الخواطر. وقطعة ابن المتجم أحسن من قطعة الأعرابي الفتوح ابن قلاقس: لتتصيفه السوار. وعلى كل حال فقد أبدعاً، ولم يتركها للزيادة في الإحسان موضعاً.

مسجد قرطبة

(١٥٦)

- مسجد قرطبة
مسجد عظيم ليس في مساجد المسلمين مثله بنيةً وتميقاً، وطولاً وعرضاً. ٥
- طوله وعرضه
وطول هذا الجامع مائة باع مرسله، وعرضه ثمانون باعاً.
- نسقه وصحنه
وصفه مسقف، ونصفه صحن للهواء.
- نسبة وسواريه
وعدد قسي مسقفه تسعة عشر قوساً. وفيه من السوارى (أعنى سوارى مسقفه بين أعمدته وسوارى قبلته - صغاراً وكباراً - مع سوارى القبة الكبرى وما فيها) ألف سارية. ١٠
- زياته
وفيه أثيرات كبيرة للوقيد، منها واحدة يوقد فيها ألف مصباح. وأقلها تحمل اثني عشر مصباحاً.
- سماواته وحوائز مسقفه
وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز مسقفه. وجميع خشب هذا الجامع من عيذان الصوبر الطرطوشى. ارتفاع الجائزة منها شبر في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع. وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبراً. وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة. ١٥
- صية القص وصمة الدوائر
والسماوات المذكورة كلها مسطحة: فيها ضروب صنائع من الضروب المسدسة والمُدرب وهو صنعة القص وصنعة الدوائر. والمداهن لا يشبه بعضها بعضاً بل كل سماء منها مكتفٍ بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها وأبدع تلوينها بالأوان حمرة

الزنجفرية والبياض الإسفيداجي والزرقة اللازوردية والزرنوق الباروقي والخضرة
الزنجارية والتكحيل النقي . تروق العيون وتستميل النفوس : بإتقان ترسيمها ،
ومختلفات ألوانها وتقسيمها .

وسعة كل بلاط من بلاط مسقفه ثلاثة وثلاثون شبرا . وبين العمود والعمود
خمسة عشر شبرا .

ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة . وقد عُقد بين العمود والعمود على أعلى
الرأس قسي غريبة عليها قسي أخر، على عمد من الحجر المحوت ، متقنة .

وقد جُصص الكل منها بالجص والجيار . ورُتبت عليها نجوم مستديرة ، ثابتة يدها
ضروب صناعات الفص بالمُقرة . وتحت كل سماء منها إزار خشب .

ولهذا المسجد الجامع قبلة تُعجز الواصفين أوصافها . على وجه المحراب سبع
قسي قائمة على عمد طول كل قوس منها أشف من قائمة ، وكل هذه القسي مزججة
بصبغة القوط^(١) . قد أعيت الروم والمسلمين بغريب أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها .

وفي عِصاداتي المحراب أربعة أعمدة : اثنتان أخضران ، واثنتان زرروران . لا تقوم بمال .

ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعة . خشبه آبنوس^(٢)
وبقس وعود الجمر . ويحكى في كتب تواريخ بني أمية أنه صنع في نجارته ونقشه

سبع سنين . وكان عدد صنّاعه ستة رجال ، غير من يخدمهم ويتصرف لهم . ولكل
صانع مهم في اليوم نصف مثقال مجدي .

(١) أي L'art Gothique

(٢) هكذا في الأصل . ولعله أراد وعى . [كما فعل المؤلف عند أربعة أسطر] .

وصف قلته
العجيبة ، وما فيها
من صفة القوط

أعمدة المحراب
لا تقوم بمال

المبر الذي ليس
بمعمور الأرض
مثله

سنة صاع قصوا
سبع سنين في عمله

وعن شمال المحراب يَبْتُ فيه عُدَدُ وُطُوسٍ ذهب وفضة وحسك. وكلها لوقيد^(١)
الشمع في ليلة كل سبع وعشرين من رمضان.

آلات الوقيد
في ٣٧ رمضان

وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان، لثقله . فيه أربع أوراق من مصحف
عثمان بن عفان الذي خطه يمينه، وفيه نُقِطٌ من دمه.

مصحف يرفعه
رجلان فيه
ورقات من
مصحف عثمان

ولهذا الجامع عشرون باباً، مصفحةً بصفايح النحاس وكواكب النحاس. وفي كل
باب منها حلقتان في نهاية الإتيان .

هـ ٢٠٠ مصفحة
لنحاس وكواكب
النحاس

وفي الجهة الشمالية منه الصومعة، الغريبة الشكل والصنعة، الجليبة الأعمال الرائقة .
أرعاها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي : منها ثمانون ذراعاً إلى الموضع الذي
يقف عليه المؤذن بقدميه، ومن هناك إلى أعلاها عشرون ذراعاً . ويصعد إلى أعلى
المدارجين : أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي . إذا أفترق
الصاعدان أسفل الصومعة، لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى . والذي في الصومعة من
العمد بين داخلها وخارجها ثلثمائة عمود : بين صغير وكبير. وفي أعلى الصومعة على
القمة التي على بيت المؤذنين ثلاثُ تَفَاحَاتٍ : واحدة من ذهب، وأثنان من فضة .
تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلاً من الزيت .

صومعة لغربية

درجان متجانسان
للتصعود إلى أعلاها

فيها ثلثمائة عمود
١٥٨
ثلاث تفاحات
من ذهب وفضة

١٥ ويخدم الجامع كله ستون رجلاً^(٢) .

٦٠ رجلا
يخدمون الجامع

(١) هكذا في الأصل، بالاهمال . وفي اللسان أن الحسك شوك مدرج لا يكاد أحد يمشی عليه إذا يس
الأم كان في رجله حف... والحسك من الحديد ما يعمل على مثله وهو من آلات العسكر . [ولعله المراد بها
والعرض احاطة هذه التُّدَد والآلات بشئ يجمع الاسباب الوصول إليها] .
(٢) قيمة الصحيفة نياض . مقداره سعة عشر سطراً .



سائر المزارات
وتفصيلها
ومواضعها المرمومة
والحقيقية

بقية المزارات الأخرى

وأما سائر المزارات فكثيرة جدًا: لا تدخل تحت الحصر، ولا يحيط بها قلم الإحصاء. وإنما نذكر منها ما حضرنا ذكره في هذا الوقت، مما هو ببلاد الشام، على ما يقرب على الظن صحته، لا كما يزعمه كثير من الناس في نسبة أماكن لاحقيقة لها. والله أعلم!

من ذلك:

§ قبر مالك بن الأشتر النخعي. قيل إنه على باب مدينة بعلبك، من الشمال. والصحيح أنه بالمدينة.

§ قبر حفصة، زوج النبي، صلى الله عليه وسلم. قيل إنه ببعلبك. والصحيح أنها أم حمص، أخت معاذ بن جبل. فإن حفصة ماتت بالمدينة.

§ دير إلياس النبي عليه السلام، ويقال إنه كان محبوساً [فيه].

§ مشهد إبراهيم (عليه السلام) بقلعة بعلبك. جدد بناء الملك الأشرف موسى.

§ قبر أسباط، ببعلبك.

§ قبر نوح (عليه السلام) بقرية تعرف بالكرك، من أعمال بعلبك.

§ قبر شيث، بقرية تعرف بشرعين بالقرب من كرك نوح. وقبر إلياس النبي بقرية.

§ قبر حزقيل، أحد أنبياء بني إسرائيل بالبقاع، غربي كرك نوح.

§ قبر بنيامين، شقيق يوسف، عليه السلام، بقرية ظهر حمار، من البقاع.

§ قبر شيبان الراعي، بالبقاع، بالقرب من حزقيل. في مشهد مبني عليه.

٥

١٠

١٥

§ قبر أيوب (عليه السلام) بقرية تعرف بدير أيوب، من أعمال نوى. كان بها أيوب، عليه السلام. وبها ابتلاه الله، عز وجل، وبها العين التي ركضها برجله، والصخرة التي كان عليها، وبالقرية أيضا قبر سعد التكروري، فقير صالح له شهرة.

§ مشهد جماعة من الصحابة بقرية تعرف بـجُجَّة على يسار الذهاب إلى زرع^(١).

• كان بها وقعة أجادين في فتوح الشام. وبها حجر، ذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جلس عليه. وهذا ليس بصحيح. فانه (صلى الله عليه وسلم) لم يعد بصرى، وذكر أن بجامعها سبعين نبيا.

﴿١٦٠﴾

§ قبر أليسع، بقرية تعرف ببسر، من أعمال زرع^(١).

§ تجران، شرقي بسر. يقال إن بها الأخدود. ولا يصح. لأن الأخدود باليمن.

والله أعلم.

١٠

§ قبر عبد الرحمن بن عوف، بقرية تعرف بالدور، على باب زرع. والله أعلم.

§ الهَمَيْسَع أبو أليسع، في ذيل اللجاة. والله أعلم.

§ سام بن نوح، على باب نوى. وبها قبر الشيخ محي الدين النَوَوِي. وبها الشيخ على الحريري، شيخ الطائفة الحريرية.

١٥

§ مبرك الناقة. موضع معروف ببصرى. ويقال إن ناقة النبي (صلى الله عليه وسلم) بركت به هناك. أما قدوم النبي (صلى الله عليه وسلم) ببصرى فلا شك فيه، وأما أن ناقته بركت به في هذا الموضع بعينه، فلا تقطع به. ولكن الظاهر أنه هو. والله أعلم.

وفي هذا الموضع مصحفٌ شريفٌ عُثمانيٌّ، وعليه أثر الدم.

§ وقبلُ بُصْرَى دِيرٌ يقال له ذير الناعقِ. كان به بَحِيرَا، الراهب. وبه اجتمع برسول الله، صلى الله عليه وسلم.

§ وشرقُ بُصْرَى قرية تعرف بِدَنِينَ. بها قَدَمُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في صحرة سوداء، على ماذكروا. والله أعلم.

§ وقرب بُصْرَى قرية تعرف بِغَصَب. بها قبر وهب بن منبه.

§ قدم هارون، عليه السلام، ببلدة بَصْرَحَد.

§ وبهذه البلدة مشهدٌ، ذكروا أن موسى وهارون (عليهما السلام) كانا به، لما خرجا من التيه.

§ قبر هارون. في السيق ببلاد الشولك.

§ قبر أبي عبيدة بن الجراح. بقرية عَمَتَا من القُور. وعليه بناءٌ، وخدامه مرتب جارٍ. أجرى له في الأيام التنكزية، بعلم الوزير أمين الملك ووساطته.

§ قبر معاذ بن جبل. بالقصير المعيني.

§ قبر أبي هريرة. بقرية تُنَيُّ بالساحل، من أعمال الرملة.

§ البلقاء. يزعم بعض الناس أن الكهف والرقيم هالك. وهذا ليس بصحيح. قال الهروزي: وقد زرنا الكهف والرقيم في بلاد الروم عند مدينة بقال لها أبسس، خربة (١)

١١) بها آثار عجبة، قريبة من مدينة ألكستين . وقيل إن مدينة دقيانوس هي طليطلة .
والصحيح الذي ببلاد الروم . وسيأتى ذلك فى موضعه .

§ قبر جعفر الطيار . بقرية مؤتة ، من أعمال كرك الشؤب .

§ وبها أيضا قبر زيد بن حارثة ، وقبر عبد الله بن رَوَاحَة ، والحارث بن
العمان ، وعبد الله بن سهل ، وسعد بن عامر القيسى وأبى دُجَانَة
الأنصارى : استشهدوا (رضى الله عنهم) فى غزوة مؤتة ، وهى غزوة مشهورة .

§ قبر سليمان بن داود . سرقى ببحيرة طبرية . قال شهاب الدين ابن الواسطى
فى نصنمه : والصحيح أن سليمان دفن إلى جانب أبيه ، فى بيت لحم . وهما فى المغارة
التي بها مولد عيسى ، عليهم السلام .

١٠ § قال : ومن شرقها أيضا قبر لقمان الحكيم وأبنه ، على ما قيل .

§ قبر أم موسى بن عمران . نقرية يقال لها إربيل من أعمال طبرية ، على يمين
الطريق . وبها أربعة من أولاد يعقوب . وهم : دان وأبساحور وزبولون وكاذ .

§ قصر يعقوب ، عليه السلام ، وبيت الأحزان ، وجب يوسف ، عليه
السلام . فى الطريق إلى بانياس . وهذا هو المشهور . قال ابن الواسطى : والصحيح

١١٢

١٥ أن جب يوسف فى طريق القدس ، عند بلد يقال له سنجيل . وقال فى موضع

آخر : سيلون قرية كان يعقوب (عليه السلام) ساكنا بها . وإن يوسف (عليه
السلام) خرج معها مع إخوانه . والجب الذى رُمى فيه يمين سنجيل ونابلس ،
عن يمين الطريق .

(١) فى الأصل بعد هذا الكلام تكرر روضه : ويقال ان مدينة دقيانوس .

§ قبر شعيب، عليه السلام، بقرية يقال لها حِطَّين ويقال حِطِّيم. وقبر زوجته على الجبل، على ما قيل.

§ قبر يهوذا بن يعقوب. بقرية رُومَة من أعمال طبرية.

§ قبر صفوراء، بنت شعيب، زوجة موسى بن عمران. بقرية كفر منده. قيل إنها مَدَّين، على ما زعم. قال ابن الواسطي: والصحيح أن مَدَّين شرق طور سيناء. ٥

§ وبهذه القرية الحبُّ الذي قلع موسى الصخرة من عليه، وسقى منها أغنام شعيب. قال: والصخرة باقية هناك. وبها اثْنان من أولاد يعقوب، وهما: أشير ونفثالي.

§ وعدهده الأماكن جبل يقال له الطور. قيل إن موسى، من هذا الجبل رأى النار، ومن هذا الموضع أرسله الله.

§ قبر راحيل أم يوسف. عن يمين الطريق السالك من القدس إلى الخليل. ١٠

§ قبر لوط. بقرية كفر تريك، شرقي بلد الخليل.

§ مقام لوط. بقرية تامين. وبها كان يسكن، بعد رحيله من زُغَر. والموضع الذي خُسف بقومه هو اليوم البحيرة المتنة. وقيل إن الحجر الذي ضربه موسى فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا، زُغَر.

§ قبر عبادة بن الصامت. بالرملة. ١٥

§ مشهد الحسين. بعسقلان. كان رأسه بها. فلما أخذها الفرنج، نقل المسلمون الرأس إلى القاهرة، ودُفن بها في المشهد المعروف به، خلف الفَصْرَيْن، على زعم من

قال ذلك . والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق . لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية .
وكانت دمشق دار ملكه وملك بنى أمية . ومن الحال ان يتجاوز الرأس المحمول إلى
السلطان لغير حصرتة . وله بدمشق مشهدٌ معروف ، داخل باب الفراديس . وفي خارجه
مكان الرأس ، على ما ذكروا . وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم
الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن . والمدى بعيد بين
مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان .

§ وفي هذا المشهد دُفن رأس الكامل صاحب ميافارقين . وفي ذلك قال أبو
المهتار ، الكاتب .

أين عازِ عَرَا وَجَاهَدَ قوما ، * أُنْحِنُوا بالعراق والمشرقين
لم يَشْنُهُ أَنْ طِيفَ بالرأس منه * فله أسوة برأس الحسين .
ووافق السَّبط في الشهادة والدَفْن * ن وقد حاز أبحر مرَّتين .
لَمْ وَارَوْا في مشهد الرأس ذاك الر * أس ؟ فَاسْتَعِجُوا من الحاليتين !

§ فـر يـحـيـي وزكـريـا . يقال إسمها بِسَبْطِيَّة . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد .
قال : وكلّى الوليد على العمال في بقاء جامع دمشق . فوجدنا فيه مغارة ، فعرّفنا الوليد
ذلك . فلما كان الليل وافي ، وبين يديه الشموع . فنزل . فإذا هي كنيسة لطيفة : ثلاثه
أدبـع في ثلاثة أذرع . وإذا فيها صُدف . فإذا فيه سَقَط وفي السفط رأس يحيى بن
زكريا ، مكتوبا عليه . ” هذا رأس يحيى بن زكريا ” . فأمر به الوليد ، فودّ إلى المكان .
وقال : أجعلوا العمود الذي فوقه مُغَيَّرًا من الأعمدة . فجعل عليه عمود مُسَقَط الرأس .

قال زيد بن واقد : رأيتُ رأسَ يحيى بن زكريا، وعليه البشرة، والشعرُ على رأسه لم يتغير . وقال القاسم بن عثمان الجوعى : سمعتُ الوليد بن مسلم وسئل : أين بلغك رأس يحيى بن زكريا ؟ قال : بلغني أنه قُتِم . وأشار بيده نحو العمود المسقط الرابع من الركن الشرقي . وقال هشام بن عمار : حدثنا محمد بن شعيب ، قال : دخلتُ مع شتاد بن عبد الله من باب الدَّرَج . فقال لي : ترى هاهنا كتابا بالرومة ؟ قلت : نعم . فصلتُ ركعتين . وقال : هاهنا رأس يحيى بن زكريا . وروى القاسم الجوعى عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزاعي : أين بلغك رأس يحيى بن زكريا ؟ قال : في العمود الرابع المسقط .

١٦٤

سعد بن عباد . يقال إنه بقرية المنبجة ، من غوطة دمشق . ولا يصح .^(١)
خالد بن الوليد . يقال إنه خارج حمص . ولا يصح . وإما هو خالد بن يزيد ابن معاوية ، بقول جرهم ، فإن عمر بن الخطاب كان قد عزل خالدًا عن حمص وأخصه إلى المدينة . فمات بها ، ووجد عليه عمرُ بعد موته .
ضرار بن الأزور . خارج باب شرقي . مع خلق من الصحابة ، استشهدوا في فتح دمشق .

١٥
و بمقابر باب الصعير خلق من الصحابة أبصا ، استشهدوا في فتح دمشق .
وكذلك من سكن دمشق منهم .

وكذلك سائر بلاد الشام ، وبمصر ، والعراق ، والعجم ، والمغرب .
و بجزيرة العرب منهم رجال ، وبمكة والمدينة مشاهير وأعلام .^(٢)

(١) يباض بالأصل مقداره سطران .

(٢) يباض بالأصل مقداره خمسة سطور .

البيوت المعظمة عند الأمم

وأما غير ذلك مما هو لطوائف الأمم:

فأقول ذلك ما كانت عبَاد الكواكب تعظمه.

عادة الكواكب
روحها كلها

وهي سبعة بيوت في الأرض. يرون أن كلا منها هيكل كوكب من الكواكب
السبعة السيارة: لاعتقادها أن الكواكب أحسام حية ناطقة، تجري بأمر الله في كل
ما يحدث في العالم. ففتروا إليها الفرائين، لتنفعهم. فلما رأوها تخفى في النهار وبص
أحايين الليل، عملوا لها تماثيل، وبنوا لها البيوت والهياكل: ظناً أنهم إذا عظموا تلك
التماثيل الموضوعة لها، تحركت الأجسام العلوية بمزاجهم.

١١٥

وقد قال الله تعالى: حكاية عن قولهم: "مَا عِبَدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى".

والأنياس السبعة التي كان إليها حجبهم:

البيوت المحجورة

§ أولها البيت الحرام. كان يأتيه منهم من يتقرب برُحل.

قلت: وإن صح قولهم من قصد هؤلاء البيت الحرام بالتعظيم، فلا عجب. فإنه
ما زال معطى في الإسلام وقبل الإسلام. تنحج إليه طوائف الأمم في كل الأوقات.
زاده الله إبقاء وأدامه. ووصل شرفه بيوم القيامة!

§ وثانيها بيت فارس، على رأس جبل أصفهان. وبينهما ثلاثة فراسخ. كان يأتيه
منهم من يتقرب بالمشترى. ثم جعله يستأشف - لما تمجس - بيت ناره. فعظمه المجوس.
§ وثالثها بيت مندرسان، ببلاد الهند. كان يأتيه منهم من يتقرب بالزنج. وقد

ذكره أبو عبيد البكري وقال: إن به من القوى الدافعة والجاذبة والمنفردة، أوصافا لا يسع ذكرها. ثم قال: وهو بيت مشهور من أراد البحث عنه، فليبحث.

§ ورابعها بيت كاوسان، بناه كاوس الملك، بمدينة فرعانة، كان نأته منهم من يتقرب إلى الشمس. قال أبو عبيد البكري: وهدمه المعتصم. وهدمه جبر طريف ذكر في كتاب الزمان.

§ وخامسها بيت عُمدان، بناه الضحاك بمدينة صنعاء، كان نأته منهم من يتقرب بالزهررة. وخرّبه عثمان بن عمار، رضى الله عنه. والآل مكانه بركة. وآثاره كالجليل الضخم. وكان الوزير عيسى بن الجراح، لما فى إلى اليمن آتفرفه قرا وبى عليه سقاية. قال البكري: وزعم أهل اليمن أنه سبى على يد غلام يخرج من بلاد سبأ، يؤثر في هذا العالم تأثيرا عجيبا.

§ وسادسها بيت بأعلى بلاد الصين، بناه ولد عامور بن سويل ساف بن يوح. نأته منهم [من] يتقرب لعطارد خاصة، ولسائر الكواكب السعة السيارة عامة. وهو سبعة أبيات، في كل بيت سبع كوى، يقال كل كوة صورة على صورة كوكب من الخمسة والعشرين. ولهم فيه أسرار برعهم.

§ وسابعها بيت النوبهار، بناه متوشهر الهندى بمدينة بلخ. وكان يأتيه من الصائفة من يتقرب بالقمر. وكان يسمى المتولى لسدائته "برمك". وكانت ملوك الفرس تعظمه وتعظم متوليه. وآلت ولايته إلى أبى خالد البرمكى، فهذا قيل "خالد بن برمك" ولهذا قيل "البرامكة". وكان من أعلى المباني تشييدا. وكان يلبس بالحرير الأخضر، تُشرع له

(١) في الأصل: مكان

(٢) هكذا في الأصل. والحسبان لا يتبعه.

شِقَاقٌ منه . طول كل شُقَّة مائة ذراع . فيقال إن الريح حملت بعض تلك الشقاق فرمت به على مسيرة خمسين فرسخا . وهذا يدل على عُلُوِّه الزائد . وكان قد كتب على باب التوبهار بالفارسية : ” قال سوراشف الملك : أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال “ .

- ثم لما ملك الإسلام مدينه بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية : ” كذب سوراشف . الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان “ .

هياكل الأقدمين

هياكل الأقدمين وأما سيوت اليونان^(١) فهي ثلاثة هياكل ، وهي مشهورة في العالم :

- أولها - بيت بانطاكية ، داخل مدينتها ، على يسرة المسجد الجامع . وخره المسلمون .
ولما أتى ثابت بن قُزَّة بن زكريا الحزائي مع المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين ، أتى هذا الهيكل وعظمه .

وثانيها - هو الهرم الذي على بُعد من القسطنطينية .

وثالثها - بيت المقدس . كان قد شُرع في بنائه . ثم شرع داود (عليه السلام)

- في تكميل بانيه مسجدا . ثم تم على يد أبنه سليمان ، عليهما السلام .

قال البكري : فأما الصنم الذي ذكره الله عز وجل في الإنجيل ، فكانت اليونانية آحاثارت له جبل لبنان . فأتخذوا له هناك هيكلا فيه نقوش عجيبة ، في الحجر . لا يتأتى مثلها في الخشب^(٢) .

(١) في هذه التسمية نظر . ولعل المؤلف أراد ” الأتليس “ . وإلا فالهرم للصربين الأقدمين ، وبيت

القدس لبني إسرائيل .

(٢) لعل الإشارة إلى هيكل بعلبك ، فإن هذا الوصف ينطبق عليه .

هياكل الصقالبة

وأما بيوت الصُّقْلَب فهي بيوت ثلاثة ، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات
أسترقّت عقولهم :

فأولها - بيت فيه آثار مرسومة تدلُّ على الكائنات . قال الكري : وهذا البيت على
الجل الذي كان للفلاسفة أنه أحد جبال العالم . (قلتُ : لعله يكون على الجبل المستدير
وهو المسمّى في الشمال بجبال قاقونا) .

وثانيها - على الجبل الأسود . تحيط به مياه عجبية ، ذوات طعوم مختلفة . وفيه صنم
كبير ، على صورة رجل شيخ ، بيده عصا يحرك بها عظام الموتى . وتحت رجله اليسرى
عرايبٌ سودٌ من صور الغدّاف وغيرها .

وثالثها - يحيط به خليج من البحر ، في وسطه قبة عظيمة ، بها صنم على صورة جارية .

هياكل الصباينة

وأما ما كان للصباينة . فكان لهم هياكلٌ تسمّى بأسماء ، وهي :

هياكل العلة الأولى ، وهياكل العقل ، وهياكل الصورة ، وهياكل النفس .
مستديرات الأشكال .

وهياكل الكواكب والنيرين على أشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربيع .
وكانت لهم فيها دُخَنٌ وقرابينٌ يطول وصفها .

(١) الذي في مروج الذهب : "الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد حلال العالم العالية" .

قال البكري: والذي بقي من هياكلهم، بيتٌ بحِزَابٍ، في باب الرقة. يعرف بمعلنيشا. وهو هيكل آزر، أبي إبراهيم، عليه الصلاة والسلام. ولهم في آزر وأبيه كلام كثير.



قال البكري: ولهم في هياكلهم غاريق قد وصلت: تَف السدنة من وراء الحُدُر وتكلم بأواع الكلام، فتجرى الأصوات في تلك المنافع والمخاريق إلى تلك الصور المحجوة فيظهر لها طبقٌ على حسب ما دبر على هيئة هندسية. ثم قال: والصابئة حشوية اليونان. وإنما يضافون إلى الفلسفة، إضافة نسب لا إضافة كلمة. لأنهم يونانيون، وليس كل يوناني بحكيم. قال أبو عبيد البكري: وعلى باب حرّان كتابة بالسريانية نسبة قول في النفس نسبة قول أفلاطون: الإنسان نبات سماوي. قال: والصابئة تقرب في بعض الأوقات نورا أسود. تُشد عيناه ويصرب وجهه بالملح، ثم يُدبج ويُنظر في أعضائه. وما يظهر منه في الجراحات والاختلاج، فيستدل به على أحوال السنة، ولهم في قراينهم أسرار ومخبات.

§ وهيكل في أفاصي الصين، وهو بيت مدوّره ستور وأبواب. في داخله قبة مسبعة عظيمة البنيان. وبه برّ مسبعة الرأس، متى أكتب إنسان على رأسها تهزّز على رأسه فيها. وعلى رأس البرّ شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم، قلم السندهند: "هذه البرّ تؤدي إلى مخزن الكتب الأولى وتاريخ الدنيا وعلوم السماء لما كان ويكون، وتؤدي إلى خزائن رغائب هذا العالم. لا يصل إلى الدخول إليها والاقتباس مما فيها إلا من وازت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا".

قلت: هذا ما ذكره البكري ذكرته كما ذكره، والعهد عليه فيما نقله.



بيوت النيران

بيوت النيران

وأما بيوت النيران، فأقول من ذكرها أفريدون . قال : لأنه زعم أنها من جنس الكواكب النورية . وبالنور صلاح العالم . لأنها عندهم أصل كل حي ومبدأ كل تمام . لأنها تجذب الحيوان إليها كالقراش الطائر بالليل ، وما يصاد بالليل بالسرّج من الوحش والطير والسّمك كما يصاد في البصرة بإيقاد السرج في الزواريق ، فيطلع السمك من الماء حتى يقع في الزواريق . ويبتل أحوال المحوس في اجتذاب النار للحيوان أن الحيوان ينام الليل لاحتباسه عن الإسفار ، فإذا رأى النار ظنه فرجة إلى النهار ، فقصده .

وليس هذا موضع ذكر شبهتهم والأجوبة عنها . وإنما ذكرنا هنا ما هو لائق به . وبيوتهم المشهورة خمسة :

فأولها ، بيت بطوس ،
وثانيها ، بيت بخارى ،
بناهما أفريدون .

وثالثها ، بيت دارابجرد في أرض فارس .

(كان زرادشت نبي الفرس ، على ما زعموا ، قد أمر يستأشف الملك أن يطلب نارا

كال يعظمها جثم الملك ، فوجدت بخوارزم . فنقلها يستأشف إلى دارابجرد . قال
البكري : والمحوس تعظم هذه النار ، وهي أكرم نيرانهم .)

ورابعها ، بيت باسطخر ، من فارس . ويقال إنه كان مسجد سليمان ،
عليه السلام .

وقال المسعودي: وقد دخلته، وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر، فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلًا عظيمًا، وفي أعلاه صور من الصخر محكمة، عظيمة المقادير: من الخيل وسائر الحيوان. يحيط بذلك كله سور من الحجر، فيه صور الأشخاص، قد شُكِلَتْ وأُثِقِنَتْ. ويزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء، عليهم السلام. وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار: لها هبوبٌ وحيفٌ، يذكر من هناك من المسلمين أن سلبان حبس الريح فيه، وأنه كان يتغذى بعبك، من أرض الشام، ويقل بمدينة تدمر، في الملعب المتخذ فيها (وهي في البرية بين العراق ودمشق من أرض الشام. وبين تدمر والشام ستة أيام) ثم يتعشى بهذا المسجد.

(١٧٠)

وبتدمر خلق من العرب من خطان.

١٠ وخامسها، بمدينة جُور التي يضاف إليها الماورد. بليت نار بناه أردشير له يوم عيد. وهو على عين هناك، عجيب. وإليه متزهاتهم. وفي وسط جُور بنيانٌ كانت تعظمه الفرس، يعرف بالطربال. خربه المسلمون.

وإماماً فُضِّلَ ماء وردهم، لصحة التربة وشفاء الهواء.

وألوان سكانها في غاية الحسن، من اعتدال الحمرة والبياض.

١٥ وبين جور وشيراز (وهي قصبة فارس) عشرون فرسخاً.

فسبحان الذي من علينا بالإسلام، وهدانا إليه وعلمنا ما لم نكن نعلم، وفضلنا على

كثير من خلقه، تفضيلاً!

الآثار المشهورة

ومما تُتبع به هذه الهياكل من الآثار المشهورة في الأرض مما بقي، لقي جسمه
أو رسمه، ما يُذكر:

§ من ذلك صنم الخطا المحجوج في نهاية الشرق المتشامل . وهو قريب من
السند .

§ ومن ذلك قصر الدهاك . ما بين مدينة طُغُورا وبين مدينة باش بالقي ، شرق
طُغُورا وغربيّ باش بالقي .

§ ومن ذلك حائط القلاص . ويعرف بالحائط المحيط ، ويعرف بحائط عبد الله
ابن حُميد جنوبيّ بلاد الغربية وأسيجاب .

§ ومن ذلك مدينة إصطخر . وهي مدينة عجبة البناء ، من بناء سليمان ، عليه السلام

§ ومن ذلك قصر سِنداد . وهو بالعراق ، قريب النيل ، أرض الأَزر ، على نهر
سِنداد . وكان مسكن آل مُحَرِّق^(١) . وفيه قال الأسود بن يَعرُف .

(١٧١)

ماذا أؤمل بعد آل مُحَرِّق ، * تركوا منازلهم ، وبعد إباد ؟

أهل الخورق والسدير ومأرب * والقصر ذي الشُرُفات من سِنداد .

دار نخيرها لطيب مَقبلها * كعبُ بن مامة وابن أم دُوَاد .

زلوا بأنقرة يسيل عليهم : ماء الفرات ، يحيى من أطواد .

حرت الرماح على محلّ دبارهم * فكأنما كانوا على ميعاد !

§ ومن ذلك قصور الحيرة ، بين العراق والشام .

(١) هو الخاء المهملة كما في لسان العرب في مادة (ح ر ق) وقد أعجم في الأصل تصحيحا من التامع .

الحوررق والسدير

§ ومن ذلك الحوررق والسدير. وهما من أشهر الآثار. بناهما شخص اسمه سِنِمَار
للتَّعْنان بن قيس، وبُكِّله في عشرين سنة. فلما وقف عليه التَّعْنان، استجاده وأتى على
سِنِمَار. فقال له سِنِمَار: لو شئتُ أن أجعله يدور مع الشمس، لفعلتُ. فأمر به أن
يُطرح من أعلى شُرْفاته. فُضِرَ به المثل، فقيل: "جزاء سِنِمَار". وفي ذلك بقول
الشاعر:^(١)

حرثني بنو قيس، وما كنت مذنباً، * جزاء سِنِمَارٍ وما كان ذا ذنب!
بنى القصر للتَّعْنان عشرين حَجَّةً * يعلّ عليه بالقراميد والخشب.
فلما استوى البنيان وأشتد رصفه * وأض كثر الطود والشاخ الصَّعب،^(٢)
رعى بسِنِمَارٍ على أمِّ رأسه، * وذلك لعمر الله من أعظم الخطب!
ثم تهرب هذا التَّعْنان في الجاهلية، وأُخْلِعَ من ملكه، ولبس المُسُوح. وفيه قال
عدي بن زيد:

وتد كُزَّب الحوررق إذ فكَّر يوماً. وللهدي تفكير!
راقه ماله وكثرة ما يملك، والنهر معرضاً والسدير.
فأرعى قلبه وقال: وما غبطة حتى إلى الممات يصير؟

(١٧٢)

§ ومن ذلك قصر سَنَفَاد.

§ ومن ذلك الرصيف الممتد بين صَرْخَد والعراق، ممتداً في البرية. يقال إنه من عمل
سليمان بن داود، عليهما السلام. وهو يتصل في مواضع ويتقطع في أخرى. يتوصل
السالك معه من الشام إلى العراق، ومن العراق إلى الشام في أقرب مدة.

الرصيف

(١) أورد باقوت هذه الأبيات باختلاف يسير في الألفاظ (في معجم البلدان ج ٢ ص ٤٩١).

(٢) في الأصل: الشاذخ. [وقد صححت بمعاونة باقوت].

§ ومن ذلك مدينة تدمر بين العراق وبين الشام، وما فيها من عجائب البناء وكنار
العمد.

§ ومن ذلك ملعب بعلبك. والباقي منه عمد بقلعتها الآن، وما في سورها من الأحجار
العظام والصخور الراسية كالجبال. يقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليهما السلام.
§ ومن ذلك مدينة شهباء من بلاد حوران. بها من الأبنية الباقية والعمد العالية
والآثار الدالة ما هو من جلائل الآثار.

آثار حوران
صفد

§ ومن ذلك مدينة جرش من بلاد حوران. يحكى الهول عن غرائب آثارها. وقد
أصبحت خاوية على عروشها، خالية من أهلها وسكانها، لا يحس بها حسيس، ولا يوجد
بها أنيس.

§ ومن ذلك جب يوسف، وهو قرب قرية اسمها شوري.

§ وبلدانيا جسر يعقوب، وهو معروف مشهور.

كل ذلك ببلاد صفد.

§ ومن ذلك منازل ثمود بين الحجاز والشام. وبيوتهم المنحوتة في الجبال باقية إلى الآن.

منازل ثمود

وهي المعنية بقوله تعالى: "وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِيقِينَ". وبها البثران: بئر الناقة
وبئر ثمود، المقسوم بينهما الشراب. ولما مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأرض
ثمود في غزوة تبوك، وجد بعض من سبق من أصحابه قد ملأ من بئر الحجر. فأمر بأن
يراق الماء. فقالوا: يا رسول الله قد عجننا منه العجين. فأمر بأن يطعموه الإبل، وأن
يشربوا من بئر الناقة. وهما معروفان هناك.

وهذه فائدة أردنا التنبيه عليها.



(١) في الأصل عاد وصحها بالهامش "ثمود"، ولكنه لم يلتفت إلى البقية فصحها نحن كما ترى والآتية

والحديث معروفان من قصة ثمود.

- ٥ ومن ذلك جُبُّ بَابِلَ ، وهو الذى حُبِسَ به دانيال . ألقاه فيه بُحْتُ نَصْر . وألقي معه أسدين حتى أناه ، بأمر من الله ، نبيٌّ من أنبياء بنى إسرائيل . فقال : يا صاحب الجُبِّ ! فأجابه دانيالُ : قد أسمعتَ ! ما تريد؟ قال : أنا رسول الله إليك ، لأستخرجك من موضعك . فقال دانيالُ : الحمد لله الذى لا يَلْسَنُ مَنْ ذكره ! والحمد لله الذى لا يَكْلُ من يوكل عليه إلى غيره ! والحمد لله الذى يجرى بالإحسان إحساناً ! والحمد لله الذى يجرى بالإساءة غفراً ! والحمد لله الذى يكشف ضرراً عن كربنا ، وأستخرجه وإن الأسدين لعن يمينه وشماله يمشيان معه حتى عزم عليهما دانيال أن يرجعا .
- وعزَّ ابن عباس ، قال : من قال عند كلِّ سُبْحٍ : ” اللَّهُمَّ ! رَبِّ دانيالَ وربَّ الجُبِّ وربَّ كلِّ أسدٍ مستأسِدٍ ! ” احفظنى وأحفظ على ! ” لم يضره السبع .
- ١٠ § الأخدود . المخنفر لأصحاب الأخدود المذكورين فى القرآن الكريم . وهو بَحْرَانٌ من اليمن .
- § ومن ذلك البئرُ المَعْطَلَةُ والقصرُ المَشِيد . وهما قريب الفج الخالى بمشاريق اليمن .
- § ومن ذلك سَدُّ مَأْرَب . وهو بلاد سيل من اليمن .
- ١٥ § وبه قصرُ القَشِيب . كان لِمَلِيقِيس .
- § ومن ذلك قصرُ عُثْمَدَان . بصعاء اليمن . وهو من أشهر الآثار وأظهر المعالم . كان مسكنَ التباة من حِمْيَر ، ومنهم شَمِير بن مالك وأسعد أبو كَرْب . وكفى بذكركهما طافا الأرض وبلغا الآفاق . وقصر عُثْمَدَان هذا هو المذكور فى الأشعار ، والمشهور فى الأخبار . وفيه بقول ابن أبى الصَّلْت :

حَتَّ دَان

مَسْرُ المَعْطَلَة
ولقصر المشيد

سد مأرب

قصر قشيب

قصر عثمدان

اشرب هنيئاً عليك التاج مفتيحاً * في قصر عُمدان داراً منك محاللاً!

تلك المكارم لأقعبانٍ من لبنٍ * شيباً بماءٍ ، فعاداً بعد أبوالا!

§ ومن ذلك بئر برهوت ، ببلاد حضرموت من بلاد اليمن ، وهو الذي لم يُعرف عمفه ، ولا علم أن إنساناً نزله .

§ ومن ذلك قصر زيدان ، المشهور بمدينة طَفَّارِ باليمن ، وكانت تسمى قديماً مدينةً يحصب .

§ ومن ذلك قصر الشاذيخ ، وهو بباب نيساور ، من خراسان ، كان دار السلطنة لبعض ملوكها ، ولم تُؤخذ ذكره إلا لأنه شبه ببناء عُمدان ، فكان كأن لذكره به تعلقاً :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً * الشاذيخ ، ودع عُمدانَ ليمن !^(١)

فأنت أولى بتاح الملك تلبسه * من هودّة بن عليّ وأبن دى بزّن !

وعلى باب قصر الشاذيخ ، صلب على بن الجهم . فقال حين صُلب ، أرتجالاً .

لم ينصبوا بالشاذيخ عشيةً إلا شنين مسبوقاً ولا مجهولاً !

نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم * شرفاً ، وملء صدورهم تحيلاً !

ما عابه أن بزّعه شيا به ، * فالسيف أهول ما يرى مسلولاً !^(٢)

(١) في الأصل : باليمن . [وقد صححت بمعونة ياقوت ، لأنه أورد هذين البيتين في معجم البلدان ، ح ٣

ص ٢٢٩ .

(٢) هذه الحكاية والأبيات المتعلّقة بها ليست في ياقوت . وإنما أوردتها صاحب الأغاني بمصـ

أولى (ح ٩ ص ١٠٧) مع إيراد القصيدة أكلها وهي ١٢ بيتاً . [وقد صحّحت بعض الكلمات بمعونه .

دار الأعماد
الفسطاط

ومن ذلك دار الأنماط . وكانت بفسطاط مصر ، يباع بها قماش النساء ،
وفانر اللباس والأمتعة . وتجلب إليها من كل أرض . وكان يجلس على حوانيتها أهل
المراع واللهو . وكانت من عجائب المباني ، وغرائب الآثار .

وحكى ابن ظافر^(١) أن ابن قلافس جلس بمصر فيها مع جماعة ، فموت بهم امرأة
تعرف بابنة أمين الملك . وهي شمس تحت سماء الثَّاقَب ، وغصن في أوراق الشَّباب^(٢) .
فحدثوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب ، والمريض إلى الطبيب . فجعلت تُنْقَلَب
نُلْمَتُ الطَّيِّبِ المذخور ، أفرقه القانص فهرب ، وثني ثنيَّ الفصن المطور ، عاتقه النسيم
فأصطرب . فسأله العمل في وصفها . فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القَطَّان
الأزديّ القبرواي^(٣) :

١٠ "أعرضن لما أن عَرَضَنَ فإن يكن * حذرا ، فإن ثُلُثَ الْغُزْلَانِ؟"

ثم صنع .

لها ناظرٌ في دري ناصر * كما رُكِبَ السَّنُّ فوق القناة .

(١) في كتاب دائع الدائمه ، ص ١٧٤ وفي ديوانه المخطوط عمرة ٥٤٩ هـ أدب بدار الكتب الخديوية .

وفي نسخة التي عني بآطهارها مع التدقيق في التصحيح الشاعر المصري الشهير خليل أفندي المطراب .

سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥)

١٥

[وقد حمت من الروايات ، إلا ما كان فيه اختلاف وتغير فقد مهت عليه في الحواشي التالية . الثلاثة

درد الحكاية التي تضمنت واقعة الحال .]

(٢) في كتاب دائع الدائمه : سحاح .

(٣) في آس فضل الله . في غصن أوراق

(٤) قول الخطاء ، الأديبي .

(١) لَوْتُ حين وَلَّتْ لَنَا جِيْدَهَا * فَأَيُّ حَيَاةٍ بَدَتْ مِنْ وَفَاةٍ؟
(٢)
كَمَا دُعِرَ الطَّبِيُّ مِنْ قَانِصٍ * فَمَرَّ وَكَثُرَ فِي الْأَلْفَاتِ!
(٣)
ثُمَّ صَنَعَ (٤)

ولطيفة الألفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة، إلا عتأ.
كَلَّتْ حَاسَتُهَا فَوَدَّ الْبَدْرُ أَنْ * يَحْطِيَ بِبَعْضِ صِفَاتِهَا أَوْ يَنْعَتَا.
فَدَقَلْتُ لَمَّا أَعْرَضَتْ وَتَعَرَّضَتْ: * يَامُؤِيسَا، يَامَطْمَعَا، قُلْ لِي مَتَى؟
قَالَتْ: أَنَا الطَّبِيُّ الْغَرِيرُ وَإِنَّمَا (٥)
وَلِي وَأَوْجَسَ خِيفَةً فَتَلَقَّنَا. (٦)

وَمِنْ ذَلِكَ الْأَهْرَامِ بِمِصْرَ، وَأَجْلُهَا الْهَرَمَانُ بِحِيْزَةِ مِصْرَ. وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ
فِي سَبَبِ مَا بَنَاهُ. فَقِيلَ: "هِيَ كُلُّ لِلْكَوَاكِبِ". وَقِيلَ: "قُبُورٌ وَمُسْتَوْدَعٌ مَالٍ وَكُتُبٌ"
وَقِيلَ: "مَلْجَأٌ مِنَ الطُّوفَانِ"، وَهُوَ أَبْعَدُ مَا قِيلَ فِيهَا. لِأَنَّهَا لَيْسَتْ شَبِيْهَةً بِالْمَسَاكِينِ. ١٠

وَأَقْرَبُهَا إِلَى الصَّحَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهَا إِمَاهِيَا كُلِّ كَوَاكِبَ، وَإِمَا مَوَاضِعَ قُبُورٍ. وَلَقَدْ
فُتِحَ أَكْبَرُهَا فِي زَمَانِ الْمَامُونِ، حِينَ قَدِمَ مِصْرَ. فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا وَضَعَ لَهُ.
وَعَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ أَنَّهُ وَجَدَ ذَهَبًا فَوْزَنَهُ، وَحَسَبَ مَقْدَارَ مَا أَنْفَقَهُ، فَوَجَدَهُمَا سَوَاءً
بِسَوَاءٍ، لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ شَيْئًا، لَعَلَّهُمْ السَّابِقُ أَنَّهُ سَيُنْفَقُ عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا (٧)

فتح المأمون
للهرم الكبير،
والتفتيق المؤلف
في ذلك.

١٥ (١) في ابن فضل الله: أرت.

(٢) » » » حياة بذا أو وفاة.

(٣) في ديوانه المخطوط والمطبوع: هَرَّ.

(٤) هذه الأبيات لم ترد في الديوان المخطوط ولا المطبوع.

(٥) في البدائع: القريد.

٢٠ (٦) » : نبوة.

(٧) في الأصل: لعلهما.

المقدار . فوضع هذا المقدار بإزاء ما ينفق عليه . ووجدتُ هذا في كثير من الكتب .
مراجعتُ التواريخ الصحيحة والكتب المسكون إليها ، فلم أجد المأمون وجد به شيئاً
ولا أستعاد زائداً عما يعلم الناس به علماً .

وأدلل الأدلة على أن أحدها هيكلُ بعض الكواكب ، ^(١) أن الصابئة كانت تأتي حقيقة
تُخجُّ الواحد وتزور الآخر ، ولا تبلغ به مبلغ الأول في التعظيم . والله أعلم بحقيقة أمورها
وجليته أحوالها .

وهي أشكال لسية . كأن كل هرم لهُ سراج . آخذة في أسافلها على الترتيب مسلوكة
في عمود الهواء . آخذة في الجَوْحَى إلى الثلث . أولاً استدارة سفل أبلوج السَّكْر ^(٢)
لشبهائها به . ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمساوية
أقتضته .

وصف المؤلف
الأهرام وزاياته
فـ

ولقد أضعدتُ غير مرَّة ، ما زلتُ على الأهرام بجميع بلاد الخيزرة ، ورأيت منها ما دثر
بعضه . وما دثر كله . فإذا هي مصفحة البناء ، شيئاً على شيء ، لأفُسحة في أوساطها ، كما
تكون ساحات الدور بين الجدران . وإنما هي بناء ملتصق على بناء . بعضها فوق بعض .
ووجدتُ بعض الأهرام مبنية بالطوب . وهذا أكبر دليل على أنها لم تُخذ ملجأ
من الطوفان .

(١٧٥)

فأما مقدار الهرم من المشار إليهما ، في ارتفاعهما ومساحة أقطارهما ، فإنه مذكور
في الكتب ذكرها مستوعباً لم أحققه بالقياس . وأبني لي تحقيق في هذا الكتاب أن
أذكره بمجود التلبس ، مع إمكان التحقيق ، مع كثرة تردد عليا ، وسكني بالقاهرة
في جوارها . ولعدي مانع في وقت هذا التأليف ، فعدتُ عن معاودتها بالنظر والتحقيق .

(١) في الأصل : واد .

(٢) من السكينة .

على أن الهدم قد شرع في قلع هذه الآثار، ونقل أحجارها إلى الأبنية والمساكن .
نبه لها الدهر طرفا غافيا، وقلبا غافلا، فأصبحت هاوية الأركان، ناعة السكان . فلقد
صدق عليها المتنبي قوله :

أين الذي الهرمان من بُنيانه * من قومه ما يومه ما المصرعُ
تتخلف الآثار عن سُكَّانها * حيناً، ويدركها الفناء فتبع !

وإن فيها لعبةً للعتبر، وتذكرةً للذكر، وآيةً لمن أتاب، وتبصرةً في الدنيا لمن يلد
للنقاء ويعمر للغراب .

وحكى ابن ظافر^(١) قال : ذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا
متنزهين إلى الأهرام، ليروا عجائب مبانيها، ويتأملوا عرايب ماسطوره الدهر من العبر^(٢)
فيها، فأقترح بعض من كان معهم العمل فيها . فصنع أبو الصلت أُمّة بن عبد العزيز
[الأندلسي] :

بعيشك هل أبصرت أحسن منظراً، * على ما رأيت عيناك، من هَرَمي مصر^(٣)
أنافاً بأعان السماء وأشرفاً * على الحق، إشراف السماك على النسر^(٤) .
وقد وافيا تشترا من الأرض عالياً . كأنهما نهدان قاماً على صدر .

(١) مدائع البدايه (ص ١٣٦)، ومع الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤) .

(٢) ابن فضل الله : في .

(٣) هذه الكلمة ليست في المدائع ولا في مع الطيب .

(٤) البدائع : بأكناف .

(٥) ابن مصل الله : أو .

أبو الهول روصه § ومن ذلك أبو الهول . وهو أسمٌ لصنمٍ يقارب الهرم الكبير . في وَهْدَةٍ منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب . لابين من فوقِ سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعقته . أشبه شئ برأس راهب جنبشٍ ، عليه غفَّارية . على وجهه صباغ أحمر إلى حُوَّة ، لم يُحَلَّ على طول الأزمان ، وقديم الآباد . وهو كبير . لو كان شاخصاً كله ، لما قُصِر عن عشرين ذراعاً طوله . في غاية مناسبة التخطيط .

يقال إنه طَلَسَمَ^(١) مع الرمل عن المزدَرَع . وزاد تحسين هذا القول إليهم وتصويرهم ، أنه على نهاية الرمل إلى جهة المزدَرَع .

وي أبي الهول بقول [أبو منصور] ظافر الحدَّاد^(٢) .

تأمل هيئة الهرمين وأنظرا ، * وبينهما أبو الهول العجيب !
كعمَّاريتين على رجيل^(٣) * نجوين ، بينهما رقيب .
ويفض البحر عندهما دموعُ * وصوتُ الريح بينهما نجيب .
وظاهرُ سبحي يوسف مثل صبَّ * تخلف ، دهب محزوفٌ كثيب .

سبح يوسف § وأما سبح يوسف ، فشمال الأهرام ، على بُعدٍ منه ، في ذيل خرقة من جبل في طرف الحاجر .

(١) هكذا ضبطه في الأصل . والمعروف أنه طَلَسَمَ .

(٢) في بدائع الدلائل (ص ١٣٦) ، وفي فتح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤)

(٣) في آبن فصل الله في البدائع : كعمَّاريتين . [وهو تصحيف . وقد ورد الصواب في فتح الطيب ، والكلام بمعنى التثنية لا الجمع . والعمَّارية هنا هودج . وهي كلمة مولدة - أنظر تكملة المعجمات العربية للعلامة دوري] .



حافظ المحرز

§ ومن ذلك حائط العجوز . وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، تمتد على جانب المزدرع بها ، كأنه قد جعل حجازين الرمل والمزدرع . على أنه غير على الذرى .

مشيتُ معه إلى دندرا ، من الصعيد الأعلى . ورأيتُه قد دثر غابه ، ومقطعه أكثر من متصله . وهو مبنى من طوب . ليس بعريض السمك ولا على الجدار .

ووقفت على الكتب المؤلفة في أخبار مصر أنه من بناء امرأة اسمها دلوك ، وأنه يصل إلى ما بين العريش ورغ ، منتهى الحد الفاصل بين مصر وبين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسفل أرض مصر .

ويذكر في تلك الكتب - بسبب سوء العجوز له - خرافة لسنا رضى ذكرها .

ولا يعرف من بنى هذا الحائط حقيقةً ، ولا ما بنى له عن يقين . ولكننا قلنا على الظن الغالب .

§ ومن ذلك شامة وطامة . وهما صنمان من حجر ، على قاعدتين ، ببلاد الصعيد .
شامة وطامة
(تمثالاً ممنون أو
مسيب الكبير)

§ ومن ذلك البرابي . بالصعيد ، في أماكن مه .

§ وأشهرها بركة إجميم . من ورأها على شرق النيل ، حيث ينطف الرمل ملتقى
ريف إجميم

على الريف .

رأيتُ بها مختلفات من صور الحيوان : من نوع الإنسان والدواب والوحش
مازاة المزل بها

والطير . على صور مختلفة ، وأشكال متباينة ، مصبغة بأنواع الأصباغ ، مرسومة في الجدران والسقوف والأركان ، من باطن البناء وظاهره ، لم تنطمس رسومها ، ولا حالت أصباغها : كأن يد الصانع ما فارقت صورها ، وكف الصباغ ما مسحدها .

قال لى الحكيم المحقق شمس الدين محمد النقاش: إنه سافر قصدا إليها وأقام مدة
 (١) بردد نظره فيها، ويحدد نظره في أوضاعها، فراها تشتمل على هيئة العلويات المرصودة
 بأسرها، مما لا يعمل كل موضوع منها إلا برصد محرر مما لا يسع زمان واحد بعضه.
 قال: فعلمت أنها ما عملت في زمان واحد، بوضع حكيم واحد: لقصر مدد الأعمار
 عن زمان يفى برصد تلك الهيئة الكاملة. قال: وإنما تكون - والعلم لله - مما توارث
 عملها على حكم الأرصاد المحررة عدة حكمة في أزمنة طويلة، حتى استقل ذلك
 المجموع وتمت تلك الهيئة.

تحقيق الحكيم
 شمس الدين محمد
 النقاش نشأها

١٧٧

ومن ذلك عمود الصواري . بظاهر الإسكندرية . وهو عمود مرتفع في الهواء
 نحته قاعدة، وفوقه قاعدة . يقال إنه لا نظير له من العمودى علوه ولا فى استدارته .
 ويحكى عنه حكائمت منها ماهو مسطر فى الصحف ، ومنها ماهو مستفيض على الألسنة ،
 مما لا نرى ذكره

عمود الصواري
 بالإسكندرية

ومن ذلك المنارة بها . وشهرتها كابية . ولم يبق منها إلا ماهو في حكم الأطلال
 الدوارس ، والرسوم الطوامس .

منارة الإسكندرية
 والشعراء

وقد كانت المنارة مسرح ناظر، ومطمح أمل حاضر، طالما جمعت أخذانا، وكلت
 لحياذ الخواطر ميدانا.

١٥

حكى ابن ظافر أن ابن قلاقس والوجه [أبا الحسن علياً] بن الدروى طلعا المنارة .
 والوجه يومئذ في غفوان [شبابه و] صباه، وهبوب شمسه في الجنوب وصاه .

(١) لعله أراد : مصره

(٢) بدائع الدانه، (ص ١٣٨) .

وأبن فلاقس مغرم به، مُغرَى بحبه، مكب على تهذيبه، مبالغ في تفضيض شعره وتهذيبه، ولم تكن وقعت بينهما تلك الهناه، ولا استحكمت بينهما أسباب المهاجاة. فأقترح عليه آبن فلاقس أن يصف المنارة . فقال [بديها] :

وسامية الأرجاء تُهدى أبا السرى . ضياءً، إذا ما حُدس الليل أظلمها .
لبست بها برداً من الأئس صافياً . فكانت دار الأجنة مُعلماً .
وقد ظلمتني من دُراها بقبة . ألاحظ فيها من صحابي أنجما .
فخيل أن البحر تحي غمامة * وأنى قد خيمت في كبد السما .
فأشتد سرور آبن فلاقس وفرحه، وقال يصفها ويمدحه :

ومزج جاور الجوزاء مرتقيا . كأنما فيه للنسرين أو كرا .
راسي القنطرة سامي الفرع في يده . للثوب والثور أخبار وأثار .
أطلقت فيه عنان النظم فأطردت . خيل لها في بديع الشعر مصار .
ولم يدع حسناً فيه أبو حسن ، إلا انحكم فيه كيف يختار .
حل المنارة لما حل ذروتها . بجوهر الشعر بحر منه زخار .
ما زال يذكي بها نار الذكاء إلى * أن أصبحت علماً في رأسه نار .

ومن ذلك الملعب بها . وقد كان له عيد يجتمعون إليه فيه، في كل سنة، وتُرمى به كُرّة . فن وقعت في كفه ، آل إليه الملك . وحضره عمرو بن العاص في الجاهلية ،

(١٧٧) مكرر
الملعب ومكان قصر
حي خليف

(١) مدائح الدانه : دُبُ .

(٢) في آبن فضل الله . وأخبار .

(٣) وردت هذه الأبيات في الديوان المخطوط والمطبوع ، مجردة من الثاني والخامس ، ومن حكاية الحال .

ووقعت الكرة في كفه . فقالوا : أحرمت العادة ؟ فإن مثل هذا لا يملك . وهذه واقعة مشهورة ، لا حاجة إلى الإطالة بها .
ومكان هذا الملعب عمر بنو خليف القصر المنسوب إليهم .

وحكى ابن ظافر أن ابن قلاقس حضر يوما عند بنى خليف [نظاهر الإسكندرية] في قصر رسا بناؤه وسما ، وكاد يمزق بمزاحمته أنواب السما . قد آرتدى جلابيب السحاب ، ولات عمائم الغائم . وآبتسمت ثنايا شرفاته ، وآتسمت بالحسن حنايا غرقاته . وأشرف على سائر نواحي الدنيا وأقطارها ، وحبته السحاب بما أوتئمت عليه من ودائع أمطارها . والرمل بهائه قد نشر تبره في زبرجد كرومه ، والجو قد بعث بذخائر الطيب إليه لطيمة نسيمه . والنخل قد أظهرت جواهرها ، ونشرت عداثرها . والطل ينزل لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه ، والبحر يرعد [غيظا] من عبث الرياح به . فسأله بعض الحضور أن يصف الموضع الذي تمت محاسنه ، وغبط به ساكنه . فحاشت لذلك كجج بحره ، وألقت إليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحره ، فقال :
(٥٠)

قصر بمدرجة النسيم تحدثت فيه الرياض بسرّها المستور .
(٦)

- (١) بدائع الدائع . ص ١٧٥ ، ومع الطيب [ح ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥] .
(٢) هذه الكلمة ليست في الدائع . ولكنها واردة في مع الطيب .
(٣) في آبر يصل الله ، وفي المع : وآرتسمت .
(٤) هاتان الكلمتان ليسنا في الدائع .
(٥) في الدائع : فالقت إليه جواهرها لترصيع لبة ذلك القصر ونحره .
(٦) في آبر يصل الله وفي البدائع : عه .
(٧) لم يرد في الديوان المخطوط والمطبوع سوى هذا البيت والثالث بعده .

(١) خَفَضَ الخورنق والسدير سُمُوهُ * وثنى قصور الروم ذات قُصور.
(٢) لاث الغمام عِمامةً مِسْكِيَّةً * وأقام في أرض من الكافور.
غنى الربيعُ به محاسن وصفه * فأقرع نوري روق [ونور].
(٣) فالُدُوح يسحب حُلَّةً من سُندس * تزهو لؤلؤ طللها الموفور.
والنخل كالفيد الحسان تقترط * بسبائك المظوم والمشور.
والرمل في حُبك النسيم كأنما * أبدى غُضُون سِوَالف المذعور.
(٤) والبحر يرعد متنه فكأنه * درع تُسنُّ بمِغْطى مَقْرور.
وكأننا والقصرُ يجمع شَمْلًا، * في الأفق، بين كواكب وُدُور.
وكذلك دهر بني خَلِيف لم يزل * يثني المعاطف في حير حبور.

- ١٠ ومن ذلك مدينة لبدّة (٧) . وهي خراب يَبَّاب . بها صنان عظيمان من الرُخام مديته لبدّة .
الأبيض ، في زِيّ آمرأتين . وغالب بناء هذه المدينة - في جدرها وسقوفها وفروش
دياراتها وأرصها - من الرخام الأبيض . وكان يجري إليها وادٍ يُصب إلى البحر الشاميّ

(١) في آسن فصل الله : السور .

(٢) في الديوان المخطوط والمطوع : لات | وهو سهو من السامع ومن جامع الحروف | .

(٣) في الدائع : فالروض .

(٤) في الدائع : المهجور | وقد صححت البيت لأن فيه تحريفا كثيرا في آسن فصل الله وفي الدائع
دون المعج | .

(٥) أي نصب وتلبس .

(٦) في آسن فصل الله : بمغلف .

(٧) أحسنها الجغرافيا القديم "Leptis"

وُتِرى السفن البحرية إليه . وطفأت الوادى ومجارى الماء مرصوفة بالرخام . فغلب عليها ساقى الرمل ، فقطع مدد الوادى ، وأُخْلِ أوطانها ، وأجْلِ سُكَّانها . وهذه المدينة بَرْقَة ، مما يقابل أطرابُلس الغربية .^(١)

ومن ذلك المعلقة^(٢) . وهى مدينة بإفريقية . على ساحل البحر الشامى على نحو ستة عشر ميلا من تونس . يقال إنها كانت لابنة الملك الذى قال الله ، وقوله الحق ،
 ٥ فى حقه : ”وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا“ . بها آثار عظيمة ، وأحجار كبيرة ، ومهاوير بعيدة ، وأشراب عميقة . تُظْهر لمن تأملها العجب العجائب ، والألب اللباب . ومن عظيم ماحوته من الأحجار ، أنه على طول المدد ، وترانى عيان الأبد ، أنه ينقل من أحجارها إلى ما جاورها ولا يتقطع مددها ، ولا يظهر نقص فى كثرتها .

ومن ذلك مدينة شرشال^(٣) . وهى مدينة تقابل ملبانة ، بالغرب الأوسط ، على
 ١٠ ساحل البحر الشامى . يقال إنها كانت مدينة الملك الفاصب لاسفن ، المعنى بهوله تعالى فى سورة الكهف . وقد تقدمت الآية عند ذكر آمنة هذا الملك ، فيما قبل .
 وهى مدينة تزيد على الوصف ، فى أنساع الأفنية ، وأرتفاع الأبنية ، وعظم القناطر المرفوعة ، والأقنية المعقودة ، والفواعد المشيدة ، والجُدُر السمكية ، مما يشهد له جُوال الأرض . وسُفَّار الآفاق ، وسُتَّار الحديث ، بأنه لاشبيه له فى تخشين بنائها ، وتحسين
 ١٥ صلاعاتها .

مدينة المعلقة
 نسوس (وهى
 قرطاج)

(١٧٨)

مدينة شرشال
 الحرائر

(١) Tripoli de Barbarie

(٢) يشير المؤلف إلى أحد أقسام مدينة قرطاج المشهورة التى يسميها الإدريسي قرطاجة ، وقد أفاض
 فى وصفها فى شرح آثارها (ص ١١٢ - ١١٤ من طعة دورى) .

(٣) ذكرها الإدريسي . وليس فى كتابه هذا الوصف الذى أوردته ابن هص الله .

ومن ذلك صخرة سبتة ^(١)، يقال إنها المعنية بقوله تعالى: "أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ"، وهي مشهورة هناك.

ومن ذلك هيكَل الزُّهْرَةِ ^(٢)، بالأندلس، في ذيل الجبل الآخِذِينَ ^(٣) طُلَيْطَلَةَ ^(٤) ووادي آس في شرقيه بشمال. مطلٌّ على البحر المحيط. وقد تقدّمت الإشارة إليه.

ومن ذلك باب الصَّغَرِ ^(٥)، في شرقي الأندلس يفصل بينه وبين الأرض الكبيرة ^(٦). ذات الأُسُن العديدة من سكان الشمال. عمل الباب على ثقب كان فتح في جبل حيث خَرِجَتْ من البحر الشامي طريقاً للأندلس إلى البر المتصل.

وقد رأيتُ أن أعقب ذكر هذه الآثار، بما هو مماثلها أو أبلغ في الاعتبار، وهو:



قصر العَبَّاسِ . وهو بين سنجار ونصيبين. وهو وإن لم يكن في القدم من نسبة ما ذكرنا، فإنه في العِبرة كما أشرنا . حكى قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خلّكان

قصور العرب
ووصف الشعراء لها

(١) هي مدينة Genta .

(٢) في الأصل : المعى .

(٣) Port Vendre .

(٤) Tolède .

(٥) Gnadix .

(٦) يشير إلى أحد أبواب (Puerta) حال البرانس (Les Pyrénées) التي يسميها العرب حال

الأبواب وجمال الرّنات وحال البرانس .

(٧) هذا التعبير يطلق في عرف حترافي العرب وخصوصاً الأندلسيين على بلاد مرسا خاصة وسائر أرض أوربة عامة .

(٨) في الأصل : مثلها .

(١) في تاريخه قال : مر أبو الربيع قرواش بن المقلد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلاً على بساين ومياه كثيرة ، فتأمله ، فإذا في حائط منه مكتوب :

”يا قصر عباس بن عمرو ، كيف فارقك ابن عمرك ؟

قد كنت تغتال الدهو * ، فكيف غالك ريب دهرك ؟

وأما لعزك بل لكو * دك بل لمجدك بل لفخرك !

وكتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

(وهذا هو الأمير سيف الدولة بن حمدان) .

وتحته مكتوب :

(٢) ”يا قصر ، ضعضعك الزما * ن وحط من عالياً فخرك !

ومحاسن أسطير * شرفت بهن متون جذرك !

وأما لكاتبها الكريم وقدره الموفى بقدرك !

وكتبه الفضل بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

(وهذا هو عمدة الدولة أس الأمير ناصر الدولة أحي سيف الدولة) .

وتحته مكتوب :

يا قصر ، ما فعل الأولى * ضربت قباهم بعقرك ؟

(١) كتاب ”رويات الأعيان“ في ترجمة ”المقلد“ صاحب الموصل (ح ٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ من

طبعة نولاق سنة ١٢٧٥) . وأظهر الترجمة الانكليزية للدارود ده سليخ تحت اسم Mukallad .

(٢) قدرك (في آثار البلاد للقرنوي ص ٣١٣ من طبعة وستميلد) .

أخى الزمان عليهم * وطواهم لطويل تشرك!^(١)
وأها لقاصير عمر من * يخال فيك، وطول عمرك!

❧

وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

(وهذا هو والد قرواش).

فكتب ولده قرواش تحته :

”أقصر، ماصنع الكرا * م الساكون قديم عصرك ؟
عاصرتهم فبددتهم * وشأوتهم طرا بصرك!^(٢)
ولقد أثار تعجبي * يا ابن المسيب رقم سطرك!^(٣)
وعاشت أني لاحق * بك دائب في قفو إترك!^(٤)

وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعائة.

وعزم على هدمه، وقال : هذا مشؤوم، ثم تركه.

وباني هذا القصر العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل سيار، باني الرقة ورأس
عين من حصن مسامة بن عبد الملك بن مروان. وكان يتولى اليمامة والبحرين.

(١) في ابن حلكان : وطواهم بطويل تشرك . وفي ياقوت والقروبي : وطواهم تطويل تشرك .

(٢) في ابن حلكان :

عاصرتهم فبددتهم * ساوتهم طرا بصرك .

وهذا البيت الثاني غير وارد في القروبي .

(٣) في القروبي : أطال .

(٤) في ابن حلكان : ذات . [وهو تصحيف . طلع] . وفي القروبي : تابع .

وسيره المعتضد لحرب القرامطة في عشرة آلاف فارس. فقتل الجميع، وسلم وحده.
(وعمر بن الصغار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب نراسان في حسين ألف فارس فأحذره وسلم الباقون).

وكذلك قصر البصرة. وكان قبل أن تُنحط البصرة منزلاً منزله الأكاسرة
في متصيدهاتهم، وتخرج إليه الأساورة في منزهاتهم. وتهتم حتى جدهه الحجاج، فعرف
به، فقبل قصر الحجاج. وكان يعرف بقصر قباد. وقال: قال أبو الفزاف: قال الحجاج لحرير
والفرزدق، وهو في قصره بالبصرة بالجزيرة: «إيتاني في لباس آبانكا في الجاهلية».
فلبس الفرزدق الديباج والخز، وقعد في قبة. وشاور جرير دهاء بني يربوع وشيوخهم،
فقالوا: «ما لباس آبانكا إلا الحديد». فلبس درعا وتقلد سيفاً وتأبط رُمحاً وركب
فرساً، وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع. وجاء الفرزدق في هيئته. فتقالوا.
فقال جرير:

١٠

لَيْسَتْ سِلَاحِي، وَالْفَرَزْدَقُ لُغْبَةٌ * عَلَيْهِ وَشَاخًا حَلِيهِ وَخَلَاخِلُهُ.
أَعِدُّوا مَعَ الْخَزِّ الْمَلَابَ، فَإِنَّمَا * جَرِيرٌ لَكُمْ بَعْلٌ وَأَتَمُّ حَلَالُهُ!

(١)

ثم رجعا، فوقف جرير في معزة بني حصن، ووقف الفرزدق بالمربد. وقد أبر
جرير عليه.

١٥

وكذلك قصر الكوفة. وقد هُدم، فلم تبق منه بقية.
وله حكاية مشهورة. ولهذا ذكرناه.

قال عبد الملك بن عمير: كنتُ مع عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة، حين جرى
برأس مُضْعَب بن الزبير. فوضع بين يديه، فرآني قد آرتعدتُ فقال لي: مالك؟

فقلت: أعينك بالله، يا أمير المؤمنين! كنتُ بهذا القصر، في هذا الموضع، مع عبيد الله
أبن زياد، فرأيتُ رأس الحسين بين يديه. ثم كنتُ فيه مع المختار بن أبي عبيد،
فرأيتُ رأس أبن زياد بين يديه. ثم كنتُ فيه مع مُصعب بن الزبير. فرأيتُ رأس
المختار بين يديه. ثم ها أنا فيه معك، ورأس مصعب بين يديك. فقام عبد الملك من
مقامه ذلك، وأمر بهدم ذلك الطاق.

(١٨١)

ولمناسبة هاتين الواقعتين، ذكرنا هذين القصرين، لما فيهما من العبرة لمن تفكر.
فسبحان الله الباقي، وكل شيء هالك، الدائم، وما سواه ليس كذلك!

ومنها قصر هرقل، وهو بالشَّرف الأعلى الشَّمالى. ويُعرف في زماننا بقصر شمس
الملوك. ولم يبق منه اليوم إلا الجوسق والحمام. والجوسق الآن خانقاه للفقراء. ولم يزل
منزلاً للملوك ومنزها لأهل البلد، لإشرافه [على] نهر بردى والوادي. ونزله السلطان
صلاح الدين.

وحكى ابن ظافر قال: دخل أبو خالد بن صقير القيسرائى^(٢) على الأمير تاج الملوك^(١١)
أبى سعيد نور بخت، أتابك طغتكين، صاحب دمشق، وبين يديه بركة فسيحة الفناء،
صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفا، وجرّ النسيم عليها مارق من أذياله وضفا. وهو
تارة يرُشف رضاها، ويمجّد ثيابها، وتارة يسبكها مبردا، ويمجكها مسردا. فأمره
بوصفها، فقال:

(١) مدائع الداء، ص ١٧٢.

(٢) » » : صقير.

(٣) » » : نودى بن.

أَوْ مَا تَرَى طَرَبَ النِّسِيَمِ إِلَى الْغَدِيرِ إِذَا تَحَرَّكَ^(١) ؟
 نَلَّ لَوْ رَأَيْتَ الْمَاءَ يَلْشَعُ عِبَ وَجْوَانِهِ ، لَسَرَّكَ !
 وَإِذَا الصَّبَا هَبَّتْ عَلَيْهِ ، أَتَاكَ فِي ثَوْبٍ مُفَرَّكَ .

ومن ذلك ما ذكره الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر، في ترجمة إسماعيل بن أبي هاشم . قال : قرأت بخط أبي الحسن رشي بن نظيف ، وأبنايه أبو القاسم علي بن ٥
 إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم . عنه : أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن
 ابن علي بن محمد بن يحيى الدقاق : حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة
 الطحاوي : حدثنا إسماعيل بن أبي هاشم . قال : قرأت علي قصير بدمشق لبني أمية :

لَيْتَ شِعْرِي ! مَا حَالُ أَهْلِكَ يَا قَصُورُ وَأَيْنَ الَّذِينَ عَالَوْا بِنَا كَا ؟
 مَا لَأَرْبَابِكَ الْجَبَارَةِ الْأَمْلَاكُ شَادُوكَ ثُمَّ حَلَّوْا سِوَاكَ ؟
 ١٠ أَلَزُّهُدٍ بَا فَصُرُفِكَ تَحَامَوْ * كَ لَا تُبْقِي وَلَسْتَ هَاكَ ؟
 لَيْتَ شِعْرِي ! وَلَيْتَنِي كُنْتُ أَذْرِي ! مَادِهَاهُمْ ، نَافِصِرُ ، ثُمَّ دَهَاكَ ؟
 ومن حلقه . " هذا جواب عهم :

أَتَبَا السَّائِلُ الْمُفَكَّرُ فَبِهِمْ ! * مَا إِلَى ذَا السُّؤَالِ - قُلْ لِي دَعَاكَ ؟
 ١٥ أَوْ مَا تُعْرِفُ الْمُؤَنَ إِذَا حَلَّتْ دِيَارَا فَلَنْ تُرَاعِيَ هَلَاكَ !
 إِنَّ فِي نَفْسِكَ الضَّعِيفَةَ شُغْلًا فَأَعْتَبِرْ وَأَمْضِ فَلِئْلُؤُنْ وَرَاكَ ! "

قال : وحدثني أبو الحسن بن الطحاوي : حدثني ابن أبي هاشم قال : قرأت
 بخولان [مصر] علي قصير لعبد العزيز بن مروان :



أَيَّنَ رَبُّ الْقَصْرِ الَّذِي شِيدَ الْقَصْرِ، وَأَيَّنَ الْعَيْسُ وَالْأَجْنَادُ ؟
 أَيَّنَ تِلْكَ الْجُمُوعُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَأَعْوَانُهُمْ وَذَاكَ السَّوَادُ ؟
 أَيَّنَ عَبْدُ الْعَزِيزِ، أَيَّنَ ابْنُ مَرْوَا * نَبَّ، وَأَيَّنَ الْحِمَاةُ وَالْأَوْلَادُ ؟
 مَا لَنَا لَا نُحِسُّهُمْ وَنَرَاهُمْ ! * أَتُرَى، مَا الَّذِي دَهَلَهُمْ، فَبَادُوا ؟

قال : وقرأت نحتي : " هذا جواب عهم :

أَيُّهَا السَّائِلُ الْمُفَكِّرُ فِيهِمْ : * كَيْفَ بَادَتْ جُمُوعُهُمْ وَالسَّوَادُ،
 ثُمَّ فِي الْقَصْرِ وَالَّذِينَ بَنَوْهُ . أَسَفًا ، حِينَ فَارَقُوهُ وَبَادُوا .
 أَيَّنَ كِسْرَى وَتَبَعَ قَبْلَ مَرْوَا * نَبَّ وَمِنْ قَبْلِ تَبَعَ شَتَادُ .
 أَيَّنَ نَمْرُودُ ؟ أَيَّنَ فِرْعَوْنُ مُوسَى * أَيَّنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ثَمُودُ وَعَادُ ؟
 كَلَّهْمُ فِي التَّرَابِ أَضْحَى رَهِينَا . حِينَ لَمْ نُنْفِ عَنْهُمْ الْأَجْنَادُ !
 إِنَّ فِي الْمَوْتِ يَا أَخِي لِكَ شُغْلًا * عَنْ سِوَاهُ ، وَالْمَوْقِفِ الْمُبْعَادُ ! "

ومما ينسحب على ذيل ذلك ، أنني نزلت في مسجد بُقِيَّةِ السَّلَارِ ، مِنَ الْيَمُوكِ
 بِالشَّامِ (وَكَانَتْ قَدِيمًا مَازِلَ غَسَّانَ ، ثُمَّ رُحِلَ قَوْمٌ مِنْ آلِ بَسَارَ ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى بَنِي السَّلَارِ ، وَكَانُوا أَمْرًا
 بِلَا ، وَمَادَّةَ أَحْلَاءَ ، ثُمَّ أَمَادَهُمُ الْخِدَنَانُ) ، فَقَرَأْتُ عَلَى بَعْضِ جُذُرَانِ الْمَسْجِدِ :

أَرَأَيْتَ أَيُّ مَنَازِلٍ وَدُبَارٍ * أَمَسَتْ خَلَاءَ مِنْ بَنِي السَّلَارِ ،
 الْعَامِرِينَ مَسَاجِدًا لِإِقْلَهُمْ * الْعَامِرِينَ نَدَى دَوَى الْإِعْسَارِ ؟

وقد كنت أحرمتها :

قَلْبِي الْمَشُوقُ إِلَى بَنِي السَّلَارِ * أَبَدًا يَقْلَبُ فَوْقَ جُذُودِ نَارِ !
 قَوْمٌ لِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ أَحْبَبْتُهُمْ ، * حُبِّي لَأَلِ مَجْدِ الْأَطْهَارِ !

فكُتِبَتْ تحتها :

(١٨٢)

لا تَتَكْرَبَنَّ تَتَكَّرُ الآثَارُ * وَتَغْيِرُ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْطَارُ !
 بَا مَن تَعَجَّبَ لِلْفُنَيْةِ إِذْ خَلَتْ * مِنْ سَاكِنِهَا مِنْ بَنَى السَّلَارُ !
 لَا تَعْجَبَنَّ فَهَمْ سُلَالَةِ آدَمِ * أَكُلَ الْمُنُونِ وَعُرْضَةُ الْأَقْدَارُ !
 إِنْ تَخَلُّ مِنْهُمْ ، فَهِيَ مِنْ قَبْلِ خَلَتْ * مِنْ آلِ غَسَّانٍ وَآلِ يَسَّارِ .
 لَا تَعْجَبَنَّ مِنَ الْفِرَاقِ ، فَإِنَّهُ * مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ !
 جَاؤُوا عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَقَدْ * ذَهَبُوا كَمَا ذَهَبُوا عَلَى الْآثَارِ !
 وَسَيَلُّنَا لِمَا أَتَيْنَا نَعْدَهُمْ * كَسَيَلُّهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْإِصْدَارِ !
 كُلُّ الَّذِي حَازُوهُ عَارِيَةً وَلَا * تَحْجَبُ إِذَا رَدَّ الْمُعَارُ عَوَارِي !

١٠ قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا النَّوعِ أَنْتَ مَرَرْتُ بَعْدَ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ بِمَعَاهِدَ كَتَبْتَ أَلْفَهَا أَوَّلُ
 عُمرِي ، وَالشَّيْبُ مَا عَارِضٌ عَارِضِي وَلَا عُذْرِي ، وَعَقْدُ الْأَجْتِمَاعِ مَنْظُومٌ ، وَأَهْلُهَا أَهْلَةٌ
 وَبُحُومٌ . فَوَجَدْتُهَا خَالِيَةً بَعْدَ أَهْلِهَا ، ظَامِيَةً بَعْدَ عِلَّاهَا وَنَهْلِهَا ، قَدْ أَصْبَحَتْ عَارِيَةً مِنْ
 رِيْفِهَا وَظِلَّاهَا ، عَادِمَةً لِكُثْرَتِهَا وَقُلَّهَا . وَقَدْ كَتَبَ عَلَيْهَا بَعْضُ مَنْ وَلِيَ :

(١٨٢) مكرر

هَذِهِ دَارُهُمْ وَمَاتُوا جَمِيعًا . هَكَذَا هَكَذَا يُعَادِي الزَّمَانُ !

١٥ فَنَزَعَنِي هَذَا الْبَيْتَ ، لِمَسْكَانِ ذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَأَيَّامِنَا نَحْنُ وَسَاكِنَتِهِ الْمَيِّتِ ، وَتَذَكَّرْتُ
 بِلِكِ الْأَمَامِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْعَيْشَةِ الرَّاضِيَةِ ، ثُمَّ مَا غَرَّتِ الْحَوَادِثُ ، وَسَدَّتْ مِنَ الْأَبْوَابِ
 وَالْبَوَاعِثُ ، فَقُلْتُ أَرْتَجِلَا :

أين دهرٌ مضى لنا أولُ العُمُر وأين الزمانُ والإخوانُ؟
 حَدَّثَتْ بَعْدَنَا عَلِيمُ أُمُورٍ! * هَاتِ شَيْئًا مَا أَغْتَالُهُ الْخَدَنَانُ؟
 ذَهَبَ الْكُلُّ فِي زَمَانٍ تَقْضَى، * كُلُّ شَيْءٍ يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ!
 مَا تَبَقِيَ لَنَا مِنَ الْكُلِّ إِلَّا * قَوْلُنَا لِلتَّذْكَارِ: كُنَّا وَكَانُوا!

ثم أمرتُ مَنْ كَتَبَهَا تَحْتَ الْبَيْتِ وَأَنْصَرَفَتْ بَايَا، وَشَكُوتُ لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ
 شَايَا .

الديارات والحانات



الديارات المشهورة

وأما ما بلغنا ذكره من الديارات المشهورة الواردة في أشعار العرب وغيرهم،
أو كان قد دخلها أحد من الخلفاء والأمراء والأدباء والشعراء المشهورين،
أو ورد لذلك الدير ذكرٌ في شعر قديم أو عصري .

دير الكلب

فنها دير الكَلْبُ ^(١) وهو قوب مَعْلَتَايا، في سفح جبل . والماء ينحدر عليه .
وقلاليه مبنية بعضها فوق بعض، في صعود الجبل . فمظرها أحسن منظر . ويَبْنُوهُ
ينصب عليه من أعلاه .

وفيه من الزيتون والرمان والآس والكرم والزعرمان والزرجس شئ كثير .
وله ربانته مزارع في السهل . وغلاته كثيرة .

قال الخالدي ^(٢) : ولهذا الدير خاصية في براء عضه الكلب الكلب . وله عيد في وقت
من السنة . يخرج إليه خلقٌ من النصارى نساء ورجالاً للإقامة عندهم . وخلق من ^(٣)
المسلمين للنظر إليه والزهة فيه . ويجتمع إليه أهل الرّفث والمُجَان، وتُسمع به الأغاني
وأأنواع الملاهي، وتُذبح به الذبائح، وتُشرب الخمر .

(١) يؤدّ هذا الصط ويؤيد ما رواه ياقوت من أن "نحات الديا ثلاثة : دير الكلب، ودير الذهب،
وقلعه حلب" . (معجم البلدان ج ٤ ص ٨٣٩) . وأطرفه هاصيل أخرى على هذا الدير (ح ٢
ص ٦٩٠ ج ٤ ص ٢٩٩) . وكذلك في "أحسن التقاسيم" للشاري طبع إيدن (ص ١٤٦) .
(٢) هو أحد الخالدين الشاعرين الشهيرين . ينسب إلى الخالدية ، قرية قرب الموصل . كانوا حاربي
لنائب سيف الدولة عمود المتين . ولها أشتار وأخبار وتآليف منها كتاب "الهدايا والحنف" وفي ترايق
مافاهرة سحان منه .

(٣) لعله عده بإفراد الصمير .

وحكى أن أخا لأبى السفاح الشاعر عضه كلب كلب، فحمله إلى هذا الدير .
فتداوى به ، فبرئ . وأنشد له شعرا فيه ، لم أذكره .

دير أبون^(١) . وهو دير بين الجزيرة وثمانين . وهو دير جليل عند المصارى . وبه
جماعة من الرهبان . ويرسمون أنه قبر نوح عليه السلام ، وقد تقدم ما ذكرناه في أمر
قبره بترك البقاع . والله أعلم أى بفعلة صمته .

ولهم صهرج للماء . زعموا أن له أبايب من صُفْرٍ يجري فيها الماء من جبل
الجودى إلى الصهرج .

وإلى جانبه ضيعة غناء كثيرة الإساين . يقال لها بزر مهران .

دير الزعفران^(٢) . وهو بالقرب من معلنايا بجانب الفلجة النافذة إلى الحسنية . وهو
في لُفٍ جبل تُطلُّ عليه قلعة أردمشت^(٣) . وفيه نزل المعتضد لما حاصرها وأخذها .

وهو كثير الرهبان والعلاني . ولرهبانه يسار ونعم ومزارع وبساتين .



وفرش أرضه من زهر الزعفران . وقلاليته بعضها من [فوق] بعض ، كباء دير
الكَّلب ، بأحسن وصف وأملح تكوين . وله سور يحيط به وشرابه مفضل في اللون
والرائحة والعنق . وماؤه سائح من يَبْدُوع في جبله .

(١) أطر تصانيل أخرى في ياقوت (ح ١ ص ٥٦٢ ح ٢ ص ٦٤٠) .

(٢) أطر الطرى (سلسلة III ص ٢١٤٤) ؛ وكامل آن الأثير (ح ٧ ص ٢٣٥ ح ١٢

ص ٢٩٣) ؛ وياقوت ح ٢ ص ٦٦٣ ح ٣ ص ٧٢٤) ؛ وحصوصا الناشئ (ورقة ١٨٢) .

ويسمى أيضا عمر الزعفران (أطر ياقوت ج ٣ ص ٧٢٤) .

(٣) في الأصل : أردمشت . والتصحيح عن ياقوت .

قال الحالدي: آجرتُ به في بعض السنين، وعامل الناجية سعيد بن إسحاق
فاحتبسني عنده أباها للأنس . فعملتُ فيه عدة أشعار، منها :

وزَعْرَانِيَّةٍ فِي اللَّسُونِ وَالطَّيْبِ ۖ طَيِّبَةُ الْخَمْرِ ذَكَاةُ الْجَلَايِبِ ،
تَوْنٌ بِحَانَةِ عُثْمَرِ الزَّعْمَرَانِ عَلَى ۖ مَرَّ الْمَوَاحِرِ فِيهِ وَالْأَهَاضِيبِ .
وما الْفَطَارِفَةُ الشُّبَّانُ إِن شَرِبُوا ۖ نَحْمَرَا بِأَبْلَجٍ مَن رُهْبَانِهِ الشَّيْبِ .
شَرِبَتْهَا مَن يَذَى حَوْرَاءَ مُقْلُنْهَا ۖ تُضْنِي الْقُلُوبَ بِتَبَعِيدٍ وَتَفْرِيبِ .
شَمْسٌ إِذَا طَلَعَتْ ، فَالَتْ مُحَاسِنُهَا ۖ هَاقِدْ طَلَعْتُ ، فَيَا شَمْسَ السُّحُجِ غَمْبِي !
وَمِنْ سُكْرًا ، وَنَامَتْ لِي مَعَانِفَةٌ ۖ فَلَا تَسْلُ عَنْ عَنَاقِ الطُّغْيِ وَالذَّبِّ !

دير قفي^(١) . وهو ببغداد والمدائن .

دير قفي

ودير العاقول^(٢) . أسفل منها باثني عشر فرسخًا ، وإلى جانبه قرية كبيرة . أخرجت

دير العاقول

(١) أطر الطبري (سلسلة III ص ٢١ و ١٩٦١ و ١٩٥٠ و ١٦٥٠) وكتاب العدون
والخدايق (ج ٣ ص ١٩٦) . ومعجم الاستعم للكري (ص ٣٨١) ؛ والتدبير والإشراف للسعودي
(١٤٩) ، وطقات الأطباء ، لأن أنى أميعة (ص ٢٣٥) ؛ وآس الأثير (ج ٥ ص ٣١٠) ؛ وياقوت
(ج ١ ص ٧٣٩ ج ٢ ص ٦٨٧ و ٧٠٠ ج ٣ ص ٣٦٢ ج ٤ ص ١٧٨ و ٨٤٦) ،
وختصر الدول لأس المدي (ص ٢٨٥) ؛ وخصوصا الشافعي (ورقة ١١٥) . ويكتوبه قاف .

١٥

(٢) أطر الطبري (سلسلة III ص ١٠٠٢ و ١٨٩٣ و ١٩٤٨ و ١٩٦١) ؛ وأحسن التقاسيم
(ص ٥٣ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٣٤ و ١٣٥) ، ومسالك الإصطخرى (ص ٨) ، ومسالك آس حوقل
(ص ١٦٨ و ١٦٩ g) ؛ وآس حردادة (ص ٥٩) ، وجغرافية أنى العدا (ص ٥٤ و ٢٩٥ و ٣٠٥) ؛
وآس الأثير (ج ٦ ص ٢٢٦ ج ٧ ص ٢٠٠ و ٢٣٤ ج ٨ ص ١٧٢ و ٤٧٤ ج ٩ ص ١٦٥) ؛
وياقوت (ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٧٦ و ٦٨٧) . وفي آس الأثير : دير العقول .

٢٠

(٣) أصل الصواب : منها .

عثة من الكلاب والوزراء . وهو حسن الباء ، راكب على دجلة . وبات فيه الوزير
على بن مقلة ، ثم أصطبح فيه . وقال

باتت يدي تنجي نمار الجناح * بديرقني من وجوه ملاح !
حتى تلا الراهب مزموره . وصمخ الأفق خلوق الصباح .
فهل قى يسعدني عاقدا : ذيل غبوق بذبول أصطباح ؟
أطبعه في كل مايشتهى : كطاعة الريش لأمر الرياح .

وفيه يقول البحرى : من قصيدة يمدح ابن الفياض الوزير . وكان من ديرقني :

(١٨٥)

ما تقضى لبانه عند لبني . * والمعنى بالغانيات مبني !
نزلوا رتوة العراق آرتيادا . * أي أرض أشف دارا وأسنى ؟
بين دير العاقول مرتبع أشرف محنله إلى ديرقني .
حيث بات الزيتون من فوقه النحل عليه ورق الحمام نقي .
ما المعالي إلا المكارم تزدا . * دوا مصانع المجد تني !

قال الخالدي : وأنشدنا أبو العباس بن أبي حالد الأحول : قال أنشدني كاتب

أبن طولون لنفسه :

إن عجزا كما نكوت وغبنا * أن ترى صاحبي في ديرقني !
حبذا روضه المديح ليلا * وهواه ذاك الممسك ردا !
قد جرى السلسيل بالمسك فيها * خوته الدنان : دنا فدنا .
كم خلونا بحسرواني كسرى * وهو يسقى طورا وطورا يني !
تحتنا فردة من الورد إلا * أنها من أنامل البدر تني !

وحكى بحظّة البرمكى قال : كُنت بحضرة إسماعيل بن بلبل ، بواسطه أيام حرب العلوى البصرى ، والموفق الباصرى قاتله . فلما أنصرفت رافقنى البحرى ، وكان قد زار ابن بلبل . فلما وصلنا إلى ديرقنى قال لى : ويحك يا بحظّة ! هذا ديرقنى ، وهو من الحسن والطيب على ماترى ! وأنت أنت ! وطنبورك طنبورك ! فهل لك أن تقيم به اليوم ، فنشرب وطرب ، وننعم ولعب ؟ فقلت : نعم ! ولم يكن معنا نبيذ . فسالنا عن ٥ يقرب منا من العال ، فكتب إليه البحرى :

يا ابن عيسى بن فرخان ، وللفر س عيسى بن فرخان أفتخار !
فد حللنا بديرقنى وما نبغى قرى غير أن يكون عفار !
فأسقي من حيث كان يشرب كسرى * غصبة كلهم ظمأ حرار !
١٠ من كُبت نولت الشمس منها * ماتولته من سواها النار !
فوجه إليها عشرين دماً شرباً ، ومائة دجاجة ، وعشرين حملاً ، وفاكهة . وعملت في الأبيات لحناً . فلم تزل تشرب عليه يوماً وليلتنا . وأخذت فيها معنى فقلت :
وبات يسفياً جنانية * ضنت بها الشمس على النار !

دير العذارى . وهو بين سر من رأى وبغداد ، بجانب العلك على دجلة ، في موضع حسن . فيه رواهب عذارى . وكانت حوله حانات للخمارين وبساتين ١٥ ومتزهات . لا يعدم من دخله أن يرى من رواهبه جوارى حسن الوجوه والقودود . والألحاظ والألفاظ .

(١) أنظر معجم ما استعجم (ص ٣٧٦) ؛ وآثار البلاد للقرنيزي (ص ٢٤٨) ؛ وبانوت (ج ٢

قال الخالدي: ولقد آجرتُ به فرأيتُه حسبا، ورأيتُ في الحانات التي حوله خلقا
يشربون على المَلَاهِي. وكان ذلك اليوم عيداً له. ورأيتُ في جُنيّات لرواهبهِ جماعةً
يَلْقُظْنَ زهر العُصْفُر، ولا يمانل حمرة خدودهن. ثم إن دجلة أهلكته بمدودها،
حتى لم يبق منه أثر. وبحظّة فيه أخبارٌ وأشعار. لأنه كان معانِه وماواه، وإليه
يُجذب به هواه. وفيه يقول ابن المعتز:

أَبَا جِرّةِ الوادِي على المَشْرِعِ العَذْبِ! سَفَاكَ حَيًّا حَتَّى التَّرَى مَيّتُ الجَذْبِ!
وحسبُكَ يا دَيْرَ العَذَارَى قَلِيلُ مَا * يَحْتِجُ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ طَيِّبَةِ قَلْبِي!
كَدَبْتُ الهَوَى إِنْ لَمْ أَقِفْ أَشْتَكِي الهَوَى * إِلَيْكَ وَإِنْ طَالَ الْوُقُوفُ عَلَى صَعْيِ!
وَنَجَّيْتُ بِهِ وَالصُّبْحُ يَنْهَبُ الدُّجَى * بِأَضْوَانِهِ، وَالنَّجْمُ يَرْكُضُ فِي الْغَرْبِ.
أَصَانِعَ أَطْرَافِ الدُّمُوعِ بِمُفْلَاةٍ * مُوقِرَةٍ بِالْدمْعِ عَرَبًا عَلَى غَرْبِ.
وَهَلْ هِيَ إِلَّا حَاجَةٌ قُضِيَتْ لَهَا * وَلَوْ تَحْمَلْنَاهُ فِي طَاعَةِ الْحَبِّ؟



قال الخالدي: وأنشدني بحظّة لنفسه:

قَالُوا: قَبِضْكَ مَغْمُورًا تَارِ * مِنَ الْمَدَامَةِ وَالرَّيْحَانِ وَالْقَارِ!
فَقُلْتُ: مَنْ كَانَ مَاوَاهُ وَمَسْكَنُهُ - دَيْرَ الْعَذَارَى لَدَى حَانُوتِ نَحَارِ،
وَسَادَهُ يَدُهُ وَالْأَرْضُ مَقَرُّهُ، * لَا يَسْتَطِيعُ لِسُكْرِ حَلِّ أَزْرَارِ،
لَمْ يُنْكِرِ النَّاسُ مِنْهُ أَنْ حُلَّتْهُ - خَصْرَاءُ كَالرُّوضِ أَوْ حَمْرَاءُ كَالنَّارِ!

(١) في الأصل: أهلكتها.

(٢) المعان المباداة والمنزل - (قاموس).

وقال : وللصنوبرى فيه :

أقولُ لمُشيه العَدْرَاءَ حُسًّا : * علامَ رَعَيْتَ فى دَيْرِ العَدَارَى ؟
وما وَحَدَى أَعَارُ عليه ، لَكِنْ * جَمِيعُ العَالَمِينَ مَعِيَ غَيَارَى !

ولابن فيروز البصير فيه :

وروصة هُوَ قد جَعَلَتْ ثَمَارَهَا * بِدَيْرِ العَدَارَى بَيْنَ رَوْضٍ وَأَنْهَارِ .
تَحَالَّ بِهَا وَجْهَ المَدِيرِ وَكَلَّسَهُ * هِلَالًا وَشَمْسًا بَيْنَ أَنْجُمٍ نَوَارِ .
يَطُوفُ بِأَبْرِيْقٍ مُقَدَّى كَرَامَةٍ * عَلَيْنَا بِأَسْمَاعٍ كَرَامِ وَأَبْصَارِ .
كَأَنَّا لَهُ زُغْبُ المِرَاحِ بِقُوَّتِهَا * بِمِثْلِ مُدَابِ التَّبَرِّ مِنْ شَطْرِ مَنَافِرِ .

قال الخالدي : وهذا حسنٌ بدیع .

- ١٠ وحكى الجاحظ قال : زعم فتیان من تَغَلَّبَ أَنَّهُم أَرَادُوا قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَى قَقْلٍ ، بَلَنَهُمْ أَنَّهُ يَمُزُّهُمْ قَرِيبَ دَيْرِ العَدَارَى . ثم جَاءَتْهُمْ الْعَيْنُ بِأَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ عُرِفَ بِهِمْ وَأَقْبَلَ فِي طَلَبِهِمْ . قال : فَاحْتَمَيْنَا فِي الدَّيْرِ ، فَلَمَّا أَمِنَّا ، قَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : مَا يَمْنَعُنَا أَنْ نَأْخُذُوا الْقَسَّ فَتَشْدُوهُ وَنَأْفَا ثُمَّ يَخْلُوكِلْ وَاحِدٌ مِنْكُمْ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَبْكَارِ ، فَإِذَا طَلَعَ الْعَجْرُ تَقَرَّمَا فِي الْبِلَادِ ؟ وَكَأَنَّ جَمَاعَةَ بَعْدَ الرَاهِبَاتِ اللَّوَانِي كَمَا نَظُنُّنَ أَبْكَارًا ، فَوَجَدْنَاهُنَّ كُلَّهُنَّ ثِيَابٍ ، وَقَدْ آتَفَضْنَهُنَّ الْقَسَّ . فقال بعضنا :

وَدَيْرُ العَدَارَى فَصُوحٌ هُنَّ ، * وَعِنْدَ اللُّصُوصِ حَدِيثٌ عَجِيبُ .
خَلَوْنَا بِعَشْرِينَ دَيْرِيَّةً * وَنَبَّلُ الرَوَاهِبِ شَيْءٌ غَرِيبُ .
إِذَا هُنَّ يَهْزَنَ رَهْزَ الظَّرَافِ ، * وَبَابُ الْمَدِينَةِ فَجٌّ رَحِيبُ .

لقد بات بالدير ليلُ النّام * نساءً وساعً ونيلُ صليب.
وللّس حرٌّ يبيّضُ الفؤاد * ووجدَ يدلُّ عليه الحبيب.
وقد كانَ عيرًا لدى عانةٍ * فصبَّ على العيرِ لثَّ غُصوب.

وفيه يقول بعض القطّاع أيضًا، من كلمة له :

وألوّط من راهبٍ يدعى * بأنّ النّساءَ عليه حرام.
يحرمُ بيضاءَ ممكورةٍ^(١) * ويُغنيه في البضع عنها الغلام.
إذا مامشَى غُصَّ من طرفه * وفي الدير بالليل مه عرام.
ودير العذارى فضّوح لمن * وعند اللصوص حديث تمام.

وقيل في راهبة فيه :

يا أيها القمرُ المنيرُ الزاهرُ ، المشرقُ الحسنُ المضيءُ الباهرُ !
أبلغ شيبَتَكَ السّلامَ، وهنّا * بالنوم، وأشهد لي بأنّي ساهر !

دير الباعوث^(٢) . وهو على شاطئ الفرات، من جانبها الغربي . في موضع نزيه .
وكانت العمارة قليلة حوله . وله خفراء من الأعراب . وله مزارع ومباقل وجنّينات .

(١) الممكورة المستديرة الساقية حديثها . | أطر اللسان | .

(٢) في الأصل بالعين المهملة . ولم يذكره الشّابّشي ، وأما ياقوت فقد سماه "دير باعوث" بالمعجمة وبدون أداة التعريف ، وأقتصر على القول بأنه "دير كبير كثير الرهبان على شاطئ دجلة بين الموصل وحريرة أبر عمر" . (ج ٢ ص ٦٤٦) وفي شرح القاموس في مادتي (ب ع ث ، ب ع ث) أن الباعوث عبد للصاري ويقال به باعوثا ، وأن الباعوث استسقاء الصاري وهو أسم مرياني ، وقيل هو بالعين المعجمة والتاء المقوطة فوقها قفلتان . | والجاري على ألسنة الشوام في هذه الأيام "الباعوث" لعبد مشهور عنهم بصاهي المعروف في مصر بأسم "شم السيم" . |



و في هيكله صورة دقيقة الصنعة عجيبة الحُسن ، يقال إن لها مئين سنين ، لم تتغير
أصباغها ، ولا حالت ألوانها . قال المنيجي : آحَرْتُ بِدِيرِ الْبَاعُوثِ هَذَا وَاسْتَحْسَنُتُهُ
وَاسْتَطَبَبْتُهُ ، فَلَوْلَا الْوَطَنُ لَأَسْتَطَبَبْتُهُ . وَرَأَيْتُ فِي رُهْبَانِهِ غُلَامًا كَمَا عَدَرْتُ قَدْ تَرَهَّبَ .
لِحَاطَتِهِ وَإِذَا بِهِ أَحْلَى النَّاسِ أَلْفَاظًا عَلَى لُغَةٍ فِيهِ تَجْعَلُ السِّينَ ثَاءً . فَشَدِيتُ سُمْبَارِي ^(١)
إِلَى حَانِطِ الدَّيْرِ . وَاشْتَرَيْتُ شَرَابًا مِنَ الرُّهَانِ . وَبِتُّ هُنَاكَ مَنَادِمًا لِذَلِكَ الْغُلَامِ .
فَلَمَّا أَرَدْتُ الرَّحِيلَ قَالَ : أَتَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِنَا وَأَنْتَ شَاعِرٌ وَلَمْ تَقُلْ فِينَا شَيْئًا ؟ فَقُلْتُ :
يَا ، وَاللَّهِ قَدْ قُلْتُ ! وَأَنْشَدْتُهُ :

بَا طِبَّ لَيْلَةٍ دَرِمَرٍ بَاعُوثِ ! * فَسَفَاهَ رَبُّ الْعَرْشِ صَرْفَ غِيُوثِ ! ^(٢)
وَمُورِدِ الْوَجَانِطِ مِنْ رُهْبَانِهِ * هُوَ يَنْهَمُ كَالظَّلْجِ بَيْنَ لُيُوثِ ،
حَاوَلْتُ مِنْهُ قُبْلَةً فَأَجَانِي ، * بِأَحْسَنَ ذَا التَّذْكِيرِ وَالنَّائِيثِ !
حَتَّى إِذَا مَا الرَّاحُ سَهَلَ حَتْمًا * مِنْهُ الْعَسِيرَ بِرُطْلِهِ الْمُخْثِثِ !
بَاتُ الرِّضَا وَبُلْغَتِ قَاصِبَةُ الْمُنَى * مِنْهُ بَرَّغَمُ رَقِيبِهِ الدَّيُوثِ !
وَلَقَدْ سَاكُتٌ مَعَ الْمَصَارِي كُلِّ مَا * سَلَكَوْهُ غَيْرَ الْقَوْلِ بِالنَّثِيلِثِ !

دِيرِ السُّوسِيِّ ^(٣) - وَهُوَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ لِسُرٍّ مِنْ رَأْيٍ ، وَمِنْهُ أَرْضُهَا . فَابْتَدَأَهَا
الْمُعْتَصِمُ مِنْ أَهْلِهِ .

دِيرِ السُّوسِيِّ

١٥

(١) الشُّبَّارِيَّةُ : هِيَ سَبِيْعَةٌ كَانَتْ تَتَعَمَلُ فِي الْعِرَاقِ لِلْبَهَةِ وَالْحَلَاةِ ، مِثْلَ الْمَدْهِيَّةِ فِي وَادِي الْبِلَاسِ . وَفَدَّ
يَرُدُّ سَمْعَهَا كَثِيرًا فِي كِتَابِ الْأَدَبِ . وَلَكِنْ الْبَدِيءُ ذَكَرَهُ تَابِعَ الْعُرُوسِ فِي اسْتِدْرَاكِهِ هُوَ السَّيْرِيَّةُ فَقَطْ ، وَقَالَ
بِهَا صَرَبٌ مِنَ الْعَرَبِ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ آسَ فَضَّلَ اللَّهُ هَذَا الْفَلَقَ الْأَحْمَرُ أَشَاءَ كَلَامِهِ الْإِثْنَى عَلَى دِيرِ شُوشِ .

(٢) مَر - مَار = قَدِيمٌ (٣) فِي يَاقُوتٍ - صَوْبُ .

(٤) اقْتَصَرَ يَاقُوتٌ عَلَى قَوْلِ كَلَامِ اللَّادِي أَنَّهُ "دِيرِ مَرْيَمَ سَاهَ رَحَلٌ مِنْ أَهْلِ السُّوسِ وَسَكَهُ هُوَ وَرُهْبَانُهُ"
مَعَهُ مَسْمُومٌ ، وَهُوَ سَوَاحِي سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ ، الْجَانِبُ الْغَرْبِيُّ ، ثُمَّ أَوْرَدَ أَبْيَاتَ ابْنِ الْمُعَرِّفَةِ ، حَسْبَ حَادِثَاتِ
فِي رِوَايَةِ آسَ فَضَّلَ اللَّهُ (أَعْلَى مَعْرِ الْأَدَاءِ ح ٢ ص ٦٧٢) ، وَأَطْرَفَ الْبَكْرِي فِي مَعْجَمِهِ مَا اسْتَعْمَلَ (ص ٣٧٨) .

٢٠

حكى أحمد بن أبي طاهر، قال: قصدت بُسرَّ من رأى رائداً بعض كبارها بشعر
مدحته به، فقبلني وأجرل صِلَتي، ووهب لي علماً رومياً حسن الوجه، فسرتُ أريد
بغداد، فلما سرت نحو فرسخ، أخذتنا السحاب، فعدلت إلى دير السوسى لنقيم فيه
إلى أن يخف المطر. فأشدت القطر وجاء الليل. فقال الراهب الذى هو فيه: أنت
العشة بائث هنا، وعندى شراب جيد، فتيثتُ تقصف ثم تبرك. فبثتُ عنده، فأخرج
لي شراباً جيداً، ما رأيتُ أصفى منه ولا أعطره. وبات الغلام يسقيني، والراهب نديمى،
حتى مت سكرًا. فلما أصبحت رحلتُ وقلتُ



سقى سُرَّ من رى وسكَّنا : وديراً لسوسى الراهب!
فقديتُ في ديره ليلةً . وبدر على غصنٍ صاحي!
غزال سقاني حتى الصبا * ج صفراء كالذهب الدائب.
سقاني المدامة مستقيظاً * ونمتُ ونام إلى جاني.
وكانت هناةً لي الويلُ من * جناها الذى خطه كاتي!

١٠

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد فيه قول ابن المعتز:

باليالى بالمطيرة والكر * خ ودير السوسى، بالله عودى!
كنت عِنْدِي أُمُودَجَاتٍ مِنَ الْجَنَّةِ، لِكِنَّهَا بغير خُلود!
أشربُ الرّاحَ وهى تُشربُ عَقْلِي، . وعلى ذاك كان قتلُ الوليدِ.

١٥

دير عبدون ^(١) - وهو بُسرَّ من رأى إلى جانب المطيرة. قال: وسمى دير عبدون
لكثرة المسمّى عبدون - أخى صاعد [بن مخلد] - به. وكان عبدون نصرانياً.

(١) أنظر الكرى في معجم، ١٠٢٧٤ (ص)؛ وأصله ياقوت (ح ٢ ص ٦٧٨).

وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق الناصر . فاستوزره^(١) وبلغ معه المبالغ العظيمة .
وحكى البحتري أنه كان مع عبدون في هذا الدير في يوم فصيح ، ومعه ابن خرداذبة .
قال البحتري فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها ، وأوتىها :

لأجديد الصبي ولا ريعانه * راجع بعد ما تفضي زمانه !

فأمر لي بسائتي ديار ، وثياب خر ، وشهري^(٢) بسرجه ولبامه . وأخوه حينئذ مع
الموفق في قتال العلوي البصري . فسر بذلك وقال لي : يا أبا عباد ! قل في هذا
شعرا أنفذه إلى ذي الوزارتين ، يعني أخاه ، وكان لقب بهذا . فقلت :

ليكتنقك السرور والفرح ! * ولا بقتك الإبريق والقدح !

فتح ونضح قد وافيأك معاً : فالفتح يقرى ، والفصح يفتح .

فأنعم سليم الأقطار تغتبق الصهء من دنها وتضطبح !

فإن أردت أجترح سيئة ، * فيها لها السيئات تجرح !

وأقنا يوماً إلى الليل . وخلع على ابن خرداذبة وحمله وأنصرفنا .

وأشد الخالدي قول ابن المعتز فيه :

سقى الخزيرة ذات الظل والشجر * فدير عبدون هطال من المطر !

(١) هذه البيانات إلى ما واردة في ياقوت مع اختلاف في اللفظ قليل ، وقد أورد فيه قصيدة لأن المعتز
ليست عند أسهل الله (أطرمعهم اللدان ح ٢ ص ٦٧٨) وقد ذكر ياقوت ديراً آخر بهذا الاسم
وقال أنه "قرب جريرة أس عمره ويها دحلة ؛ وقد خرب الآن . وكان من أحسن مترعاتها " .

(٢) الشهيرة بالكسر ضرب من البرادين وهو بين البردون والمقرف من الحيل أو بين الرمكة والفرس
العتيق وجمعه شبار ، (تاج) .

دِير زَكِّي . وهو قريب البليخ والفرات . في أثره البقاع ، بين بسابن وأنهار
وقلال وضياح .

وحكى عن الحسين بن يعقوب أنه قال : صرْتُ إلى الرُّها ، فبِتُّ بها . ونجرت
قبل عيد الصليب بيوم . فإذا لدينا وجوهٌ حسانٌ من نصرانيات خرجن لعيدهن ،
عليهنَّ جِيْدُ الثياب وفانرجوهر ، وإذا روائح المسك والعنبر قد طُيِّبَ الهواء منها ،
وقد فُرش لهنَّ على العجل وهو يُجَرَّ بهنَّ ، وأخرى على الشَّهاري الخراسانية والبغلات
المصرية والحرَّة ومشاة ، وفي خلال ذلك صباؤٌ ما رأيت أحسن منهم وجوها
وقدودا وثيابا . فتأملت منظرا لم أر أحسن منه قط . وإذا هم يطلبون دِير زَكِّي
لعيِّدوا فيه .

قال الخالدي : وإلى جانبه قرية تعرف بالصالحية ذات قصور وودع . وفيها
يقول بعض الشعراء :

قُصُورُ الصَّالِحِيَّةِ كَالْعَذَارَى * لَيْسَنَ حُلِيِّنَّ لِيَوْمِ عُرْسٍ .
تَقْنَعُهَا الرِّيَاضُ بِكُلِّ نَوَّرٍ . وَتُضَحِّكُنَّهَا مَطَالِعُ كُلِّ شَمْسٍ .

(١) يكتون أيضا : دِير زَكَا . وأصل الطبرى (سلسلة III ص ١٧٩٢) ؛ وأثر الأثير (ح) ٥

١٥ ص ٢١٥) ؛ ومعجم ما أستمع (ص ٣٧١ و ٣٧٧) ، وخصوصا ياقوت (ج ١ ص ٦٦٧ ح ٢

ص ٦٦٤ ح ٢ ص ٢٦٣ ح ٤ ص ٨٦٢ و ٩٩٤) ؛ والشاشي (ورقة ٩٥) .

(٢) في الاصل : منه .

وفيها قال الصنوبري :

إني طَـرِبْتُ إلى زِينُونِ بِطَيَّاسٍ * فالصالحِيَّةِ ذاتِ الْوَرْدِ وَالْآسِ !
وَصَفُّ الرِّياضِ كَمَا نِي أَنْ أَقِيمَ عَلَى * وَصِفِ الطُّلُولِ ، فهل في ذاك من بَاسِ ؟
وقائل لي : أَفِقْ يَوْمًا ! قَلْتُ لَهُ ، * من سَكْرَةِ الْحُبِّ : أو من سَكْرَةِ الْكَاثِ ؟
قلْ للذي لَمْ فِيهِ : هل تَرَى كَلِفًا . بَأَمْلَجِ الرُّوضِ إِلَّا أَمْلَحَ النَّاسِ ؟



وفيها قال أيضا :

الصالحِيَّةِ مَوْطِنِي * أَبْدَا . وَبَطَيَّاسٍ قَرَارِي .
من فَوْقِ غُندَرٍ تَفِيْتُضُ وَيَنْ أَنْهَارِ جَوَارِي .
وَمُدَامَةٍ بُزَلَتْ فَأَشْدَّ بِهِ فَتَلَهَا فَتَلَ السَّوَارِ .
يَا لَأَنسَى مَا الْعَارُ عَا . رُكْ ! فَاْمُضْ ! عَنِّي الْعَارُ عَارِي !
لَهْفِي عَلَى مَلُوءَةِ الْأَصْدَاغِ مُسَبَّلَةِ الْإِزَارِ !
قَدْ فَضَّضْتُ بِالْيَاسَمِينِ وَنُذِّمْتُ بِالْجُلْنَارِ .

وفيه قال :

حَبَّذَا الْمَرْحَ ! حَبَّذَا الْعَمْرَ ! لَا بَلْ * حَبَّذَا الدَّيْرَ ! حَبَّذَا السُّرُوتَانِ !
قَدْ تَجَلَّى الرَّبِيعُ مِنْ حُلِّ الرُّهْرِ وَصَاغَ الْحَمَامُ طِيبَ الْأَغَانِي .
زَبَبْتُ أَوْجُهُ الرِّياضِ فَاَضْحَتْ وَهِيَ تُرْهِى عَلَى الْوُجُوهِ الْحَسَانِ .

(١) في الاصل طيَّاس بالون وقد ذكره ياقوت في حرف الباء .

(٢) لعلها : المرح .

أخضر اللون كالزبرجد في أحمر صافي الأديم كاليفيان.
وبهار مثل الزناير محفو * ف بزهر الخيزري والحوذان.
سقياني بكل لون من الرا * ح على كل هذه الألوان!

وفيه يقول الصنوبري أيضا من قصيدة:

أراق سحابة بالرقصين * جنوبي صُوب الجانيين ،
وأهدى للرصيف رصيف مُزِن * يعاوده طير الطرّين .
تضاحكها الفرات بكل فج * فتضحك عن نضار أولجين .
كأنت عناق نهري ديزكي * إذا اعتنقا عناق ميمين .
أفاما كالسوارين ، استدارا ، على كفيه أو كالدُّجين ،
ويأسفن العرات بحيث تهوى * هوى الطير بين الجلهتين .
تطارّد مُبيلات مُدريات * على عجل تطارد عسكرين .
ترانا واصلين كما عهدنا * وصالا لا تنقصه بين
ألا باصاحبي خذا عاتني * هواي! سلبتما من صاحبي!
وكان اللهو عندي كآبن أمي ، فصرنا بعد ذاك لعلتين!

وله أيضا من أخرى:

ياندبي أما تحش إلى الفصنف ، فهذا أوائل يبدو الحنين
ما ترى جانب المصلّى وقد أشرف منه ظهوره والبُتون
أسرجت في رياضه سرج القطر وطابت سهوله والحزون .
إن أذار لم يذر تحت وجه الأرض شيئا أكنته كأنت!

وَكَاثَ الْقُرَاتِ بَيْنَهُمَا عَيْشُنُ الْجَيْنِ يَوْمُ فِيهَا السَّيْنُ،
 كَبُطُونِ الْحَيَاتِ أَوْ كُتُونِ السَّمَشْرِ قَاتِ، أَخْلَصَتْهَا الْقُبُونُ.
 كَمْ غَدَا نَحْوَ دِيرِ زَكِيٍّ مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ فَعَادَ وَهُوَ حَزِينُ!
 لَوْ عَلَى الدَّيْرِ عُجَّتْ يَوْمًا، لَأَلْهَتُكَ فُنُونُ وَأَطْرَبَتْكَ فُنُونُ!
 لَا تَمْنِي فِي صَابِغِي قَدْ كَمَ مَهْلًا * لَا تَلْمِئْنِي . إِنْ الْمَلَامَ جُنُونُ!

ولأبي بكر المعوج فيه من فصيده :

مَا تَرَى الدَّيْرَ؟ مَا تَرَى أَسْفَلَ الدَّبْشِيرِ، وَقَدْ صَارَ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ ؟
 لَوْ رَأَى النَّعْمَانُ، شَقَّ عَلَيْهِ . مَا يَرَى مِنْ شَقَائِقِ النَّعْمَانِ !

(١٩٢)

قال الخالدي عن الزهراوى، قال : كان بالموصل جارية مغنية، نُقِبَتْ بالدَّيْرِ، وكان
 لها ابن عم يعشقها . فطرقته يوما زائراً، فاحتجب عني، وعرف ان عمه المغنية
 المعروفة بالدَّيْرِ، وقد خلاها . فكتبت إليه .

قَدْ عَلِمْنَا بِأَنْ مَثَوَاكَ بِالْدَّبْشِيرِ، فَعِيشَا فِي عِبْطَةٍ وَأَمَانِ !
 تَتَغَنَّى طَوْرًا وَتَسْمِيكَ طَوْرًا . وَتُلَاقِي لِلسَّوَةِ السَّوَةِ نَافِ .
 ثُمَّ أَسَدْتُ إِذْ سَمِعْتُ نَحِيرًا كَنَخِيرِ الرُّعُودِ فِي نَيْسَابِ :
 "مَا تَرَى الدَّيْرَ؟ مَا تَرَى أَسْفَلَ الدَّبْشِيرِ، وَقَدْ صَارَ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ ."

قال الخالدي : "وهذا التضمين حسنٌ، واقع في موقعه، متمكن في مكانه. وهكذا
 سبيل مثله أن يكون البيت المضمَّن كأنه من الشعر المضَاف إليه". قلتُ : بشرط نقله
 لمعنى آخر غير ما أراد به ناظمه، وإلا فتركه التضمين أولى، إذا كان بمعنى الأول.

وقد ذكره أبو الفرج وقال: ومن ذكره هارون الرشيد . فقال في بعض عزوانة ،
وقد خلف جارية كان يحبها هناك :

سلامٌ على النَّازِحِ المغْتَرِبِ ! * نَحْيَةَ صَبٍّ به مُكْتَلَبِ !
غزالٌ مرَاتُهُ بِالْبَيْخِ * إلى دِيرٍ زَكِيٍّ فَفَصَّرَ الخَشَبِ !
أَيَّامُنْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ * بِتَخْلِفِهِ طَائِعًا مَنْ أَحَبِ !
سَاسْتُرُهُ ، وَالسُّتْرُ مِنْ شَيْئِي ، * هَوَى مِنْ أَحَبِّ لِمَنْ لَا أَحْتِ .
فال : ويقال إنه قالها في ديرية رآها في دير زكي ، بهويها .

دير القائم الأقصى^(١) - وهو على شاطئ الفرات ، من جانبه العربي في طريق در القائم الأنصبي
الرَّقَّة . قال أبو الفرج : وقد رأيتُه ، وهو مَرْقَبٌ من المراقب التي كانت بين الروم
والفرس ، على أطراف الحدود^(٢) .

وقال إسحاق الموصلي : لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة ، مررنا بالقائم وعده الدير .
فاستحسن الرشيد الموضع . وكان الوقت ربعاً ، وكانت تلك المروج مملوءة بالشفائق
والزهر . فشرب على ذلك ثلاثة أيام . ودخلت الدير أطوف فيه ، فرأيت ديرية ،
حين نهد ثديها ، عليها المسوح ، مارأيت أحسن من وجهها وجسمها . وكأن تلك
المسوح عليها حتى . فدعوت بنيد وشربت على وجهها أفداحاً . وفلت :

(١) سماء الطري وياقوت دير القائم (أطرا الأول في سلسلة III ص ٦٧٠ والثاني في ج ٢ ص ٦٨٤)
ثم أنظر معهم ما استعجم (ص ٣٥٩) .

(٢) أورد ياقوت هذه البيانات دون ما يليها مع زيادة طليعة في التعريف بالمرتب وأسماء الأليات
الثلاثة دون قصتها وقال إنها "لعمد الله بن مالك المصبي" وقال الخالدي "هو لإسحاق الموصلي" . (أطرا ص ٦٨٤)
البلدان ج ٢ ص ٦٨٤) . وأما في الشابشي الذي بأيدينا فلم يرد فيه ذكر هذا الدير .

يَذِيرُ الْقَائِمِ الْأَفْصَى * غَزَالُ شَادِنٍ أَخْوَى!
 بَرَى حُبِّي لَهُ جِسْمِي * وَلَا يَذِيرِي بِمَا أَلْقَى!
 وَأَكْتُمُ حُبَّ جَهْدِي * وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى!

ثم دعوت بالعود ، فنبيت في الدير صوتا مليحا ظريفا . وما زلت أكرره وأشرب
 وأنظر إليها ، وهي تصحك من فعلتي حتى سكرت . فلما كان من الغد ، دخلت على
 الرشد ، وأنا ميت من السكر . فقال لي : أين شربت ؟ فأخبرته القصة . فقال : طيب
 وحياتي ! ودعا بالشراب فشرب . فلما كان العشي ، قال : قم بنا حتى أتكر وأدخل إلى
 صاحبك هذه وأراها . فقممت معه وتلثم ودخل الدير فرأها وقال : مليحة والله ! وأمر
 من جاءه بكأس وخرّدي . وأحصرت عودي فغنته الصوت الذي صنعته ثلاث
 مرات . وشرب عليه ثلاثة أرتال . ثم خرج وأمر لي بثلاثين ألف درهم . فقلت :
 يا سيدي ، وصاحبة القصة ؟ أريد أن يبين عليها أنزي . فأمرها بمحسة آلاف درهم ،
 وأمر بأن لا يؤخذ من مزارع ذلك الدير نراج . وأقطعهم إياه وجعل عليه عن
 الخراج عشرة دراهم في كل سنة ، تؤدى ببغداد .

دير حزقيال - قال شريح الخزازي : آجرت بدير حزقيال . فبينا أنا أدور فيه ،
 إذا بسطرين مكتوبين على أسطوانة . فقرأتها ، فإذا هما :

رَبِّ آيَلِ أَمَدٍ مَنْ نَفَسَ الْعَا * شَقِي طَوْلًا ، قَطَعْتُهُ بِاتِّعَابِ !
 وَيَعِيمُ بَوَصِلَ مَنْ كُنْتُ أَهْوَى * قَدْ تَبَدَّلْتُه بِبُؤْسِ الْعِتَابِ !



(١) الحرداذي الحمر . وقد أهمله في الأصل والصواب اعماه (أطراف القاموس) .

(٢) أنظر البرقي (ص ٣٧٨) ، وياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

نَسَبُونِي إِلَى الْجُنُونِ لِيُخَفُوا . مَا بَقِيَ مِنْ صَبْرٍ وَكِتَابٍ .
لَيْتَ بِي مَا دَعَا مِنْ قَدِّ عَقْلِي . فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ طُولِ هَذَا الْعَذَابِ !

وتحتته مكتوب : "هَوَيْتُ مُنَعْتُ، وَطُرِدْتُ وَشُرِدْتُ، وَفُوقَ بَنِي وَبَيْنَ الْوُطْنِ،
وَحُجِبْتُ عَنِ الْإِلَافِ وَالسَّكَنِ، وَحُبِسْتُ فِي هَذَا الدِّيرِ [ظَلَمًا وَ] عَدَاوًا، وَصُفِّدْتُ
فِي الْحَدِيدِ زَمَانًا،

وَلَيْتَ عَلَى مَا نَانِي وَأَصَابَنِي . لَدُونِي بَاقٍ عَلَى الْحَدَنَانِ !
فَإِنْ تُعْقِبِ الْأَيَّامُ أَنْظَرُ بَيْتِي ! . وَإِنْ أَتَوَلَّى يَرِمُ بِي الرَّجْوَانِ !
فَكَمْ مَيِّتٍ هُمَا بَظِيفٍ وَحَسْرَةٍ . صَبْرٌ لَمَّا يَأْتِي بِهِ الْمَلَوَانِ !"

فَدَعَوْتُ بِرَقْعَةٍ، وَكَتَبْتُ ذَلِكَ، وَسَالَتْ عَنْ صَاحِبِهِ، فَقَالُوا : رَجُلٌ هَوَى أَبْنَةَ
عَمِّ لَهُ . حُبِسَ عَمَّهُ فِي هَذَا الدِّيرِ، وَغَرِمَ عَلَى ذَلِكَ جَمْلَةً لِلْسلْطَانِ خَوْفًا أَنْ تَقْتَضِعَ
أَبْنَتَهُ . ثُمَّ مَاتَ عَمَّهُ . فَوَرِثَهُ، هُوَ وَأَبْنَتُهُ، وَجَاءَ أَهْلُهُ فَأَخْرَجُوهُ وَتَزَوَّجَ أَبْنَةُ عَمَّهُ .^(١)

دِير مَاسَرَجَسْ - قَالَ أَبُو الْفَرَحِ : لَمْ يَذْكُرْ أَيْ دِيَارَاتِهِ ؟ وَلَهُ عِدَّةُ دِيَارَاتٍ .
مِنْهَا دِيرٌ بِأَزَاءِ الْبَرْكَانِ، فِي ظَهْرِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا كَاذَةٌ .^(٢)
^(٣)

حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ - أَنَا وَأَبُو الْمَصْرِىِّ، مَوْلَى بَنِي جُبَحٍ -
بَيْعَةَ مَاسَرَجَسْ . وَقَدْ رَكِبْنَا مَعَ الْمُعْتَصِمِ، نَنْصِيدُ . فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَى جَارِيَةٍ كُنْتُ

(١) هذه البيانات كلها واردة في ياقوت مع زيادة قاله في الألفاظ وقد وهم ما به في ضبط بعض
الكلمات (ج ٢ ص ٦٥٤) .
(٢) أنظر البكري (ص ٣٧٥) .
(٣) في الأصل بالإممال . وصح على إنغامها ياقوت .

أهواها، وجعل هو ينظر إلى صورة في البعثة، أستحسنها، حتى طال ذلك . ثم قال أبو النصر :

مَتَّناُ صُورَةً في بَيْعِهِ ! * فَتَنَ اللهُ الَّذِي صَوَّرَهَا !

زَادَهَا الْبَاقِشُ في تَحْسِينِهَا * فَضَلَ حُسْنِي ، إِنَّهُ نَصَّرَهَا !

وَجْهَهَا لِأَشْكَ عِنْدِي فَتَنَةٌ * وَكَذَا هِيَ عِنْدَ مَنْ أَبْصَرَهَا !

أَنَا لِلْقَسِّ عَلَيْهَا حَاسِدٌ . * لَيْتَ غَيْرِي عَبَّأَ كَرَّهَا !

(١٩٧)

قال ، فقلت : له شتان ما بيننا ! أنا أهوى بشراً، وأنت تهوى صورة ! قال لي : هذا عبثٌ ، وأنت في جدِّه .

قال حماد ، وعنى عبد الله بن العباس في هذا الشعر عناء حسنا ، سمعته منه ، فنسبه إليه لكثره شعره في امرأة كان يهواها .

١٠

دير الروم ^(١) - وهو بأرض بغداد ، قال الشافعي : كان مدرك بن علي الشيباني يطرقه في الآحاد والأعياد . فينظر من فيه من المردان ، والوجوه الحسنان . وله بيته :

وَحَوْهُ بَذِيرُ الرُّومِ قَدْ سَلَبَتْ عَقْلِي * فَأَصْبَحْتُ في بُؤْسِ شَدِيدٍ مِنَ الْخَبْلِ !

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مَمْطَرًا مِثْلَ حُسْنِهِمْ * وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مُسْتَهَامًا بِهِمْ مِثْلِي !

١٥

وحكى عن جساس بن محمد قال : كان بذير الروم غلام من أولاد النصارى ، يقال له عمرو بن يوحنا . وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلفاً . وكان مدرك بن علي يهواه . وكان من أفاضل أهل الأدب . وكان له مجلس تجتمع به الأحداث لا غير .

فإن حضره ذو لحية، قال له مدرك: إنه يُقْبَحُ بك أن تختلط بالأحداث، فقم في حفظ الله! فيقوم . وكان عمرو من يحضر مجلسه، فعشقه وهام به . فكتب إليه رقعة، وتركها في حجره . فقرأها فإذا فيها :

يَحَالِسُ الْعِلْمَ الَّتِي . بِكَ تَمَّ جَمْعُ جُمُوعِهَا!
إِلَّا رَزَيْتَ لَمْ تُسَلِّمْ . غَرِقْتَ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا!
بَيْتِي وَبَيْتِكَ حُرْمَةٌ . فَاللَّهُ فِي تَضَامُنِهَا!

٥

فقرأ الأبيات، ووقف عليها من حصر . فاستجيا عمرو، فأقطع عن الحضور . وغلب الأمر على مدرك، فترك مجلسه وتبعه . وقال فيه أشعارا، منها قوله :

بِأَمْنٍ يُرِيدُ وَصَالَنَا وَيُرْدُهُ . مَا قَدْ يَحَادِرُ مِنْ كَلَامِ الدَّاسِ!
صِلْنِي فَإِنْ سَبَقَتْ إِلَيْكَ مَقَالَةٌ . مِنْهُمْ ، فَعَصَّبَ مَا يَفَالُ بِرَأْسِي!

١٠



قال جساس : ثم خرج مدرك إلى الوسواس . فحضرته عائدا في جماعة من إخوانه، فقال: ألسنتُ صدقكم القديم " فما فكم أحد يُسعدني بالنظر إلى وجه عمرو؟ قال: فقصيا إليه . وقلنا له : يا عمرو إن كان قتل هذا الرجل ديناً فإن إحياءه لمروءة . قال : فما فعل؟ فلما له : قد صار إلى حالٍ ما نحسبك تلحقه . قال : فنهض معاً . فلما دخلنا عليه، سلم عليه عمرو، وأخذ بيده . فقال : كيف تجدك يا سيدي؟ فظفر إليه ، ثم أغشى عليه، ثم أفاق وهو يقول :

١٥

أَنَا فِي عَافِيَةٍ إِلَّا مِنْ السُّوقِ إِلَى الْكَافِ .
أَيُّهَا الْعَائِدُ، مَا بِي * مِنْكَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ!
لَا تُعَدِّجْهُمَا وَعَدَ قَلْبَا رَهِينَا فِي يَدَيْكَ!
كَيْفَ لَا يَهْلِكُ مَنْ رُ * مِيَ بِسَهْمَيَّ مُقْلَنِيكَ؟

٢٠

دير الرندورد

دير الرندورد^(١) - وهو بالجانب الشرقي من بغداد، وأرض ناحيته كلها فواكه

وأترج وأعاب، وعنهما من أجود ما يعتمر هناك، ولذا قال أبو نؤاس:

فسقى من كروم الرندورد ضحى . ماء العاقس في ظل العناقيد!

قال الشاشي: حكى عبدالواحد بن طرخان: قال خرجت إلى دير الرندورد

في بعض أعياده متطرباً ومتزهاً، ومعنا جمحة في جماعة من إخواني، فنزلنا موضعاً
حسنًا، وواقفنا هناك جماعة من طراف بغداد، لجمعهم معشوقات حسان الوجوه
والغناء، فاقفنا به أباما في أطيب عيش، وقال جمحة فيه شعرا، ذكر الدير وطيب
الوقت ومن كان معاً وغنى فيه لحماً حسناً، وهو:

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِدِيرِ الرُّندُورْدِ وما * يَنْجُو وَيَجْعُ مِنْ رَاحِ وَرَيْحَانِ!
دَبْرُ تَدُورِ بِهِ الْأَفْدَاحُ مُنْزَعَةً * مِنْ كَفِّ سَاقِ مَرِيضِ الطَّرْفِ وَسَانِ!
وَالْعُودُ يَنْبُعُهُ نَائِي يَوَاقِفُهُ . وَالشَّدُو يُحْكِيهِ غُصْنُ مِنَ الْبَابِ!
وَالْقَوْمُ فَوْضَى تَرَى هَذَا يُقْبَلُ ذَا ، وَذَاكَ إِنْسَانُ سَوْءٍ فَوْقَ إِنْسَانِ!
هَذَا وَدَجَلَةٌ لِلرَّائِينَ مُعْرَضَةٌ * وَالطَّيْرُ يَدْعُو هَدِيلاً يَنْ أَعْصَانِ!
تَرْ وَبَحْرُ فَصِيدِ الْبَرِّ مَسْتَرِبٌ . وَالْبَحْرُ يَسْبَحُ شَطَاءَ بَحِيَّتَانِ!
فَمُ صَعِ لَحْمًا وَغَنَى فِيهِ بِشَعْرُهُ ٥٥٠ :

١٥

حَلِيلِي! الصُّبُوحُ! دَنَا الصَّبَاحُ! * فَإِنَّ شَمَاءَ مَا تَجِدَانِ رَاحُ!
فَبِهِ فَنِيَّةً جَهْرًا قَدِيمًا * عَوَانَهُمْ بَرْجَرٍ فَاسْتَرَا حُوا!

رَأَيْتُ الْفَانِيَاتِ صَدَدَتْ عَنِّي * وَأَعْرَضَتِ الْمُبْتَلَةُ الرِّدَاحُ .
وَقُلْنَ : مُضَتْ بِشْرَتِكَ اللَّيَالِ ! * قُلْتُ : نَعَمْ ، وَقَدِ رَثَ السَّلَاحُ !

دير دُومَالِس^(١) ، وهو في باب الشَّاسِيَةِ . شرقي دجلة . قال الشَّابُثِيُّ : وموقعه
في هذا الوقت في طهر القرية التي بناها أحمد بن بويه الدَّهْلِيُّ . وهو نزه كثير البساتين
والشجر . وبقربه أجرة قصب . وهو كبير أهل . وهو من البقاع المعمورة بالقَصْف .
وعبدُه أحسن عبد . يجتمع بصاري بغداد فيه . وفيه يقول ابن حمدون القديم :
بَادِرْ دُومَالِسَ مَا أَحْسَنَكَ ! . وَيَا غَزَالَ الدَّيْرِ مَا أَفْتَنَكَ !
أَبْنُ سَكَنَتِ الدَّيْرِ فِي أَهْلِهِ ، فَإِنَّ فِي وَسْطِ الْحَشَامِ سَكَنَكَ !

دير سَمَالُو^(٢) ، وهو بالجانب الشرقي من بغداد . على نهر المهدى . وهناك أُرْجِيَةٌ لِلْأَمِيرِ
وحوله بساتين وأشجار وحل . أهل بن يطرقة من أهل الخَلَاعَةِ . وفي عبد الصِّضْح
لا يبقى أحد من البصاري ببغداد ، حتى يأتي إليه ، ولحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه
شعر ، منه :

وَلَرُبَّ يَوْمٍ فِي سَمَالُوتَمَ لِي * فِيهِ النَّعِيمُ وَغِيَّتْ أُرْجَانُهُ !
حَتَّى حَبِثْتُ لَنَا الْبِسَاطَ سَعِينَةً * وَالْبَيْتَ تَرْقُصُ حَوْلَنَا حَيْطَانُهُ !



قال خالد بن يزيد بن الكاتب : كُتِبَتْ بِدِيرِ سَمَالُو ، فلم أشعر إلا ورسول إبراهيم
ابن المهدي قد وافاني . فذهبت إليه ، فإذا برجل أسود مشفراني قد عاص في الفُرش ،
فاستجلسني . فجلست . فقال : أنشدني شيئاً من شعرك ! فأنشدته :

(١) في الأصل دومايس براء بعد الدال . وفي ياقوت والشاشي : دومايس ، بالراء بدل الواو (أنظر الأثر
في ج ٢ ص ٦٦٠ والثاني في ورقة ١) .

(٢) أهل ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٠ ج ٣ ص ١٦٦) ؛ والشاشي (ورقة ٤) .

رَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي مَنَظَرَيْنِ كَمَا رَأَتْ : من البدر والشمس المصيبة بالأرض .
 عِشْبَةٌ حَبَانِي سَوْدٌ كَأَنَّهُ : خُدُودٌ أُضْيِفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ .
 وَابَاوَلَنِي كَأَسَاكَانَ رُضَاهَا : دُمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مُقَلِّي عُغْضِي .
 وَوَلَّى ، وَفِعْلُ السُّكْرِ فِي حَرَكَتِهِ : من الراح فِعْلُ الرِّيحِ بِالْغُصْنِ الْفَضِ .
 فَرَحَفَ حَتَّى صَارَ فِي ثُلَاثِي الْمَصْلَى . ثم قال : يَا بُنَيَّ ! سُبِّهَ النَّاسُ الْخُدُودَ بِالْوَرْدِ ،
 وَشَبَّهَتْ أَنْتَ الْوَرْدَ بِالْخُدُودِ ! زِدْنِي ! فَأَنْسَدْتَهُ :

عَاتَنْتُ نَفْسِي فِي هَوَا * لَكِ ، فَلَمْ أَجِدْهَا بَقِيْلُ .
 وَأَجَبْتُ دَاعِيَهَا إِلَيْكَ ، وَلَمْ أُحِبْ مَنْ يَعْدِلُ .
 لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْوُجُو - هَلْ حُسْنٍ وَجْهَكَ تَهْتَلُ !
 لَا قُلْتُ : إِنَّ الصَّبْرَ عَمَّاكَ مِنْ النَّصَائِي أَجْمَلُ !
 فَرَحَفَ حَتَّى صَارَ حَارِجَ الْمَصْلَى . ثم قال : رَدْنِي ! فَأَنْسَدْتَهُ :

عَسَّ حُيَيْكَ سَرِيْعًا قَاتِلِي . وَالْهَوَى إِنْ لَمْ يَصِلْنِي وَإِصْلِي
 طَفِيرَ الْحُبِّ بَقْلِبٍ دَنِيفٍ . بَكَ وَالسُّقْمُ بِحُسْنٍ نَاحِلِ
 وَبَكَ الْعَاذِلُ لِي مِنْ رَحْمَتِي فَبُكَائِي مِنْ بُكَاءِ الْعَاذِلِ
 فَصَاحَ وَقَالَ : يَا بُدَيْقُ ! كَمْ لِي مَعَكَ مِنَ الْعَيْنِ ؟ قَالَ : سِتَائَةٌ وَخَمْسُونَ دِينَارًا .
 قَالَ : أَقْسَمُهَا بِبَنِي وَبَنَتِهِ .



وَحِكْيُ الشَّابِئِنِي لِحَالِدِ حِكَايَاتِ ، وَأَنْسَدَ لَهُ شِعْرَاءُ مِنْهُ قَوْلُهُ :

كَيْدُ الْمُسْتَهَامِ كَيْفَ تَذُوبُ * مَا تُنْقَاسِي مِنَ الْعُيُونِ الْقُلُوبُ ؟
 يَا مَكَانَ الْهَوَى خَلَوْتُ مِنَ الصَّبْرِ ، مَا لِلْسُّلُوفِ فَكَ نَصِيبُ !

وقوله :

وَلَمْ أَذِرْ مَا جَهْدُ الْهَوَىٰ وَبَلَاؤُهُ * وَشِدَّتُهُ حَتَّىٰ وَجَدْتُكَ قَلْبِي !
أَطَاعَكَ طَرِيقٌ فِي فُؤَادِي ، فَخَازَهُ * لَطَرَفِكَ حَتَّىٰ صِرْتُ فِي قَبْضَةِ الْحَبِّ !

دير الثعالب^(١) - وهو في الجانب الغربي من بغداد، بباب الجديد . وهو بمكان
متنزه لا يخلو من قاصد وطارق . ولا يتحلف أحد من النصارى عن عيده . فواطئه
معموره، وبفاعه مشهوره . ولأبن دهقان فيه شعر ظريف . وهو من ولد إبراهيم بن
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وبُكِنِي بأبي جعفر . وأُتْسِدَ له بِمُحَظَّةٍ :

أَحِينَ قَطَعْتُ لَكَ الْوَصِيلِينَ . وَجُدْتُ عِلْبَكَ وَلَمْ أَجْثَلِ ،
عَدَرَتْ وَأَطْهَرَتْ لِي جَفْوَةٌ . وَجُرَتْ عَلَيَّ وَلَمْ تَعْدِلِ
أَطْمَعُ فِي آخِرٍ مِنْ هَوَاكَ وَلَمْ تَرَعْ لِي حُرْمَةَ الْأَوَّلِ ١٠

دير مديان^(٢) - وهو على نهر كرخاً ببغداد . وكَرْخَايَا نَهْرٌ يُسْقَى مِنَ الْخَوَلِ الْكَبِيرِ
ويتمز على العباسية ، وَيُسْقَى الْكَرْخُ ، وَيَصْبُ فِي دِجْلَةٍ .

وكان قديماً عامراً يصبُّ الماء فيه ، ثم نصب بالشوق^(٣) .

قال الشَّابُثِيُّ : وهذا الدير حسن عامر حوله البسايين . ويُفْصَدُ لِلتَّنَزُّهِ . ولأبن
الضحَّاك فيه شعر . منه : ١٥

(١) أطار ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٠) ، والشاشي (ورقة ٨) .

(٢) أطار ياقوت (ج ٢ ص ٦٩٥) ؛ والشاشي (ورقة ١٢) .

(٣) في الأصل : "ثم يصب بالسوق" . وقد صححت بمعونة ياقوت فإنه يقول : وكان الماء فيه جارياً
ثم أقطع حريته بالشوق التي أمتحت في الفرات .

٢٢

دير أشموني

بادير مذبذب لا عريت من سكتي * ما هجت من سقم! بادير مديانا!
 هل عند فسك من علم فبحيرني؟ * أم كيف يسعد وجه الصبر من خانا؟
 سقياً ورعباً لكخانا وساكنها * بين الجنة والروحاء من كانا!
 دير أشموني^(١) - وأشموني امرأة بني الدير باسمها ودُفنت فيه . وهو بقطر بل.

قال جحظة: خرجت في عبد أشموني فلما وصلت الشط، مدت عيني لأنظر موضعا
 حالاً أصعد إليه، أو رجلاً أزل عليه. فرأيت قبتين من أحسن من رأيت. فقدمت
 سميرتي نحوهما، وفلت: أأذنون لي في الصعود إليكما؟ فقلنا: بالرحب والسعة!
 فصعدت، وفلت: باعلام! طنبوري ونيزدي. فقلنا: أما الطنبور فنع، وأما البيدا
 فلا. فجلست مع أحسن الساس خلقاً وأخلاقاً وعشرة. فأحدث الطنبور وغنيته
 نسيم لي:

١٠

سمياً لأشموني ولذاتها * والعيس فها بين حباتها!

إذ اصطباحي في بسائنها * وإذ غبوتي في دياراتها!

فشر بنا بالأرطال، وطاب لنا الوقت إلى آخر النهار.

قال مجدي بن المؤقل: كنت مع أبي العتاهية في سميرته، ونحس سائرون إلى أشموني.

١٥ نسمع غناء من بعض تلك الواحي، فاستحسنه وطرب له، وقال لي: أنحس أن
 ترقص؟ فقلت: نعم. فقال: فقم بنا نرقص. فقلت: في سميرية؟ أخاف أن غرق.
 فقال: إن غرقنا، أليس نكون شهداء الطرب؟

دير سابر^(٢) - وهو في الجانب الغربي من دجلة، بين المزرفة والصالحية.

درسار

(١) أنظر باقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) والشاشي (دوقه ١٨).

(٢) أنظر باقوت (ج ٢ ص ٦٦٦) والشاشي (دوقه ٢١).

في بقعة كثرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمارين، معمورة بأهل الطرب .
والدبر حسن عامر، ولاكن الضحك فيه :

وعَوَاتِي بَاشَرْتُ بَيْنَ حَدَائِقِ * فَفَضَضْتُهُنَّ وَقَدْ غَيَّنَ صَحَاحًا .
أَتَبَعْتُ وَخَرَّةَ تِلْكَ وَخَرَّةَ هَذِهِ * حَتَّى شَرِبْتُ دِمَاعَهُنَّ جِرَاحًا .
أُبْرِزْتُهُنَّ مِنَ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا * وَتَرَكْتُ صَوْنَ حَرِيمِي مَبَاحًا .
فِي دَيْرِ سَابِرٍ وَالصَّبَاحُ يَلُوحُ لِي ، * بَجُمُعَتُ بَدْرًا وَالصَّبَاحُ وَرَاحًا .
وَمَنْعَمٌ نَازَعْتُ فَضْلَ وَشَاحِهِ * وَكَسَوْتُهُ مِنْ سَاعِدَيَّ وَشَاحًا .
فَازْهَبْ بِطَنِّكَ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّهُ * مِمَّا أَفْرَفْتُ لَدَاذِهِ وَجَاحًا .

❦

وأورد الشاشيتي فيه للحسين بن الضحك أخباراً طرافاً، وأنشد له أشعاراً لطافاً .
١٠ منها :

أَمَا نَاجَاكَ مَالُورَ الصَّيْحِ * وَأَنْ إِلَيْكَ مِنْ قَلْبِ الْجَرِيحِ
فَلَيْكَ حِينَ نَهَجْرِهِ ضَرَارًا ، * مَنَنْتَ عَلَيْهِ مَالَقَتْلَ الْمَرِيحِ !
بُحْسُنِكَ كَانَ أَوَّلُ حُسْنِ ظَنِّي ، * أَمَا نَهَاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيحِ
أَلَا يَأْمُرُوهَ لَكَ بِنْتُ كَرَمٍ * هَلُمَّ إِلَى صَعِيَّةِ كُلِّ رُوحِ !
فَقَامَ عَلَى تَحَاذُلِ مُقْلَتِيهِ : * وَسَلَسَلَهَا كَأَوْدَاجِ الدِّيَجِ .
وَاتَّبَعَ سَكْرَةً سَلَفَتْ بِأُخْرَى ، * وَحَلَّى الصَّخْوَ لِحْزَرِ الشَّحِيحِ .

١٥

وحكى عنه قال : كنا عند المتوكل في يوم بوروز، والهدايا تعرض عليه فيها تماثيل
من عنبر . وكان شفيح الخادم واقفاً ، عليه قباء موزد، ورداء موزد، وهو فيهما

من أحسن الناس وجهاً . فجعل المتوكل يدفع إلى شفيح قطعة قطعةً من ذلك العبر،
ويقول : ادفعها إلى حسين، وأغمز يده . فيفعل ذلك . ثم كان آخر ما دفع إلى
وردة حمراء، حيّاني بها . فقلت :

وكالوردة الحمراءِ حياً بأحمرٍ * من الورْد، يسعى في غلائل كالورْد!
له عَبَّاثٌ عند كلِّ تحيَّةٍ * بكفِّهِ تستدعى الخَلَى إلى الوجْد!
تمتُّ أن أسقى بكفِّهِ شربةً * تُدْكَرُنِي ما قد نَسِيتُ من العهدِ!
سقى الله دهرًا لم أَيْتْ فيه ليلةٌ * من الدهرِ إلا من حبيبٍ على وعدِ!
فأمره المتوكل أن يسقيه، وقال: قد أعطيناك أُمْنِيَّتَكَ .

دير قوطا^(١) - وهو بالبردان، على شاطئ دجلة .



دير قوطا

قال الشاشقي : وبه وبين بغداد بساين متصلة، ومتنزهات متظمة، كل ذلك
شجرٌ وكرمٌ كثيرة الطراؤ . قال: وهذا الدير يجمع أموالا كثيرة : من عمارته وكثرته
فواكهه وما يطلبه أهل البطالة فيه . ولعبد الله بن العباس الربيعي فيه :
يأدير قوطا، لقد هيَّجَتْ لِي طَرَا * أزعج عن قلبي الأحران والكُرْبَا!
بسادنٍ ما رأْتُ عيني له شَهَبًا * في الناس، لا عَجَمًا منهم ولا عَرَبَا .
والله، لو سامني نَفْسِي سَمَحْتُ بها * وما بَخِلْتُ عليه بالذي طَلَبَا!
وأنشد الشاشقي له فيه قوله :

يا حَبْدًا يَوْحَى بالدَّالِيَةِ! * نَشَرُهَا قَفْصِيَّةً صَافِيَةً
مع كلِّ قَرَمٍ مُتَلِفٍ مَالِهِ * لم تَبَقْ في الدُّنْيَا له بَاقِيَةٌ
نَحْنُ من الدنيا ولذاتها، * فَأَيُّما نَحْنُ بها عَارِيَةٌ!

(١)

دير جرجس - وهو بالمرقة : أحد الأماكن المشهودة، والمواضع المقصودة .
 ويخرج إليه من يتنزه من أهل بغداد في السَّيريات، لقربه وطيبه . وهو على شاطئ
 دجلة ، والبساتين محدقة به ، والحدائق مجاورة له ، وبه كل ما يحتاج إليه .
 وأنشد الشاهشي في لأبي جفنة القرشي :

تَرَمَّ الصَّيْفُ بِمَدِّ عَجْمَتِهِ - وَأَنْصَرَفَ الْبَرْدُ فِي أَرْتِنِهِ !
 وَمِثْلُ لَوْنِ النَّجِيعِ صَافِيَةً - تَذْهَبُ بِالْمَرْءِ فَوْقَ هِمْنِهِ !
 وَمَنْ فِي وَعْدِهِ بَرْوَرِيَّةٌ - وَبِثُّ ، أَوْى لَهُ بِذِمَّتِهِ .
 في دير مر جرجس وقد فتح الشَّفَجُ عَلَيَا أَرْوَاحَ زَهْرَتِهِ .

وأنشد له فيه :

وَقَرَعْتُ صَافِيَةً بِمَاءِ سَحَابَةٍ - فَتَحْنُ حِينَ قَرَعْنَهُ سُرُورًا !
 وَنَمِرْتُ ثُمَّ سَقَيْتُهُ فَكَأَنِّي - سَبَّهْتُ فَوْقَ لَمَّاتِهِ كَافُورًا !
 وَفَنِّي يُدِيرُ عَلَيْكَ فِي طَرَبَاتِهِ - حَمْرًا تُؤَلِّدُ فِي الْعِظَامِ قُفُورًا .
 مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا وَأُسْقِي صَاحِبِي - حَتَّى رَأَيْتُ لِسَانَهُ مَكْسُورًا .

قال : وكتب منه النخعي إلى ابن المعتز في آخر شعبان .

يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، قَدْ شَمَّرَ شُعْبَانٌ إِزَارَةً !
 وَمَضَى يَسْعَى فَمَا يَأْنِي حَقُّ إِنْسَانٍ غُبَارَةً .
 فَاعْدُ شَرِبْ صَفْوَةَ الدُّنْيَا - وَتَسْلُبْهُ وَقَارَةً !

فلم يرد عليه جوابا ، ولا أفهمه فيه خطابا .

دير الخوات^(١) - وهو نُعْكَرًا . وهو دير كبير عامر . وأكثر سكانه نساءً مَرَهَّبَات .
وعنده الأحد الأول من الصوم .

قال الشاشي^(٢) : وتسمى ليلة الماشوش ، وهي ليلة يختلط فيها الرجال بالنساء ،
فلا يرد أحد يده عن شيء . وأنشد فيه بحضرة :

وحانية بالعلث وسط السوق ، نزلتها وصاري رقيق
على غلام من بني الحليق خفاء بالجام والإبريق
أما رأيت قطع العقيق !

دير باشهرا^(٣) - وهو على شاطئ دجلة . نزهة كثير البساتين ، على طريق سمر من رأى .
معركة المصعد والمحمدر . وفيه هول أبو العياص :

نزلنا دير باشهرا على قسيه طهرا .
فمققانا وروانا من الصافية العدرا .
فقلنا به الشمس وقبلنا به البدرا .
وأحب لده الكاس ولكن قات سكرًا !

دير مرمار^(٤) - وهو شر من رأى ، عند قنطرة وصف . حوله كروم وشجر .
وأنشد فيه الفصل بن العباس بن المأمون :

(١) أطل ياقوت (ح ٢ ص ٦٥٨) ، والشاشي (ورقة ٣٧) .
(٢) وقد يكتبونه أنشيرا . وأطل ياقوت (ح ٢ ص ٦٤٥) ، والشاشي (ورقة ٣٢) .
(٣) سماد ياقوت : مرماري . وأطله (ح ٢ ص ٧٠٠) .

أَنْصَبْتُ فِي سُرْمَنْ رَا حَيْلٌ لَدَائِي . وَنَأْتُ فِيهَا هَوَى نَفْسِي وَحَاجَاتِي !
عَمَرْتُ فِيهَا بِفَاعِ اللَّهِو مَنْعِمَسَا : فِي الْقَصْفِ مَا يُرَى أَنْهَارُ وَجَنَاتِ !
بَدِيرُ مَرْمَارٍ إِذْ تُخَيِّ الصُّبُوحُ بِهِ . وَتُعْمَلُ الْكَاسُ فِيهِ بِالْعَشَبَاتِ .
فَكَمْ بِهِ مِنْ غَزَالٍ شَادِنٍ أَبْقَى . يَصِيدُنَا بِاللَّحَاطِ الْبَابِلِيَّاتِ !

وَحَكَى الشَّابِثِيُّ أَنَّ الْفَضْلَ ذَكَرَ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ الْمُعْتَرِّ لِلصَّيْدِ . قَالَ : فَانْقَطَعَا عَنْ
الْمَوَكِبِ ، أَنَا وَهُوَ وَيُونُسُ بْنُ بَغَا . فَشَكَا الْمُعْتَرِّ الْعَطَشَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ
فِي هَذَا الدِّيرِ رَاهَا أَعْرِفْهُ ، وَلَهُ مَرْوَةٌ حَسَنَةٌ . وَفِيهِ آلَاتُ جَمَلَةٍ . فَهَلْ لَنَا أَنْ نَعْدَلَ
إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ : أَفْعَلْ ! فَصَرْنَا إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِنَا وَنَلَقَانَا بِأَجْمَلِ مَلَقٍ . وَحَاءَنَا بِمَاءِ فَشْرِنَا .
وَعَرَضَ عَلَيْنَا التَّزُولَ عِنْدَهُ ، وَقَالَ : أَمَا تَبْتَزِدُونُ عِنْدَنَا ؟ فَقَالَ الْمُعْتَرِّ : أَنْزِلْ بِنَا إِلَيْهِ .
فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ . فَسَأَلَنِي الدِّيرَانِيُّ عَنِ الْمُعْتَرِّ وَيُونُسَ . فَقُلْتُ : قَتَيَانُ مِنْ أَبْنَاءِ الْحُنْدِ . فَقَالَ :
بَلْ مُقَلَّتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ الْحُورِ . فَقُلْتُ لَهُ : لَيْسَ هَذَا مِنْ دِيكَ وَأَعْتَفَاكَ . فَقَالَ : هُوَ
الْآنَ فِي دِينِي . فَضَحِكَ الْمُعْتَرِّ . ثُمَّ جَاءَنَا مِنَ الطَّعَامِ بِمَا يَكُونُ مِثْلَهُ فِي الدِّيرَاتِ . وَكَانَ
مِنْ أَنْظَفِ طَعَامٍ فِي أَنْظَفِ آتِيَةٍ . فَأَكَلْنَا مِنْهُ وَغَسَلْنَا أَيْدِينَا . فَقَالَ لِي الْمُعْتَرِّ : قُلْ لَهُ بِنْتُكَ
وَيَبْنَةُ مَنْ تَحْتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ مِنْ هَذَيْنِ وَلَا تَفَارِقْكَ . فَقُلْتُ لَهُ . فَقَالَ : كَلَامُهُمَا .
فَضَحِكَ الْمُعْتَرِّ حَتَّى مَالَ مِنَ الضَّحِكِ . وَلَحَفْنَا الْمَوَكِبُ ، فَارْتَأَعَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَرِّ : بِحَيَاتِي
عَلَيْكَ لَا نَنْقَطِعَ عَمَّا كُنَّا بِهِ ، فَإِنِّي لَمْ نَكُنْ مَوْلَى وَلَمْ نَهْمَا صَدِيقٌ ! فَرَحْنَا سَاعَةً . ثُمَّ أَمَرَ
لَهُ الْمُعْتَرِّ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا فَنَلْتَهَا إِلَّا عَلَى شَرْطٍ ! قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ :
يَكُونُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دَعْوَتِي مَعَ مَنْ أَرَادَ . قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ . فَاتَّعَدْنَا لِيَوْمِ جِئْنَاهُ .
فَلَمْ يُبْقِ غَايَةً ، وَقَامَ بِالْمَوَكِبِ كُلِّهِ . وَجَاءَ بِأَوْلَادِ النَّصَارَى ، فَخَدَعُوا أَحْسَنَ خِدْمَةٍ .
وُسِّرَ الْمُعْتَرِّ سُرُورًا مَا رَأَيْتُهُ سُرًّا مِثْلَهُ قَطُّ . وَوَصَلَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِمَالٍ كَثِيرٍ .

دير سرجيس

دير سرجيس^(١١) - وهو بطيرناباذ^(١٢) . بين الكوفة والقادسية، على حافة الطريق .
وكانت أرضه مخفوفة بالخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكان بهذا أحد
القلاع المعمورة، ووزَّه الدنيا التي تنتهج بها القلوب المسرورة .
قال الشاذلي: وقد عَفَّ آل آثارها، وهُدمت دياراتها .

قلت: وبلغني أن ديارها خربت، ولم يبق من رسومها إلا قِبابُ حَراب، وجرنٌ على
قارعة الطريق في القفر البَّاب .

قال الشاذلي: وسميه الناس معصرة أبي نَؤاس . وله فيه :

قالوا: تَسَكَّ بعد الحَجِّ! فلتَ لهم: أَرْجُو الإله وأخشي طَيْرَنَا إِذَا.
أَحْشَى قُصْبَيْتَ كَرَمِ أَنْ يَازِعَنِي^(١٣) ، فصلِ الخِطَامَ إِذَا أَسْرَعْتُ إِعْدَادَا.
وَإِنْ سَلِمْتُ - وَمَا قَلْبِي عَلَى نَفْسِهِ^(١٤) ، مِنْ السَّلَامَةِ - لَمْ أَسْلَمْ بِبَغْدَادَا.
مَا أَعَدَّ الرُّشْدَ مِنْ قَلْبٍ تَصْمَنُهُ^(١٥) ، قُطْرُبُلُ فَنُفِرَى بِنَا فُكْلُوَادَا^(١٦) .

(١) سماء الشاذلي: دير سرجيس (ونظره في ورقة ١٠٢) ، وأما ياقوت فهما دير سرجيس ونكس
وقال لهما رحلان (ونظره في ح ٢ ص ٦٦٧ ، ح ٤ ص ٨٨٤) .

(٢) إسم مدينة مشهورة ساقى ذكرها ونص الشرح عليها . [وأط . في محلة " لغة العرب " التي يصدرها
اليوم في تعداد الفاصلات الأب أستاذ الكرمل وكاطم الدجيل فقد تضمنت السنة الثانية منها شرحا وإيا
على مؤسس هذه المدينة وأحاده وتاريخ وقائعها وسقوطها] .

(٣) ياقوت: رأس .

(٤) » . هي .

(٥) في الأصل: ن . وأعتمد ما أورده ياقوت (أطرح ٣ ص ٥٧٠ ، ح ١ ص ٧٣٨) وهي
قرية على شاطئ دجلة من بواحي بغداد بينهما نحو فرسخين وهي تحت كلوادي .

(٦) الأعرس كناية هذه الكلمة ساء في آخرها . ولكم يكتبونها بالألف المقصورة أيضا . وهي طسوج
قرب بغداد . وهي الآن حراب (واطر ياقوت في ح ٤ ص ٣٠١ وفي المواضع الأخرى التي أشار إليها
مهرسه) .

وفيه يقول الحسين بن الضحاك :

أَخْوَى هُبًّا لِلصَّبُوحِ صَبَاحًا ! هُبًّا وَلَا تَعْدَا الدِّيمَ رَوَاحًا !
 هل نَعْدِرَانِ بِدِيرِ سَرْجَسٍ صَاحِبًا * بِالصُّحُوفِ أَوْ رِيَانِ ذَاكَ جَوَاحًا *
 إِنِّي أَعْدُدُّكُمْ بِالْفَقَةِ يَنِينَا * أَنْ تُشْرَبَا بِقُرَى الْقُرَاتِ رَوَاحًا !
 يَا رَبُّ مَلْتَبَسِ الْجُهُونِ بِنُومَةٍ * نَهَيْتَهُ بِالرَّاحِ حِينَ أَرَا حَا !
 فَكَأَنَّ رَأَى الْكَاسِ حِينَ نَدَبْتَهُ * لِلكَاسِ أَنْهَضَ فِي حَشَاهُ جَوَاحًا .
 فَأَجَابَ بِعَثْرٍ فِي فُصُولِ رِدَائِهِ * عَجَلَانِ يَحْلُطُ بِالْعَتَارِ مَزَاحًا .
 وَهَكَتُ سَثْرَ مَحْمُونِهِ بِهَنْكِي * فِي كُلِّ مُلْهِمَةٍ وَبَحْتُ وَبَاحًا .

(٢٠٨)

(١) ديارات الأساقف -

ديارات الأساقف

١٠ قال الشاذلي : هذه الديارات بالجبف ، ظاهر الكوفة ، في أول الحيرة . وهي قباب ومصور ، تسمى ديارات الأساقف ، بحضرتها نهر يعرف بالندير ، عن يمينه قصر أبي الخصيب ، وعن شماله السدير . والديارات بين ذلك .

قال : وقصر أبي الخصيب هذا ، من أحسن منزهات الدنيا ، مشرف على الجبف والظهر كله ، يصعد من خمسين مرفاه إلى سطح حسن ، ومجلس مشرف . ثم يصعد من خمسين مرفاه أخرى إلى سطح أفتح ومجلس عجب الصنع . وهو منسوب إلى أبي الخصيب ، مولى أبي جعفر المصور .

وأُنشد في هذه الديارات لعل بن محمد بن جعفر العلوي قوله :

كَمْ وَقَفْتُ لَكَ بِالْخَوَرِ ، نَقِي لَا تُوَازِي بِالْمَوَافِقِ .

مِثْلَ الْعَدْرِ إِلَى السَّيِّدِ . يَرِثُ إِلَى دِيَارَاتِ الْأَسَافِقِ .
 قَدَارِحُ الرِّهَابِ فِي : أَطْمَارِ خَائِفَةٍ وَخَائِفٍ .
 دِمْنٌ كَانَ رِيَاصَهَا . يُكْسِنُ أَعْلَامَ الْمَطَارِيفِ .
 وَكَأَنَّمَا غُدْرَانُهَا . فِيهَا عُسُورٌ فِي مَصَاحِفِ .
 وَكَأَنَّمَا أُنْوَارُهَا . تَهْتَزُّ بِالرِّيحِ الْعَوَاصِفِ .
 طُرُرُ الْوَصَائِفِ بِلَتَقِيْسٍ بِهَا إِلَى طُرُرِ الْوَصَائِفِ .
 تَلْقَى أَوَائِلَهَا أَوَا . نَحْرُهَا نَالُوانِ الزَّخَارِفِ .
 بِجَرِيَّةٍ سُنُونُهَا . بَرِيَّةٍ فِيهَا الْمَصَائِفِ .

(٢٩٠)

- دِيرُ زُرَّارَةٍ - وهو بن الكوفة ونحَّام أعشى ، على أيمن الحاج من بغداد . زُرَّارَةُ :
 كثير الخانات والشراب . لا يخلو من بطلب اللاهو واللعب ، ويؤثر البطالة والتقصيف .
 قال الشَّابُثِيُّ : خرج بجي بن زياد ومطيع بن إياس حاجين . فلما قربا من زُرَّارَةٍ ،
 قال أحدهما لصاحبه : هل لك أن تقدم أتناقلا ، ونمضي إلى زُرَّارَةٍ ، ونشرب
 في ديرها لبلتنا . وبتروؤد من حمرها ، ونستوفي من مردها ما بكمينا إلى العودة ، ثم نلحق
 بأتناقلا . فعلا . وسار الداس ، وأقاما . ولم يزل ذلك دأبهما ، إلى أن عاد الحاج .
 فلحقا رؤوسهما ، وربكا بعيرين ، ودخلا مع الحاج ، على أنهما قد حججا . وقال مُطِيع :

أَلَمْ تَرَنِي وَيَمَّحِي إِذْ حَجَجْنَا ، وَكَانَ الْحُجُّ مِنْ خَيْرِ التَّجَارِهِ ؟
 نَحْرَجَا طَالِبِي خَيْرٍ وَدِينٍ ، فَالْبَنَاءُ الطَّرِيقُ إِلَى زُرَّارِهِ !
 فَأَبِ الْبَاسِ فَدَغِمُوا وَحُجُّوا . وَأَبْنَا مُوقِرِينَ مِنَ الْخَسَارِهِ !

عُثْمَرُ مَرْتُومَانٍ - وهو بالأنبار ، على الفرات . وهو عُثْمَرُ كَبِيرٍ ، كثير الفلايات

عمر مرمومان

والرهبان . عليه سور محكم البنيان ، كالحصن العظيم . والجامع ملاصقه . وله ظاهر حسن ، ولا سيما في أيام الربيع . لأن صحاريه وسائر أرضه تكون كالخلل : لكثرة نواره ، وطرائف أزهاره . ونزله كل من اجتاز به من الخلفاء . وفيه يقول كُشَاجِمُ :

أَعْدُ يَا صَاحِبِي إِلَى الْأَنْبَارِ ، * تَسْرُبُ الرِّاحُ فِي شَبَابِ النَّهَارِ !
وَأَعْمُرِ الْعُمُرَ بِاللَّذَاذَةِ وَالْقَصَصِ وَحَثِّ الْكُؤُوسِ وَالْأَوْتَارِ !
فَاغْتَسِمِ غَفْلَةَ الزَّمَانِ وَبَادِرِ . - وَأَقْتَرِضْ لَذَّةَ اللَّيْلِ الْقِصَارِ !
لَا تَفْرُطْ فَإِنَّهَا خُلَّصَ الْعَيْشِ وَبَادِرِ تَوَادِرِ الْمَقْدَارِ !

وأسد الشابشتي له فيه يصف عودا في يد محبة :



جَاءَتْ نَعُودُ كَأَنَّ نَعْمَتَهُ . صَوْتُ نَسَاةٍ تَشْكُو فِرَاقَ مَنِي !
دَارَتْ مَلَاوِيهِ فِيهِ وَأَخْلَفَتْ . مِثْلَ اخْتِلَافِ الْكَفَّيْنِ شُبَّكَنَا .
يَا حُسْنَ صَوْنَيْهِمَا ، كَأَنَّهُمَا . أَخْنَانٍ فِي صَنْعَةٍ تَرَأَسَلَا !
وَهُوَ عَلَى ذَا يَنْوُبٍ إِنْ سَكَتَتْ . عَمَهَا ، وَعَمَهُ تَوُوبٌ إِنْ سَكَا !

دير الأبلق - وهو بالأهواز . وحكى المدايني ، قال : إنه أصطبح في دير الأبلق في جماعه من أصحابه ، فلما سكر قال :

يَوْمِي بِدَيْرِ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ . مَا أَنْتَ إِلَّا جَمْعُ الْخُلْدِ !
بِهِ وَأُمَثَّلُ لَهُ لَمْ يَزَلْ . يَحْوِزُ الْعَيْسُ أَبُو الْهَيْدَى .

عمر إرميل

عمر إرميل . والشاهد فيه مار ميخائيل .

قال ابن المستوفى : بينه وبين كفر عزي أقل من ميل . وهو عمار كبير وفيه رهبان كثيرة ، وله نهر يجري على بابه وكرم وشجر في شرقه ، ورحى عامرة تطحن فوق الكرم .

وبازائه تلّ دير زارج، إذا صعد الزائر أيام الربيع أشرف على سائر بلدة حرة . وفيه من ألوان الزهر وأنواع الأفاقي والشقائق وصنوف النور والزهر (١)

يسرّ الساطرين وبقصر وصف الواصفين . وفي قلاليّ رهبانه جينات حسان فيها آس مصر وشجر مريم وغير ذلك .

- ٥ قال : وحدثنى محمد بن حمد الأصم ، قال : كنت بكفر عزيّ ، فنزحتُ مع جماعة فبهم حيرٌ لئتمس موضعاً نزلها نجاس فيه ونقصف . فأجمع رأينا على فصد دبر إتراعيل - وهو من كفر عزيّ على مل - في أيام الربيع ، ورأياه في نهاية الحسن بما حوله ومه ، وهو مشرف على بلد حرة كله ، فزلناه ووصفنا فيه أباناً متناعة ، وقلتُ فيه هذه الأبيات :

- ١٠ عَمَرَا عُمَرَا نَزَاعِلَ الْقُصْفِ وَاللَّعِبِ !
مِثْلَ دَوَى شَرَفٍ وَقَدَرٍ وَدَوَى لُتٍّ .
نَعَوَا فِي كَفَرِ عَزَى نَزَّ هَهُ تَبْعَثُ لِلشُّرْبِ !
فَوَاقُوا جَنَّةَ هُنْ عُمَرَا نَزَاعِلَ عَنْ قُرْبِ .
وَمَدْحُفَ بَكْرِمٍ وَبِأَشْجَارٍ لَهُ عُلْبِ .
وَأَنْهَارٍ يَحَاكِي جَرٍ . يُهَا مَسْلُولَةُ الْقُصْبِ .
١٥ وَرَوْضٍ رَاصِهِ الْمَزْلُ فَاضِحِي وَهُوَ كَالْعَصْبِ .
رَأَوْهُ كَسْرُوسٍ جُثِّلِيَتْ فِي حُلَيْ قُشْبِ !
فَخَلُّوا مَهْ فِي مَتَرٍ لِي لِهَوِي مُوَقِّي رَحْبِ .
وَدَارَتْ نَجْبُ الْأَبْطَا * لِي نَجَّتْ بِحُلِي الشُّرْبِ ،

(١) كلمة ناقصة ها سطا عليها المخلد . ولعلها : "ما" أو نحو ذلك .

على أوجه أعمار * على قُصْب على كُثْب.

وما ظنك بالعطشا * نِ عد المكزع العذب

قال فاصرفها بعد أيام، وكلما يؤد أن لا يزول منه: لطيبه وحسبه.

قال ابن المستوفى: وليس بهذا الدير الآن شجر ولاماء على بابه. وفيه بيعه حسنة وقناه قديمة ورحاه باقية، والماء الذي يدير... (١) بعيد عن الدير؛ وفي كل عيد من أعياد النصراني يقام به سوف وتخرج إليه جماعة من إربل، ويؤزروه حلوى من الواحى يكونون فيه مدة يومين أو أكثر وينصرفون عنه

دير باقوقا - ذكره ابن المسوي في تاريخ إربل، قال: وهو إلى الآن باق، وبه رهبان كثيرة. ذكر الشمشاطي أنه وراء الزاوي وله مزرعة إلى جانب دارى وفيها بساتين وفيها تين أسود كبير. وبه وبه الموصل سبعة فراع، وهو دبر كبير. وكان أنشدني فيه أبو الحسين محمد بن ميمون الكاتب:

رُئْتُ بَدِيرَ بَاقُوقَا وَبِهِ مِنْ الرُّهْبَانِ لِي خِدْنٌ مَعَهُ.

فَأَلْحَقَنِي بِصَهْبَاءٍ شَمُولٍ . يَهْوَجُ بِعَبِيرٍ مِنْهَا النَّسِيمُ.

وَنَادَمَنِي بِرُهْبَانٍ مَلَايَ وَفِيهِمْ سَادِدٌ حَسَنٌ رَحِيمٌ.

وَسِرَاعُهُ وَالْأَهْوَاءُ فِيهِ ، وَهَلْ سَأَى مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ.

دير سعيد - وهو بالجانب الغربي من الموصل. مطّل على دجلة، حسن البناء. حوله قلل كثيرة، حسنة العمارة، ظاهرة التصارة. في كلّ قلاية منها جيباب لرهبانه،

(١) ها كلمة ناقصة في الأصل مما سطا عليه المجلد. ولعلها: الرّجى.

(٢) أصل القرويجي (ص ٢٤٨) ٤؛ وياقوت (ج ٢ ص ٦٦٩).

فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر . كثير النرجس . وهو يقارب تل باذع . وتراه
في الربيع كالوثني الملمع ، والخلئ المرصع . وهو منسوب إلى سعيد بن عبد الملك
أَبِ مَرْوَانَ . أصبح ما قيل في نسبته إليه أنه ربما كان يتمهده أبام إمارته
بالموصل .

و يقال إن لثراه أثار في دفع أذى العقارب ، وإن ماءه إذا رُش في دار ، قلّت
العقارب بها .

وحكى أن رهبانه ألزموه في وفٍ بجباية ، فقاموا بثلاثمائة ألف درهم .
ولخالدي فيه شعر . مه :

أَلَا فَاسْتَرْزِي الرِّحْمَنَ حَيًّا وَسِرِّ الْكَاسِ نَحْوَ السُّكَّرِ سِرًّا !
فَأَيَّامُ الْمُحْمُومِ مُقَصَّصَاتُ ، * وَأَيَّامُ السُّرُورِ يَطِيرُ طَيْرًا !
وله فيه :

سَمِعْتُ صُحْبَتِي بِدَيْرِ سَعِيدٍ * يَوْمَ عِيدٍ فِي حُسْنِهِ أَلْفَ عِيدٍ !
كَمْ قَتَاةٍ مِثْلَ الْمَهَادِ ، سَلَبْنَا . هَا صَلَبِيًّا مِنْ بَيْنِ نَحْرِ وَجِيدٍ !
وغير مثل النزال حللنا * عَقْدَ زُنَّارٍ خَصِرَهُ الْمَقْشُودُ !
وحططنا رحالتنا ببناء الهيكل الموق البديع المشيد .
والرؤاي مشهرات كفلها * نِ لَنَا فِي مُحَبَّرَاتِ الْبُرُودِ .
نحدود مثل الشقاق في اللو * نِ تَلِيهَا شَقَاقُ كَالْخُدُودِ .
وإذا ما المزار غرد في الفصن ، حَكَّتْهُ الْأَوْتَارُ فِي التَغْرِيدِ .
من رآنا - ونحن في الأرض صرعى - * قَالَ : قَوْمُ مَوْتَى بِضَيْرِ الْحُودِ !

وله فيه :

فامر بالنفيس في هوى قمر * ونال وصل البدور باليدر.
واقص أبكار لهوه طربا * بين عشايا المدام والبكر.
من لم يدري ربي الحدائق من * دير سعيد، رجاه لم تدّر.
مسرة كملها بلا حشيف * ولذة صفوها بلا كدر.
قد صربت خيمة الغام لنا * ورش حيش النسيم بالمطر.
وعندنا عاتقان حمراء كالشمس وأخرى صفراء كالقمر.
يا مازكا طيب يومه لغيره ! * يبيع عين السرور بالآثر

وقوله :

قد طمح القلب بالموم فإن * طمت بكأس، فهاها تطفح !
في جنح ليل ترى كواكب * وهي إلى الغرب، كلها جنح.
نراك تنسى سرور يومك في * دير سعيد وظله الأفتح !
على بساط من البنفسج قد أشفى من الورد فوقه مطرَح !
وكأس راج يديرها قمر * لحاظه في قلوبنا تجرح !
قد كان فيما مضى يعرض بالنوصيل، ولكن أراه قد صرح !

وقوله :

فكم من روعة والشمس لم تدب لتطفيل،
إلى دير سعيد أو * إلى دير عشايل !

بِسَافٍ كَهَيَاةٍ مُنْزِلٍ أَدْمَاءَ عُطْبُولٍ !
 تَرَى فِي وَجْهِهِ وَجْهَكَ لِلرَّقَّةِ مِنْ مِيلٍ !
 فَأَجْرَاهَا كَخَلْجَالٍ . من الباقوبِ مَفْتُولِ .
 سَرَبَاهَا عَلَى أَوْجِهِ حَوْرٍ كَالْتِمَائِيلِ .
 إِذَا سَنَنْ تَمْنَطُنَ * جَمِيعًا بِالْخَلَاخِيلِ .

٥

قال الخالدي : وأُسنَدني السريّ الرّقاء لنفسه فيه :

وَقَلَّالِي الدِيرِ الَّذِي آوَلَا النَّوَى لَمْ أَرَمِهَا بِقَلِي وَلَا يُعْفَوِي .
 مَجْرَةَ الْحَيْطَانِ بَنَفَحَ طَبِئِهَا ، فَكَأَنَّهَا مَنِيْبَةٌ بِحَلَوِي !
 فَتَى أَزُورُ بَنَابِ مُشْرِفَةِ الدَّرَى ، فَأُرُودَ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعَبْوِي "
 وَأَرَى الصَّوَامِعَ فِي غَوَارِبِ أَكْمَهَا ، مِثْلَ الْهَوَادِجِ فِي غَوَارِبِ نُوقِ ؟
 حُمْرٌ لَمُوحٌ حَلَالَهَا يَبْضُ كَمَا فَصَّلْتَ بِالْكَافُورِ سَمَطَ عَقَبِي .

١٠

وحكى ابن المستوفى في تاريخ إربل ، في ترجمة أبي حفص عمر بن محمد بن الشحنة الموصليّ الحويّ ، أنه نقل من مجموع بخطه ، قال : كنتُ في يوم من أيام الربيع بدير في ظاهر الموصل ، يعرف بدير سعيد . وكان فيه راهب من البُبل ، كَسْتُ أَوِي إِلَيْهِ إِذَا جِئْتُ الدِيرَ . فَاتَّفَقَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ فَلَائِنِهِ إِلَى بَسْتَانَ الدِيرِ وَمَعِيَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ ، كَسْتُ أَنْسَ بِهِمْ . وَنَحْنُ عَلَى لَدَتْنَا ، وَإِذَا قَدْ أَتَانَا رَجُلٌ ، بِجُلُوسٍ وَأَنْدَفَعُ يَغْنَى ، وَيَقُولُ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْمَوْصِعِ الْفَلَائِي ، لِيَرِيَا أَنَّهُ يَعْرِفُ صِنْعَةَ الْغَنَاءِ . فَأَبْرَمْنِي وَأَبْرَمَ الْجَمَاعَةُ ، وَأَسْتَقْلَمَاهُ . فَسَأَلَنِي بَعْضُ الْجَمَاعَةِ أَنْ أَقُولَ فِيهِ عَلَى طَرِيقِ الْعَبَثِ شَيْئًا . فَعَمَلْتُ فِي الْحَالِ :

١٥

ثَقِيلٌ يُصَمُّ السَّمْعَ مِنْ قُبْحِ صَوْتِهِ وَبَعِيٌّ لَهُ أَبْصَارُنَا وَالْبَصَائِرُ!
ولو لم يكن فوق البسيطة لم تزل * مُرْزَلَةٌ بَطَانُهَا وَالظَّوَاهِرُ!
تغى قلنا: هاتِفُ البين قد دعا * بفرقتنا أو ريتُ دهرٍ مبادرُ!
فبالت أن الله لم يك خالفي، * ونايته دارت عليه الدوائر!

٥. **الدير الأعلى^(١)** - وهو بالموصل، في أعلى جبل، يُطلّ على دجلة، يضرب المثل به
في رقة الهواء، وحسن المُستشرف تحته، والجزائر تتفرق خُلجانها وعُدنانها بإزائه. ولم
تزل الولاة تخرج إليه للطف الهواء، والنظر إلى الماء. ويقال إنه ليس للنصارى دبر
مثله. وطهر عنده معادن الكبريت والمرقشينا والفلفطار وأشياء من هذه الأنواع.
ثم صامت النصارى حتى أُبطلت، خوفا من تتقبل السلطان.
١٠. قال جعفر بن محمد الفقيه: أجاز بنا بعض السنين أبو الحسن بن أبي البغل،
فتزل علسه، وخرجت في عد يوم نزوله إليه. فجعل يصف من طيب الهواء فيه
وطيب قراءة رهبانه أمرا عظيما. ثم أنشدني نفسه فيه شعرا:
ولست أَرْضاه.

ومما قال الخالدي فيه :

١٥. وَأَسْتَشْرِفْتُ نَفْسِي إِلَى مُسْتَشْرِفٍ * لِلدَّبرِ، مَا هَ بَحْسَنَهُ وَطِيبِهِ.
مُتَفَرِّقٍ آذَى دَجَلَةٍ تَحْتَهُ * بَغْدِيدِهِ وَخَلِيجِهِ وَقَلْبِهِ.

(١) طر يجمع على أهل وطون وبطال.

(٢) أظن أيضا أن الأثير (ح ٧ ص ١٣٩ و ١٨٦ و ٣٠١ ح ٨ ص ٤١٠ و ٤٦٤ و ٤٧٦

و ٤٧٧ ح ٩ ص ٤٦ ؛ وخصوصا ياقوت (ح ٢ ص ٦٤٤) ، والشاشي (ورقة ٧٥) .

فَنَعِمْتُ بَيْنَ رِيَاضِهِ وَغِيَاضِهِ * وَسَكِرْتُ بَيْنَ شُرُوقِهِ وَغُرُوبِهِ .
 غَفَى الْجَمَالُ بِهِ فَزَادَ النَّعْمُ مِنْ * تَفْضِيضِهِ، وَالْحَدُّ مِنْ تَهْنِئِهِ .
 وَأَهْتَرَّ غَضَنُ الْبَانِ فِي زُنَّارِهِ * وَأَضَاءَ جِدُّ الرِّيمِ تَحْتَ صَلِيلِهِ .
 وله :

فَتَكَّتْ ! فَلَا تَأْخُذْنِ مَنْ فَتَكَّ * بِمَا أَخَذَ الْجَهْلُ أَوْ مَا تَرَكَ !
 أَدْرِهَا ! أَلَسْتَ تَرَى الدِّيرَ فِي * بَدَائِعِ مَنْ حُلِّلَ لَمْ تُحْكَمْ
 وَبَيْنَ الْبُكُورِ وَبَيْنَ الْغُرُوبِ * وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْبِرْكِ ،
 عَاءٌ تُسَدُّ إِلَيْهِ الرِّجَالُ . * بَلَحْنِ تُحُلُّ عَلَيْهِ التَّكَا !

دير مار مخايل^(١) - وهو على ميل من الموصل ، يركب دجلة في بقعة حسنة ،
 ١٠ بَطْلٌ عَلَى كُرُومٍ وَشَجَرٍ ، بَزَى بِحَجَرٍ ، سُهْلٍ جَلِيٍّ ، وَبِهِ قَلَالٌ كَثِيرٌ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ ،
 محفوفة بأنواع الشجر ، وأصناف الرهر . وله عبد يكون قبل الشعائين بأسبوع ، تخرج
 إليه البصاري بنسائهم وصبيانهم . ويمرّ لهم فيه يوم وليلة ، تتجاوب فيه ألحان الأغاني
 وقراءة الرهايين .

وحكى أنه أُرْبِدَ بِهِ حَمْرٌ بَرٌّ فِي بَعْضِ قَلَالِيهِ ، فَأَفْضَى الْحَمْرُ إِلَى صَنْدُوقٍ مِنْ حَجَرٍ ،
 ١٥ فَكَشَفَ ، فَإِذَا فِيهِ مَيِّتٌ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ جِسْمِهِ شَيْءٌ ، وَإِذَا ثِيَابُهُ صَحْبَحَةٌ . وعند رأسه
 صحيفة من صُفَرٍ فِيهَا كِتَابَةٌ قَدِيمَةٌ لَمْ يَقْعُوا عَلَى قِرَائَتِهَا ، وَلَكِنْهُمْ عَلِمُوا أَنَّ فِيهَا ذِكْرَهُ .

(١) يسمى أيضا "ديرما تخايل" و "ديرما تخايل" و "دير ميخائيل" . وأظهر أيضا باقوت

(ج ٢ ص ٦٩٣ و ٧٠٢ ح ٤ ص ٨٧٥) .

(٢) مفرد القلال قلة الكسروهي شه الصومعة كما في القاموس . ووقع في الأصل قلال بدون باء وصوابه

كما ترى .

وقصد المسلمون آتراءه منهم . ثم دارت النصارى^(١) حتى حُلَّتْ لهم ، فردوه إلى مكانه ، وعَفَّوا أثره .

قال الخالدي : والذي يُظَنُّ أنه كان ممن على دين المسيح عليه السلام ، وأنه هرب بدبسه ، فمات في هذا الموضع ، ودُفن فيه .

قال : وبين هذا الدير وبين الموصل وإِدِ يعرف بوادى زَمَار ، عليه رابية تُعرَف برابية العقاب ، تُشرف على دجلة والبساتين والجزائر والنهر . وهى غاية في الربيع . وقال فيه :

أَلَسْتُ تَرَى التِّلْ يَدِي لَنَا * طَرَأَتْ مِنْ صُنْعِ آدَارِهِ
وقد نَقَطَ الزُّهْرُ خَذَ الثَّرَى * بِدِرْهِمِهِ وَبِدِينَارِهِ .
وَكُنْتُ فِي لَأَزُورُ الدُّجَى * يَرْجُفُ بِهِ وَبِرَنْجَارِهِ .
فَلَا تَلْقَ كَأْسًا بِتَأْخِيرِهَا * وَلَا يَوْمَ لَهْوٍ بِإِنْظَارِهِ !

قال : وكان محطة قد أنشدنى لمسه في دير العَلْتِ قوله :

سَقَاوِرَعِيَالِدِيرِ الْعَلْتِ مِنْ وَطَنِ ! لَا دِيرَ حَنَّةٍ مِنْ ذَاتِ الْأَكْبَرِاحِ !
أَبَامَ ، أَيَّامَ لَا أَصْنَى لِعَاذِلَةٍ ، وَلَا تَرُدُّ عَنِّي جَدَّةُ الْإِلَاحِ !

فاستحسنتها ، وذكرتُ قول أبي نُوَّاس في دير حَنَّة ، وهى في عروضها وقافيتها ، فقلت :

مَحَاسِنُ الدَّيْرِ تَسْبِيحِي وَمِصْبَاحِي . وَحَمْرُهُ فِي الدُّجَى صُبْحِي وَمِصْبَاحِي !
بُسْطُ الْبَنْفَسَجِ تَبْسُطُ فِي * مَحْضُوفِ آسٍ وَخَيْرِيَّاتِ تَفَاجِ .

بدائع لا لدير العلك هرب ولا * لدير حنة من ذات الأكراج.
 حتى تخمر نماري بمعرقتي * وجبرت مليحي بالسكر ملاحي.
 أبا مخيال، لا تعدم ضحى ودجى * سجال كل ملك الدوق سحاج!
 فإن أقم سوق إطراى، فلا عجب! * هذا بذاك إذا ما قام نواحى!

- ٥ قال: وكان في هذا الدير نمار، يقال له الحارث، ويكنى أبا الأسد، معروف
 بجوده الشراب، وكان الخبان من أهل الموصل يقصدونه، وكان له ابن حسن الوجه،
 مهفّف القوام، خفيف الروح، يقال له عبد المسبح، يسقينا ومعنا مغزّ مليح
 الفداء، غنايا في شعر حسّاس بن ثابت، قوله:

أنظر حليلي ببطي حلق هل .. تؤنس دون البقاء من أحد؟

- ١٠ وهو صوت معروف في الأغاني . فاستحسّاه ، وكان معنا كاتب ، له على
 إيادٍ، فقال لى : أحب أن تعمل في عروض هذا الشعر شعرا تذكر فيه يومنا .
 فقلت :

لا وجفون تنوس في العقيد * وحسن نغز يلوح كالبرد!
 لا كت من يصبع أدمعه * بين الأناني والنوى والود!
 أحسن من وقفة على طلال ، فقر وزجر العيانة الأجد،
 ١٥ كأس مدام جلا المديربها .. أم الليالى وجدة الأبد،
 نشربها شغلة بلا حرق .. وتحتلها روحا بلا جسد!
 هل أحد نال مثل لذتنا ، * بأبا مخيال ليلة الأحد؟
 سقيا لما خور حارث ولما * خص به من محاسن جُدم!

قُلْتُ لَهُ وَأَبْنُهُ يَطُوفُ بِهَا : عُمُرُكَ فِينَا عِمَارَةُ الْبَلَدِ !
بَابُكَ ذَا فِي جَمَالِ صُورِيَّةِ * صِرْتَ أَبَا الطَّيِّ لَأَبَا الْأَسَدِ .
هَاتِ آسِقَيْنِهَا فَإِنْ سَفَكَتَ دَمِي ! فَمَا بَقَتْنِي عَلَيْكَ مِنْ قَوْدِ !

❦

فَاقْتَنَّا يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَبَتْنَا . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ، أَرَادَ الْكَاتِبُ الْمَوْصِلِي أَنْ يَذْهَبَ . وَكَانَ
الْيَوْمَ حَسَنًا لِرَفَقَةِ غَيْبِهِ ، وَمِلَاحَةً صَحْوِهِ . وَكَانَ لِلرَّجُلِ غِلَامٌ يَحِبُّهُ ، فَأَرَادَ الرُّكُوبَ إِلَى
دِيَوَانِهِ ، فَأَنشَدَتْهُ أَيْبَاتُ شِعْرِ قُلْتُمَا . فَأَمَرَ بِحِطِّ سُرُوحِ بَغَالِهِ ، وَأَخَذَنَا فِي شَانَتِنَا .
وَمِنْهَا :

بُحْمَرَةٍ وَجْهٍ لَذَاكَ الْهَلَالِ وَفَتْرَةٍ مُفْلَةٍ دَاكَ الْغَزَالِ !
صَلِّ الْيَوْمَ بِالْأَمْسِ ، إِنْ أَرَى : لَهُ نَالُ السُّعُودِ وَجُوهَ اتِّصَالِ .
هَوَاءٌ صَفَا ، وَهَوَى مِثْلُهُ : تَحْمُرُ دِلَالٍ وَمَاءِ زُلَالِ .
وَعَيْمٌ تَوَهُمُهُ كَالنَّوَى وَصَحْوٌ حَقِيقَتُهُ كَالْحَالِ .
وَمِثْلُ الْيَوَاقِيتِ زَهْرُ الرُّبَى : وَقَطْرُ الدُّدَى بَيْنَهَا كَاللَّالِ .
إِذَا مَا دَتَتْ شَمْسُهُ لِلدُّبُوبِ : لَهَا أَشْرُقُ نَوَارِهِ كَالدُّبَابِ .
وَذَا الدَّيْرُ تَسْمَعُ بِغَزْلَانِهِ : شَعَائِنُهُ فِي صُوفِ الْجَمَالِ .
وَصَفْرَاءُ بَانَتْهَا خَاسِرًا : وَلَوْ حَازَ عَنْ قَدَحٍ بَيْتَ مَالِ .
أَيُّهَا خَيَالُ أَفْدَى تَرَاكَ : بِقِسْيٍ ، وَمَالٍ ، وَعَمَى ، وَخَالِ !
نَكَمَ سَكْرَةً لِي قَلَّ الْأَذَا : نِ بَيْنَ دَوَالِيهِهِ وَالْدَّوَالِ !
تَجُولُ خِيُولُ دَوَالِيهَا : فَمِمْلًا مَا وَرَدَ ذَاكَ الْحَجَالِ .

وقوله فيه :

بِأَعْيَالٍ إِنْ حَاوَيْتُمَا طَلَسِي * فَأَنْتُمَا تَحِدَانِي ثُمَّ مَطَرُوحَا .
يَا صَاحِبَايَ هُوَ الْعُمَرُ الَّذِي جُمِعَتْ * فِيهِ الْمُنَى ، فَأَعْدُوا لِلدِّرْأِ أَوْ رُوحَا !
بِرُّ وَبَحْرٌ بِهِ يَهْدِي نَسِيمُهُمَا * لِلرُّوحِ مَسْكَابُ الْمَاءِ الْوَرْدِ مَنْصُوحَا .
يَجْرُ صَيَّادُهُ الشُّوْطُ مُضْطَرِبًا حَيًّا ، وَقَانِصُهُ الْبَغُورُ مَذْبُوحَا .

وفيه يقول أبو حفص عمر بن الشَّحْنَةِ الموصليّ النحويّ ، من قصيدة :

وَأَعْمِدْ إِلَى مَرِّ غَحَائِيلٍ فَإِنَّهُ * حَاسِنًا لِسُرُورِ النَّفْسِ مِفْتَاحُ !
كَمْ فِيهِ مِنْ أَشْعَثٍ بَادٍ تُخَوِّبُهُ * تَهْفُؤُهُ نَبْثُهُ تِلْكَ الْأَكْبَرُوحُ !

وفيه يقول أيضا :

بِأَمْرِ غَحَائِيلٍ ، وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى ، * سَقَيْتَ صَوْتَ سَحَائِبٍ وَتَوَارِقِ !
بِأَحْذَا نَوَارٍ رَوْصِكَ إِذْ عَدَا * يَقْتَرِمْنَ دَمْعَ الْعَمَامِ الدَّافِقِ !
مَعَى خَلَعْتُ بِهِ الْعِذَارَ بَصَابًا * فِي غُنْجِ أَحْدَاقٍ وَزُهْرِ حَدَائِقِ !
أَيَّامَ آجَرِي فِي مِيَادِنِ الصَّبَا * مُتَخَابِلًا جَرَى الْجَمُوحِ السَّابِقِ !

وسنأتي القصيدتين ، إن شاء الله تعالى ، في ترجمته مع المعاني .

وبالله التوفيق !



دير متى

دير متى ^(١) - هو بالموصل، من الجانب الشرقي، على جبل شاه، يعرف بجبل متى .
يُشرف على رستاق يننوى والمرج، وهو حسن البناء، جيد الحصانة، وأكثر بيوته متقورة
في الصخر، في نهاية الحسن والنظافة. ورهبانه لا يأكلون طعاما، إلا جميعا: في بيت
للششاء، وبيت للصيف .

ومتى جلس أحد في صحن هذا الدبر. نظر إلى الموصل. وبنيهما سبعة فرائخ .
وله عدة أبواب مفرطة في الكبر، وكلها من حديد مُصَمَّت . وبه صهرج عظيم
يجمع فيه ماء المطر، عمقه اثنا عشر ذراعا: لكل شهر ذراع من الماء . ويفتح هذا
الصهرج من موضعين: في أعلاه وفي أسفله . فخرج ماؤه من أسدن من صُفر .
وجملة أمره أنه عجيب عظيم في أمثاله .

وحوله من الأشجار ومن سائر الثمار . وفي حارحه مغار في الحسل، فيها صناديق
من صخر ماطاق لموتاهم، متى امتلأت خرج رأس الدير مع رهبانه يهرعون أناجيلهم،
ويجمعون العظام البالية منها . ثم طرح في فج داخل هذا المغار .
قال: وبث ليلة فيه، مع بعض الرؤساء على شرب ولعب، فقلت :
فلاشكرن لدير متى ليلة . مزقت ظلمتها بيد مشرق!
حتى رأينا اللبل قوس ظهره . هرم وأثر فيه شيب المرق!
قال: وقرأت على باب دهليزه بيتين كتبنا، وهما:

نادير متى سقت أطلالك الدميم! . وأنهل فيك على سكاك النعم!
فما شفى غلى ماء على ظميا . كما شفى حرقلي ماؤك الشيم!

(١) أطلأها القروبي (ص ٢٤٩) ، وياقوت (ج ٢ ص ٦٩٤) .

(٢) في الاصل: سبع .

دير الحامس

دير الخنافس^(١) - وهو دبر صغير بالموصل، بالجانب الشرقي، على قلة جبل شاخ،
بشرف على أنهار بننوى وصاعها.

وفيه طلسم طرف: يجتمع له في سنة الخنافس الصغار اللواتي كالنمل،
حتى تسود حيطانه وبونه وسعفه وأرصه، مدة ثلاثة أيام، ثم لا يوجد. ولهذا سمي
دير الخنافس.

قال الخلدی: وهذا معروف مشهور بالموصل، وإذا كانت تلك الأبنام، أخرج
الربان أمتعتهم منه، هربا منها.

❦

قال: ولا أعرف فيه شعرا إلا ما قاله بعض بني عروة الشناني يري أخاه مات
عده، فأنشأ إلى جاسه، ومنه:

مُرْك مَادَرِ الْخَافِسِ حُمْرُهُ ۚ بِهَا مَا جَدَّ رَحْبُ الدَّرَاعِ كَرِيمُ!
طَوْتُ مِمَّ هَمَّامٌ بَنَ مَرَّةً فِي الرُّيْ ۚ هَلَالٌ يُبْرِ اللَّسْلَ، وَهُوَ بِسِيمُ!
سَفَاكَ وَسَقَاكَ وَسَقَى صَرِيحَهُ ۚ أَجَشُّ مِنَ الْفَرِّ الْعِدَابِ هَزِيمُ!
فَادْرُ أَحْسِنَ مَا اسْطَعْتَ حَوَارَهُ، ۚ فَإِنِّي عَادِي عَمَكَ، وَهُوَ مُقِيمُ!

قال: فناء بني عروة جميعا تروح عليه وعلى موتاهم بهذه الأبيات إلى اليوم،
وإذا رأت أحباؤهم به، ونحروا عليه وأقاموا مأتم.

دير باعربا - وهو بين الموصل والحديثة، على شاطئ دجلة، من الجانب الغربي.

بإزاء حراير كنبرة الشحر، فلما حلب من سح. وهو جليل عند النصارى، وفيه قبور
يعظمونها. وسأؤدعجب. وارتفاع حافظ هكله نحو المائة ذراع، ماحوله بناء
يسده. وله مزارع. وفيه بيت صياغة يتزله من يحنار عليه.

(١) أطلأ بصاثة وى (ص ٢٤٧) و باقوت (ح ٢ ص ٦٥٨) و الشاشى (ورقة ١٣٢).

قال الشبظمي: لما آنحدر سيف الدولة إلى العراق، نزل دير باعربا، وصرح مصر به على شاطئ دجلة، ونفذى ونام، فلما كان وقت العصر دخل الدير، وصعد سطحه، فرأى منطرا حسبا، من بره وبحره وعلو مستوره، فاسندى شرايا، ودعا سقاره العواد، فغاده، وكان معه من الدماء أبو اسحاق اليسرى، ثم آسدها، وسقارة يغني بشعر غث في وزن بارد، فأمرني بأن أعمل في عروصه، ففعل بعد تمهي، لكنه لا يحيى فيه الحسن:

شرفاً ما دير عرباء ومحمداً بهما نغني مدى الدهر ونعمراً!
سأزى ما لك هذا ماء ورد، وري صحك ذا مسكاً وعبر.
إدعى سطحك سبب الدولة القرم ثم الذي فاب الوري عزاً ومفحراً.
والذي إن سار في العسكر فرداً فهو في إقدامه ألف عسكر!



دير القيارة^(١) - وهو فوق دير باعربا، على جانب دجلة العربي، نسب إلى عبيد فيه ومعدن، يستخرج منه الفير، ونحته حمة عظيمة، بمصده من به عليه أعب الأطباء، فبقيم به خمسة أيام، مسننعا في ماؤها، فبراً من علته، وبسفي من القريس وبسط التشج، ويزبل الأورام الحاسية والراح الغلظه، ولحم الجراحاب.

قال الخالدتي: وسبيل من قصدها، أن نطل نهاره في ماها، وأوى ليله هكل دبرها، وبدهه رهبانه بالطسوث، فبنبي إادل الله.

وفه عبون بحرح مهابا القط والقيير، فتنقل من السلطان بألوف دراهم في كل سنة، ومرافق هذا الدير كثيرة.

قلت: وسلم بذلك في موضعه.

دير بارقانا

دير بارقانا - وهو فوق الحديشة، على جانب دجلة الشرق. رابك للاء،
في موضع زه حسن، وناؤه محكم، وفلاؤه كثيرة الشجر والزهر، وله بساتين ومباقل.
وبقال إنه ليس في ستمك دجلة أسمن من ستمك يصاد من شاطئه.

قال الخباز البلدي: آجرت به، فرأيت من حسنه وبصاره شجرة، مادعاني إلى
المعام به والفصف فيه. وسالت رهبانه عن الشرب، فدلوني على راهب منهم.
فرأيناه طرنا، وفلايته ملحة، وشرايه صافيا جدا، فأبغ منه، وأفت عده نهاري
وليلي. وملت:

أَلَا سَقَمًا لِرَقَّةِ بَارِقَانَا - وَهَبَكِلَه الْمَشِيدَ وَالْقَلَالِي!
فَكَمْ مِنْ سَدَّهِ نَاكَرْتُ بِهَا - مُعْصَرَةً كَمَثَلِ دَمِ الْغَزَالِي!
فَكَمْ عَامَتْ غُصَّافِي أَعْتَدَال - بِهِ - وَلَمْتُ بِدَرَا فِي كَمَال!
وَحَادَ بِمَا أَحَاوَلْ مِنْهُ سَكَا - وَكَانَ مَمَانِي طَيْفَ الْخَال!

دير أبي يوسف - وهو قريب من بلد^(٣)، بينه وبينها نحو فرسخ. على شاطئ
دجلة. وموضع حسن معمور بالزيتون والسر والياس والرياحين، مغروس الرُّبَا
بالزرجس. وهيكله حسن البناء، وفيه عجائب من بدائع التصوير، ولرهبانه جلة ونعم.

(٣٢٠)

(١) المقصود هما اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت طلوع الفجر إلى أول الإسقار. ويقولون أتيته
سده أي في سبه من الليل. ولها معان أخرى ذكرها في تاج الفروس أيضا. ولكن ما أختيته هو الذي
يعيه المقام.

(٢) أنظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١).

(٣) اسم علم لدية مشهورة بالعراق. وتسمى لظ واسمها بالعارسية شهرا نادا (عن ياقوت) وتسمى بلد
الحطب (عن أبي العدا).

ولا بُعِزْهُ كُلُّ يَوْمٍ قَافِلَةٌ تَحْطُّ عِنْدَهُ لِتَأْخُذَ نَحْرًا . وَالْحُجَّانُ تَقْصِدُهُ لِلتَّرَهُ بِهِ بِطَنَائِرِهِمْ
وَعِبْدَانِهِمْ وَسَائِرَ مَلَاحِيهِمْ .

قال الخالدي : خرجت في بعض السنين إلى بلدٍ مع كاتب لبعض أمراءنا .
وأحببت الشرب في دبر أبي يوسف ، فكتبت إليه .

بدير أبي يوسفِ خمرٌ . تزيد على لَهَبِ البارِ !

وتزجسه كنسيم الحبيب عند محبٍ له وامق !

وما ذا ترى فيه قبل استماع . همهم ناقوسه الباطق !

لَتَقْنِصَ بِكُرا خُلُوقَةً .. تُخَبِّرُ عن حكمة الخالق !

فعل . وأفما به ثلاثة أيام في الدِّعْشِ ، وأصفى وقت . ثم آنحدرنا منه .

١٠ دِيرُ الشَّيَاطِينِ - وهو بالعرب من أوْسَل (بلد على فسطح من الحل على دجلة) .
دير الشياطين

في موضع حسن . وهوائه رقيق لطيف ، وقلائبه عامرة كثيرة الأشجار . وأرضه
كثيرة الرصاص . وله سور يحيط به ، ومشترف على سطح هيكله يُشرف على دجلة
والجليل .

وفيه بئول السرى الرءاء :

١٥ عَصَى الرَّسَادِ فَتَدَّ مَادَاهُ مِنْ حَبِيبٍ . وَرَاكَصَ النَّيَّ فِي تِلْكَ الْمَيَادِينِ !

مَاحَظَ شَيْطَانُهُ الْعَاقِي إِلَى بَلَدٍ . إِلَّا لَيَقْرُبَ مِنْ دِيرِ الشَّيَاطِينِ !

وَفِيهِ زَهْرُ الْأَدَابِ بَيْنَهُمْ . أَبْهَى وَأَنْضَرُ مِنْ زَهْرِ الْبَسَائِينِ !

مَشَوْا إِلَى الرَّاحِ مَشَى الرِّيحُ وَأَنْصَرَفُوا ، . وَالشُّكْرُ يَمِشِي بِهِمْ مَشَى الْفَرَازِينِ !

حتى إذا انطلق الساقوس بينهم - مُزِينُ الخَصِرُ رُومِيُ القَرايِنِ ،
 حَتَّى أَقْدَحَها بِضِ السَّوَالِفِ فِي . حُمُرُ الغَلَائِلِ فِي خُضَرِ الرِّبَاحِينِ .
 كَأَنَّها وَيَاضُ المِاءِ بَعْرَها . وَرَدُّ نِصَالِها أَوْرَاقُ نَسِيرِينِ .



دير مر سرجس

دير مر سرجس - وهو فوق بلد بثلاثة فراسخ، على قُلة جبل عالٍ . يبين للماطر
 من عذة فراسخ .

قال الخالدي : وعلى بابه شجرة لا يعرف أحد ما هي : لا يسقط ورقها عند سقوط
 ورق الشجر، ولها ثمرة تسبه اللوز . وفي جبله من الزرازير تنبت عظيم . لا تمارقه
 صفا ولا شتاء، لا يدر على صيد نئ منها . وفي شعاب جبله أفلاج كثيرة، تمتع من
 صبد طيره ليلا .

قال : وفي أوديه حصي على شكل اللوز لا تعادره .
 قلت : ولعل هذه الشجرة هي التي ذكرها ابن وحشية، وقال إنها في الدنيا واحدة
 لا ثاني لها .

وحكي الخالدي : قال : حدثنا الخزاز البلدي : قال . فلقد بلدنا رجل من آل الهرات ،
 وكان أدبيا شاعرا . فأسحقني ، فما كنت أفارقه . فرأى يوما هذا الدير وسألني
 عنه ، فوصفته له . فأحب النظر إليه ، فخرج وحملي معه . وكان ذلك في شتاء متصل
 المطر . فلما جئناه ، رأينا في جبله من الغدران ما ملأ أفاويه . فلما صعدنا سطح
 المبكل ، فكر ساعة ثم أسدنى نفسه :

وهكلي تبرز الدنيا لمُشْرِفه . حتى يُعَايَنَ منها السهل والجبالا
 كأن صيبي باما طول ليلهما : يستمطران على غدرانها المُفلا

دير صباعي^(١) - وهو على شاطئ دجلة الشرفي، فوق تكريت، قليل، وهو كثير الرهبان، وله مزارع وجنات، ولرهبانه يسار وغني، وفيه يقول بعض لبعض لصوص بني شيان:

ألا ربَّ سَلِّمْ دِيرُ صَبَاعَا ، وَرِدْ رُهْبَانُ هَبْكِلَهْ أَجْتَاعَا !
فَكَمْ جُنَّاهْ أُمَوَا سَفَا بَا ، وَرُحَا مَهْ أَحَاءْ سَبَاعَا !
فَاللِّصْفُ مَا أَسْرَى نَيْدَا .. أَلَدَّ طَلَا وَأَحْسَهْ شُعَا !
لِجَمْعَتِهْ وَمِنْهْ عَلِيَا ، عَمْرَاهْ وَحَرْبَا الضَّعَا !

سمر الزعفران

سمر الزعفران^(٢) - وهو على رأس جبل مطل على نصيبين ودار ربيعة من جانب، وعلى طور عذير وقودي وبعض ديار بكر من جانب آخر، وبه كثير من الزعفران، وهو عجيب الساء، كثير الرهبان، وبه جنات لم حسنة نصره مملوءة بسجر السدي والفسق والاوز المرك والزنون والنطم، ومأواه من صهاريج يجمع فيها ماء السماء، والصاريج معوره في صحور، والثلج به ممكن، ولما نزل المتقي نصيبين أسعدهد ماءه وآخاره على ماؤها وماء دجلة.

قال الخالدي: ولهذا الدير بواب للضباغة في علو المسكل، والاسور نسور عجيب، وعابه أبواب من حديد، صممت، قال: وسمر زعفرانه فائق، ومعه ومن العسل أكثر يسار رهبانه، قال: وكان الأمير أبو الركب بخرح إليه، وأنحرح معه، فقيم به على شرب وسرور، وأمرني أن أعمل فيه شعرا، ففعلت:

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٣).

(٢) أنظر الكلام على دير الزعفران فيما تقدم من الصفحات.

عَطَلْتُ دَارِسَةَ الْمَغَانِي * وَعَمَرْتُ عُمرَ الرَّعْفَانِ،
وَأَقَمْتُ فِي عُرْفٍ لَدَيْهِ كَأَنَّهَا عُرْفُ الْجَنَانِ،
وَتَرَى قَائِمًا مُفْتَدِمَةً بِأَسْ خُسْرُوَانِي،
وَمُعَانِي ظَنِّي وَبَدِي * رُدْجَةً وَقَضِيبُ بَانِ،
وَالرَّاحُ أَحْصَنُ جَنَّةٍ * لَكَ فِي مُقَارَعَةِ الزَّمَانِ،
لَا تَأْمَنُ صُرُوفَهُ * فَالْدَهْرُ لَيْسَ بِدِي أَمَانِ

قال: وأُسنِدني البعّا لمسه في هذا الدير:

صَمَحْتُ لِمَسِّ الدَّهْرِ عَن سِنِّيائِهِ * وَعَدَدْتُ يَوْمَ الدَّيْرِ مِنْ حَسَنَائِهِ،
وَصَبَحْتُ عُمرَ الرَّعْفَانِ بِصَبْحِهِ * أَعَاشَتْ سُرُورُ الْقَلْبِ بَعْدَ مَمَائِهِ،
وَأُهِيفَ فَاتَحْتُ الرِّبَاضَ بِجُسُوسِهِ * فَادْعَنَ صُغْرًا وَصَفْهُا لِصَفَائِهِ،
فَلَمَّا دَجَا اللَّيْلُ أَسْنَعَادُهَا الصُّحَى * بِرَاحٍ نَأَتْ بِاللَّيْلِ عَن ظُلُمَائِهِ،
وَنَمَّ إِلَيَّ دَهْنًا بِصَيَائِهِ * فَكَانَ كَقَلْبٍ ضَافٍ عَن خَطَرَائِهِ،
وَحَوْفِي مَهْمًا خِلْتُ صَلِيْبَهُ * لِتِسْدَةِ مَا تَحْشَاهُ بَعْضُ وُشَائِهِ!
وفيه يقول مُصْعَبُ الكاتب :



وَقَانِلٍ قَالَ لِي: أَقْصِرْ! فَقُلْتُ لَهُ: * أَمَا تَرَانِي بِحَثِّ الْمُرْدِ مَشْغُولًا،
لَا أَعْتَنُ الْأَبْيَضَ الْمَنْفُوخَ مِنْ سَمَيْنٍ، * لِكِنِّي أُعَشِّقُ الشَّمْرَ الْمَهَازِيلَا،
فَقَالَ لِي: أَنْتَ مَجْنُونٌ؟ فَقُلْتُ لَهُ: * لَا تُكْثِرُنَّ عَلَيَّ الْقَالَ وَالْقِيلَا،
إِنِّي أَمَرْتُ أَرْكَبُ الْمَهْرَ الْمُضْمَرِّ فِي * يَوْمِ الرَّهَانِ، فَدَعْنِي وَأَرْكَبِ الْقِيلَا!
وكذلك قال :

دَيْتُ أُمَيْشِي عَلَى الْكَفَّيْنِ الْمُسْهِ * كَتَمْتُ مُسْتَرِيقَ السَّمْعِ أَسْرَارَا!

فَتَزِيحُ فِي قِرطاسه قَلْبِي * وَاللَّيْلُ مُلْقٍ عَلَى الْآفَاقِ أَسْتَارًا!
فَقَالَ لَمَّا أَجْبَلُ عَنْ عَيْنِهِ وَسَنُ * وَقَدْ رَأَى نِكَمَةً حُلَّتْ وَأَزْرَارًا:
بَارِقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ * إِنْ الْحَوَادِثُ قَدْ يَطْرُقُ أَسْحَارًا!

دير بار بيثا - وهو بنيوي، بأرض الموصل، على نهر الخازر، وبه بيت ضيافة.^(١)
وله عند المصاري قدر جليل.

قال الخالدي: رأيته في بعض السنين، وكان به راهب يقال له كور يال، من عبادة
المصاري فأصافه أحسن صافاة وأكرمنا أتم إكرام، بالطعام الكثير، والشراب العبق
الواسع، وعلف الدواب، وأكثر، فعظم في عني، وعانبه على الإسراف في فعله. فقال:
هذا والله رسمنا مع كل من ينزل بنا!

قال: وهذا الدير الذي قيل عمده عبيد الله بن زياد، فقتله إبراهيم بن الأشتر، على
هذا النهر، وأنفذ رأسه إلى المختار في خبر يطول، ليس هذا موضعه.

دير حنظلة - وهو بالحيرة، على نحو فرسخ منها، إلى المشرق، وموصعه حسن،^(٢)
لما فيه من جدييات رهبانه وأشجارهم، وما يلبسه الربيع من الرماض،
وأنسد الخالدي فيه لغيره شعرا، منه:

طَرَفْتُكَ سَعْدِي يَنْ شَطْبِي بَارِي! * نَمْسِي الْعِدَاءَ لَطِيفًا مِنْ طَارِي!
يَا دِيرَ حَنْظَلَةَ الْمُهَبِّجِ لِي الْهَوَى! / هَلْ تَسْتَطِيعُ صِلَاحَ قَلْبِ الْعَانِسِي



(١) سهر بين اربل والموصل ثم بين الراب الأعلى والموصل، يصب في دجلة.

(٢) أنظر "الأغاني" (ج ٩ ص ١٠٣ و ١٠٤)، والبكري (ص ٣٦٠) وحصوصا يافوت (ج ٢
ص ٦٥٥ وآخرى ص ٦٥٦ أيضا).

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني، وأنشد لبعض الشعراء فيه رجاء منه :

ساحه الحيرة دبر حَظَلَه . عليه أدال السُرور مُسَبَّلَه .

أحيب فيه ليلة مُقَبَّلَه . وكأسا بين الندامى مُعْمَلَه .

والراح فيها مثل نار مُشْعَلَه .

دير الجاثليق^(١) - وهو وديع الباء، غربي دجلة، في عرص حربي، على الحد بين

آخر السواد وبين أول أرض تكريت، وفيه كانت الحروب بين عبد الملك بن مروان

ومُضْعَب بن الزبير، فقال ابن قيس الرُّقَيَّات :

لقد أورش المِصرَ بِي حُرَاوِدِلَه * قبلَ بدبر الجاثليق مُفْهِم !

فما فأنف في الله بَكْرُنْ وانلِ * ولا صدقت عند اللّقاء بِمِمْ !

وحكي أنه كان به علام أمرد بصري من أهل الحيرة، هال له عنيد بن إليا الصّترقي،

وكان بعينه بكر بن خارجة، وفيه يقول من شعره :

أحري ! مُتْ قَلْمُكَ من هُمُومِي ! * وأرسدني إلى وجه الطريني !

فقد صافت على جهات أمري * وأنت المسجأ من المصيق !

وفيه يقول بلين يحضري منهما قوله :

زأره في حصره مَقْشُود * كأنه من كبدى مَقْشُود .

قال أبو الفرج : وكان دَعِل يستحسه ويقول : ليت هدين البيت لي بمائة بيت

من شعري !

(١) Catholicon . وأنظر معلومات أخرى على هذا الدير في الطبري (مسألة II ص ٨٠٦ و ٨١١ و

٨١٢) ، وآس الأثير (ج ٤ ص ٢٦٨) ، ومروج الذهب (ج ٥ ص ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و

٢٥١ و ٢٥٣) ، وتاريخ اليعقوبي (ج ٢ ص ٣١٧) ، والكركي (ص ٣٦٧ و ٣٧١) ، وحصوا

٢ باقوت (ج ٢ ص ٦٥٠ ح ٤ ص ٥٢٩) ، والشابتي (ورقة ٩) .

وفيه يقول محمد بن أبي أُمَيَّة :

٢٢٥

رَأَيْتُكَ حَلِيقِي دِينَ وَدُنْيَا : * حَيَاةً لِلصَّجِيعِ وَالْفَسِيرِ .
بدا لي بعد ما سَبَقْتُ يَمِينِي * بِهَجْرِكَ أَنْ أَكْفُرَ عِ يَمِينِي .

دير مَرِيحَنَّا^(٢) - وهو إلى جانب تكريت ، على دجلة ، عاصِرُ القَلَّاتِ والرهبان .
مطروق ، مقصود ، منزل لكل مسافر ، وبه ضيافة فائِمة على أَقْدَارِ الناس . وله مزارع
متسعة وغللات كثيرة ، وهو للنَّسْطورية . وعلى بابِه صومعه عبدونَ الرَّاهِب ، وكان من
الملكبة ، بناها فُعِرْتُ به . وفي هذا الدير يقول عمرو بن عبد الملك الوراق :

أَرَى قَلْبِي قَدْ حَنَّا - إِلَى دِيرِ مَرِيحَنَّا !
إِلَى غِيْطَانِهِ الصَّبْح * إِلَى بَرَكْتِهِ الْغَنَّا !
إِلَى أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْ قَدَسَ أَوْ غَنَّا !
فَلَمَّا أَبْلَجَ الصُّبْحُ * بَزَلْنَا يَسَا دَنَّا !
فَلَمَّا دَارَبَ الْكَاسُ * أَدْرَمْنَا يَسَا حَنَّا !
فَلَمَّا هَجَعَ الشَّمَا * رُمْنَا فَعَانَقْنَا !

١٠

قال الشابقي : وكان عمرو هذا من الخلعاء الظرفاء المنهمكين في اللهو والنظر
في الديارات ، ومما أنشد له في الحُجُونِ قوله :

١٥

أَبْهَا السَّائِلُ عَنِّي - لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ .
أَنَا إِنْسَانٌ مُرِيبٌ ، أَشْتَهِي نَيْلَ الْمَلَاخِ .

(١) في الأصل : لا . [وصحبت مما يقتضيه السياق ، لأد الشاعر يقول انه مداه أن تكلم عن يبه

بعد أن أقسم بهجر صاحبه] .

(٢) أنظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٧٠١) .

٢٠

عمر أخو يشا

عمر أخو يشا^(١) - (وأخو يشا بالسربانية الحيس).

قال الشاشي: وهذا العمر بإسعد، من ديار بكر، وهذا العمر مطل على أرزن، وهو كبير حبل، فيه أربعمائة راهب في فلاليهم، وحوله بساتين وكروم، وهو في نهاية العماره والنزه وحس الموقع وكثرة القواكه والخمر، ومنه يُحمل النجر إلى البلدان، وبقره عى عظمة ندر ثلاثة أرحاء، وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم، وبه أنواع المطيرين، وأنسده فيه اللبادى :

وفُتِنَ كَهْمُكَ مِنْ أَنَاسٍ * خِفَافٍ فِي الْغَدَاةِ وَفِي الرَّوَّاجِ .
هَضَبَتْ بِهِمْ، وَسِتْرُ اللَّيْلِ مُلَقًى * وَصَوْتُ الصَّبْحِ مَفْصُوضُ الْجَنَاحِ .
تَوْمٌ بِدِيرِ أَخْوِيشَا غَزَالًا * غَرِيبَ الْحُسْنِ كَالْقَمَرِ الْيَبَاحِ .
مَسَاغِفَنَا الرِّمَانُ مِمَّا أَرْدَا ، فَأُبْنَا مَالْفَلَاحِ وَبِالنَّجَاحِ !

٢٢٦

١٠

عمر عسكر^(٢) - وهو أسمل من واسط، في الجانب الشرقى، في الهريه المعروفة
ببرخوى وبه كرسى المطران^(٣)، وهو عمر كبير، كثير الفلانات ببائع عليها، ويحيط به بساتين كثيرة وغللات واسعة .

عمر عسكر

وفيه بقول محمد بن حازم الباهلي، وكان قد قصده أنام مقام الحسن بن سهل

١٥

بواسطة :

(١) سماء الشاشي ويابوت "أخو يشا" الحاء المهملة وأتعار أيضا كلاء التاء في (ح ٢

ص ٦٤١) ، والأولى (درة ٨٦) .

(٢) في ياقوت "تكمك" وقد ذكره أيضا في أسماء البلاد وأشار إلى هذا العمر .

(٣) » » رحونية .

بُعْمِرَ عَسْكَرَ طَابَ اللَّهُ وَالطَّرْبُ . والباز كارات والأدوار والنُخْبُ !
 وَفَتِيهٌ بَذَلُوا لِلْكَأْسِ أَنْفُسَهُمْ . وأوجبوا لرضيع الكأس ما يجبُ .
 فلم يزل في رِيَاضِ العُمُرِ نَعْمُهَا . قَصْفاً وَتَعْمُرُهَا اللَّذَاتُ وَالطَّرْبُ .
 والدهر قد طُرِفَ عَمَّا نَوَاطِرُهُ * فَاسْتُرِعْنَا الْأَحْدَاثُ وَالنُّوبُ .
 قال الشاشني : وأنشدني من مליح شعره قوله :

صِلْ نَخْمَةً بِنَحَارِ * وَصِلْ نَحَارًا بِنَخْرِ !
 وَخُذْ بِحِطِّكَ مِنْهَا * كَأْسًا إِلَى حَيْثُ تَدْرِي !

قال : فقلتُ له : إلى أن ؟ ويحك ! فقال إلى النار ، ما أحق !
 وأنشد له :

حَدِّدَا مَجْلِسًا لَهْمَدِ الشَّابِ . وَأَرْعَا حُرْمَةَ الصَّبَا وَالنَّصَابِ !
 بِكُھُولٍ إِذَا اسْتَقَرَّتْ حُمَيَّا الْكَأْسِ لَمْ يَنْطِقُوا بِعَبْرِ الصَّوَابِ .
 مَارَسُوا شِدَّةَ الزَّمَانِ فَلَانُوا * وَأَسْتَفَادُوا مَحَاسِنَ الْآدَابِ .
 فَاسْقِيَانِي إِذَا تَجَاوَيْتِ الْأَوَّ . مَارْكَأْسًا لِإِذْ كَارَ الشَّبَابِ !



دير الأسكون

دير الأسكون^(١) - ذكر مُصَنَّفُ دِيَارَاتِ الْحَيْرَةِ ، أَنَّهُ رَاكِبٌ لِلجَنَفِ : قال :

وهو أُنْزِعَ دِيَارَاتُهَا ، وَفِيهِ قَلَالِي وَهِيَ كُلُّ وَرْهَانٍ يَقِيمُونَ الضِّيَافَةَ لِمَنْ وَرَدَ عَلَيْهِمْ . وهو
 حصن منبع . له سورٌ عالٍ ، وبابٌ من حديد . ومهٌ يهبط إلى غدير الحيرة . وأرضه
 رَضْرَاضٌ ورملٌ أبيض . وله مشرعةٌ تغابل الحيرة ، لها درج إذا انقطع النهر كان منها
 شرب أهل الحيرة . قال : وإليه تجتمع النصارى في أعيادهم وفي كل يوم جمعةٍ بعد

(١) سماه بالقوب "دير أسكون" وأنظر كلامه عليه (ج ٢ ص ٦٤٣ و ٦٨٧) .

صلاة الجمعة . فإذا كان يومُ الشعانين ، أتوه من كل ناحية ، مع شماميسهم بصلبهم
وأعلامهم . فإذا استتموا فيه وفي القصر الأبيض والعلالي المدانية ، خرج أسقفهم بهم
إلى مكان يعرف بشيبات الشعانين (وهي فِباب على ميل من ناحية طرق الشام)
فأقام بهم فيها يومهم ذلك إلى آخره . ولكل منهم يومئذ شأن يُغنيه .

- دِرْحَنَةٌ ^(١) - هو الحليّة من بلاء نوح . هكذا نقلته ولا أعرف من هو .
وإلى جانبه قائم . حكى أحمد بن عمر الكوفي ، قال : كان بالكوفة رجل أديب
ضعف الحال ، مهتما وقع في يده من نقي ، أتى به دِرْحَنَةً فيشرب منه حتى يسكر .
ثم يصرف إلى أهله ، ويقول : بعجبتني من الغراب نُكُورُهُ في طلب الرزق . وربما
بات به ، ويقول :

- ١٠ نَطَاوَلْتُ لِبُكَاءِ الرَّابِوَةِ ، وَكَانَ الْمَيْتُ بِهَا عَافِيَةً .
وَمِنْ تَحْتِ رَأْسِكَ أَجْرَةٌ وَجَنْبُكَ مُلَقٌّ عَلَى بَارِيَةٍ .
وَدَلَّكَ خَبْرٌ مِنَ الْإِنْصِرَافِ ، فَحَكَّمْ بِكَ بَنُو الزَّانِيَةِ .
وَتُصَيِّحُ إِمَارَهْنَ السَّجُودِ ، وَإِنَّمَا فِتْلَةً عَلَى سَاقِيَةٍ .
قال : فوحّد والله بعد أمام فتيلة على ساقية ! وهو القائل :

- ١٥ مَالِدُهُ الْعَيْسِ عِنْدِي عَيْرٌ وَاحِدٌ هِيَ الْبُكُورُ إِلَى بَعْضِ الْمَوَاحِيرِ .
لِحَامِلِ الذِّكْرِ مَا هُوَ بِوَأَثْقَنِ سَهْلِ الْعِبَادِ مِنَ الْقُرَى الْمَدَائِرِ .
حَتَّى يَحِلَّ عَلَى دِيرِ ابْنِ كَافِرٍ مِنَ الصَّارِي يَبِيعُ الْخَمْرَ مَشْهُورِ .
كَأَنَّمَا عَقَدَ الزَّنَارَ فَوْقَ نَعَا ، وَأَعْتَمَّ فَوْقَ دُجَى الظُّلُمَاءِ بِالنُّورِ .

١ (١) وأظن أيضا ما رواه عنه ياقوت (ح ١ ص ٣٤٥ ح ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) :

والكبرى (ص ٣٧٣) .

وفيه قال الثرواني :

يومي بهيكل دحنة لم يزل * غمر السحاب تجودفه وترع
متجوشن طورا وطورا شاهرا * يبيض السبوف وتارة يتدرع
وكذلك قال فيه بكر بن خارجه الكوفي^(١) :

٥ ألا سقي الحورق من محل - طرف الروض معشوق أبيني !
أفمت بدير حننه زما - بسكر في الصبح وفي الغبوف .
ومنا لأبس إكليل زهر - ومخصب السوالف بالخلوف .
كأن رياضه حسا ونورا - سحاب دهب بسنا البروف .
كأن تفسطر الأشجار فيه - إذا غسق الظلام قطار بوق .
وماذا سئت من دز الأفاحي - هالك ومن يواقبت التسقيق .

وقد ذكر ديرة أبو العرج الأصفهاني وقال : ذكره أبو نواس في شعره ، يعني في قوله :

١٥ ما ديرة من ذاب الأكرج ! - من يصح عك فاني است بالصاحي .
بعاده كل مجفؤ بعافه^(٢) - من الدهان عليه سخي أمساج .
في فنية لم يدع منهم تخوفهم - وقوع ما حدره غير أشباح .
لا يدلفون إلى ماء بانية - إلا أعترفا من العذران بالراج .

(١) انظر أحاده وأشماره في الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٨٧ و ٨٨٨) . وليست فيها الأبيات التي أوردتها

آن صل الله ها .

(٢) باقوت : معارفة .

قال : والأكيراح بلدٌ زَهَّ كثيرُ البساتين والرياض والمياه . قال : وبالْحِيرةَ أيضا موضعٌ يقال له الأكيراح فيه دير . والأكيراح قَبَابٌ صغار يسكنها الرهبان . يقال للواحد منها الكِرْحُ .

دير عبد المسيح ^(١) - وهو بطريرك في مدينة عند المسيح بن عمرو بن بُقيلة . وقال إنه عمر دهرًا طويلا . ولحق خالد بن الوليد ، حين فتح الحيرة ، وله معه خبر طويل . وحكى بعض أهل الكلام ، قال : قرأتُ على حائطه مكتوبا :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ ضِدًّا . وَلَا يُبْحِي مِنَ الدَّهْرِ الْخُلُودُ !

وَلَا يُبْحِي مِنَ الْآحَالِ أَرْضٌ . يُحُلُّ بِهَا وَلَا قَصْرٌ مَسْدُ !

وحكى آخر قال : فرأيتُ على حائطه أيضا :

هَدَيْتُ مَارِلَ أَقْوَامٍ عَهْدُهُمْ فِي حَفِصٍ عَيْشٍ خَصِيبٍ مَالَهُ خَطَرُ !

دَارَتْ عَلَيْهِمْ ضُرُوفُ الدَّهْرِ فَاسْقُلُوا . إِلَى الصُّبُورِ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَمْرُ !

وقد ذكره الأصمهاني ، في أخبار لاحاجة فيها . وقال : وكان عبد المسيح قد بنى دبرا في بقعة بالجربة بهال لما الجرجة . كان يترهب فيه حتى مات . ثم حرب الدبر ، وظهر فيه أَرَحٌ معفود من حماره . ووطنوا فيه كثيرا ، ففتحوه ، فاذا سرى رخام ، عليه رجل ميت . وعند رأسه لوح فيه مكتوب :

١٥

حَاتَبَ الدَّهْرُ أَسْطَرَّةَ حَنَانِي . وَنَأَتْ مِنَ الْمُنَى فَوْقَ الْمَزِيدِ .

بَكَدَتْ أَنْالِي فِي الشَّرَفِ الثَّرَاءِ . وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ .

دير الحريق^(١) - هو بالحيرة . ساه الثمان بن المذخر على ولد كان له ، عُدِيَ عليه واحرق فيه . وإلى جانبه قبة تعرف بقبة السُنْبِق^(٢) ، و [قبة] تعرف به غصْب . وهما راهبان سبا إليهما . وهما بديعتا الباء .
وفي الدبر وفيهما بقول الثرواني :

دير الحريق وقبة السُنْبِق - مَفْعَى حِلْف مُدَامِهِ وَفُسُوفٍ
وَطَنٌ لِمَرْفِهِ شَرِيفٌ بَدْمَعِي . وَلِرِحْلَتِي عَنْهُ عَصَصْتُ بَرِي

❦

حكى حمزة بن أبي سلامه ، قال : كان الثرواني جاري بالكوفة وكان كثير الإلمام بالبدرة ، فما كرنى في يوم شعابين وقال لي : أعزم بنا اليوم على الشرب في دبر الرب ، لأنه يوم سبق قصده فيه خالق . ولي به صديق من رهائه طربف ، مالمج الغلالة ، جدد الشراب ، فهلم ! تنزه أعننا فيما نراه من الجوارى والغلمان ، ثم عدل إلى قلابة صديقنا فنشرب على سطحها المشرف على الرماض . فخرجنا ورأبنا من النساء والوصائف والولدان في الحلى والحلل . ألم أر مثله قط . فلم يزل يعث وبتعوض ، وبهبل ويعانق - وكان معروفا بذلك - ما أحد سكر عليه فعله ، إلى بعد الظهر . ثم أتينا قلابة صديقه الراهب ، فلفه بالإكرام والترجب . فدخلنا قلابته . وما رأينا أنظف من آلاتها ، ولا أبصر من بستانها . ثم قدم لنا شيتا من طعامه ، فاصا منه . ثم صعدنا سطحها . وجلسا نظرا إلى منظر يهر حسنا وحالا : من رياض وغدران وطير بصفر . ونحن نسرب حتى ثمنا . وثمنا هناك . وعدونا على الكوفة . فقلت له : نترك

(١) أطر ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

(٢) في الأصل بالمعجمة في هذا وفي الآتي بعده . والتصحيح من ياقوت فقد ذكره في باب السين .

هذا اليوم مع حسبه، عاطلا من حُلَى شعرك" فقال: لا والله! ولقد عملتُ في ليلتي هذه، هذه الأسات، ثم أنشدني:

خرجنا في سَعَابِينَ النَّصَارَى • وَشَيْعَنَا صَلِيبَ الْخَالِئِينَ •
فَلَمْ أَرْ مَطَرًا أَهْلِي • يَعْنِي • مِنَ الْمَقْبَلَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ •
حَمَلُ الْخَوْصِ وَالزَّيْتُونِ حَتَّى • بَلُغْنَ بِهِ إِلَى دِيرِ الْحَرِيقِ •
أَكَلْنَاهُنَّ بِالْمَطَطِ عَشْفَا • وَأَحْمَرْنَا لَهْنًا عَلَى الْعُسُوفِ •

دِرَار مَرْعُوق (٢) - وهو الجبده، قريب دِر الْحَرِيقِ • في أنزه القاع، زهرًا وورقًا هواء وتدقق ماء • وَدُسُوقُ إِلَه التَّروَانِي مِنَ بَغْدَاد، فقال:

دِيرُ الْحَرِيقِ وَسِعَهُ الْمَرْعُوقُ (٣) • بَيْنَ الْعَدِيرِ وَقُبَّةِ السُّنَنِ •
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الصَّرَاةِ وَطَبْهَا • عِنْدَ الصَّاحِ وَمِنْ دُجَى الطَّرِيقِ •
باصباح! فَاحْتَبِ الْمَلَامَ أَمَا تَرَى • سَمِحًا مَلَامَكَ لِي، وَأَنْتَ صَدِيقُ

(٢٢١)

وعد ذكره أبو الفرج، وأنشد للترواني فيه وفي در فاثبون قوله:

قُلْتُ لَهُ وَالْحُومُ حَانِيحُهُ • فِي لِبَاةِ الْفِصْحِ أَوَّلَ السَّحْرِ •
هَلْ لَكَ فِي مَارِ فَاثْبُونٍ وَفِي • دِيرِ آبِ مَرْعُوقٍ عَيْرٍ مَمَصَّرٍ •
فَقَصَّ هَذَا السَّبْمُ مِنْ طَرَفِ النَّسَامِ وَدَرَّ النَّدَى عَلَى الشَّجَرِ •
وَنَسَأَلُ الْأَرْضَ عَنِ بَسَاسَتِهَا • وَعَهْدُهَا بِالرَّبِيعِ وَالْمَطَرِ •

(١) في الأصل: حُلَا •

(٢) سماه ياقوت "دِر المَرْعُوق" وأظهر كلامه عليه في (ح ٢ ص ٧٠١) •

(٣) في الأصل: رَيْبُهُ •

(٤) في ياقوت يقتضيه ٠٠٠٠ ورمح الذي عن المدر •

قال : ودير فاثيون أسفل الجحف ، ودير آبن مزعوى محذاء قصر عبد المسح ،
بأعلى الجحف ، وفيه بقول الترواني :

تُفَرِّضُ لِي عَيْنَكَ لِي نَوَاصِي ، . وَفَعَلْتَ لِي مِمْرًا بِالْجُودِ
تُسَكِّنُنِي ، وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا . هَوَى بَيْنَ الْعَطْفِ وَالصَّدْدِ !

وفال أيضا :

كُرَّ الشَّرَابُ عَلَى نَسْوَانٍ مَصْطَبِحَ . قَدْ هَبَّ يَسْرَبُهَا وَالدَّبْكُ لَمْ يَصِحْ ،
وَاللَّيْلُ فِي عَسْكَرٍ جَمَّ نَوَارِقُهُ . مِنْ النُّجُومِ وَصَوُّ الصَّحَى لَمْ يُلْجِ ،
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا أَنْ تُبَاكَرَهَا . صَهَاءً تَمُتُّ لَهُمُ النِّسْرُ بِالْفَرَجِ ،
حَتَّى يَظَلَّ الدِّي وَد بَابَ بَشْرَبَا . وَلَا بَرَّاحَ بِهِ يَخْشَالُ كَالْمَرْجِ .

دير هارت مريم - هو بالحيرة ، من بقاء المنذر ، وهما ديران مقابلان ، وبهما
مدرجه الحاج وطريق السائلة إلى القادسية ، وهما مرفان على الجحف . ومن أراد
الخواريق عدل عن جاذبتها ، ذات اليسار ، ومن شغل الترواني فها :

(٢٢٢)

دَعِ الْأَنَامَ فَعَلْ مَا أَرَادَتْ ، . إِذَا حَادَتْ بُدْمَانٍ وَكَاسِ !
وَمَارِ مَرْيَمَ وَالصَّحْنُ فِيهِ . حُدَّتَانِ مِنْ وَرْدٍ وَأَسِ .
وَطَبِي فِي لَوَاحِظِ مُعَاتِبِهِ . نَعَّاسُ مِنْ مَمُورٍ لَا نَعَّاسِ .
وَحِلٌّ لَا يَحُولُ عَنِ النَّصَابِي . دَنُكُورٍ لِلْمَوَدِّ عَيْرِ مَاسِي .

(١) سباد ياقوت والكبرى "دير فنيون" . وأطراف كلام الأول عليه (ج ٢ ص ٦٨٣) ، والثاني

(ص ٢٨٠) .

(٢) في الأصل : هي .

(٣) أطراف ياقوت (ج ٢ ص ٦٩٢) ، والكبرى (ص ٣٧١) .

وَمُخْتَصِرٍ لَطُورٍ فَصِيحٍ * نَعْنِي بِسَعْرِ أَبِي نُؤَاسٍ .

وما اللدائن إلا أن تَرَايَ صريعاً بينَ باطيةٍ وكاسٍ !

وفدد كره أبو العرج وقال : كان قَسٌّ يقال له يحيى بن حِمَارٍ ، ويقال له بوشع ،

نَالَقه الغدال ويُرَبِّون على سطحه وفي فلاتيه ، على قراءة الصاري وضرب الوافيس .

وفه قال بكر بن خارجة ، أو غيره :

بَنَّا مَمَارَتِ مَرَمٍ ! * سَقِيَا لِمَارِ مَرَمٍ !

وَلَفَسَهَا يَحْيَى الْمُهَنْنِمِ بَعْدَ يَوْمِ السَّوَمِ !

وَأَبُوشَعٍ وَلَحْمَرِهِ * حَمْرَاءَ مَثَلِ الْعَسَدِ !

وَلِفَتْنِهِ حَقُّوا بِهِ * يَعْصُونَ لَوَمَ الْأَوَمِ !

يَسْقِيهِمْ طَسَى أَعْنُ لَطِيفِ عُلُقِ الْمَعْصَمِ !

رَمَى بَعِيدِهِ الْفُلُو * بَ كِمِثْلِ رَمَى الْأُسْهَمِ !

قَلَايَةِ الْقَسِّ - وهي بالحيرة ، في موضع حسن . وكان الْقَسُّ الذي تسب إليه

قَلَايَةِ النَّفْسِ

من مَلَاَحِ الصَّارِي . وكان داسكاً ، ثم صار فاتكاً . وفه قيل :

قَلَايَةِ الْقَسِّ ! مَالِي عَنْكَ مَصْطَبْرُ ! * وَمَنْ إِلَى مَنْ لَحَاءُ فِكٍ يَعْتَدِرُ

مَكَمَ لَدَيْكَ نَسِيمٌ ذَبْلُهُ عَيْقُ * وَكَمْ لَدَيْكَ هَوَاءٌ جَبَّهَ عَطَرُ !

وَتَرْبَةٌ وَعَاءٌ ذِي زَوُلٍ بِهَا سَفَمُ السَّفِيمِ ، وَذَا يُجَى بِهِ الْبَصَرُ !

وَمَاءُ مَزِينٍ يَكْفُ الرِّجْجَ صَفْلُهُ . وَكَلْمَرَابَا بِلَى الْأَوْشَالِ وَالْعَدْرِ .

وفدد كره أبو العرج وقال :

حَلِيلِي مَنْ يَمَّ وَعِجْلٍ ، هُدَيْتُنَا ! * أَصِيفَا بَحْثَ الْكَاسِ بَوْمِي إِلَى أَمْسِي !



واب أتما حَيَّيْنِي تَحِيَّةً ، فلا نَعُدُّوا رِيحَانَ قَلَابِيَةِ الْقَسِّ !
 إذا ما به حَيَّيْنِي ، فَأَخْلُوا ، حَمْدَيْنِ دُونِي بِالْخُلُوفِ وَالْوَرَسِ !
 وإن قلتما : لا بدَّ من شُرْبِ دَائِرٍ ، ولم تَعْبُدَانِي فِي مِطَالٍ وَلَا حَسِّ ،
 من مَهْوٍ حَيْرِيَّةٍ رَاهِبِيَّةٍ ، عَنَفَةِ نَخَسٍ أَوْ زَبْدٍ عَلَى نَخَسٍ ،
 نَجْشَرُ عَلَى قَرَعِ الْمِزَاحِ إِرَارَهَا ، وَتَخَالُ مَسَّهُ فِي مَصْبَغَةِ الْعُرْسِ !

دير حنة الكبير ^(١) - قال الخالدي : هو بالحيرة في الأكرح ، غير دير حنة الذي
 د ر حه الكه
 هدمها ذكره ، يقال إنه بني حين سبب الحيرة ، وكان من أنزه الديرة ، الكثرة إسانيه
 ونديق مباحه .

حكي بحطة عن بعض أهل الحيرة ، قال : أجتاز بنا عمر بن روح الرحبي ^(٢) ،
 مصرفا من الحج ، فتلقبناه وأعظمناه ، وسرا معه . فلما أجاز بديرحة ، سألنا عنه
 فعرفناه به . فقال : من ذا الذي يقول :

ياديرحه من داب الأكرح !

فقال له الحسين بن هنام الحيري : هذا لأبي نواس . أفتحب أن أسندك
 اشاعرنا الثرواني شيتا نهرب من هذا المعنى ، في هذا الدير ؟ قال : قل . فأسنده :

(١) أطرياقوت (ج ١ ص ٣٤٥ ، ج ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) . وقال ياقوت انه لا يرى
 ان كان الدير الذي بالأكرح هو هس الذي بالحيرة . وبص البركي على أنها أشاد (وأطرقها صلبه
 في ص ٣٧٣) .

(٢) في الأصل : دى

(٣) كان هو وأبوه من أعان الكتائب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل ، مثل الورداء ودوى اللواوس
 الجبلية (أطرق الأعان ج ٩ ص ١١٤ ، ج ١٩ ص ١٤١ . وأطرق معجم اللغات ج ٢ ص ٧٧٠)

على الرِّيحان والرائح . وأيام الأَكْيزاج

وإبريق كَطِيرِ الما . في لَجَّةِ صَحْصَاح .

سلام يُسَكِّرُ الصَّاحِي . وما فيه فَنِّي صَاح!

ومَنْ لِي فِيهِ السَّلَو . ه عن وَحِهْ أَبْنِ وَصَّاح

عزالٌ صِيعَ من قِتْنِهِ أَدَانٍ وَأُرَواح!

إذا رَاحَ إلى السَّيْئَةِ في أَثوابِ أَمْسَاح ،

فَنِّي كَفَّهِ إِسَادِي . وفي كَفَّيْهِ إِصْلَاحِي!

قال : فاستحسن الأبيات وأمر كاتباً معه بكتبتها . وطلع على الحسين بن هشام ،

وأجازه .

- وحيكى بحظه قال : زرت إبراهيم بن المدبر ، وكان بالكوفة . فأكرمنى وأس بى .
وأتمت عنده ثلاثة أشهر ، فخرى يوماً ذكر درجته ، فقال أبى المدبر : والله إنى لأحبُّ
أن أراه وأُسْرِبَ فيه ، فقد ذكر لى حُسَّهُ ! فأين هو من الحيرة ؟ فدلَّه إسحاق بن
الحسين العلوى عليه وقال له : فى هذه الأيام يبنى أن يقصد . لأنها أمام ربيع ورباص
هـتمه بالهره والعدران . والبادية بقر به ، فلن نعدم أعرابياً فصيحاً بطير إليا ، ونحن فيه ،
فهبدى إلينا بيص بعام ، وبخنى لنا الكماه . فقدم أبى المدبر إلى علمانه بإعداد ما يحتاج
إليه . ورحل وخرحت حتى وابناه . فاذا هو حسن الساء ، والرائص محدقه به ، ونهر
الحيره الذى يقال له الغدير بقر به . فصربت لما حيم عنده . وخرج إليا رهبانه ،
وحملوا إليا مما عندهم من التَّحَفِ وَاللَّطْفِ . فأكلوا وجلسنا نشرب . وغيبته بسعر
ابى بواس المقدم . فبينما نحن كذلك ، إذ اجتاز بسا علام حسن عارضه كأنه بدر على

غصن، معه مصحف من مصاحف البصري، كامل الغفل، ساحر النظم واللفظ .
فشرب ابن المدبر على وجهه رطلا، وسقاه قَدَحًا . وأستأذنه الغلام في الهوض، وقال :
معي مصحف لا تتم للربان صلاةٌ إلا بحضوره . وهذا وقت صلاتهم، وقد صربوا
الناقوس منذ ساعة . وأخذ عليه العهد في الرجوع إليه وأمر له بمائة دينار . وعملتُ
سُعرا صنعت فيه صوتا . فما زال صوته طولَ مقامه . وهو :

فَدَيْتُ مِنْ مَرَبَا مُسِرَّعًا * يَسْعَى إِلَى الدِيرِ نَاسِفَارَه !
خَدَمْتُ رَبَّ الدِيرِ مِنْ أَجْلِهِ * حَتَّى كَأَنِّي بَعْضُ أَحْبَارِهِ .
حَدَرْنِي السَّارَ وَلَمْ يَذَرْنِي * فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ مِنْ نَارِهِ .
حَبَرْنِي تَفْتِيرُ أَجْفَانِهِ * وَحَلَّ عَفْدِي عَقْدُ زَارِهِ .

(١٢٥)

وأقنا مكاننا ثلاثة أيام، ثم عانا إلى الكوفة وقد عملتُ في تلك الأيام وغيتُ فيه :

وَبِالْحَيَرَةِ لِي يَوْمٌ ، وَيَوْمٌ بِالْأَكْبَرِاجِ !
إِذَا عَزَبَ بِهَا الْمَاءُ * مَرَجِمَا الرِّاحِ بِالرَّاحِ !

وحكى الربيع عن بعض أهل الحيرة قال : كان في دير حنّ خمار يقال له مرعبدا ،
موصوف بجودة الخمر ونظافة الآنية وملاحة الخانة . لحكى مرعبدا قال :
ما شمرت يوما وقد فتحتُ حاوتي وجلست إلى جانب المبكل ، إلا بثلاثة فوارس ١٥
قد أقبلوا من طريق السماوة في البر، حتى وقفوا على ، وهم ملثمون بعائم الخمر وعليهم
حُلُ القصب . فسأموا على وأسمر أحدهم وقال : أنت مرعبدا ، وهذا دير حنة "
قلت : نعم . قال : قد وُصِفَ لَنَا بِجُودَةِ الشَّرَابِ وَالنِّظَافَةِ ، فَاسْتَقْنِي رِطْلًا . فبادرتُ
ففسلت يدي ثم تقرت الدنان ونظرتُ أصفها فبزلته . فشرب، ومسح يده وفه

بالمبدل . ثم قال : آسفنى آخر : ففسلتُ يدى وتركْتُ ذلك الدُّكَّ وذلك القَدَحَ
والمندبل وفرت دَنَّا آخر . فلما رصيتُ صفاءه ، بزلْتُ منه رطلاً في قدح ، وأخذتُ
مبدلًا جديدًا . فناولته إياه فشرب كالأول . ثم قال : آسفنى رطلاً آخر . فسقيته
في غير ذلك القدح وغير ذلك المندبل . فشرب ومسح فمه ويده . وقال لى : بارك
الله فيك ! فما أطبَّ شرابك وأنظفَكَ وأحسنَ أدبَكَ ! وما كان دأبى أن أشرب
أكثر من ثلاثة أرتال . فلما رأيت نظافتك دعيتنى نفسى إلى شرب رابع ، فهاهنا !
فناولته إياه على ملك السبيل . فشرب وقال : لولا أسبابٌ تمنع من يتك لكان حبيبا
إلى جلوسى يومى هذا فيه . وولّى منصرفا فى الطريق الذى بدا منه . ورمى إلى أحد
الراكبين اللذين كانا معه بكيس . فقلت وحق النصرانية ! لا قبلته حتى أعرف
الرجل . فقال : هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ! ووصفت له ، فأقبل من دمشق
حتى شرب من شرابك ورأى دبرك والحيرة . ثم أنصرف . فحالت الكيس فاذا هو
أربعمائة دينار .



(١) دير هند - (وهى بنت العمان بن المنذر) باه لها أبوها لتتعب فيه . فلما فرغ

دير هند

- (١) أطهر الكرى (ص ٢٦٢) ؛ وياقوت (ح ٢ ص ٧٠٧) ، "والدان" للهداني (ص ١٨٣) .
وَأَسَ العري (ص ١٧٢) ، "رفع الطيب" (ح ١ ص ٣٢٩) . وهناك ديارات أخرى تسمى هند بعضها
يسمى هند الكبرى وبعضها هند بنت العمان وبعضها هند الأقدم وبعضها بنى هند . وأطهر التماسيل عليها
فى الأمان (ح ٢ ص ٣٣ و ٣٤ ، ج ٨ ص ٦٤) ؛ والطبرى (سلسلة I ص ٢٤٩٤ ، سلسلة II
ص ٦١٩ و ٦٢٠ و ١٨٨٢ و ١٩٠٣) . وَأَسَ الأثير (ح ٤ ص ١٨١ ، ح ٥ ص ٢٤٧) ؛
"والكمال" للرد (ص ٢٦٦) ؛ وَأَسَ الأثير (ج ١ ص ٣١٥) . وهناك دير آخر تسمى هند فى دمشق
(ياقوت ح ٢ ص ٧١٠) . وقد تحتلط هذه الاسماء ببعضها ، ولكن البيانات والمواطن التى أوردتها هنا
تسمح تمام المميز لمن يريد البحث عنها واستقصاءها .

منه، خرجت من قصر أبيها تريدُه . فأقامت في الطريق سنة تنزل المضارب في نَزْوٍ وصَيْدٍ . والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرسخ . وشق له بشر بن مروان نهرا من القُرات . ولم يزل النهر يجري حتى نحرِب الدير .

وحكى أن النعمان كان يصلّي به ويتقربُ فيه، وأنه علّق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة . وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبانٍ وما شا كلهما من الأدهان، وبوقدٍ فيه من العود الهندى والعنبر شيئا يحلّ عن الوصف .

وفيا حكى^(١) الكلبي أن النعمان دخله في بعض أعياده، فرأى امرأة تأخذ قربانا، أخذت بقلبه . فدعا الراهب الذى قزّيا وسأله عنها . فقال : هى امرأة حكّم بن عمرو التميمي . فلمّا أنصرف النعمان دعا عدّى بن زيد ، كاتبه . وأوقفه على الخبر وقال له : كيف الحيلة ؟ فقال له : إذا كان بكرّة عيدٍ وحصر الناس الداب، فابدأ به في الإذن وأجلسه معك على سريرك . ففعل النعمان ذلك وأذن للناس بعده . فجعلوا يتعجبون . وأنصرفوا . فقال النعمان لعدّى بن زيد : قد فعلت ما أشرت به ، فقه ؟ قال : إذا أصبحت فأكسّه وأحمله . ففعل . ثم قال : اجعل حوائج العرب إليه . ففعل . ثم قال النعمان لعدّى بن زيد : قد طال هذا ! قال : إذا أصبحت ، فإن عندك عشر نسوة ، فطلق أغضهنّ إليك . ثم قل له : قد طابت نفسى لك بما لم تطب به لولد ولا أخ . قد طلقت لك فلانة ، فترجّها . ففعل ذلك . وخرج وهو لابس من حُلّ النعمان ، ولديه ماحمله عليه . فجلس وحكم بين العرب ، وعدّى بن زيد بالباب جالس .

(١) هذه الحكاية رواها أيضا في كتاب المحاسن والاصداد المسبوق للمحافظ (ص ٣٠٩ طبع ليدن) .

وهناك تعبير في بعض الألفاظ .

فقال له الخمي : ما أدري ما أكافئ به الملك ° فعل معي وفعل . فقال له عدى :
ما أقدرك على مكافأته ! قال : وما هو ° قال : طلق أمرأتك كما طلق لك أمرأته .
قال : قد فعلت ° فأنفذها إلى العمان . وفي ذلك يقول الشاعر :



عَلَّقَتْهَا حَرَّةٌ حَوْرَاءَ بَاعِمَةً ° كَأَنَّهَا الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلُمِ .

وفي البرية من أننى تُعَادِلُهَا ° إلا التي أخذ النعمان من حَكَمِ !

وقد ذكره أبو الفرج وقال : هند بنت النعمان صاحبة هذا الدير ، هي الحرقة .
وهي التي دخلت على خالد بن الوليد . وآخر أمرها معه أنه أمر لها بمال ومعونة
وكسوه . فقالت : مالي إليه حاجة . لي عبدان يزرعان مزرعة لي ، أتقوت بها ما يمسيك
رمقي . وقد اعتددت بقولك فعلا وعرضك نقدا . فاسمع مني دعاء أدعو به لك ، كما
ندعو به لأُمْلَأُ كَمَا : شُكْرُكَ يَدْ أَتَفَرَّتْ بَعْدَ غَنًى ، وَلَا مَلِكُكَ بَدَّ اسْتَغْنَتْ بَعْدَ فَقْرٍ ،
وأصاب الله بمعرفتك مواضعه !

قال : وهذا الدير بقارب دير بني عد الله بن دارم بالكوفة ، مما يلي الخندق .
وحكى الشافعي أن الحجاج قدم الكوفة فبلغه أن بين الحيرة والكوفة دير هند بنت
العمان ، وهي متمكة من عفلها ورأيها ، فانظر إليها فلها بقيّة . فركب ، والناس معه ،
حتى أتى الدير ، ففعل لها : هذا الأمير الحجاج بالبالب : فأطلعت من ناحية الدير .
فقال لها : يا هند ! ما أعجب ما رأييت ° قالت : خروج مني إلى مثلك . لا تغترن
باحجاج بالدنيا ، فإنما أصبحنا ونحن كما قال النابغة لأبي :

رَأَيْتُكَ مِنْ تَعَقُّدِ لَهْ حِلْ ذِمَّةٍ * مِنْ لِبَاسٍ ، يَأْمَنُ سِرْجَهُ حَيْثُمَا أَرْنَيْ !

ولم يُنْسَ إِلَّا وَنَحْنُ أَذَلُّ النَّاسِ . وَقَلَّ لِبَاسُ امْتِلَأْ إِلَّا أَنْكُفَا . فَانْصَرَفَ الْحَجَّاجُ

مُغْضِبًا. وأرسل إليها مَنْ يخرجها من الدير، ويستأديها الخراج. فَأُتِجَتْ، ومَعَهَا ثلاث جوارٍ من أهلها. فقالت إحداهنَّ:

﴿٣٢٨﴾

خارجاتٌ يُسَقَّنَ من ديرهنَّ * مُعلَّاتٌ بِذَلَّةٍ وهَوَاٍ!

لَيْتَ شِعْرِي! أَوَّلُ الْحَشْرِ هَذَا * أَمْ عَا الدَّهْرُ غَيْرَ الْفِتْيَانِ؟

فشدَّ قَتَى من أهل الكوفة على فرسه، فاستنقذهنَّ من رُسُل الحجاج. وتغيَّب. فبلغ الحجاج شعرها وفعل القَتَى. فقال: إن أنا، فهو آمِنٌ؛ وإن طفرنا به، قتلناه! فأثابه. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الغيرة. فوصله وخلَّاه.

وكان سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق، أتى هنداً إلى ديرها. فخرجت إليه وعرض عليها نفسه في حوائجها. فقالت: سأحييك بتحية كانت ملوكنا تُحيي بها «شكرتك يدُ أَتَقَرَّتْ بعد غنى، ولا مسَّك يدُ أَسْنَعَتْ بعد فقر، ولا جعل الله لك إلى لثيم حاجةً، ولا نزع عن كريم نعمةً إلا جعلك سبباً لردّها عليه!» قال: ثم جاءها المغيرة، وأتاه معاوية الكوفة. فاستأذن عليها. فقيل لها: الأمير على الباب! فقالت: قولوا له: من أولاد جلبة بن الأيهم أنت؟ فقال: لا. قالت: أفن أولاد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا. قالت: فمن أنت؟ فقال: المغيرة بن شُعبة الثقفي. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُك خاطباً. قالت: والصليب! ما جئتُك رغبةً في مال، ولا شغفاً بجمال. ولكن أردت أن تقول: نكحتُ أبنَةَ النعمان. وإلا فأنى نخف في أجتاع شيخ أعور وعجوز عمياء؟ اذهب! فبعث إليها فقال: كيف كان أمركم؟ قالت: سأختصر لك الجواب. أمسينا وليس في العرب أحدٌ إلّا وهو يرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس في الأرض أحدٌ إلّا ونحن نرغب إليه ونرهبه. قال:

٥

١٠

١٥

فما كان أبوك يقول في تقيف^٥ قالت : آخضتم إليه رجلان، أحدهما ينجيها إلى إباد
والآخر ينجيها إلى بكر بن هوازن . فقفى بها للإبادى . وقال :

إِنَّ تَقِيْفًا لَمْ تَكُنْ هَوَازِنَا * وَلَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا!

قال المغيرة : أما نحن فنم بكر بن هوازن، فليقل أبوك ماشاء!



دير اللج^(١) - وهو بالحيرة، مما بناه النعمان بن المنذر . وهو من أئمة دياراتها وأحسنها
بهاء : لما يطيف به من البساتين . وكان النعمان يأتيه يتعبد فيه، ويستشفى به في مرضه .
وفيه قيل :

دير اللج

يَالْبَلِيَّ أَطِيبُ بِهَا لَيْلَةٌ ، * لَوْلَمْ يَكُنْ قَصْرُهَا الطَّيْبُ !
يَتَنَا دِيرُ اللُّجِّ فِي حَانَةٍ * شَرَابُهَا فِي الْكَاسِ مَكْبُوبُ .
يُدْرِهَا ظَنِّي هَصْبُ الْحَسَا * يَجْبَهُ الشَّبَانُ وَالشَّيْبُ .
حَتَّى إِذَا مَا الْخَرْمَالَتْ بَيَا * جَرَتْ أُمُورٌ وَأَعَاجِيبُ .
مَا تَرَى ظِلْكَ فِي شَادِنٍ * بَاتَ إِلَى جَانِبِهِ ذَيْبُ .

وقد ذكره أبو الفرج، فقال : كان النعمان يركب في كل أحد إليه، وفي كل عيد .
معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومن يادهم من أهل دينه . عليهم حلل الديباج
المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب . وفي أوساطهم الزانير المحلاة بالذهب المصصه
بالجوهر . وبين أيديهم أعلام فوقها صُلَانُ الذهب . وإذا قَصُصُوا صَلَاتَهُمْ . أنصرف
إلى مُسْتَشْرِفِهِ عَلَى التَّجَبُّبِ . فيشرب فيه بفيه يومه إلى أن يُمِئِي . وخلع ووصل
وحمل . وكان ذلك أحسن . منظر وأشرفه . وأنشد فيه قول الشاعر :

(١) أنظر أيضا باقوت (ح ٢ ص ٦٩١) ، والبكري (ص ٣٦٦) .

سقى الله دير اللج خيرا فإنه * على بعده مني إلى حبيب!
قريب إلى قلبي بعيد مكانه ، + وكم من بعيد الدار وهو قريب!

دير بني علقمة ^(١) - وهو دير بناه علقمة بن عدي الحمصي ، بالجيرة ، وفيه يقول
عدي بن زيد ، وفيه غناء :

نادمت في الدير بني علقما * عاطيتهم مشمولة عندما!
كان ريح المسك في كأسها - إذا مزجها بماء السماء!

دير هند الأقدم ^(٢) - وهي هند الكبرى بنت الحرث بن عمرو بن حجر ، الملك ،
أم عمرو بن المنذر ، الملك .

وحكى محمد بن عبد الله بن مالك الخزازي عن أبيه قال : دخلت مع يحيى
أبن خالد ، لما خرجنا مع الرشيد ، إلى الجيرة . وقد قصدها ليتزهد بها ويرى آثار
آل المنذر . فدخل دير هند الأكبر . وهو على طرف النجف : فرأى في جانب
حائطه شيئا مكتوبا . فدعا بسلم فأحصر . وأمر بعض أصحابه أن يصعد إليه ،
فيفرأه . فاذا فيه مكتوب :

إن بني المنذر عام أقضوا * بحيث شاد البعة الراهب ،
تفتح بالمسك ذفاريهم * وعثر بقطه العاطب .
والقر والكتان أنواهم * لم يحلب الصوف لهم جالب .

(١) سماه ياقوت والكرى "دير علقمة" وأطركلام الأول عليه (ح ٢ ص ٦٨١) ، والثاني

(ص ٣٦١) .

(٢) أطركبرى (ص ٣٦٤) ، وسماه ياقوت "دير هند الكبرى" (ح ٢ ص ٧٠٩) .

وَالْعِزَّ وَالْمُلْكَ لِمَ رَاهُ * وَقَهْوَةً تَأْجُودُهَا سَاكِبُ .
 أَتَّخَوْا وَمَا يَرْجُوهُمْ طَالِبُ * خَيْرًا وَلَا يَرْهَبُهُمْ رَاهِبُ .
 كَانْتَهُمْ كَانُوا بِهَا لُغَةً * سَارَ إِلَى بَيْنِهَا رَاكِبُ .
 وَأَصْبَحُوا فِي طَعَفَاتِ الثَّرَى * بَعْدَ نَعِيمٍ لَهُمْ رَاتِبُ .
 شَرُّ الْقَابَا مَن تَرَى مِنْهُمْ : « قُلْ . وَذَلَّ جَدُّهُ خَائِبُ ! »

فبكى الرشيد، حتى جرت دموعه على خيته . وقال : هذه سبيل الدنيا وأهلها !
 وأنصرف عن وجهه ذلك .

قبة السنيق ^(١) - وهي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاج، وبازائها قباب
 يقال لها السكورة، جميعها للصاري . وعند السعائين بها نزهة . يخرج فيه الصاري
 من السكورة إلى القبة في أحسن زى، عليهم الصلبان وبأيديهم المحامر . والقسوس
 والشامسة على نغم واحد، متفق في الألحان، إلى أن يقضوا بغيتهم . ثم يعودون
 على هيتهم .

دير إسحاق ^(٢) - وهو بين حمص وسلمية . في موضع حسن نزهة، على نهر جار .
 وحوله كروم ومزارع، إلى جانب ضيعة صغيرة، يقال لها جدر . وهي التي ذكرها
 الأخطل في قوله :

* عَتَّقْتَهَا حِمْصُ أَوْ جَدْرُ *

(١) أوردته في الأصل بالشين المعجمة . (وأطر تصحيحاً عن ياقوت في صفحة ٣١٥ المقدمة أثناء

الكلام على (دير الحريق) .

(٢) في الأصل : نعيم .

(٣) أطر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) .

وفيه قال أبو عبد الرحمن الهاشمي السلماني، من أهل سلمية :

وافق أخاك تجذده خير رفيق ، * إن كنت است عن الصبا بميق !
وإذا مررت بدير إسحاق فقل : * جادتك غير سحاب وبروق !
دير يسبه مأوه بهوائه * وهوائه بلطافه المعشوق .

وكتب أبو عبد الرحمن إلى أحبه من دير إسحاق :

أما طربت لهذا العارض الطرب * أما رأيت الصا والجوف في لب ؟
تعاثا فكان القطر بينهما * من فضة ، وكان الزهر من ذهب .
ونحن في دير إسحاق ومجلسنا * يشكو مغيك ، فاحضره ولا نغب .
لجعل اليوم عدا في ملاحظته * ونقلب الهم بالأدوار في القلب .

وقال فيه :

سلام على ليلة بالدوير : تقضت كرائره في الحلم !
أتاني في طيلسان الضياء * ولم تتقنع نور الظلم .
يعارض فيها أنسام البروق * بروق دنان بها تبسم .
وصفراء لم تبق إلا العجيف منها الليالي وطول القدم ،
تمزنتها في ثياب الدجى * إلى أن تجلى الدجى للهزم .
زلنا بها وسط مكسوة * مطارف من نسج أيدي الديم .
سقاني ابن قسيسها كأسها * على زورة من حبيب ألم .

وقال فيه:

أَظْمَأَ رِاضَ الدِيرِ مِنْ صَوْبِ مَا طَرَى . وَلَمْ أَقْرِ صَيْفَ اللَّيْلِ أَجْمَانَ سَاهِرًا
وَقُلْتُ: سَقَى الصَّحْرَاءُ بَيْنَ عَوَاقِصِ . ذَوَائِبِهَا فِي سَفْحِهِ وَنَوَاشِرِ!
رَحِمَ بَاطِلُ الْعَرُوسِ يُضَمُّهَا . إِذَا مَا آتَيْتِ ضَمَّ الشَّبَقِ الْمَحَازِرِ.
وَكَمْ قُلْتُ لِلسَّائِي، وَقَدْ فَحَّ الدُّيْ . بِوَاطَرِهَا: قُمْ هَاتِي لَا تُتَاطَرِ!
يَحْنُ إِلَى الدِيرِ اسْتِنَاقِي كَأَنَّمَا . بُرِنِي الصَّبَا بِهِ بِمَوْقِعِ نَاطِرِي.

دير ميماس^(١) - وهو بين دمشق وحمص على نهر ميماس، وإليه تُسب، وهو
في رباط وبسايين، وعليه طواحين رومية. ويزعم رهبانه أن به شاهدا من
الحواريين.

دير ميماس

وحكى العسقلاني أنه كان لذلك الحق غلام يهواه، وكان شديد الوحدة به، فخذعه
قوم ومصّوا به إلى دير ميماس، وسقّوه بيدا، فبلغ ذلك الدك، ففلق. وقال:

قُلْ لِحَصِيمِ الْكَسْجِ مِمَّاسٍ: اِرْتَفَعَ الْعَهْدُ مِنَ الْبَاسِ!
مَاطَاقَةَ الْآسِ الَّتِي لَمْ تَمُدَّ . إِلَّا أَذَلْتُ قُصْبَ الْآسِ!
وَنَقَتَ الْكَاسِ وَتَبَرَّأَهَا، وَحَتَفَ أَمْتَالِكَ فِي الْكَاسِ!
فِي دِيرِ مِمَّاسٍ، وَمَا نَعَدَ مَا . بَيْنَ مُغِيثِكَ وَمِمَّاسِ!
لَا بَاسَ مَوْلَانِي عَلَى أَنِّي . نَهَيْتُهُ الْمَكْرُوهَ وَالْبَاسِ!
فَالَهُ وَدَعْ عَنكَ أَحَادِيثَهُمْ . سَبُّصَبِغِ الذَّاكِرُ كَالنَّاسِ!

١٥

وحكى ان ابا نواس، لما دخل حصص مارا بها، دعاه قتي من أدبائها إلى دير ميماس .
ودعاه معه أشجع السلمي . فجلسوا يشربون ، وأبو نواس يشدهم ، له ولغيره . فقال أشجع :

صَبَحْتُ وَجْهَ الصَّبَاحِ بالكاس * ولم تَعَفْنِي مِفَالَةُ الباسِ .

ونحن عِنْدَ المَدَامِ أَرْبَعَةٌ * أَكْرَمُ صَحْبٍ وَخَيْرُ جُلَاسِ .

نَدِيرُ خِصْيَةٍ مُعْتَقَّةٍ - عَلَى نَسِيمِ النَّسِيرِ والآسِ .

ولم يزل مُطْرِبًا وَمُنْشِدًا * أَوْ نُوَاسٍ فِي دِيرِ مِيَّاسِ .



دير محلي

دير محلي^(٢) - وهو بساحل جيجان ، قريب المصبيصة .

وحكى أبو بصر الحوى أن أبا حالد ، الكاتب ، أجاز بهذا الدبر ، ومعه ابن أبي زرة
الدمسقي الشاعر . قال : فرأينا من حسن راضه ، وتدفق مائه ، وطيب هوائه ، ونضرة
أنجاره ، مظرا حسا . فقال ابن أبي زرة : امد حُظْرَ علما أن تتجاوز هذا الموضع
ولا تشرب فيه حتى نموت سكرًا . فقلت له : ويحك ! أنا مبادر في مهم . فقال :
ما قد أملك أهم من هذا . وثني رجله ، ونزل عن دابته . فزلنا . ثم أتانا الرهبان بتحايا الورد
والباسمين والنفاح . وأخرجوا إلينا شرابا عتيقا ، في نهاية الصفاء والرقعة ، فأبتعناه منهم .
وأفنا بومنا هناك في أعم عيش وأحسه . فلما أصبحنا ، غَدَوْنَا . فأنشدني أبو زرة

لنفسه :

دُبْرُ مُحَلَّى بِمَحَلَّةِ الطَّرِبِ - وَصَحْبُهُ صَحْبُ رَوْضَةِ الْأَدَبِ .

والماء والخمر فيه قد سبكا * للصفو من فضة ومن ذهب .

(١) في الأصل : ولم يرد مطرا ومشدا .

(٢) سماه باقوت "دير المحلى" وأطار كلامه عليه (ح ٢ ص ٦٩٥) .

لا ودموعُ العمام رَوْقُذا * وتلك لم تُعْتَصِرْ مِنَ الْعَيْبِ.
وورْدُهُ فِي الْفُصُوفِ يَتَنَّى * حُسْنًا وَتَفَاحُهُ يَبْرَحُ بِي.
فَلَا تَلْمُئْنِي إِذَا حَمَلْتُ إِلَى * حَانَاتِهِ مَا حَبِيتُ مُنْقَلَى.
رَصِيتُ أَنْ أُغْتَدَى بِالْأَنْسَبِ * وَيَقْتَدَى وَهُوَ قَدْ حَوَى نَسَبِي.

دِير مار مروثا ٥ دِير مار مروثا^(١) - وهو دِير صغير، بظاهر حَلَب، في سَمَح جَبَل جَوْشَن، عَلَى نَهْرِ الْعُرْجَان.

وكان سيف الدولة محمداً إلى أهله . وقلما مرَّ به إلا نزله ، ووهب لأهله هبةً كبيرة . وكان يقول : رأيت أبي في اليوم يُوصيني به .
وله بساتين قليلة ومباقل . وفيه نرجس وبخمس وزعفران .

١٠ ويعرف بالبيعتين ، لأن فيه مسكنين : للرجال والنساء .
قال الخالدي وإياه عني الصوريّ بقوله :

مَا بَالُ أَعْلَى قُوَيْقٍ يَبْشُرُ مِنْ * وَشِي الرِّبْعِ الْجَدِيدِ مَا دَرَجَ
كَأَنَّمَا أَحْتَبَرْتُ الْفُصُوفُ لَهُ * بَيْنَ عَقِينِي وَبَيْنَ فَيْرُوزِخِ .
أَمَا تَرَى الْبَيْعَتَيْنِ أَفْرِدَتَا * بِمُفْرَدِ الْأَخْوَافِ وَالْمُزُوجِ
أَتَوَابَهُ الْمُزْنُ كَيْفَ مَا أَصْلَتْ . - وَارُهُ الْبَرْقُ كَيْفَ مَا أَجَجَ .

دِير الرِّصَافَةِ^(٢) - هو بالشام . قَرِيبَ رِصَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَمَوْضِعُهُ حَسَنٌ .
وفيه قيل :

(١) - ساد يانوت بالنايث "مارت مروثا" أي القديسة ماروثا . وأطُر كلامه عليه (ح ٢ ص ٦٩١) .
(٢) - أطُر الكرى (ص ٣٧٩) ٠ وأطُر ياقوت (ح ٢ ص ٦٦١) .

نراك جَزَعْتَ يا دِير الرُّصَافَةِ • غَدَاهَ تَحَوَّلَتْ عَسْكَ الخِلَافَةِ!

فَلَا تَحْزَنْ وَتَذَرِي الدَّمْعَ حُزْنًا، • فَإِنَّ لِكُلِّ مَجْتَمِعِينَ آفَهُ!

وَحَكِي أَنْ أَبَا نَوَاسٍ مَرَّ بِهِ، وَاتَّ فِيهِ • فَلَمَّا رَحَلَ عَنْهُ، قَالَ :

لَيْسَ إِلَّا دَيْرُ الرُّصَافَةِ دَيْرٌ • فِيهِ مَا تَسْتَهِي الثُّمُوسُ وَتَهْوِي •

بُتُّهُ لَيْلَةً فَقَضَيْتُ أَوْطَا • رَأَى وَيَوْمًا مَلَأْتُ فُطْرَ يَدَيْهِ هَوَاً،

وقد ذكره أبو الصرح وقال : إن ابن حمدون حكى أن المتوكل لما أتى دمشق،
ركب يوما إلى رصافة هشام، يزور دوره وقصوره. ثم خرج فأتى الدبر، وهو من بناء
الروم، حسن البناء، بن مزارع وأنهار. فيها هو يدور، إذ بصر رقعة قد أُلصفت
في صدره. فأمر بها أن ترفع ويُؤتى بها. ^(١) فُعلت وإذا فيها :

أَمَّا مَزِلًا بِالْذَّبْرِ أَصْحَحْ خَالِيًا! • تَلَاعَتْ فِيهِ شَمَالٌ وَدُورُ!

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْكُنْ بَيْتُ أَوَانِسَ • وَلَمْ تَبْحَثْ فِي فِائِكَ حُورُ.

وَأَبْنَاءُ أَمْلَاقٍ عَبَانِمُ سَادَةٌ ^(٢) • أَصَاغِرُهُمْ عِدَالَتُهُ كَبِيرُ.

إِذَا لَيْسُوا أَذْرَاعُهُمْ فِصْرَاغُمُ • وَإِنْ لَيْسُوا تَيْجَانُهُمْ فُدُورُ.

إِلَى هِشَامٍ بِالرُّصَافَةِ فَاطِطُ • وَفِيكَ أَبْنَاءُ دَابِرٍ وَهُوَ أَمِيرُ

إِذَا الْعَيْشُ غَضُّ وَالْخِلَافَةُ لَذَنَةٌ • وَأَنْتَ طَيْرٌ وَالزَّمَانُ غَيْرُ.

(١٤٥)

(١) في الأصل • سرك • (بدون نقط). وقد صححت بما يقتضيه المقام، بقدر الإمكان.

(٢) أي منسوبون إلى عبد شمس. وفي ياقوت • عيانهم وهو تصحيف.

(٣) في ياقوت صهيهم. وهو أنسب

وروصك فَيَانُ يَذُوبُ بَصَارَةً * وَعَيْشُ بَنِي مَرْوَانَ فَبِكَ يَضِيرُ.
رُويَدَكَ إِنَّ الْيَوْمَ يَبْعَثُهُ عَدُوٌّ . وَإِنْ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تُدَوِّرُ!

فلما فرأها المنوكل ، أرماع ونطير . وقال أعوذ بالله من شرِّ أقداره ! ثم دعا
بالديَّانِي وقال . مَنْ كُتِبَ هَذَا " قال : والله لأدري ، لأني قد نزل أمير المؤمنين
هنا ، لا أملك من أمور هذا الدبر شيئاً . يدخله الجحد والشاكرية . وغاية قدرتي أني
مؤاخر في فُلَاجِي . فهمَّ نصرت عُمَّة وإخرا ب الدبر . فلم يزل به الصبح بن حاقان حتى
كف . ثم طهر أن الذي كتبها رجلٌ من ولد رَوْح بن زِيْناع ، صاحب عبد الملك ،
وأمه مولاة لهشام .

دير حطورا - هو في شرق طرابلس ، في جانب الوادي . الذي أسفل من
طريقه والحَدَث .

وهو بقاء في سَفْح الجبل . من ذلك الجانب ، قُبالة الطريق السالك إلى طرابلس .
وهو حصين جداً ، لا يسلك إليه إلا من طريق واحد . وظهر الجبل الذي له ممنع .

دير البنات ^(١) - وهو دِيرٌ أبيضُ الباء ، مشرفٌ على أرض طرابلس . له دِكرٌ .

حكى أَنَّ الطَّبِيَّ أَنَاهُ فِي يَوْمٍ شُعْشَعَتِ شَمْسُهُ ، وَأَثَرِعَ كُؤُوسُهُ . وَكَانَ الْفَصْلُ
رَبِيعاً قَدْ اسْتَطَالَ فِيهِ الدَّيَّانُ ، وَطَلَّ الْحَسَنُ تِلْكَ الْبَنَاتِ . وَفِينَ كُلِّ عَذْرَاءٍ تَهْدِشُ
الْمُنْتَصِرَ ، وَتَحْيِرُ الْمُتَحَيِّرَ . وَكَانَ فَدِ صَحْه غَلَامٌ ذُو عَذَارٍ أَخْصَبَ بِهِ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ ،

(١) ذكر المقرئ دبر بن اللباب بالهارة وهما غير هذا الذي ذكره ابن فضل الله ها . (أنظر "الحفظ"

وقذف موج الخلة منه العبر إلى الساحل . وطأت عليه قطائع المدام ، وأمن شائع
الملام ، وتقلب بين غلامه وعلام . فقال :

دير البات الرهر أنت المني ! . وأنت من دون الأمان المرام !

لم أنس يوما فك أذهبهُ . بالله بل ذهبهُ بالمدام !

ومحن في غمره أباينا . والعيش مثل الطف حلوا لآلام .

والدُوح ما جفت له زهرة . والروض طفل ما جفاه الغمام .

وبينا خود كشمس الصبحي . وأغيد قد فاق بدر التمام .

لولا نبات الشعر في خده * لم تدر أي الأعيدين العلام .

دير كفتون - وهو ببلاد طرابلس . مبني على جبل . وهو دير كبير . وبناؤه

بالحجر والكس ، في نهاية الحوذة . وبه ماء حار . وله حوض كبير مملوء من شجر

البارنج . يُجَل مارنجيه إلى طرابلس . يباع بها . ويرتقى بمه الرهبان . وله مُستشرفٌ مطلٌّ

على البلاد والمزارع . ومه مكان يشرف على المدينة على البحر .

ولهذا الدير صيغٌ جائلٌ وسمعةٌ مذكورة . وبه رهبان كثير العدد . والنصارى

نقصده ، ويحمل إليه الدورية . وبقصده كثير من أهل البطالة والاهو ، للدمرج به

والتنزه فيه . ١٥

وفيه يقول الطيّبي :

أدبر كفتون نكفى كل نابيه من الهذوم ولقى كل سراء !

من كل خصراء في الأشجار مائسة . وكل صهباء في الكاسات حمراء .

حلال في دير كفتون ولا عجب . إذ مت سُكرا بجمراء وخصراء !



دير القاروس ^(١) - على جانب اللاذقية ، من شمالها . وهو في أرض مستوية .
وساؤه مربع . وهو حسن البقعة .

وفيه بقول أبو علي حسن بن علي الغزّي :

لم أنس في القاروس يوماً أيضاً * مثل الحبس يزيه ورع الدجى !
في ظل هبكله المشيد وفد بدأ * للعين معفود السكينة أبجاء .
واللاذقية دونه في شاطئ * بلوره قد زين الفير وزجا .
ولدى من رهانه متمسك * أضفى امرط جماله مترجا .
أحوى أغش إذا تردد صوته في سمع رذا احتجاج ذوى الحجى .
لاشئ أطف من سمائه إذا حث السُمول ولغظه قد جالحا .
فله والليوم الذى فضيه * معه بكائى لا لربع قد سجا .

دير فيق ^(٢) - وهو في طهر فيق ، بنها وبين بحيرة طبرية ، في لحف جبل يتصل
بالعربة . معور في الحجر . وهو عامر بمن فيه ومن برده عليه . والبصاري نفصده وتعظمه .

قال السابقي : ويزعم أنه أول دير عُمل وأن المسيح (عليه السلام) كان
يأوى إلى ذلك الموضع الذى عمل به هذا الدير . ويحلس إلى ذلك الحجر . وكل من
دخل من البصاري ذلك الموضع ، كسر من ذلك الحجر : تبركا به . وعمل في هذا الدير
موضع على اسم المسيح ، (عليه السلام) .

(١) أنظر "فتح البلدان" للبلادى (ص ٣٥٧) .

(٢) أنظر باقوت (ج ٢ ص ٦٨٤) .

قال : ولأني نواس فصيده ، يذكر فيها هذا الدبر ويحاطب فيها علاما بصرا نيا كان
يهواه . منها :

بعمودية الدين العسوي ، بحر طبلطها ، بالخالس !
تُحجّل فاصداً ماسر حسان . فدير الوهار فدير مقي !
وبالصلب الجني وقد نذب . والزنار في الخضر الدوق !
وبالحسن المركب فيك إلا رحمت نحيري وجفوف ربي !
أما والقرب من بعد الثاني ، يمين في لفاتله عنس !
لقد أصبحت رية كل بكر . وعبداً مع حنائك والعقوى !

(٢٢٧)

دير الطور - والطور حل مستدير ، منسع الأسفل ، لا يعلو به شيء من الحمال ،
ولبس له إلا طربق واحد ، بين طبرية واللقون . مشرف على العور والمرج وطبرية .
نزّه ، وفيه عين منبع بماء غرر . والدر في الصلة ، مني بالخر . وحوله كروم كثيرة ،
يعتصر منها . ويعرف بدبر التجلي . لأنهم برعهم أن عيسى تحلى به لتلاذذه ، بعد أن
رفع حتى أراهم نفسه وعرفوه .

وللهلhel بن يموت بن المزرع فيه .

مضيت إلى الطور في فيه . سراج التهورض إلى ما أحب .
كرام الجود ، حسان الوجوه ، كهل العقول ، سباب اللعب .

(١) ذكره باقوت باسم دير طور سيبا (ح ٢ ص ٦٧٥) . وهو ناشام . وهو غير المتصور قدما وحدنا
في شبه جزيرة الطور باسم دير الطور (المعروف الآن باسم دير طور سيبا) الذي سيأتى الكلام عليه باسم كيبسه
| ودير | الطور في ص ٣٧٢ .

فأَيُّ زَمَانٍ بِهِمْ لَمْ يُسَرَّ * وَأَيُّ مَكَانٍ بِهِمْ لَمْ يَطَّبْ؟
 أَنْحَتُ الرِّكَابَ عَلَى دِيرِهِ - وَقَضَيْتُ مِنْ حَمِّهِ مَا يَجِبُ.
 وَأُثِرْتُهُمْ وَسَطَ أَعْتَابِهِ + وَأَسْقَيْتُهُمْ مِنْ عَصَبِ الْعِيبِ.
 وَأَحْصَرْتُهُمْ قَرَأً مُشْرِقًا تَمَلُّ الْعُصُونُ بِهِ فِي الْكُثْبِ.
 نَحْتُ الْكَؤُوسَ بِأَهْرَاجِهِ - وَمَرَسُومَ أَرْمَالِهِ بِالْعَجَبِ.
 وَمَا مِنْ دَاكِ حَدِيثٍ بَرُّوْهُ - وَحَوْصُ لَهْمٍ فِي قُيُوفِ الْأَذْنِ.
 فَيَا طِيبَ دَا الْعَيْشِ لَوْلَمْ يَزَلْ وَيَا حَسَدَا السَّعِيدِ لَوْلَمْ نَعْبُ!

وَأُنْسِدَ لَهُ الشَّاسِقِيَّ فِي مَحْوٍ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْأَرْبِ، وَفَعَدَ دَعَا نَوَارِ الرَّبْعِ إِلَى سُرْبِ
 آسَةِ الْعِيبِ:

١٠ قَدْ أَبَابَ لِي الرِّاضُ مِنَ الرَّهْرِ عَرِيبَ الصُّبُوفِ وَالْأَنْوَابِ .
 وَبَدَأَ السُّبْحَ الْمُنْفَجَّ رَوُّهُ . مِنْ جُفُونِ الْكَافُورِ الرَّعْرَافِ .
 وَفَقَّ الطَّلُّ فِي الْحَاخِرِ مِنْهَا نَمَّ مَاسَتْ فَأَنْهَلُ مِنْهُ الْجَمَانِ .
 بِأَعْلَامٍ أَسْقَى فَقَدْ صَحَّحَ الْوَقْنَئُ وَقَدْ تَمَّ طِيبُ هَذَا الزَّمَانِ !
 أَذِنَ مِنِّي الدَّنَانُ ! صَبَّ الْأَبَارِ سَقَى ! أَسْتَحِثُّ الْكَؤُوسَ ! صُفِّ الْقَنَانِ !
 ١٥ بِأَدْرِ الْوَقْنَئَ وَأَعْنِمِ فُرُصَ الْعَيْشِ وَلَا تَكْذِبَنَّ الْعُمُرُ فَاثِ !
 وَكَذَلِكَ أَنْسِدَ لَهُ قَوْلُهُ :

زَمَانُ الرِّبَاصِ رَمَانُ أَنْيَقِ * وَعَيْشُ الْخَلَاعَةِ عَيْشُ رِقِيقِ !
 بَهَارُ بَيْرٍ بِهِ عَيْرَةٌ * عَلَى زَجْجِيشٍ وَشَقِيقِ شَقِيقِ .

مَدَاهِنُ يَجْلَنَ طَلَّ السَّدى + فِهَاتِيكَ بِسْرٍ وَهْدَى عَمِيقُ !
وَبَادِرِ بِأَحَادِيثِ الزَّمَانِ * فَوَجْهَ الْحَوَادِثِ وَجْهَ صَبِيقُ !

وقوله في مثله :

قَدْ قُدِّمَتْ لِّلسُرُورِ أَتْفَالُ + وَحَتَّ سَهْرَ الصَّمَامِ سُؤَالُ .
وَأَمَّلَ اللَّيْلُ لِأَبْسَا حُلَلًا * مِسْكَنَةً مَالِهِنَ أَدْبَالُ .
وَأَهْتَرَّ غُودٌ وَحَنٌّ مِنْ طَرَبٍ * شَوْقٌ وَعَنَتْ بِالرَّاحِ أَرْطَالُ .
فَاغْتَمِبُوا فُرْصَةَ الزَّمَانِ وَلَا * تُفَرِّطُوا فَالزَّمَانُ مُغَالُ !

دير المصلبة - وهو بظاهر مدينته القدس الشريف ، في سامها مغرب ، وهو دير
رومى قديم الساء ، المحر والكلس ، تحمك الصمعة ، موقق البقعة ، في بحيره من أشجار
الربوب والكروم وشجر الين ، بإراء قرية ، نجري على الدير بمرسوم السلطان . ١٠

وهذا الدير دخلت إليه ورأيت . وفيه صور نوابه في عابه من محاسن التصوير ،
واسبب المقادر . وصعدت إلى سطحه ، فرأيت له حسن مشرف وسعة فضاء .
ورهبانه من الكرج .

وقد كان أحد هذا الدير ، وجعل مسجدا للمسلمين ، وأعلن فيه بالأذان وأقيمت
الصلاه . ثم أعيد ديرا للنصارى ، وضرب فيه بالنافوس وأظهرت فيه كلمه الكمر . ١٥
وواصل إلى هذا بكناب أحصر من ملك الكرج ، وأعانه عليه هوم آخرون .

ورأيت عند الحافظ العلامة أبي سعيد العلاني وعد سائر العلماء والصالحاء بلاد
القدس من إعادته إلى النصارى ، ما هو هدى عيونهم إلى أن يغفل ، وشيخ حلوهم إلى
أن يُسترد .

صار مسجدا
ثم ديرا

(٢٢٤٩)

وعلى الله نذر إياي وصلب لدى إلى هذا لأرددتها حتى يرزأ! ولهذا القصد،
نشهد الله العظيم، وقصده.

بدر المونف

وحدثني رهبانه أن عليّ دبرهم وقونا في بلادهم، منها خيول سائمة تُعمل أثمانُ
ساحها إليهم، وأنه نحي، ومها في كل - سه قدر جليل، وأما تنقي في مصالح الدبر
وأن السبيل.

دوف الدبر

وفيه يقول أبو عليّ حسن الغري:

يأحسن أماناً فمَنَعَتْ هَيْئَةً بالدبر حبّ السبب والرَّسُولُ!
دبر المصْلَبَةِ الرُّمَحِ بِأَوْدِ نَسِيْدِي عِبْرَ زِيَاهِ ذَارِينُ!
فِي طِلِّ هُكْلِهِ وَأَشْرَابِ الدُّمَى مَجْلُوَّةُ وَالْمَرْمَرُ الْمُسَوُّوْ
وَمُرْتَبِيبَ إِذَا تَلَّوْا إِنْجَاهَهُمْ وَبَعْطُوا خِثَامَهُ وَعَصُوبُ
عِزْلَانِ وَحَرَّهُمْ وَبَيْنَ جُفُونِهِمْ لَأَسْوَدَ بِلْسَةٍ إِنْ عَرَضَ عَرَبُ
زَعَاوُ الْغَالِبِ وَالْمُسَوِّحِ فَرُخِرَفَتْ مِمَّنْ عَرَّرَ السَّمُوسُ وَوَجُوْ
وَسَعَوْا بِكَاسَاتِ الْمَدَامِ وَمَا ذَرَوْا أَنْ لَلْكُؤُوسِ الدَّائِرَاتِ جُيُوْ
فَقَضَيْتَ بَنَهُمْ زَمَانًا لَمْ يَزَلْ عَدَى إِلَيْهِ تَسْوَقُ وَحَبِيبُ
لَكَ الْمَارِلُ فَدَسْتَحْزَنَ مَدَامِي لَا مَصْرُ فَاطِبَةً وَلَا حَيْرُوْ!

١٠

١٥

دبر السميع - وإلى الباب المقدس، على تشرع، مشرف على الفور، عور أرينا،
يطل على تلك البساتن الخضر ومجرى الشريعة، وبه رهبان ظراف أيكاس.

دبر السبي

ولا بأنهم إلا قاصدٌ لهم أو ماز في مزارع الغور. تحتهم وفوقهم الطريق الآخذ
إلى الكتيب الأحمر. وقبر موسى عليه السلام في الصه التي بناها عليه الملك الظاهر
بيبرس.

وفي هذا الدير ومشتريه، وأطلال قللته وغرفه، قلت:

(١٢٥٠)

أرى حُسْرَ دبر السَّيقِ يزدادُ كَلَمًا . نَظَرْتُ إِلَهَ وَالْمَضَاءِ بِهِ بَصْرًا !
بَنُوهُ عَلَى تَجَدُّدٍ عَلَى الْغُورِ مُشْرِفٍ . كَنَحَبِ مَالِكٍ تَحَهُ بِسَطِّ خُصْرٍ .
وَأَسْرَقَ فِي سُودِ الْقَمَامِ كَأَمَّا . تَسَقَّفُ لِلْأَعْنَ حَلَابَةِ الْعَجْرِ .
وَقَامَ عَلَى طُودٍ عَلَى كَأَمَّا . مَصَابِيحُهُ نَحْتِ الدُّجَى الْأُنْحَمِ الزُّهْرُ .
وَزُقَّتْ إِلَهُ السَّمْسِ مِنْ حَنْبِ خَدْرِهَا . وَنَاعَاهُ حُجَّحَ اللَّسَلِ فِي أَفْقِهِ الدَّرُّ .
وَأَلْفَ إِلَهُ الرِّيحِ فَصَلَ عَيْنَهَا . وَأُخِيَّ عَلِمَهَا لَا تُتَلُّ لَهُ عُذْرُ .
وَلَوْ كَانَتْ كَالسَّرَنِ هَا أَنْ أَرَاهُوه . وَلَكِنَّهُ فَدُ حُطَّ مِنْ ذُوهِ النَّسْرِ .
عَلَا نَهْرَ رِيحَا وَالْحَجَرَةِ فَوْقَهُ . مِمَّنْ مَوَّهَ نَهْرٍ وَمِنْ تَحْنِيهِ نَهْرُ .

دير الدواكبس - سرقى القدس . وهو دير حسن البناء، له من الأمصارى سمعه . د. النواكس
وذكر، ولا أعرف نانه، ولا وفقت له على اسمه . ولا على السبب الذي سُمِّيَ به بهذا
الاسم . عبر أن له وقفًا يعود منه على الرهبان السكالك حامل فائده وبقع .

وفد مررت به غير مره في أسقارى، ونخرج إلى رهبانه منسور ما عاهاهم .
المؤلف به
وفيه قلت :

أُنْجِ بَابِلَ عَلَى دِيرِ الدَّوَاكِيسِ - وَأَيِّتْ إِلَى قَرْعِ هَانِيكَ النَّوَابِيسِ !
 وَأَجِسْ مَعَ الْعِيسَى الرُّكْبَ فِي طَرَبِ * طَوَّلَ الزَّمَانَ وَلَا تَرَحَّلْ مَعَ الْعِيسِ !
 وَأَنْظُرْ مَعَ الصُّنْحِ هَانِيكَ الشَّمُوسَ صُحَّى * وَحَلَّ عَكَرِ بَاطَانِ النَّوَامِيسِ !
 وَأَسَأْ مِنْ الدَّيْرِ خَمْرًا كُلُّهَا دَهَبٌ * يَكِلَا هَذَاكَ فِي حَرْبِ الْمَقَالِيسِ !
 وَحَلَّ كُلَّ شَيْخٍ كَبَّ نَعْمَهُ ! * فَكَّرَ تَرَ الْكَيْسَ فِي الْإِنْفَاوِ لِلْكَيْسِ !
 وَأَنْعَمْ وَلَدًا بِمَا فَصَّتْ مِنْ وَطَرٍ * وَطَرُ سُرُورًا إِلَى نَلَكِ الطَّوَابِيسِ !
 وقلت :

دَرُّ الدَّوَاكِيسِ أَمْرٌ بِسُ الطَّوَابِيسِ " أَمِ الشَّمُوسُ سَاءَ نَلَكِ الشَّمَامِيسِ "
 هَاؤَيَّ الْمَاسِبِ لَكِنْ عَدَاؤَتِهِمْ مِمَّ نَعْدُونَ فِي حَرْبِ الْمَقَالِيسِ !
 فَانْزِلْ بِهِ وَأَقِمَّ فَمَا تُرِيدُ وَقُلْ إِمْلَا كُؤُوسِي وَفَرِّغْ عِنْدَهَا كَيْسِي !
 وَأَفْذَحْ زِيَادَ سُرُورٍ مِنْ مَدَامِيهِ هَذِهِ الدَّارُ مِنْ تَلَكِ الْمَقَالِيسِ !

دِيرُ رَمَانِينَ ^(١) - قَالَ الْخَالِدِيُّ - هُوَ بِالسَّامِ، وَلَا أُدْرِي فِي أَى نَاحِيَةٍ هُوَ مِمَّا .
 وَلَكِنْ قِيلَ إِنَّهُ كَبِيرُ حَسَنٍ عَامِرٍ . وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 قَالَ : أَخْرَجْتُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِي إِلَى التَّامِ ، فَدَخَلْتُ أَنْطَاكِيَةَ ، فَمِنَا أَنَا فِي بَعْضِ
 أَسْوَاقِهَا ، إِذْ قَصَصَ عَلَيَّ بَطْرِيقٌ مِنْ بَطَارِفِهَا . وَلَمْ يَكُنْ حَتَّى أَتَى دَارًا فِيهَا تَرَاتٌ
 وَحَدَلٌ . وَإِذَا مِسْحَاهُ وَزَيْمَلٌ . فَقَالَ : أَتَقُلُّ هَذَا مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا . بِشِيرِ
 فِي ذَلِكَ بَيْدِهِ . وَتَرَكَنِي وَهَضْبِي . فَتَمَاصَرْتُ فِي نَفْسِي وَخَفَقْتُ الْعَبْرَةَ وَفَعَدْتُ ،

فلم أعمل شيئا . وكان أعلى على باب الدار حين مضى . ثم عاد إلى بعد ساعة .
وكان يوما شديد الحر . وإذا هو عريان ، مُشْحَبَسِيْدِيَه يَبِيْنُ منها جمع بدنه . فلما
رأى التراب والجندل بحالهما ، قض على وَجَعَ يده وضرب بها لُعْدِي ، صرْبَةً أفرح
بها قلبي . فقلت : نكلك أمك ، ناعمر ! ما هذا الاستخذاء للعلاج . وأفضُّ عليه
فأطرحه تحتى وأخذ المسحاح . فأصرب بها رأسه ، صرْبَةً فَلَقْتُ بها دماغه .
ومات . وبادرت هاربا من المدبنة . وسرت من يومى وليلى ، فصَبَّحتُ ديرا ،
ودخلته . فلما رأى راهبه قال : أصف أنت ؟ قلت : نعم . وكنت قد أعنتُ ،
فاصططجت نائما ما شاء الله . ثم أقظنى الراهب وقال : من أين أنت ؟ قلت :
من مكة . فصعدَ نظره وصوبه . ثم قال : ما اسمك ؟ قلت : عمر . فأنرح كتابا
عده ونظر فيه ، وأعاد في مراب . ثم وثب فقبل رأسي . فقلت : ما حملك على
هذا ؟ فقال : هل طهر عددك رحل بذكر أنه نبي .

وفد كان وقع لي نبي من حر اللى ، صلى الله عليه وسلم . فقلت : قد سمعت بعض
الاسيد كرماسا لثعه . فقال : أعلم أنك وحق المسيح ستملك أكبر الأرض . ونحرب
هرقل من الشام . وبعاب علمها . فاكبت لي أنا ، ولد برى . فقلت : نا هذا ! ما أدري
ما بهول . فقال : هو ما أقوله لك ، وأنت حولا محالة . فجعلت أتحب منه وأدفع قوله ،
وهو يلح على في سؤاله ذلك . فلما أطل . قلت : ما تريد ؟ فقال : كالك . وأنا في نطقه
من آدم . فكبت له ما أملاه على من ترك الخراج والوصاة به . ولغة مع كتابه ذلك .
وأكرم متواى . وبكرت غلدا من عده . فأسرح لي حماره وقال أركها . فإنك أتمر
بدبر ، فيراها راهبه إلا أكرمك . وإذا بلغت آخر دير لي لذك ، نخلفها عند سكاكته .
وزودنى وأنصرف .

وقال إن عمر لما نرح إلى بيت المقدس، لقبه الراهب، وهو شيخ كبير، بكتابه
ودكره الأمر. فقال عمر: هذا كتبه في الجاهلية، وقد أتى الله بالإسلام. ولا يحل
لي بضيع في المسامين. ولكني أفاطعك على إخراجك بما فيه مصلحة لك ورفعك لك.
فقال: قدر صبت. ففاطعته على ما فيه روي به.

قال الخالدي: وقال إن الزهاني سوارثون الكتاب إلى وفاس هذا، وإن الولاية
نصيه لهم.

دير هزقل^(١) - قال الخالدي: هو بالسام. ولا أدري في قرب أي مدينة هو.

وقد ذكره دعل بن علي حين هجا أنا عماد، كاتب المأمون، فقال:

مكأنه من دير هزقل مقل^(١) - حقيق بحر سلاسل الأفناد

وحكى المبرد قال دخلت دير هزقل^(١). وسألت رهبانه: هل فيه مجنون طيب الكلام.
صحك أنا وصحى منه^(٢) قالوا: هاها. وأومؤا إلى إنيوان مرزوق في الدير^(٣). وقالوا: هم
هناك. فإن أحببت النظر إليهم فاص ولا تذب من أحد. ففعلت. ورأيت مراتبهم
على قدر بلاياهم. وكان معي وقت دنوى مهم المولى على أمورهم. فلما رأوه معي
أهتلوا. ورأيت شحنا مهم على حصير يطف. ووجهه إلى الصلة، كأنه يريد الصلاة.

(١) في ياقوت هزقل بالزاي المعجمة. قال وأصله حزيل مقل إلى هزقل. والذى في نسخة الأصل عدا
أراء المهمة. واعتمدت رواية ياقوت لأن ورد الشعر التالى فتعنى السكون. (وأظهر كلامه عليه

في ح ٢ ص ٥٤٢ و ٧٠٦)

(٢) في الأصل. وأومئ. وربما يكون أراد الراهب أو رئيس الزهاد.

(٣) في الأصل. فاذ. وأنظر الحاشية السابقة.

فأوزته إلى غيره . فقال : سبحان الله ! أين السلام ؟ مَنْ ترى المجنون ؟ أنا أم أنت ؟
 فاستحييتُ منه وسألت . فقال : لو كنتَ بدأتُ ، لأوجبتُ عليا حسن الرد . على أنا
 نعتذر لك أن للدخال على القوم دهشة . اجلس ، أعزك الله عدنا . وأودأ إلى موضع
 من حصيره فقصه ، كأنه يُوسّع لي . وعزمتُ على الدق منه ، فمغنى فمهم . فوفقتُ
 ٥ أَسْتَجَلِبُ مخاطبه . فسألتُ ، فقال : من أين أنت ؟ قلتُ : من البصرة . قال : أتعرف
 المازني ؟ قلتُ : نعم . قال : أتعرف الذي نقول فيه :

وفتًى من مازنٍ * سادَ أهلَ البصرة .
 أمه معروفةٌ * وأسوه بَكْرَةٌ

قلت : لا أعرفه . قال : أتعرف علما قد نفع في هذا العصر ، معه دينٌ ، وله حفظٌ .
 وقد برز في النحو ، وصار يخلف صاحبه في محاسنه ، يعرف بالمترّد . قلتُ : أنا عن
 ١٠ الخبر به . قال : فهل أنسدتك من عتات شعره ؟ قلتُ : لا أعرفه قال شعرا . قال :
 بل هو الفائل :

حَذَا ماء العنْفِيدِ يربو العايَاتِ !
 بهما بَيْتُ لَحْمَى * ودَمِي أَيْ نَانِ !
 أَيْهَا الطَّالِبُ سَيْتًا * مَنْ لَذِيذِ السَّهَوَاتِ :
 ١٥ كُلُّ مَاءِ الْوَرْدِ هَـ * حَ الْخُلُودِ الْبَاعِمَاتِ !

قلتُ : أما تستحي من إنسَاد مثل هذا الشعر في الدبر ؟ فقال : سبحان الله . هل
 تستحي أن تُشَدَّ مثل هذا ، حولَ الكعبة ، دَعُ عك هذا . إني سمعتُ الناس يقولون
 في نَسْبِهِ . ثم لم يرلُ بي حتى عرفني . ثم قال : أحوجتني إلى الاعتذار إليك . ثم قام إلى

اصاحني . فرأيت الفسد في رجليه قد شددت إلى خشية في الأرض . فاهنت عائلته .
ثم قال لي : يا أبا العباس ! ضن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع . فليس بها
لك كل وقت مصادفه مثل على مثل هذه الحالة الجميلة ! أنت المبرد ! أنت المبرد !
وجعل يصفق . وقد أنفلت عساه ونفريت حلته ، فبادرت مسرعاً ، وخرجت .

د بوس دبر يونس^(١) - حكى رجل من أهل أطاكة قال : حدثني أبي قال : زلت مع
العصل بن إسماعيل بن صالح بن عبد الله بن العباس في دبر يونس ، ونحن خارجون
إلى ناحية الرملة . فرأى فيه جارية حساء . أبه أنفس كان فيه . لخدمته مدة مقامه
ثلاثة أيام ، وجاءته بشراب صاف عنق . فلما أراد الانصراف أعطاها عشرة دنانير
ورحل . وقال في طريقه :

١٠ عليك سلام الله نادر من فتى ثمَّجِّه سَوْفَ إِلَيْكَ طَوْلُ !
ولا زال من نوء السماء كهي وائل عليك عما يروى نراك هَطُولُ !
بعلك بها برهه بعد رده سحاب بأحار الراض كَيْفُلُ !
إذا نل أرصادمعه أن منظر ها لعبوث الناظر بن جميل .
كأن البروق الواصاب نحوه صفائح تيرق السماء مجول .
الأرت ليل حال ود صدعه وليس معي عتر الحسام حليل .
ومنه ولة أوقدت منها الصحنى مصاسح ما يخو لمن قبل .
تعالني بالراح هواء عاده يحال عليها للقلوب كَيْفُلُ .

(٢٩٩)

نحول المسامنة حين إذا غدت . ملاحظها من الصلوب تجول .
أنا آتية قس الدبر فلي مدله . عليك وحسنى مدعت عالم !
وفه يقول أبو شاس :

مادير نوس جادت سرحك الدبم . حتى ترى باطراً بالبور يتقسم !
لم يسف في ناجر ماء على طمما . كاشفى حرقلي مأوك السيم .
ولم يحلك محزون به سقم . إلا تحلل عنه ذلك السقم .
استغفر الله كم لي فيك ذو غنج . جرى على به في ريعك القلم .
وهول أيضا :

لا تعدل عن أبنة الكرم . بأني فيها صمة الحسم !
لو لم نكن في شربها فرج . إلا الحطص من بداهم !
وهول أيضا أبو شاس :

أعاذل ماعلى مثلى سبيل . وعدلك والمدامة مستحيل !
البس طيني حقوى علام . ورحل أمانلى كاس شمول !
إذا كان بسان الكرم شرى . وفيه وجهى الوحة الجليل .
أمت يذن عاقبة الليالى . وهان على ما نقل العدول !
١٥

دير بصرى - هو بالشام . وقبل هو الذى كان فيه بجيرا . الراهب .

(٢٥٥)

حكى المازنى ، قال : نزلت بدير بصرى . فرأيت في رهبانه فصاحه ، وهم عرب
منتصرة من طي ، من بنى الصادرة . أفصح من رأيت . فقلت لهم : ما لي لا أرى فيكم

ساعرا، مع فصاحتكم“ فقالوا . والله! ما فسا رجل ينطق بالشعر، إلا أمةٌ لما كبيرة السن . فقلت : جئوني بها . فجاءت . فاستندتها . فأنسدني لفسها :

أبارقته من آل بصرى تحملت . نوم الحمى لقيت من رقيقة رُشداً !
إذا ما بلغتُ سالمين فبلغوا تحمة من قد ظن أن لا يرى تحداً .
وقولوا : تركنا الصادري مَجَلَا . نكَلِ هوى من حُكم مُضمر و جَدَا .
فما لتي سُعري هل أرى جانب الحمى . وقد أنبت أجراؤه بقلاً جعداً !
وهل أريد الدهر ماءً وقبعه . كأن الصبا تُسدي على مَنته برداً .
فوهت لها دُرهماب . وث في دبرهم وأكرموا صابني .

دير الخمان - وهو دبر بيلاد أدرعاب منى بالحجارة السود . على شتر من دير الخمان

الأرض . بُسُرف على بركة الفوار وهو من الساء الرومي القدم .

أنبت عليه في أسفاري عبر مره . ورأيت مره به علاماً قد خرج من كيسه ،
كأنه الظبي الكائس . فقلت :

مادبر عزة في ربي الخمان . دَرَبَ عليك السُّحبُ بالهملا !

وسفتك كل عَمامة هَيَاة . تحو مواطرها على الكُبان !

لم أنس في اللذات ساعة مبرل . بُرناك فوق مَفايح العُدران !

والصح نحن لآله مَرْموميه . نَسَرَّ عليه عرائب الأولان .

وهناك كل كجِيل طرفٍ فاتر . نَعَزَى أواخظه إلى الغزلان .

مَرَمَسَحَى كَأَن حَيْسَهُ . مدر الدجى في الصف من شعبان .

في وحنته حتى وُزِدَ أحمر . قد سبَّحوه بأخضر الرِّيحان .

ماشد زَنَارًا له في يمينه إلا وحل عزائم الرهاس!

يَتَسَيَّ السَّخُولَ ولا كرهه نغره سَكْرَى بها وطره الغاس!

دير صليبا^(١) - ويعرف بدبر الساعة . وهو بدمشق . مَطْلٌ على العوطة . وبلبه
من أبوابها . باب الفراديس .

٥ نزل دونه خالد بن الوليد ، أيام محاصره دمشق .

وهو في موضع زَيْد ، كثير البسائين . وبأوه حس عجب .

وإلى جابه دبر للنساء ، فيه رهبان ورواهب . وإياه أراد جرير بقوله :

إذا نذرت بالديارين أرقى ، صوب الدجاج وقرع الموافيس .

قال الخالدي . ومما يدل على أنه إلى باب الفراديس ، قول جرير في هذا الشعر :

١٠ ففان للركب إحد الحاء بهم : ما بعد بَيْرِي من باب الفراديس !

وأشد فيه قول الآخر ، وهو :

بادير باب الفراديس المهجلى . بلابلًا بفلاليه وأبحجاره !

لوعسب نسعين عامافين مصطيجا لما قضى منك فلي بعض أوطاره !

وحكى أن الوليد بن يزيد كان كبير المقام في هذا الدبر . يخرج إليه ، ودهه حُرَّة ،

١٥ استحسنًا له ، وأنه كان يخلص في أيام مقامه فيه في صحبه كل يوم ساعة من النهار

ثم يأكل ويسرب في مواضع منه : طيبه حسنة .

وحكى الخالدي عن أحد من كان ياديه ، أنه دعا بوا طعنا ، وأمرني بالعداء

معه ؛ وحضر ندماؤه ، وكان فيهم حُيَّو المعتي . فحس على المائة ، إذ قال له :

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٤ ح ٥ ص ٢٠) . وقد ذكر ديرا الحراسمه "دير صليبا"

٢٠ (ج ٢ ص ٦٧٤) .

بأحسب! عتبي البارحة في آخر المجلس - وقد أخذ الشراب متى - بسعر صاحبكم،
عيسى بن زيد، فلم أسبكل الطرب، لأجل سكرى . فاعده على الساعة . قال:
فأحد حنين رفاقه ووقع عليها وعنى:

بألتنى أوفدى البار! إن من تهوين قد حارا!

رُبَّ نارٍ أُرْمِها نَصَمَ الهندي والغارا!

عندها طي يوحجها - عاقِد في الحضر زارا!

(٢٥٧)

قال: فطرب طربا عظيما، وأحد رفاقه، وفام وترك العدا، وحمل يقر عليها مع
حُبب . وأخذ كل من على المائدة رفاقه، وجعلوا يقرّون عليها مثله . ومضى
يطلب باب الدهليز، وحُبب والدماء حوله . والحاجب قد جلس ينظر جلوسه .
وقد حصر وجوه العرب، فلما رآه الحاجب على ملك الحال، صاح بالانس: الحرّم!
الحرّم! أصرّفوا! أصرّفوا! نخرحوا، فقال له: يا أمير المؤمنين! وفود العرب
ينتظر جلوسك، وأنت مخرج إليهم على ملك الحال! فقال: ثكلك أمك! أدخل.
ودعاه برطل، لخلف أنه مادافه قط . فقال: والله! لنسربن معي حتى أسكر .
ولم يزل يسقيه، حتى مات سكرًا وأصرف مجولا.

قلت: وهذا الدبر اليوم لا عين له ولا أثر، وإنما صار دورا وأبسه ومساجد
ومدافس، وهي بباحبه محله حمام النحاس، والله أعلم .

وهذه المحلة داري الى بنسها ومساكي . وههنا!

الدارين
المؤات بدمش

دير بونا^(١١) - وهو محاذ غوطة دمشق. ايس بكبر، ولا رهانه بكبر. ولكنه
في رباط مشرفة، وأنهار مدققة. ويقال إنه من أقدم ديرة الصاري. جى بعد
المسح (عليه السلام) ببليل.

وَأَجَازَ بِهِ الْوَلَدُ بْنُ رَيْدٍ، وَرَأَى حَسَنَهُ وَطَمَهُ، فَأَقَامَ فِيهِ أَمَامًا فِي تَحْقُوقِ، وَفَالِ فِيهِ :

حَمْدًا يَوْمَئِذٍ بَدْرًا يَوْمًا حَسْبُ نُسُقِي بَرَّاجِهِ وَنُفَى!
وَأَسْمَاءُ بِأَلْسَانٍ فِيمَا نَقُولُ ۖ نَ إِذَا حُرِّتُوا مَا وَعَدَ عَمَلًا!

قَالَ: وَهَذَا الدُّبُّ الْيَوْمَ لَا وَجُودَ لَهُ. وَهُدُوتُ الْأَرْضِ مِنْهُ مِنْ رَيْسٍ وَطَلٍّ. وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ حَادِثٍ كُلِّ دَرَجَةٍ جَلَّلٍ.

دیر سَمْعَانُ^(۲) - قال الخالدي: هو بواحي دمشق في المغرب من العوطة . على
قطعة من الحل . نِطْلُ عليها . وحوله بسابن وأنهار . وموصعة حسن جدًا . وهو من
كنار الدرّة . وعنده دُفْن عمر بن عبد العزيز . نَظَاهِرُهُ .

فلب: وهذا علطٌ من الحالديّ. وهكذا ذكره أبو المرح. وعلط أيضا. بات هذا

(١) انطاريقور (- ٢ ص ٦٤٩).

(٢) أن Sami Simeon . وأطرا القبطية (سلسلة II من ١٣٦٠-١٣٦٢، ١٣٧١) ؛
 "العمر، والحدائق" (ج ٣ ص ٦٣) و "اعية والإبراف" (١٩١٠) و "١٠٠٠" (ج ٢ ص ٢٦١) و "١٣٩" (ج ٣ ص ١٣٩) و "المخروبي" (ص ١٣١) و "المعقور" (ج ٢ ص ٣٦٨ و ٣٧٠) و "الأثير" (ج ٥ ص ٤٢) و "الكرمي" (ص ٧٥٣) و "ديقوت" (ج ٢ ص ٦٧١) و "١٣٩" (ص ١٣٩) و "أطرا أيضا" "مختصر الدول" (ص ١٩٨) .

الدير في قرية تعرف بالبحره، من قبلى معزة البعان، وبه قبر عمر بن عبد العزيز، مشهور لا شكر، وليس تُسمع بدمشق لهذا الدير اسم، ولا يُعرف لمكانه في عوطنه حصراء ولا بابسه.

عُدا إلى ما ذكره الخالدي، قال:ذكروا أنه دخله حررى يوم عيد، فرأى النساء والصبيان يسألون الصلّ ويسجدون لها، فقال:

رَأَيْتُ دَرَسَمَعَانَ صَلِيًّا تُقَلِّه النَّسْرَادُنُ وَالظُّلَاءُ.
تُعَظِّمُهُ الشُّسُوسُ وَتُخَوِّيه فَتَرَشُّمُهُ وَيُخَفُّهُ الْمَكَاءُ.
فَقُلْتُ لَهُمْ: «هَلْ عَيْرُ عَوْدٍ تَمْلِكُهُ أَعْوِجَاحُ وَأَسْوَاءُ»

وذكر أن الوندس بربد نرح مئزها وه، فأقام بصطيج ويعتق معه ندماء وه ومعمود، فخرج يوما، عبَّ سحاب، فمطر في صحن الدير عدران ماء، فاستحسها، وهرل على أكبرها وأكبرها ماء، وقال: والله! لا أرح حتى أشرب هدا كله، فمراجا لكأسي، وسرب حتى نام، فقال بعض أصحابه لبعض: انش أفاه حتى تفي العدير، طال علما متاما، فعملوا يخلون ماءه بالليل وصبوه في الزمال، فخرج بعد يومين أو ثلاثة، فمطر إليه وفد في ماء وه، فقال: أنا أبو العباس! وأمر بالرجل إلى دمشق، ومما سمعته من والدى، لأحمد بن هلال، في صمعه دبر سمعان، مما مدح السند
الرصي لعمر بن عبد العزيز.

مَا آتَى عَدَّ الْعُرَرَاوِ بَكَتِ الْعِيْنَ فَتَى مِنْ أَمْبَسَةٍ، لِبَكِيُكَ!
أَنْتَ زَهَبَا عَنْ السَّبِّ وَالسَّنَنِ! فَلَوْ يُمْكِنُ الْجَزَا، لَجَزَيْتُكَ!
فَبَرَّ سَمْعَانُ، لَا عَدْنَكَ الْغَوَادِي! - حَيْرُ مَيْتٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَيْتُكَ!

وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تسبب في إبطال السب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأثنت في الخطبة، ووضع السب، "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون".

وقد ذكر أبو الفرج أن صاحب دير سمعان دخل على عمر بن عبد العزيز بفكاكة يطرفه بها في مرصه. فقبلها منه، وأمر له بدراهم. فأتى أن يأخذها. فزال حتى أخذها. وقال: يا أمير المؤمنين! إنما هي من ثمر شجرنا. فقال عمر (رحمه الله) وإن كان من ثمر شجركم! ثم قال: يا صاحب دير سمعان! إني ميت من مرضي هذا. فخرن وبكى. ثم قال له عمر: نعي موضع قبري من أرضك، سنة، فإذا جاء الحول، فانتفع به. وهذا الذي حكاه أبو الفرج مؤكدا لهولنا.

(٢٥٩)

دير ممران^(١) - وهو بالعرب من دمشق، على تل في سمح فاسيون وبساؤه بالخص الأبيض. وأكثر فرسه باللاط الملون. وكان في هيكله صورة عجيبة دفيقه المعاني. وفلاطيه دائرة به، وأشجاره متراكبة، وماؤه يتدفق.

دير ممران

وحكى عن المبرد أنه قال: واجبت الشام - وأنا حلت في جماعة أحداث - لأكتب الحديث وألقى أهل العلم. فأجرت بدير ممران. فأجبت النظر إليه.

١٥

(١) أطهر الطرى (مجلد II ص ١٢٧٠ و ١٧٩٢) و "الأعالي" (ح ٦ ص ١٩٥ ح ٧ ص ٥٥ ح ١٦ ص ٣٣)؛ و "العيون والحدائق" (ح ٣ ص ١٢ و ١٣٧)؛ و "اليعقوبى" (ح ٢ ص ٢٧٢ و ٣٤٩)؛ و "الكبرى" (ص ٣٦٢)؛ و "آمن الأثر" (ح ٣ ص ٣٨١ ح ٥ ص ٢١٥ ح ٦ ص ٣٧٦)؛ و "جصوصا ياقوت" (ح ٢ ص ٤٠٧ و ٦٩٦ ح ٣ ص ٥٥٥ و ٧٧٧ ح ٤ ص ٤٨٠ و ٦٠٤).

فصعدناه، فرأيت منظراً حسناً . وإذا في بعض بيوتِه كهلٌ مشدودٌ حسن الوجه عليه أثر النعمة . فدنونا منه وسألنا عليه فرد السلام . وقال : من أين أتم ، يا فيان ؟ قلنا : من أهل العراق . قال : بأبي ! ما الذي أقدمكم هذا البلد الغليظ هواؤه ، الثقيل مأوؤه ، الجفأة أهله . قلنا : طلب الحديث والأدب . فقال : حبذا ! أنشدوني أم أنشدكم ؟ قلنا : بل أنشدنا . فقال :

الله يعلم أنني كمدُ - لا أستطيع أثبت ما أجد !
روحاني : روحٌ تقسمها - بلدٌ وأخرى حازها بلد !
وأرى المقيمة ليس ينعها * صبر وليس يصونها جلد !
وأظن عاتقي كشاهدتي - بمكايها تجد الذي أجد !

ثم أغمى عليه . فأفاق فصاح بنا فقال : أنشدوني أم أنشدكم ؟ قلنا : بل أنشدنا . فقال :

لما أأحوا قبيل الصبح عيرهم * ورحلوا ، فتأدت بالموى الإبل .
وأبرزت من خلال السجف باظرها - برؤي إلى ودمع العين منهمل .
فودعت بسايف حمله عثم ، * فقلت : لاحت رجلاك ! يا جمل :

وبلى من البين ماذا حل لي وبها * من بارح الوجد ! حل البين فأرحلوا !
إني على العهد لم أنقض مودتهم ! * فليت شعري ، لطول العهد ما فعلوا !

فقال له فتى من الحبان الذين كانوا معي : ماتوا . قال فأموت ؟ فقال له : مُت .
تمطى وتمدد . وما برحاً حتى دنأه .

وللصوريّ فيه، من شعر يقوله :

أمرٌ بديرٍ مُرَّابٍ فأحيا * وأجعلَ بيتَ هُوى بيتَ لُها .
صفتُ دُنْيا دِمَشقَ لمصطفيها . * فليس يُريد غيرَ دِمَشقٍ دُنْيا !
مُظَلَّلَةٌ فَوَاكهَنّ أبهى * وأنضُرُ في واطِرِنا وأهيا !
فإنَّ نِقاحةً لم تُعدْ خُدا ، * ومن رُمانةٍ لم تُعدْ ثُدا !

٥

وقد ذكره أبو العرج وقال : هو على تَلَمَّةٍ مُشْرِفةٍ على زعفرانٍ وورابضٍ حسانٍ . نزله الرشيد وشرب فيه . ونزله المأمون بعده . وكان الحسين بن الضحّاك مع الرشيد ، لما نزله ، فأمره أن يقول فيه شعرا ، فقال :

باديرُ مُرَّانَ ، لأعريّتَ من سَكِينِ ! * قد هَجَمَتِ لى حَرّنا ، باديرُ مُرَّانِ !
حُثَّ المدام فإنَّ الكاسَ مُتَرَعَّةٌ * مما يَهِيجُ دواعي الشوقِ أحيانا !
وأمرَ عمرو بن بانة ، فغنى فيه لَحِين .

١٠

وحكى عن إبراهيم الموصليّ أنه قال : مرّ الرشيد بديرٍ مُرَّانَ فاستحسسه ونزله . وأمر أن يَؤْتى بطعام خفيف . فأُتِيَ به ، فأكل ، وأُتِيَ بالشراب والندماء والمغنين . فخرج إليه صاحب الدير ، وهو شيخ كبير هَرَمٌ . فوقف بين يديه ، ودعا له ، وأسأذنه في أن يأتيه بشيء من طعام الديارات . فأذن له فاتاه بأطعمة نظاف ، وإدام في نهاية الحسن والطيب . فأكل منها أكثرَ أَكَلٍ . وأمره بالجلوس ، بجلس معه يتحدث ، وهو يشرب . إلى أن جرى ذكر بنى أُمَيَّة ، فقال له الرشيد : هل نزل بك أحدُ منهم ؟ قال : نعم . نزل بي الوليد بن يزيد ، وأخوه الغَمَرُ . فجلسا في هذا الموضع ، فأكلا وشربا وغَنَيَّا . فلمادبَ فيهما السكر ، وثب الوليد إلى ذلك الجُرْنِ هَلأه وشربه ، وملاّه

١٥



وسقوا أخاه القمَر . فما زالوا ينعاطيانه ، حتى سكرَا ، وملاّهُ لى دراهم . فظفر إليه الرشيد ، وإذا هو عظيم لا يقدر على أن يُقَلَّه ، ولا يقدر على أن يشرب مِلاَّهُ . فقال : أبا بنو أمية ! إلا أن يسبقوا إلى اللذات سبفا لا يحارهم أحدٌ فيه . ثم أمر برفع النبيذ ، وركب من وقته .

- ٥ . قُلْتُ : والباس في اختلاف : أين كان دير مُرّان ؟ فم فائل إنه كان بمشارق السَّحْب ، نواحي برزّه . والأكثر على أنه كان بمغاربّه ، وأن مكانه الآن المدرسة المعظمة ، وأما الذي كان بمشارق السَّحْب ، فهو دير السائمة المسمّى دير صليبا . وقد ذكرناه .

دير صيدايا

- دير صيدنايا - وهما آثان : أحدهما ينصده البصاري بالزبارة . هو في دِمة القرية . والآخر على بُعدٍ منها ، مشرفٌ على الجبل ، شمالها بشرو . وهو دير مار شرين ويُقصد للثّرة . من بناء الروم بالحجر الجليل الأبيض . وهو دير كبير . وفي طاهره عين ماء سارحة . وفيه كُوى وطافآت تُشرف على غُوطَة دِشَق وما يليها ، من قُليها وشرقها . وفيها ما يطلُّ على نواطس ما وراء ثَبَّة العُقاب . ويمتدّ النظر من طاقانه الشماليّة إلى ما أخذ شمالا عن بعلبك .

- ١٥ . وأما الذي في المرية ، فمن بناء الروم بالحجر الأبيض أيضا . ويُعرف بدير السيّدة . وله بستان . وبه ماء جارٍ ، في بركة تُحْمَلُ به . وعليه أوقافٌ كثيرة . وله مَغَلَّاتٌ واسعة . وتأتيه بذورٌ وافرة . وطوائف البصاري ، من الفرنج ، تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة .

(١) في الأصل . "وفي قرية صيدايا دير" . وقد كتب المؤلف هو الكلبين الاولين كلفي . "أما

الذي" تصحيح السياق المتقدّم . ولكنه فاته أن يصرح على تلك الكلمات الأربع .

وكنْتُ أراهم يسألون السلطان في أن يُمكنهم من زيارته . وإذا كَتَبَ لهم زيارةً
قُسامَةً ولم يَكُتِبْ معها صيدنايا ، يعاودون السؤال في كائنها لهم . ولهم فيها مُعتَقَدٌ .

والنصارى تزعم أن بها صدعا يَقْطُرُ منه ماءٌ ، بأخدونه للتبرك . ويدعونه في أوانٍ
لِطَافٍ من الرُّجَاجِ ، ويكسونها من فانر الثياب . ولهم فيه أقوالٌ كثيرة . وسمعتُ
نصرانية ، كانت معروفةً بينهم بالعلم ، تقول : إن ذلك الماء إذا أُخِذَ على اسم شخصٍ ،



وعلَّق في بيته ثم ازداد مقداره عده عما أخذه ، دلَّ على زيادة ماله وحاجه ، وإذا
نقص ، دلَّ على نقص ماله وحاجه وفُرب أوان موته .

ورأيتُ هذا الماء ، وله دُهْنِيَّةٌ تسبه السَّيْرَحَ أو الزيت الصافي ، وليس هما . تحقيقه شانه

وجاء مرةً كُتِبَ ريدفوس وكتب الأذفوس على أيدي رسلهم . ومما سألوا

فيها تمكين رسلهم من التوجه إلى صيدنايا للتبرك بها . فأجاب السلطان سؤالهم وحمل

الرسَل على خيل البريد إليها .

ومما قلده فيه .

شعره فيه

في جانبِ الدَّيْرِ لَنَا مَنَزِلٌ * وَمَنْهَلٌ عَدْتُ بِهِ تَهَلُّ

وشادِنٌ قَدْ جَاءَنَا أَحْزُورٌ * فِي كَفِّهِ كَأْسٌ لَهُ تُشْعَلُّ

وروصَةٌ تُشْرِقُ أَنْهَارُهَا * قَدْ شَقَّهَا فِي وَسْطِهَا جَدُولٌ

وَمُطْطِرٌ تُطْرِبُ الْحَانُةُ : كَأَنَّهُ إِسْحَاوٌ أَوْ زَلْزَلٌ

قَدْ وَكَّ الرِّاحُ فِي دَنْهَا * شَهْدٌ فِي الطَّعْمِ بِهَا فُلُكُلٌ

وَأَفَى بِهَا فِي الْكَاسِ لِكِنِّهَا * عَذْرَاءٌ مِنْ خُطْبِهَا تَحْجَلُّ

(١) أي ملك فرنسا : Re de France

(٢) أي ملك إسبانيا Alphonse وأسمه عبد الاسبايين Hdefonse

دِير شَقِّ مَعْلُولًا - وهو ساطن حُصَّة عَسَل، وهو ساء روميُّ المخر الأَبْض. در شق معلولا
مَعْلَقٌ يَسْفِيفُ، وبها صَدْعٌ فيه ماءٌ يَنْقُطُ، نحو الذي يصيدنا بـ، ويأخذه البصاريُّ
للتبرك، معفدين فيه نحو اعتقادهم في الآخر، وإثما الاسم للذي يصيدنا بـ.

دِير بَلُودَان - وبأوه فديم بديع الحسن، وافر الغلة، كثير الكرم والفواكه دير بلودان
والماء الجاري، مغرية بلودان، وهي محاذية لكهر عامر، بطلٌ من مُشْتَرَفِها على جبة
الزبداني، ببلاد دمشق، وبه رُجبان نِظاف، وغلمان من أبناء النصارى طراف،
مررتُ عليه، وزلتُ إليه، ورأيتُ به علاماً فوق الظني حُسنًا، وبشبهه البدر مرور المؤلف عليه
أو أسنى، بمحصر بحيل، وطُرف كحل. قد قطع الرأرأ بين خصره وردفه، وبعث
السحر بين جفنه وطرفه، ثم ما كان بأعجل مما استتر بدره، ولاح ثم خفي بجره.
فقلت فيه :

١٠

هَذَا الدِيرُ مِنْ بَلُودَانَ دَارًا * أَيْ دِيرٍ بِهِ وَأَيْ نَصَارَى !
فِيهِمْ كُلُّ أَخَوَرِ الطَّرَفِ أَحْوَى * فَائِقِ الْحَسَنِ فِي حَيَاءِ الْعَدَارَى !
وِغْلَامٍ رَأَيْتُهُ كِهْلَالٍ * مَا بَدَا لِلْعُوبِ حَتَّى تَوَارَى !
فَوَامٍ إِذَا تَمَائِلَ نَسُوا * نَا فَالْحَاطُ مَفْلِتِيهِ سُكَارَى !
مَاحِلِ الْخَصْرِ حَلَّ عَقْدِ أَصْطَبَارِي * عِنْدَمَا سَدَّ خَفْزُهُ الزُّنَارَا !
قَبْلَ رُؤَاةِ مَا رَأَيْتُ عَزَّالًا * بَاتَ يَسْقِي مِنْ مَرَشْبَةِ الْعُقَارَا !

١٥

دِير نَجْرَان^(١) - وهو باليمن، وتسميه العرب كعبة نجران، وهو لني الحارث بن
كعب، وسبأني ذكره في موضعه.


دير نجران

و يقال إن بناءه أعجبُ بناء وأحسُّه . على نحو عمارة عُمدان ، القصر المشهور . كان محجوجا . وبه الزاهدان اللذان ذكرهما بعض شعراء العرب ، في قوله :

أياراهي نَجْرانَ ، ما فعلتَ هُذُ ؟ . أقامتُ على عَهْدِي " وأتى لها عَهْدُ "
 إذا بعدَ المشتاقُ ، رثتَ حَبالَهُ . * وما كُلُّ مُشتاقٍ يُغيِّرُهُ البُعْدُ !
 ولهدين البهين غناءً حَسَنَ .

وقد ذكره أبو الفرج الاصبهاني وقال : إنه كان لآل عبد المَدَّان ، سادة بني الحارث . قال : وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمى نصارى ، ينبارون في البيع وزبائها وحسبائها : آل المدر بالحيرة ، وغسان الشام ، وبنو الحارث بن كعب بنجران . فتكون دباراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والرماض والعُدْران ، الشاحمة البناء . ويجعلون آلاتها من الذهب والفضة ، وستورها من الديباج . ويجعلون في حيطانها السافس ، وفي سفوفها الذهب . وكان بنو الحارث على ذلك ، إلى أن جاء الإسلام وفي كعبتهم هذه قال الأعشى :

وكعنة نَجْرانَ حَمَّ عَلَيْكَ حَتَّى تُسَاحِي بِأَبْوَابِهَا !
 زُورَ يَزِيدَ وَعَبْدَ الْمَسِيحِ * وَفَيْسًا ، وَهُمْ خَيْرُ أَرْبَابِهَا !
 إِذَا الْحَبْرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ * وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَاهِهَا ،
 وشاهدنا الجُلَّ واليَاسِمِينَ^(٢) نُسُومَ الْمُسْمِعَاتِ بِفُصَّابِهَا ،
 وَرَبَطًا مَعْمَلٌ دَائِبٌ ، * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَرَى بِهِ؟
 (١) (٢) (٣) (٤)

(١) غلط طالع الأعشى حرف هذا الشطر (ح ١٠ ص ١٤٢) .

(٢) أى الورد .

(٣) فى الأصل : تَقْصَى بها .

(٤) فى الأصل : سِرْبَطًا .

قال: وفي هذا الشعر غناء حسن أخذته بحظّة عن بنان.

ولهذا الدير أخبار كثيرة، ليس هذا مكانها.

بيعة أبي هور^(١) - وهي بسر بأفوس - عامرة برهبانها، مثرية بفضة قناديلها وذهب صلبانها. كثيرة القلالي، مدهمة بالوقود جنح الليالي. ولها أعياد مقصودة الأوقات، منتظرة الميقات.

٥

حكى الشافعي أن به - على ما ذكره أهله - أعجوبة. وهي أنه من كانت به خازير وقصد هذه البيعة للعاجلة، أخذه رئيسها وأضعه. وجاءه بخنزير وأرسله على موضع العلة. فيلجس الخنزير موضع الوجع جميعه، وتأكل الخنازير التي فيه، لا يتعدى ذلك إلى الموضع الصحيح. فإذا نظف الموضع، دثر عليه من رماد خنزير فعمل مثل فعل الأول من قسل، ومن زيت قنديل البيعة فيبرأ. ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيسذج، ويحرق، ويعد رماده لمثل هذه الحالة.

١٠

وقال: وهو إلى الآن كذلك، كما ذكره. قال: ولهذه البيعة دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة. وفيه خلق من النصارى.

دير يحنس^(٢) - وهو بسنهور، من أعمال مصر. وهو عامر برهبانه، ناضر بسكّانه.

دير يحنس

قال الشافعي: وقد ذكر بعض المتقدمين أنه إذا كان يوم عبده، أنحرح الرئيس

١٥

(١) ونسب دير أبي هور، ودير سرياقوس. أضر كلام ياقوت (ح ٢ ص ٦٤١)، والشافعي

(ورقة ١٣٤)، والقروبي (ص ١٣١).

(٢) أضر ياقوت (ح ٢ ص ٧١٠).

الذي في الدير الشاهد في تابوته . ويسير البابوت على وجه الأرض ، فلا يقدر أحد
بمسكه ولا بحبسِه ، حتى يرد البحر فيغطس فيه ، ويرجع إلى مكانه .
وقال : كذلك قول المتقدمين على أنه على هذه الحالة .

قلت : وهذه حكاية مكذوبة ، لاصحها لها .
تحقيق للوك .

وإمّا الذي بلغني ، وأنا بمصر تلك الممدد الطويلة ، أنه إذا كان أو أن نحرك الليل ،
بُخْرَحْ تاووت ، يقال إن فيه إصبع الشهيد ، وبرئى في البحر . وذلك لوفيه معلوم ،
يسمونه عبد الشهيد . ويكون الذي يرميه بعض أعراء كبراء الفسط . عادة كس
أسمعها ، لا تنغير . ويظن الفسط أن رمى الإصبع سبب الزيادة . وإمّا هو بمشنة
الله وولده .

دير مريخنا - وهو على شاطئ بركة الحبش . فريب البحر ، إلى جانب بساين
الوزير ، وهي التي أنسا بعضها تميم بن المعز وأنسا به مجلسا على عمده . وقرب هذا الدير
عين ذهبته بها الرمال .

قال الشافعي : وهذا الموضع من معاد اللعب والشرب والطرب ، نزهة في أيام
الليل ، وزيادة البحر ، وامتلاء البركة . وكذلك هو في أيام الرع ، لا تكاد يخلو من
المتزهين . وقد ذكرته الشعراء ، وفيه قال أبو عاصم :

يا طيب أيام سَفَحَتْ مع الصبا - طَوَعَ الهوى فيها بسَفَحِ المطر !
فالبركة الفناء فالدير الذي - قد هاج فرط صباي وتكسرى !
فأحس كؤوسك يا علام وأعيني - فلمدسكرت ونمرطرك مسكرى !

وأرى السُرى في السماء كأنها . تاحَ تَصَلَّ جانباه محوهر!
فأشربُ على حُسْنِ الرامضِ وغني . وأنظرُ إلى السائِ الأَغْنِ الأَحْوَر!
فلعلَّ أنامَ الحِباءَ قَلِيلَةً . ولعلني قَدَرْتُ مالم يُقَدِّر!

دير نهباً^(١) . ونهباً بالحيرة، وديرها هذا من أطيبها موضعاً، وأجلها موقفاً، عامر
برهبانه وسكانه .

وله في السِّلِّ مَطَرٌ عَجَبٌ، لأنَّ الماءَ يحيطُ به من جميع جهاته، ويَزِيدُ في حسن
مُتَرَهانِه . فإِذَا بَصُرَ الماءَ أَطْهَرَتْ أَرْضُهُ غِرَائَتَ الدُّوَارِ، وَغَثَابَ الزُّهُورِ المَشْرِقَةِ
الأَوَّارِ . وله حِلِيجٌ بِسَابِ أَنْسَابِ أَرْمٍ، وعليه شَطُوطٌ كَأَنَّهَا بِالْبَيْيَاجِ تُرَقِّمُ .
وفال السَّابِئِيُّ: وهو مُتَصَبِّدٌ مُمْتَحٌ، وَأَسَدٌ فِيهِ لِابْنِ البَصْرِيِّ^(٢) :

أَتَنَسَّطُ لِلشَّرْبِ بِأَسِيدِي، . فيومك هذا دَفِيقُ الدُّرُوزِ^{١٠}
فَعِنْدِي لَكَ اليَوْمَ شَوِيَّتَانِ . سَرَقْنُهُمَا مِنْ دَحَاحِ العُجُوزِ!
أَنَاشِطُ عِنْدِي عَلَى نَفْتَبَسْ، . عَلَى لَوَزَتَيْنِ، عَلَى قَطَرِ مَيْزِ
وَبَقِصْدُ نَهْيًا وَدِيرًا لَهَا . به مَيْتُ الْوَرْدِ وَالْمَرْحُوزِ
وَنَشْرَبُ مَهَا بِرَطْلٍ وَجَامٍ . وَطَاسٍ وَكَاسٍ وَكُوبٍ وَكُوزِ
فَعِنْدِي حَشَفٌ رَخِيمُ الدَّلَالِ . نَسَا فِي اللَّيْمِ وَلُبْسُ الْخُزُوزِ!^{١٥}

(١) أنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠٤) ، وياقوت (ج ٢ ص ٧٠٤) ، والشافعي (ورقة ١٢٩) .

وأنظر أيضاً أوصال الأرمي في تاريخه "أخبار من بواحي مصر وإقطاعها" الذي طبعه المستشرق الأكلبي
إفت. ١٨٧١ في روجه إلى الأكلبية . بمدينة اكسفورد سنة ١٨٩٥ (ص ٧٧ - ٨١) .

(٢) وفي الشافعي . لباس من البصرى . وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠٢) ، وأرى أني أصبغة (ج ٢

ص ٨٩) ، وياقوت (ج ٢ ص ٦٨٥) ، والشافعي (ورقة ١٢٤) .

دِيرُ الْقَصِيرِ ^(١١) - هو في أعلى الجبل ، على سطح قُبَّةٍ من بلاد الفُتُح . وهو حسن البناء ، نَزَهُ البَقْعَةُ . وله بئر مقورة في الحجر .
وفي أعلاه غرفة بناها ثمارويه بن طولون ، نُطِّلَ من كل جهة . وكان كثير الغُشَيَّان لهذا الدير .



والطريق إليه من جهة مِصْرَ صَعْبٌ ، ومن قبله سهل .
وإلى جانبه صَوْمَعَةٌ ، لا تحلوا من جَبِيس .
وإلى جانبه قرية تُعرف سُهران . قال إن أم موسى (عليه السلام) منها أُمِّه في الثاوب ، في البحر .

وبها دير آخر يعرف بدير شهران . وهو المعروف الآن بشهران ^(١٢) .

١٠ قال السَّابِسي : ودير القصير أحد الديارات المقصودة ، والمتنزعات المطروقة :
لحسن موقعه وإشرافه على مِصْرَ وأعمالها . وفيه يقول محمد بن عاصم المصري :
إِنَّ دَبْرَ الْقَصِيرِ هَاجَ أَذْكَارِي : لَمْ يَكُنْ مِنْ مَازِلِي وَدِيَارِي !
وَكَأَنِّي إِذْ زُرْتُهُ بَعْدَ هَجْرِي : لَمْ يَكُنْ مِنْ مَازِلِي وَدِيَارِي .
إِذْ صُعُودِي عَلَى الْجَادِ إِلَيْهِ . وَأَنْحَادِي فِي الْمُنْشَاتِ الْجَوَارِي .

١٥ (١) صبله ها في الأجل (بالفتح كأمي) . وفي ياقوت القُصَيْرِ . (بالضمة) . وقد عاد الثواب فيما سيجي من الآيات فصطه بالضمير . وعلى ذلك صطلها الشاشي ، وأطر أيضا ما ذكره أبو صالح الأرمي (ص ٦٢ و ٦٥) .

(٢) الذي في الشاشي هو " في أعلى الجبل على سطح في قلته " أما قول ابن فضل الله " سطح قبة من بلاد الفتح " فهو من عده . ولعل هناك تحريف من المصحح . فإني لأدري ما يريد بـ " بلاد الفتح " ها .
(٣) هذه البيانات نقلها ابن فضل الله عن الشاشي بأختصار .

منزلاً لستُ مُحِصِباً ما بقلبي . ولننسى فيه من الأوطار!
 منزلاً من علوه كسَاء . والمصايح حوله كالدرارى!
 كم شربنا على التصاور فيه * بصغارٍ مَحْثُوثَةٍ وكبار!
 صورةٌ من مَصَوِّرٍ فيه طَلَّتْ * فِتْنَةٌ لِلْقُلُوبِ والأبصار!
 لا وحسنِ العَينِ والشفَةِ اللّٰثِيَاءِ منها وخدّها الجَلَنَارِ!
 لا تَحَلَّقْتُ عن مَزَارِي ديراً * هِيَ فيه، ولو نَأَى بي مَزَارِي!
 فسقى الله أرض حُلوانٍ فالنَجْدَ فديرَ القَصِيرِ صوبَ العُشَارِ!
 كم تَنَبَّهْتُ من لَذَاذَةِ نَوْمِي * بِنَعِيرِ الرُّهْنَانِ في الأَسْجَارِ!
 والواقيس صائحاتٍ تنادى: . حَيَّ بِأَنَا عَلَى الْإِسْكَارِ!^(١)

- ١٠ وقال ابن ظافر: مضيتُ أنا والشهابُ يعقوبُ ابنَ أختِ نجم الدين (بمعنى ابن مجاور)^(٢) والفاضى الأعزَّ المؤيد في جماعة من أصحابنا إلى الدير المعروف بالقصير إشاراً لنظر تلك الآثار، فلما تنزهنا في حسن منظره نعطينا العمل فيه على عادة الشعراء الذين قطعوا طريق الأعمار، بطروق الأعمار، وضيعوا العيون والعقار، في تحصيل العيون والعقار . فقال الشهاب :

(١) هذه القصيدة في كتاب الشاشي تتألف من ٢٧ بيتاً . وقد ترك آس فصل الله بها ١٥ بيتاً . ١٥

(٢) في مدائع الدائنة صفحة ١٢١ : الأعزَّس المؤيد رحمه الله .

(٣) في مدائع الدائنة زيادة . وقصداً الوطرس طاره .

(٤) في مدائع الدائنة : القول .

(٥) في مدائع الدائنة . حرباً على عادة حلعاء اللعاء، وطرفاء الادباء، ومُحَنِّمِ الشعراء، الذين نذروا الوقار

بالعراء، فقطعوا طريق الأعمار بطروق الأعمار . ٢٠

سقى الله يومى بدير القصير * قصير العزالي طويل الذبول !
(١) (٢)
محل إذا لاح لي لم أقف * بصحبي على حومل فالدخول .
فقلت :

فكم فيه من مرقى دجى * على غصن في كتيب مهيل !
(٣)
رود صحیح وطرف سقيم * وروح خفيف وردف ثميل !
فقال الأعز :

قطعت به العيش مع فية * صباح الوجوه كرام الأصول !
بكل كريم قصير المرا * عاز المعالي باع طويل !
فقال الشاب :

إذا فسه سل سيف المدام ، * فكم من سليل وكم من قتل !
فقال الأعز :

وكم من خلیع كريم العال ، * يُحدّد بالحدود غيظ البحيل !
فقلت :

يوافيه ذا ذهب جامد ، * فبقية في ذائب للشمول !
(٤)
ثم صنع الشاب :

(٥)
على عمر القصير قطعت عمري * وضنت خلاعتي وأزلت وقرى !

(١) بالأصل صفحة ٢٦٦ : محلا . وقد اعتمدنا على البدائع .

(٢) لي ، غير موحدة بالاصل . وأحدناها عن البدائع .

(٣) والبدائع : لحط صحیح وجه سقيم .

(٤) زاد في البدائع : على غير هذا الروى والورد فقال .

(٥) في البدائع : قصرت [وهي أحسن] .

قال الأعز :

ولم أسمع لعمرك قول زبيد^(١) . إذا ما لامني أو قول عمرو!

قلت :

ظفرتنا فيه من شفه وكأس . بمشروبين : من ربي وخمر!

قال الشهاب :

ودافعا بين الرأي فيه^(٢) * بمظروبين : من خمر وحصر!

قال الأعز :

كسوت به الكؤوس البيص خمرًا * من القمص أشتريناها بصر!

قلت :

وظلت بمأزني للهواتلو * بهز البيص به عناق سمر!

١٠

دير شعران - هو في حدود طرا، من صواحي القاهرة القبلية، في لحف الجبل الأحمر، المعروف بالمقطم . وبنائه بالحجر واللبن . وعليه نخل . وبه جماعة من الرهبان . وهو من دبارات اليعاقبة .

دير شعران

حكي أن السراج الوراق مر عليه، فنزل به . فرأى به جماعة من أودائه على راح
تفدح لهم أقداحها، وتهدى إليهم أفراحها . وكان السراج قد طمئت فيلته من

١٥

٢٦٧

(١) في الدائع : لعمري .

(٢) » » : الدين .

(٣) أي القمص .

(٤) أطلرأ يصاق حطاط المقرري (ح ٢ ص ٥٠١) ، وأطلر ما أورده أبو صالح الأرنؤ

(ص ٦٠ و ٦٣) .

شُعْلَةُ ذَلِكَ الْهَبِّ، وَكَرَّتْ قَافِيَتُهُ صُفْرَةَ ذَاكَ الذَّهَبِ . فَأَتَاهَا السَّاقُ فَرَدَّهَا ،
وَوَاصِلَتُهُ فِي الْكَاسِ فَصَدَّهَا . هَذَا حَبْنُ نَكْسِ الْكِبَرِ صُعْدَتُهُ ، وَأَهْدُ الْعَمْرِ مُدَّتُهُ .
وَذَكَرَ يُجْلِسَاتُهَا فَقَدْ إِخْوَانَهُ ، وَدَهَابَ زَمَانِهِ . فَلَامَهُ مِنْ حَصَرِ إِدْ صَدِّ الْكَاسِ ،
وَقَالَ : أَمَّا لَكَ أَسْوَةٌ بِهَؤُلَاءِ الْجُلَّاسِ ؟ فَقَالَ :

عَجِبَ السَّاقِي لِرَدِّي الْفَدَحَا . وَلَا أَمْرِي فِي الصَّانِي فَدَحَا !
وَأَنَا نَا حِبِّبَا كَائِسِهِ ، حَيْثُ جِئْنَا دِيرَ شَهْرَانَ صُحِّي .
قُلْتُ : يَا فِرَّةَ عَيْنِي رُبَّمَا . غُصَّ طَرَفٌ بَعْدَ مَا قَدْ طَمَعَا !
لَمْ أَكُنْ أَوَّلَ وَلَهَانٍ سَلَا . لَا وَلَا أَوَّلَ نَشْوَانٍ صَحَا !
أَشْرَبُ الرِّاحَ أَرْجَى فَرَحًا . فَيُتَبِّحُ الْخَطَّ مِنْهَا تَرَحَا !
سَوْءُ حَظِّي لَوْ رَمَيْ الصَّبْحَ دَجَا . أَوْ رَمَى لَيْلَ عِدَارٍ وَصَحَا !
وَتَحْمُولُ مُنْطِقِي بِالشَّيْءِ لِي ، مَنْ أَرَى دَهْرِي لَهُ مُتَمَدِّحَا ؟
زَادَ فِي سَبِيٍّ إِلَى أَنْ خَلُّهُ . نَسْهَدُ اللَّهَ بِهِ قَدْ سَبَّحَا !
أَمَا مَا ذَنْبِي لِحَالِ اللَّهِ أَمْرًا . لَأَمْ فِي التَّوْبَةِ مِثْلِي وَلَحَا !
يَأْتِدْبِي أَنْتَ لِلرَّاحِ فَدَعْنِي . أَنْزَحُ الدَّمَاعَ إِلَى أَبْ تَرَحَا !
هِيَ أَوْفَاتُ وَكُلُّ آخِذٍ . مِنْ صَمْنَا أَوْفَاتِهِ مَا سَمَحَا !

حُكِيَ أَنَّ السَّرَاجَ الْوَزَاقَ وَأَبَا الْحُسَيْنِ الْجَزَّارَ خَرَجَا فِي عَهْدِ صَاهِبَاهُمَا ، وَالشَّبَابَ
أَعْقَدَ حُبَاهُمَا ، يَرِيدَانِ الزَّهْرَةَ . فَوَجَدَا غُلَامًا زَامِرًا ، يُنَمِّتِي مَعَهُ اللَّقَاءَ ، وَيَجْمَعُ فِيهِ
الْفَضْنَ وَالْوَرَفَاءَ . يَتَلَقَّتْ بِصَفْحَةِ الْقَمَرِ الْمِيرَ ، وَيُطْرَبُ كَأَنَّمَا زَمُرُهُ مِمَّا أَوْقَى أَلَّ

داود من المرامير . فلقناه إليهما لأمر . وطننا أنه سنلينه لهما الخمر . فأتيا به دير
 شعران ، وصعدا إليه ، فوجدا راهبا يصدع حُبَّهُ الفؤاد ، ويطلعُ قره ولا شئ
 احسن منه في ذلك السواد . فراد سرورهما بحصول الزامر والراهب ، وأيضا ببلوع
 المأرب . فلما حيت فبهما سورة الحمى ، وطن كل منهما أنه قد حصل له فراشه
 رتيا ، فطن الزامر والراهب لمرادهما فزكاهما ومضيا قبل النوم ، وتركاهما وكل واحد
 منهما يشكو صجيحا لايام . فقال السراح :

في فحنا لم يقع الطائر : * لا راهب الدبر ولا الزامر !

فقال أبو الحسين الجزار :

سعدنا ليس له أول ، ونحسنا ليس له آخر !

١٠

فقال السراح :

والقلب في إرهما هائم .

فقال الحوار :

والقلب من أجلهما حائر !

وحكى أن السراج الوزا كان يغني راهبا بدير شعران وافر العقل ، كامل
 الفضل . خرج إليه في جماعة من أهل الأدب وشعبان قد بقى على أقل من نصفه ،
 ١٥ وبدره قد أحد بفقهه إلى خافه . وشهر رمضان قد آل له أن تغل فيه سياطين
 الأمام ، وتحتم فيه على الأفواه بالصيام . فالتفوا الراهب وقد لبس مسحه وساح ، وعزل
 الدرس ما هبت فيه رائحة راح . فلما رأوا أن ديس رمضان قد حان حلول أجله ،
 وأن وجه الدبر الوقاح مادت فيه من الخمر حمرة نجسه ، خافوا أن يأتى الصيام ، وما

تشعشع سوى قنديل محوره الذي بان . ولا مُلِك مُدَام يأتى منه أوائل وَرْدٍ في أواخر
شعبان . فندب السراج إليه راهبا من شباب الدبر ليبعه ، وكتب معه :

أبلغ العاضل الرئيس السَّلاماً ، شَقَّ عن زَهْرِهِ الصَّاحُ كما!
قُلْ له : أَيُّهَا الْحَكِيمُ الَّذِي فِي - دِينِ عَيْسَى قد بَرَّهَنَ الْأَحْكَامَا!
كَمْ رَبِّكَ كَالْمَلالِ إِلَى أَنْ لُحِثَ لِلنَّاطِرِينَ بَدْرًا مَمَامَا!
يَا أَبَا الْمَلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ أَرْحَمْ مَعَشَرًا مَدَّ ظَعْنَتَ عَنْهُمْ بَنَامِي!
فُطِّمُوا مِنْ رَضَاعِ كَأْسِ الْحَمِيَّا - وَهِيَ أَنْكَلُ لِمُرْضِعِينَ فِطَامَا!
وَأَسْتَطَلُّوا وَضَعَ الصَّلِيبِ عَنِ الرَّا - وَوُوْ مِنْ بَعْدِ حَمَلِهِ أَعْوَامَا!
عَبَدُوا رَاحَةَ الْقُوسِ مِنَ الرَّا - ج ، فَدَارَكَ بِالْأَنْفُسِ الْأَجْسَامَا!
وَأَطَالُوا حَبْسَ الْمَدَامَةِ فِي الدَّنْ * وَكَفَى حَبْسُ الْمَدَامَةِ عَامَا!
وَدَعَا الدَّبْكَ لِلصَّوْحِ قَهَّوْا - كَالْحَبْنِ لَا يَعْوَنَ الْمَلَامَا!
فَأَسْهَمَهُمْ مِنْ سُلَافِهِ نَطَرْدُ الْمَهْمِ * وَتَحَلَّلَ لَهُمْ بِذَلِكَ أَهْيَامَا!
وَعَسَى فَائِلٌ بِقَوْلِ لِحْظِي - وَنِصْبِي : أَطَلْتُ فِي ذَا الْكَلَامَا!
كَدَتِ الْمَدْيَمِي وَأَخْرَشُ شَعْبَا ن سَادِي الصَّامِ الصَّبَامَا

١٥ دير البغل^(١) . هو سمى دير شعران . وبأوه مثل سائه في لحف جبل المقطم . دير العمل
وعليه نحل . وبه جماع من الرهان العاقيه .

قالوا : وسمي دير البغل لأنه كان به نخل لسقى الماء ، تعود هذا وألعه . وكاوا إذا
أطلقوه ، أتى مورد الماء ، وهناك من يملأ عليه . فإذا حملة أتى الدير بالماء .

(١) اطرما أورده أبو صالح الأرمي (ص ٦٣) .

خرج إليه السراج الوزاق مع أبي المفضل بن العسال في جماعة من أهله. وأقاموا به أياما في لهو، يجزون أعطاف الزهو. وكان بالدير غلام لا يتعداه أمل المقترح، ولا يحاكي دوائ عبونه إلا الرحس المسح. فألفه السراج الوزاق وهو إلى وصل منه محتاح. فلما عادوا، قال السراج يذكر أمامه وحمدح أبا المفضل، ويذكر شبثا كان عليه به قد تفضل :

- أَحَاكَ مِنْ عَارِصٍ فِي حَدِّهِ لَاحَا . رَيْحَانَةٌ جَاوَرَتْ مِنْ رِيهِ رَاحَا .
 وَمَا كَفَاهُ الشَّدَا الْمِسْكِيُّ بِنَهْمَا . حَتَّى حَلَا مِنْ حَضِيْبٍ اخْلَدَتْ قُحَا .
 عَنِي رَأْتُهُ بِدِيرِ الْبَعْلِ فِي مَلَا * قَدْ قَامَ فِيهِمْ مَعَ الْأَنْحَارِ نَوَا .
 مَقْرَطُكَ رَكَ الشَّدَمَانِ مِنْ بَاه . صَرَعِي وَقَدْ حَثَّ أَحْدَاقَا وَأَفْدَا .
 ١٠ عَاطِيَةً كَأَسْمَا وَالشَّهْبُ مَا جَحَّتْ . إِلَى مَغَارِيهَا وَالذِّكُّ مَا صَا .
 وَالْجَمُّ حَيْرَانٌ أَوْ لَا مَا رَفَعْتُ لَهُ . مِنْ كَأَسْمَا نَحْنُ جُحَّ اللَّيْلِ مِضْبَا .
 حَتَّى إِذَا أَذَبَ الصَّبَا خُطُوْتُهُ * وَرَحَلْتُ يَدُهُ عَنْ رَاحَةِ الرَّاحَا .
 وَبَاتَ طَوْبِي فَلَمْ أَزْدَدْ عَلَى قُبُلٍ * إِذْ لَا أَيْتُ لِبَابِ الْعَارِ قُتَا .
 أَعَالِبُ النَّفْسَ عَمَّا نَسِيَتْ كَرَمًا . جِدًّا فَلَا تَحْسَبِي ثُمَّ مَزَا .
 ١٥ وَفَدِ يَرْوُفَكَ لَهْطَى الْحُلُولِ لَاسِيَا * إِذَا لَقِيتُ بَنِي الْعَسَالِ مَنَاحَا .
 الْقَوْمُ جَادُوا وَلَمْ أَسْأَلْ، وَهُمْ مَنَحُوا * وَمَا غَشِيْنُهُمْ وَاللَّهِ مُنْتَا !
 وَشَادَ مَجْدُهُمْ يَتَا بَيْتَ لَهُ * طَرَفَ الْحَجَرَةِ مَا طَالَ طَمَا !
 مِنْ كُلِّ أَزْهَرِ لَوْلَا فِي تَطْلِيهِ * مَطَالُ الصُّبْحِ ! زَادَ الصُّبْحُ إِضْخَا ،

صَحْبُهُمْ نَحْوَ دِيرِ الْبَغْلِ مُطْلَبًا * صَهَاءُ جَرَتْ بِطَوَقِ اللَّيْلِ فَأَتَزَاحَا.
أَبَا الْمُفَضَّلِ ، لَمْ أَبْلُغْ مَدَاكَ وَلَوْ ٠ طَارَحْتُ فِي مَذْهَبِ الشَّعْرِاطِرِ مَآحَا !
إِنْ رُمِتَ إِحْفَاءَ مَا تُعْطَى فَعَدَنْطَقِ النَّمْعَ مَعْرُوفٌ عَنكَ بِمَا تُحْفَى وَقَدْ بَا حَا !
لَا تَتَّبِعْ لِلْجُودِ كَيْمَا فَتُظْلِمَ ٠ إِيَّا رَأْيَا سِيمَ الْجُودِ قَمَاحَا !

٥ دير طَمْوِيَهٗ ^(١١) - ويُعرف المكان الآن بطَمْوَهٗ، وهو في الجانب الغربي، بإزاء در طَمْوِيَهٗ حلوان . والدير راكِبٌ على البحر . نخفٌ به الكروم والبساتين والأشجار . وهو عامر الأوطان . أهل بالرهبان . وحين تنحصر الأرض يكون بين بساطين من البحر والزرع .

قال الشاشي : وهو من المتزهات المذكورة ، والمواضع الموصوفة . وأنشد فيه لأبن عاصم قوله : ١٠

وَأَشْرَبَ بِطَمْوِيَهٗ مِنْ صَهَاءٍ صَافِيَهٗ ٠ تَزْرِي بِحَمْرِ فَرْيَ هَيْبٍ وَعَانَابِ !
عَلَى رِائِضٍ مِنَ الْوَارِ زَاهِيَهٗ ٠ تَجْرِي الْجَدَاوِلُ مِنْهَا بَيْنَ جَنَابِ !
مَازَلَا كُنْتُ مَسْغُوفًا بِهَا كَلْفَا ٠ وَكُنْتُ قَدَمًا مَوَاجِرِي وَحَانَانِي ،
إِذْ لَا أَزَالُ مُلِحًّا بِالصَّبُوحِ عَلَى ٠ صَرَبِ النَوَافِيسِ صَبًّا بِالْدِيَارِابِ .



١٥ (١) وأُحَرِّقُ أَيْضًا فِي حُطِّ الْمَقْرِيرِ (ح ٢ ص ٥٠٤) ، وَيَا قُوتَ (ح ٢ ص ٦٧٤) ، الشاشي (ورقة ١٢١) وأُحَرِّقُ أَيْضًا مَا أوردته أبو صالح الأرمي (ص ٨٥) .
(٢) في الأصل : تروى . وفي الشاشي : يرى . هكذا نعت فقط .

(٣) هذه رواية الشاشي . والذي في أسنن فضل الله "إني وإن كنت" وقد وصلت الزرع إلى روايه الشاشي لأن أسنن فضل الله أحترل من هذه القصيدة ثلاثة أبيات ، ولأن خبر هذه الجملة الترتيبية إلى مال إليها لم يرد . ٢٠

كيسة الطور

كنيسة الطور^(١) - قال الشافعي: وهذا الطور هو طور سيناء الذي صَعَقَ عليه موسى، عليه السلام، والكنيسة في أعلى الجبل. مبنيةٌ بججر أسود. عرض حصه سبعة أذرع. وله ثلاثة أبواب من الحديد. وفي غربته باب لطيف. وقدامه حجرٌ لقيم. إذا أرادوا رفعه رفعوه، وإذا قصدهم منعَلَبَ أرساوه، فأنطبق. فلا يعرف أحدٌ مكانَ الباب. وداحلها عينُ ماء، وخارجها عينٌ أخرى.

قال: ورغم البصائر أن بها من أنواع النار الحديدية التي كانت بيت المقدس: يَقْدُونَ منها في كل عشية السراج. وهي بيضاء صعيقة الحز، لأتحرق. ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها.

وهو عامر بالرهائن. فلا يحلو من أحد من أهل البطالات للتفرج فيه والتترک - على رأيهم - به.

وهو من الدارات الموصوفة والأماكن المقصودة. ومن وصفه ابن عاصم. قال فيه:

باراهبَ الدَّيرِ، ماذا الضوءُ والنورُ فقد أصاء بما في دَيْرِكَ الطُّورُ؛

هل حَلَبَ الشمسُ فيه دُونَ أَرْجَحِها - أو غَيَّبَ البدرُ عنه فهو مسرورُ؟

فقال: ما حلَّه سَمْسٌ ولا قمرٌ - لكن نُفِرَّبَ فيه اليومَ فوراً!

(١) وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥١٠) والشافعي (ورقه ١٣٣) وياقوت (ج ٢ ص ٦٧٥)

(٢) والقرئ (ج ١ ص ١٣١) وكلهم يسمي هذه الكيسة تَامَمَ "دير الطور" وشعر ابن عاصم الوارد في المتن شهد هذه التسمية. وهو غير دير طور سيناء الذي سبق الكلام عليه تَامَمَ دير الطور.

(٣) صوابه يوقدون لأن "وقد" لازم ويتعدى بالهزة. وقد جاء بعد سطر على الصحة.

دير طُراً^(١) - وموقعه قبليّ القرافة ومصر. على بركة الحبش وبساتين الوزير. دير طُراً يقصده أهل مصر للفرجة والتزّه. ويؤتى إليه على ظهر البرّ والنيل. وله إشراف على النيل. ولا يخلو من قَصَف وشرب. ولأمرء الديار المصرية إليه إفضاء في الفضاء ومتهى الركوب. وفيه أقول:

يوم طُراً وديرها * وما أتى من خيرها!
وأبيض من يومها * وأحمر من مِيرها!
مُدَامَةٌ تَسِرَى بنا * مُجِدَّةٌ فِي سِيرها؟
لم أَنَسْ هَيْفَ نَحْلها * ويومنا في حَيْرها،
وأكلنا من حوتها * ووحشها وطيرها!
هذا إلى فاتنة * مَلِيحَةٍ فِي ذِيرها.
فلا تَقُلْ لي: غَيْرها. * ما أَرَى فِي غَيْرها!

• شعر المؤلف فيه



١٠

(١) وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠١).

(١)
الديارات السبع

الديارات السبع

وهي في الوجه البحرى ، وهو سُفلى ديار مصر . ممتدَّة غربا على جانب البرَّة
الفاطمة بين بلاد الحيرة والسُّوم .

مرزبا على بعضا في الصحبة الشريعة الناصرية . وهي في رمال مُنقطعة ، وسبايخ
مالحة ، ورارٍ مُعطشة ، وقفار مهلكة . وسرب سكَّانها من جفارات لهم . وهم
في غابة من مُنشف العيش وشُطف القوب .

مرور المؤلف
على بعضا في
أيام السلطان
السام

ويُخيل المصارى إليهم حلائل الذور والفراس ، ونحصرهم بكرائم التَّحف .

وتُخذ كتبُ الفسط وخَدَم السلطان منهم خاصة ، أبادى معهم ، لكونوا لهم ملحا
من الدولة ، إذا حارب عليهم ضرُّونها .

ولم أعلم فيها أحبارا فأذكرها ولا أشعارا فأطرف بها . وإما ذكرتها لشهرة أسمها
وَعُدَّ صِبَّتِها .

الدير الأبيض^(٢) - وهو دبر جليل البناء ، أبيض كما سُمِّيَ عليه رونق . قد بُني

الدير الأبيض

(١) هي المشهورة التي بوادى البطرون . وقد رزتها في سنة ١٨٩٤ ميلاده .

(٢) في الأصل بهم .

(٣) وعرف بدير "نوشوده" . وأتطرىاقوت (ج ٢ ص ٦٤١) . وقد أمصر على المول أنه
في الصعيد وأنه يقال "دير الأبيض" . وقد ذكر أن نالها ديرا آخر هذا الاسم في حل مطل على تلك
المدسة | المعروفة الآن بأسم أورها | وأن ناقوسه ملى صرب يسمع بها . وأظهر أيضا ما أورده أبو صالح
الأرمي (ص ١٠٤ إلى ١٠٦) . وقد سماه "دير نوشوده" وقال إنه ناجم ، على حل يسمى أدربه .

بالبحر الأبيض، وزُرِنَ في أبنيته، ووُسِّعَ في قدر أقينته . وهو غرقى السبل، في طَرْفِ
الحاجر المِطْلِ على المزدرع، فيما يقابل إنجيم . وله إشرافٌ على سائط تلك الروع .
وسوارح تلك المواشي . وبإزائه نخلٌ خاصٌ به .

ويجرى من السبل خليج طويل المدى ، كأنه السيف النقي من الصدى ، ينهى وصف المزلله
إلى مَلَفَةٍ منسعة ، وبركة فيها أمداد المياه مجتمعة ، شرق الدير . يحصل بينهما الطريق .
وبطل على هذه المَلَفَةِ رابطةٌ علبه ، قد تكونت من فضلات الترع المخفورة والجسور
المستجدة .

لأبرئ مثل نزهته في زمن الشتاء والربيع : يتضحك في جساته النوار، وتحضر
فيه سِفافُ الزروع، وتكثُر فيه مصابد الطبر، ويكون من الحسن في عابَةِ تملأ البصر،
وتزيد على الخير . ومرربا به صحبة السلطان وزلما على تلك الرابه . وأسروا على
البركة وفيها فاربٌ بصاد فيه السمك . ومربت الأطلال مَرْبَتُهُ الترك (١) وحباد
الجيل . فُسِّلَتْ أَنْ أَعْمَلَ في مثل هذا سينا، على رسم ما يقال في الدبارات . فقلت :

(٢٧٣)

- ١ يومٌ لسا بالدبر، دبر الأبيص . قد آنفضى وطبسه لم يقصى .
- ٢ قد جثنت في العسكر المصور . فغلقت الأبواب كالمحصور .
- ٣ ونزل الرهبان بالدينوس . فيه إلى قراره الدنوس .
- ٤ وأطلعت نحوى هالك رابه . تناهت على الوهاد آبيه .
- ٥ قد خضعت من جانيها الوهد . كأنها فوق الصدور مهد .

أرجوده طويلا
للذلف فيه

(١) يظهر أنه سقط كلام من الأصل . فان كلمة "مرية" حات في آخر الصعقة ، وكلمة "الترك" حات
في أول الصعقة التالية . ورمما كانت الجملة هكذا ومربت الأطلال مرية "أما" الترك وحاد الجيل .

- ٦ كَأَنَّمَا تَطْلُبُ مِنِّي الْمَائِي . هَذَا وَقَدْ وُلِّيَ زَمَانُ الْمَشْقِي .
 ٧ وَلِلرَّبِّعِ مُدُّ أُنَى اعْتِدَالِ . وَلِلنَّسِيمِ يَبَسُّهُ اعْتِدَالُ .
 ٨ وَالشَّمْسُ قَدَ دَتَ بِهَا السَّعَامُ . وَالْيَوْمُ لَمْ يَبْقَ لَهُ مُفَامُ .
 ٩ وَالْبَلُّ قَدْ هَبَّأَ صَفَّ عَسْكَرُهُ * وَإِنَّمَا مَعْرُوفُهُ فِي مُنْكَرِهِ .
 ١٠ وَالْحَوْثُ فِي رَدَائِهِ الْمُصْدَلِ . وَالْأَرْضُ تُذَكِّي بِاشْعَالِ الْمُنْدَلِ .
 ١١ وَيُجْمَرُ الشَّقِيقُ فِيهَا مُوقِدُ . وَشُعْلُ الْبَهَارِ بِهَا وَقِدُ .
 ١٢ وَزَهْرُ الصُّوْلِ أَدْعَى بِالْحَقِّ . شَبِيهَ أَذْنَابِ الدَّجَاجِ الْبُلْبُ .
 ١٣ وَزَهْرُ الْكَثَّانِ كَالْبَقَسَجِ . وَمِثْلُهُ لَوْلَا دَكِي الْأَرْجِ ،
 ١٤ تَبْدُو عَلَىٰ أَعْطَافِهِ التَّرَافَةِ . ذَوْهَبٌ فِي شَكْلِهِ ظَرَافَةِ .
 ١٥ كَأَنَّهُ فِي مَائِهِ الْمُنْتَرَجِ . زَرْحَدُ رَضْعَ بِالْعَرُوزِجِ .
 ١٦ وَسَائِرُ الزَّرْعِ سِقَاقِي حُصْمِي . وَبَعْضُهَا لَهَا طِرَازُ نَهْرِي .
 ١٧ وَالنَّحْلُ حَوْلَ الدِّيرِ كَالْعَرَائِسِ . مَجْلُودٌ فِي فَاحِشِ الْمَلَاسِ .
 ١٨ كَأَنَّهُ مَسْتَمِرٌّ فِي هِمَّةٍ . صَفٌّ وَوُفٌّ حَوْلَهُ فِي الْخِدْمَةِ .
 ١٩ وَثَمَّ مِنْ بَاقِي مَدُودِ النَّيْلِ . مَاءٌ شَبِيهُ الصَّارِمِ الصَّقِيلِ ،
 ٢٠ وَاقِفٌ إِلَيْهِ خُلُجٌ مُعْرِفَةٌ . وَأَجْمَعَتْ جَمْعُهَا فِي مَلَفَةٍ :
 ٢١ دَائِرَةُ قَنُورَاءَ مِثْلِ الْأَفْقِ . تَاوَى بِهَا حَيَاتُهَا فِي نَفْسِي .
 ٢٢ صَافِيهِ كَمِثْلِ عَيْنِ الدَّبَكِ . فِي عَابَةِ الصَّفَالِ وَالْعَرِيكِ .
 ٢٣ فَدَوَلَتْ فِيهَا الرِّيحُ بِالطُّرُ . فَشَوَّشَتْهَا ثُمَّ سَالَتْ كَالْفَرَرِ .
 ٢٤ فَسَيْحَةُ الْأَرْحَاءِ كَالْمِيدَانِ . تُشَقُّهَا سَوَائِحُ الْحَيَاتَانِ .

- ٢٥ فيها من الأسماء أشنأت تُرى . تأخذ من أنواعهن العنبراً .
 ٢٦ فيها من اللطى والبقي . أكَلُ كالرطبِ الحني .
 ٢٧ والبركة الفيحاء فيها قاربُ . ومه صار للشاك صارُ .
 ٢٨ يجرى به قاربُه على نفس . وهو به في الماء يارى القبس .
 ٢٩ كأنما أجرى به جوادا . أسرع في الرخص واما دى .
 ٣٠ كأنه إذا أراد المركما . صل من الحيات برى عقرباً .
 ٣١ يسير الحيات وسط الماء . كأنها الحوم في السماء .
 ٣٢ يأتي إليها بأصايل الخدع . لأجل ما أخذ منها ويدع .
 ٣٣ ولم يزل يحقق في الحركة . حتى أنه تلقى عليها السمكة .
 ٣٤ وكل ما يربذه يصيد . بازرعها أن لك الحصيد .
 ٣٥ وعن لى سرت ممها حاذر . أحسانها صم ما نحاذر .
 ٣٦ أفرأ ترك فوق شهب الخيل . وبنتها أذهم صابى الذبل .
 ٣٧ بحث حتى صر فوق الهصة . وعابت عسائ ملك الخلعة .
 ٣٨ وبألها من حلة لا تلحق . كنو وراعها الراح السبق !
 ٣٩ كأنها أفتى حوى أفرار . قد طلّعوا في أفتها نهارا .
 ٤٠ من نسل خافان وجنس الترك . قد عودوا لأطاهم بالنك .
 ٤١ كم فيهم من ساحر الأجفان . قبسى حد طرفه ماني !
 ٤٢ لله إن جرد أسياف الحدق . وبدد الدماء في الحد الفلق !
 ٤٣ فيها ملاح للعناؤ خلعوا . ما برزوا العين حتى عشفوا .

- ٤٤ وَمَيْدُ الْأَغْصَانِ ثُمَّ تَسْتَبِقُ . طَوْرًا تَحُلِي ثُمَّ طَوْرًا بَعْنِقُ .
- ٤٥ أَغْصَانُ بَابٍ أَمْ هُمْ عِرْلَانُ . أَوِ الشُّمُوسُ بَلْ هُمُ الْوِلْدَانُ .
- ٤٦ قَدْ رَكُّوا صَوَائِنَ السَّوَابِي * وَأَفْتَرَقُوا لَكِنَ فَوَادَ الْعَاشِقِ .
- ٤٧ مِنْهُمْ قَتَى يَسْتَرْكَالُ دِينِي * مَنْ لِي مِنْهُ لَوْ قَصَّيْتُ دِينِي "
- ٤٨ فَدَ اسْرَجَ الْغَمَامَ بِالْهَالِلِ . مُطَهَّمًا فِي صِبْغَةِ اللَّبَالِ .
- ٤٩ نَفَرُ شَطْرِي وَجْهِهِ نَفَرُهُ : كَأَبَةٍ فِي وَسْطِهَا مَسَرَّةُ .
- ٥٠ أَذْهَمَ مِنْهُ فِي السَّابِقِ فَدَبَّرَ . لَيْلٌ وَلَكِنْ فَوْقَ عِطْفِيهِ قَسَرُ .
- ٥١ مُلِيلُ الضَّدْعِ رَحِمُ الدَّلِّ أُرْبَدُ مِنْهُ لِلْهَوَى مُعَلَّى .
- ٥٢ لَهُ مِنَ الْعَجَبِ حَقُّونٌ مُطْبِقُهُ . وَأَقْبَى مِنَ الْعُودِ الضَّيِّقُهُ .
- ٥٣ لَمْ أَرِ مَثَلَ نَعْرِهِ إِذْ صَحَّكَ . لَعْدَ حَكَاةِ الْبَرْقِ لَكِنْ مَا حَكَى .
- ٥٤ بَدَرٌ وَلَا تَقْصُحْ لِي أَسْمَاؤُهُ . ذَوَاتُ رِيٍّ نَكَادٍ يَجْرِي مَأْوُهُ .
- ٥٥ مَالِي وَمَا لِلرَّاحِ أَوْلَا كُفُوسٍ . إِذَا حَلَّ لِي سَدَ الْقَاءِ الْأَطْلِسِ !
- ٥٦ وَإِنْ مِنْ نِسَابِهِ الْجَبْرَدُ . كَأَنَّهُ مِنْ وَصْفِهِ تُقَدُّ .
- ٥٧ يَا أَتْعَى إِنْ قَصَّيْتُ حَمَا . دَعْنِي أَمُوتُ فِي هَوَاهُ حَمَا !
- ٥٨ أَهْوَى بَدْمَجٍ مَقْلَسَى الصَّبِّ . وَهَدَّ نَعَشْتُ صَبِيًّا نَضِي !
- ٥٩ مَا الْمَوْتُ فِي هَوَاهُ إِلَّا مَحَمَا . لَوْ مَتَّ عَشَقَافَهُ كُنْتُ أَحْيَا !
- ٦٠ لَمَّا أَنَا فِي مَنِّ بَعْدِ وَوَقَفَ . قُبْتُ لَهُ لَيْسَمُ أَوْدَامٍ وَكَفَّ .
- ٦١ وَكَانَ فِدْحَانُ غُرُوبِ الشَّمْسِ . وَطَلَعَ الْبَدْرُ كَيْثِلُ السُّرْسِ .
- ٦٢ وَظَلَّتْ أَلْهِيهِ بِأَشْفَالِ السَّمَرِ . لَعَلَّ لِلَّذِي فَعَلْتُهُ ثَمَرُ .

- ٦٣ وقلتُ هذا مَنَزِلُ نَزْبِهِ * ليس له فيها هُما سَبِيهِ.
- ٦٤ يامرجباً شرفتَ هذا الموضعاً * وجئنا والسرورَ في وقبٍ معاً!
- ٦٥ فلو نزلتْه هُناك أوهنا * عَمَّ نُقِرْ بك السرورُ والهناءُ.
- ٦٦ فَأَنْزِلْ بنا وأقعد فريراً ساعة * ولا تحفَ من فاصح السَّاعةِ.
- ٦٧ فَلانْ لي جانبُهُ ثُمَّ أَبْتَسِمَ * وفاح لي طيبُ رِضاهُ وتَسَمَّ.
- ٦٨ وقال لي أقيمْ حوالَيْنَا الحرسَ * وَأَمْحَطْ لي كالسَّهمِ عن ظهر القَرسِ.
- ٦٩ فنات: ما تقول في ذالِ إنْ مَسَكَ * هذا لنا وجات من هذا السَّمَكُ
- ٧٠ ووفد النارَ له لُقْلُقِي * وَهَنَ آتَى مُزاحِمَا في المَقْلِي.
- ٧١ وناكُلُ السَّلَوْرَ والسَّيْبُوطَا * والدرحَ والمسلُوخَ والمسمُوطَا.
- ٧٢ هدا وما نضمُّ أكافُ السَّمْرِ * وما تكون منه أطافُ السَّفْرِ.
- ٧٣ فقال لي: دُونِكَ ما تُريدُ! * فكان عَيْدِي باللَّهْ عَمْدُ.
- ٧٤ هذا وكُنَّا قد أَمَرْنَا الطَّاهِي * ما حُدِّ لك الحِلَّةُ الزَّوَاهِي.
- ٧٥ فَأَقْرَبَ الجَمِيعَ بالتَظْطِيفِ * وزانها في الوضعِ والتَّصْصِيفِ.
- ٧٦ وَحَطَّ عَنْ أَجْسامِها الجَواشِئَا * وأظْهَرَ الجَمالَ والمَحاسِنَا.
- ٧٧ وَأَقْنَدَحَ البَارَ مِنَ الزَّيادِ * مِثْلَ أَصْطِكاكِ البَرَقِ في العِهادِ.
- ٧٨ بِطَيْرٍ مِنْ جانِبِها شَرَّارُ * هَلْ مِثْلُها للرَّماةِ انْتِشارُ.
- ٧٩ يورثُ المَوْفِدَ جُلَّ نارِ * كانْها سُبَّتْ بِجُلَّارِ.
- ٨٠ وبعْدَ هذا صَفَّفَ المَقالِي * وَكُنَّا نُحِبُّ ذاكَ الفالِي.
- ٨١ وَسَكَبَ الدَّهانَ في الطَّنْجِيرِ * كَمِثْلِ بَسْطِ الطَّلِّ في العَدِيرِ.

- ٨٢ ثُمَّ قَالِي فِي الطَّاجِنِ الْأَسْمَاكَ . لَوْلَا قَلِيلٌ ، لَقَلِي السَّمَاءُ .
- ٨٣ وَنَضَّدَ الصُّحُوفَ ثُمَّ صَفَّاهُ . سَبَاءُكَ مِنَ النَّضَارِ قَدْ صَفَّاهُ .
- ٨٤ أَعَادَهَا بَعْدَ الْخَبْرِ عَسَدًا . صَفَّرَ أَلْوَانًا لَهَا وَوَرَدًا .
- ٨٥ وَجَاءَ بِالْمِلْحِ وَالْأَبْزَارِ . سَكَارِجًا تَرُوقُ لِلْأَبْصَارِ .
- ٨٦ مَصْفُوفَةٌ لَنَا عَلَى مَقْدَارٍ . كِدْرَهُمْ صُفٌّ إِلَى دِينَارٍ .
- ٨٧ وَصَبَّ مِنْ أَطْيَابِ الْأَصْلَاحِ ^(١١) . حَفَائِثُ مَسْدُودَةِ الْعِقَاصِ .
- ٨٨ مِنْ حَائِضٍ مُطَيَّبٍ وَمُرٍّ . وَغَيْرِ ذَا مِنْ كُلِّ حَمَضٍ يَجْزِي .
- ٨٩ وَنَضَّدَ الْبُيُوتَ فِي الْأَطْبَاقِ . مِثْلَ الْحَرِيرِ لُفٍّ فِي الْأُورَاقِ .
- ٩٠ وَوَضَعَ الْبِكَاحَ وَالرِّقَاقَا . حَتَّى آسْتَدَارَ حَوْلَهَا نِطَاقَا .
- ٩١ وَجَاءَ بِالْفُقَّاعِ وَالْمَشْرُوبِ . يَهُمُّ فِي الْكِزْبَانِ بِالْوُثُوبِ .
- ٩٢ وَمِنْهُ فِي إِبَانَتِهِ مَسْكُوتٌ . كَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ مَصْنُوتٌ .
- ٩٣ وَقَرَّبُوا الْحُلُوءَ مِلَّةَ الْحَامِ . كَنَلِ قُرْصِ الشَّمْسِ بِالنَّهَامِ .
- ٩٤ فَعَامَ لِي وَزَلُّ سُرُورِي وَقَسَطُ . لَأَنَّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ قَدْ أَنْسَطُ .
- ٩٥ وَمَدَّ عَدِي يَدَهُ ثُمَّ أَكَلَ . ثُمَّ تَقَلَّبَ بِمَنْهَبِ الْفُيْلِ .
- ٩٦ فَكَمْ أَصْبَنَّا مِنْهُ مَا أَرَدْنَا . وَلَوْ نَسَاءَ بَعْدَ هَذَا زِدْنَا !
- ٩٧ ثُمَّ أَتَمَّا حَمْدَنَا وَالشُّكْرَا . وَهُوَ بِمَا جَادَ عَلَيْنَا أَدْرَى .
- ٩٨ ثُمَّ أَنَا الطَّسْتُ وَالْفُسُولُ . كَأَنَّهُ بَعِيرٌ مَجْبُولُ .
- ٩٩ ثُمَّ نَلَاهُ الطَّيِّبُ وَالْمَسْدَلُ . يَاجِبُنَا مَا حَمَّهِ الرُّسُولُ .



- (١١)
 ١٠٠ حتى إذا ما نزل السلطان . وأستغل الغواء والغلمان .
 ١٠١ ودام كل مستنكا في الحميم . ونكر الآفاق جلباب الظلم .
 ١٠٢ وأمن الراهب والقسيس . وأنشق عن موتاهم الناووس .
 ١٠٣ وأوقدوا في البيعة الصديلا . ورجعوا المزمار والإنجيلا .
 ١٠٤ وزيتوا الهيكل بالفرباب . وصقفوا الشموع والقناني .
 ١٠٥ وسكبوا الصهباء في الإبريق . صمراء أو حمراء كالعقيق .
 ١٠٦ وصبها في الكاس مثل اللهب . ممتدة مثل شريط الذهب .
 ١٠٧ يسمى بها مقرطق مزنر . ينسب الغزال الحشف أحوى أهور .
 ١٠٨ من فتنة داموا على الإنجيل . من لي بهم لو أنهم من جيلي .
 ١٠٩ وبعضهم دب له عذار . كأنه من صده اعتذار .
 ١١٠ وفيهم ذاك الغزال النافر . خليفة الملاح وهو الظافر .
 ١١١ لما بدا منه الصباح السافر . تستر البلى فقبل الكافر .
 ١١٢ أو نبت فسيس عليها مسح . كالليل قد أقل فيه الصبح .
 ١١٣ بمعصم فيه دلال وترف . كأنه من ماء خديها اعترف .
 ١١٤ فاتنة من الطباء العين . قد ناصبت يديها لدي .
 ١١٥ ماذا أقول في بدع صنعا . والبدر في الظلماء حشود رعا ؟
 ١١٦ غصن رطيب دب فيه الراح . ومن جنى خدودها التساح .
 ١١٧ آفة كل مسلم وكافر . وفننة في أول وآخر .

- ١١٨ ياما جرى منها واما يتحري ، ميا ومنها من بكيا وهجريا !
 ١١٩ قَدْ هَدَتْ عَنَّا عِبُونَ النَّاسِ * ثُرْتُ بِهِ فِي غَفْلَةِ الْحُرَّاسِ .
 ١٢٠ وَقُلْتُ ، قُمْ حَتَّى زَوْجِي فِي الْغُلَسِ ، فِي حُلْسِي ، فَأَطِيبُ الْعَيْشَ الْخُلْسِ !
 ١٢١ فَالَّذِي فَدَى لِي أَنْ بُقُضْتُ * وَكَانَ قَدْ أَغْلَقَ عَمْدًا مِنْ صُحْيِ .
 ١٢٢ فَمَا إِلَيْهِ تَحْتَمِي سِتْرَ اللَّيْلِ نَوَازِعًا نَزِيَّ عَلَى سُهْلِ .
 ١٢٣ وَفَدَى عَلَاهُ بِكَالِهِ الْعِدْلُ * كَأَنَّهُ لِرَأْسِهِ إِكْبَلُ .
 ١٢٤ وَثَمَّ فِي الدِّيرَانِ صَدِيقُ مِنْهُمْ كُفَى الشُّكْرِ لَا يُفِيقُ .
 ١٢٥ لَكِنَّهُ لَخَوْفُهُ قَدْ كَانَا * مَا تَرِبَ الصَّهْبَاءُ حَتَّى الْآمِ .
 ١٢٦ وَعَدَهُ جَمِيعُ مَا نَظَلُّهُ * وَصَوْتُ أَوَانٍ لَهُ تُطْرِبُهُ .
 ١٢٧ وَهُوَ إِذَا تَبَطَّ السَّلَافُ . لَمْ نَسْتَطِعْ مَلْبَعَهُ حِلَافُهُ .
 ١٢٨ لِأَنَّهُ عَرَفَ كُلَّ رَاهِبِهِ . بِمَكْرِهِ أَنَّ الْجَبَاهُ دَاهِبِهِ .
 ١٢٩ وَكُلُّ مَا نَزِيدُ مِنْهُ يَحْصُلُ * وَفَقَّ الْمُنَى مَسَارِعًا يَسْتَعْجَلُ .
 ١٣٠ فَانْهَضَ وَثَمَّ وَطَبَّ وَلَا نُؤَيَّ * وَأَقْتُلْ بِمَا شِئْتَ سِوَى الْجَنَى !
 ١٣١ فَمَنْ بَا أَنْهَضَ وَدَعَ الْعُدَالَا ! * كَمْ دَا الْقُعُودُ هَكَذَا كَسَالَى !
 ١٣٢ لِنَغْنَمِ الصَّعْتَةَ وَالْقِرَاعَا * وَنَشْرَبَ الْعُمَرَ لَنَا مَا أَنْسَاعَا !
 ١٣٣ وَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى نَزَلْ * شَابِثُ لِي صِدْتُ الْفَزَالُ بِالْفَزَلِ !
 ١٣٤ خَدَعْنَاهُ فَأَطَاعَ لِي الْفُلَامُ * وَكَانَ مَا فَدَى كَانَ ، وَالسَّلَامُ !
 ١٣٥ وَبِثْ مَسْرُورًا بِذَلِكَ الْخَشْفِ د وَفُوقِ مَا وَصَفْتُ مِنْهُ الْخَفِي .
 ١٣٦ وَكَانَ لِي غُلِيمٌ طَرِبُ * حُلُوُ الْكَلَامِ فَكَيْهِ خَفِي .

١٣٧ جميع ما يقوله يُجَوُّ * ما كان مثله ولا يكون.
 ١٣٨ حديثه ليس عليه من حرج * لما به العال وقد سُمِّي قَرَح.
 ١٣٩ قتلته: كَأَيِّ مَنْ نَدِم * لأجل دالك الطي لما أَنْطَمِم.
 ١٤٠ ويحك لم أطمعت هذا السمك! * فقال: لولاه لما كان أَمَسَك!
 ١٤١ جعلته لصيده كالفتح * لأجل ذا أبصرته مُسْتَرَحِي.
 ١٤٢ يا ساطر البلاد أنت القهم * فلب ما لا تستطيع الأسهم!
 ١٤٣ لاشك قد أنصب علم السحير * وصدت صيد البر بعد البحر!
 ومما فلتنه فيه :

وبالدير يوم أبص لي كاسمه * وقد طلعت من جانب الدبر أهاز.
 وقد حليت في الكأس صهاً مَرَّةً * تَكْنَف منها في الدججة أسنار.
 وبالدير ذرائبه برزت لما * فسم لنا فيها حديث وأسمار.
 جلتها كأ الطور جانب كاسها * وإلا ربي داريس من دونها دار.
 وقت :

ولم أنس بالدير يوماً لنا * وعيش السُرور به ينهب!
 ففصص أبقاره بالخيز * ومرة أصاله بالذهب!
 وكأس المدام علينا يطوف * بجرأ صاوفة كالذهب.
 يطوف بها من باب القسو * من باحلة الكف ليست تهب.
 مبتله بين زهباها * لأخاطها في حناها رهب.
 مسيحية طلعت في الأسوح * كصبيح أطل وإيل ذهب.

وقد غاب عمّا عيان الرّيب . وجاد الزّمان بما قد وهب .
فرشّفتُ اللّبيّ خلّستُ سينا . وعصّ الحدودُ لديّنا نهب .

دير ريفنة^(١) - وهو يصعد مصر، فوق سيوط، لا يبعد، على الجبل الغربي
المطلّ على ريفه .

وهناك عتّة دماراب، المشهور أكبرها، والبقية كالفلاحي .

وهو من الأبناء القديمة المحكّة . ولأهله رزق من أطبان تُزرع وتستغلّ .
جارية بتواقيع السلاطين، ثابتة في حساب الدواوين، وهو دير مدكور، وله أخبار .
وفيه حكايات وأشعار .

يُحكى أن شاعرا مغربيا، يُعرف بابن الحداد، مرّ به وهو مُصعِد إلى فُوص ،
ليُحجّ من جهة عَمَداب ، في البحر . فرأى ديرانيّة أسمها بويرة . كما أدكها
في قلبه نظرها، وشبّها في جوانحه من حدودها المحمّرة نصرها . فألقى عدها عصا
سفره، ولقى عدها متبى ما يؤمّل من ظفّره . وترك الحجّ كأنه ما تعي له من أفضى^(٢)
بلادها، ولا نوى^(٣) إليه السمرى رحلته وزاده . وقال فيها :

ورأتُ حصون من بويرة كأنهما . نارا تُصلّ، وكلّ نار تُرشّد!

والماء أنب، ولا يصحّ لفأبص! . والدار أنب، وفي الحسا تنوّد!

(١) سماه أبو صاح الأرمي "دير ريفنة وأدرنكة" وأظهر كلامه عليه (ص ٩٤ و ١١٣) . وقد ذكر

المقريزيّ ديارات كثيرة أسم "أدرنكة" (ج ٢ ص ٦٠٥) .

(٢) أنب في الأصل إمعة "إلا" بين السطور في المصحف . وتاليه يكون الصمغ عائدا على الدير الذي

يدور عليه الكلام، أما على عدم الرّادة فهناك على الحج .

ولما طال مُقامه ، وقفت عليه وسالت عن سبب إقامته فقصَّ عليها الخبر ، ونصَّ العبر . وأعلمها أنه إنما أتى ليُحجَّ ، فلما رآها أفام ، وطلبَّ ما يعالج به السقام . فقامت غير مُتباطيه ، ووَثَّبتْ كالظبية العاطيه . وظنَّتْ أنه لم يُصب ، وأنه مذلَّ لها شرَّكه ونصب . فلما رأى مارأب من سُورها ، وإعراض ظيبتها الأدماء وسُرعة نُورها ، أسال عَبرته ، ووالى حَسرته . ثم قال :

حديثك ما أحل ! فزَيْدِي وحَدَّثِي * عن الرشا الفرد الجلال المثلث !
ولا تسألي دِرَهاه ، فالذكرُ مؤنسي * وإن بعتَ الأشواق من كل مُبتع .
أحقُّا وقد صرحتُ ما بي أنه * تبسم كاللهي بن المُنعب ؟
وأقسم بالإنجيل إنِّي لكاذِبٌ * وناهيك دمي من مُحَيٍّ ومُحَيث !

ورأها يوما بين صواحبه ، كما أطلعت ليلةَ القَمَر بين كواكبها . فلما دنا منها
للحديث تَحَت ، وبَحِلَّتْ عليه بكلامها وتَحَت ، فقال :

وَبَيْنَ الْمَسِيحِيَّاتِ لِي شَامِرِيَّةٌ * بعيدٌ على الصَّب الحيفي أنْ تدنوا !
مُثَلَّثَةٌ قد وحدَ اللهُ حُسْنَهَا * فَنُفِّيَ من قَلْبِي بها الوجدُ والحُرُ !
فَطَلَّ الْخِمَارُ الْخَوْنُ حُسْنُ كَأَنَّمَا * تَجَمَّعَ فِيهِ الْبَدْرُ وَاللَّيْلُ وَالذَّجْنُ !
وَفِي مَعْقِدِ الزَّنَارِ عَقْدُ صَبَاحِي * فَمِنْ تَحْتِهِ دَعَصٌ وَمِنْ فَوْقِهِ عُصْنُ !

ثم إنه صارت لانراه إلا أحتجبت ، وهيات للشُّموس أن تُحجبت . فزاد بها
بُلبأه ، وعُظُمَ أختبأله . فلما كان يوم عيد من أعياد البصاري ، طلعت تلك الدُّمى ،

(١) في الأصل : وأعلمه .

(٢) في الأصل "معورها" ، السمين المهملة . ولا معنى لها على الاطلاق . لذلك صححت بالشن
المعجمة ليكون المعنى أنه رأى أبا تطل إلى شزرا .

(٣) صبطها في الأصل بفتح اللام . والصواب الكسر ، لأنه يشير إلى الديرانية التي تقول بالتثنية . يشهد
بذلك البيت الثاني من القصيدة التالية . وقد وردت كلمة "مثلة" في الأصل مكسورة اللام .

كأخيم السما ، وبرزت لك الذيرانية في أترابها ، وخرجت كالصباح المسمر من وراء
حجابها . فوقف عليهن وقال :

عَسَاكَ مَحَقَّ عَيْسَاكَ مُرِيحُهُ فَلَجِي الشَاكِي !

وَأَنَّ الْحَسَنَ قَدْ وَلَا : كِ إِحْيَائِي وَإِهْلَاكِ !

وَأَوْلَعِي بَصْلَانِ . وَرُهْبَانِ وَنُسَاكِ !

وَلَمْ آبِ الْكَائِنَ عَنْ . هَوَى فَيْسَ ، لَوْلَاكِ !

مَهْل تَدْرِينَ مَا تَقْصِي ^(١) . عَلَى عَيْنِي عَيْسَاكِ ؟

وَمَا يَدْكِيهِ مِنْ نَارٍ * فَلَجِي بَوْرِكَ الدَّاكِي ؟

حَبَّبْتَ سَاكِ عَنْ بَصْرِي * وَهَوَى الشَّمْسِ سِجَاكِ ؟

وَفِي الْعَصْنِ الرُّطِيبِ وَفِي السَّقَا الْمَرْغُ عِطْفَاكِ !

وَعَدَ الرُّوْصَ حَدَّكِ وَفِي رَمَاهُ رِيَّاكِ !

(٢٨٢)

وكانت سوى هذه الدبارات حانات بمواضع شتى . لها أحوار ، وفيها أشعار .

وأشهرها ما نذكره هنا ولحقه من الديارة ما مثاله ، ونصيفه مما إلى أشكاله . وهي :

حانة الطائف - كانت في الحاهلية . وكان حمارها يسمى آبن بخره . وكانت

قربس وسائر العرب يقصده . فتشرب في حانه . ويمتار منه وتمل إلى أوطانها .
وورد أجباهها موافق إبله لتصير ما عطانها . وفي آبن بخره هول أبو ذؤيب :

فَلَوْ أَنَّ مَا عَدَّ آبِنِ بُخْرَةَ عَمْدَهَا * مِنَ الْحَمْرِ لَمْ تَبْلُلْ لَهَا فِي بَنَاطِلِ ! ^(٢)

(١) فملك التي لا يُذهب الدهرُ حُبها * ولا ذكُّها ما أُرزمت أم حائل!
 وإن حديثاً منك لو تبدل به * جنى الحبل في ألبان عود مطايل!
 مطايل أبكار حديث نأجها * يُشأب بماء مثل ماء المقاصل!
 لعمري! لأنت البيتُ أكرم أهله * وأجلس في أيبائه بالأصائل!
 (٦)

• حانة بنى قُرَيْظَةَ - وكان نخمارها في حوارٍ سلامٍ بنِ مِسْكَمَ . وكان عربزاً مبيعاً .
 ولما آنصرف أبو سُمَيان بن حَرْبٍ من غزوه السَّوِيفِ ، نزل على ابنِ مِسْكَمَ . فأكرمه
 وأحببته عنده ثلاثة أيام ، وبعث إلى جاره الخمار ، فابتاع كلَّ ما في حابوته ، وسماه
 أما سُمَيان ومن معه من قُرَيْشٍ . فقال أبو سُمَيان :



(١) وفي المثل : "لا أعلم ما أُرزمت أم حائل" . والإررام صوت تفرجه اللفة من حلقها لاصت به
 فاحا . أوردته اللسان في مادة (رزم) . والحائل ولد اللفة سانه تلقية إذا كان في . ومنها أم حائل .
 كذا فسره صاحب اللسان في مادة (ح ول) وكذلك أوردته الميداني في مجمع الأمثال .
 (٢) جمع غائد . وهي اللفة الحديثة الناح .
 (٣) * مَطْل . وهي اللفة الصغيرة الأطفال | والمراد أن ليس الأتكار أطيأ .
 (٤) * بِمَصْل . وهو مقطع السيل في الحبل . | والمراد طيب هذا الماء ، لأنه جرى في زبراص .
 | ومعنى البين أن حديث الخوذة - لو سمحت به - هو الشهد بمروحا ما طيب الأول وأصنى المياه .
 (٥) وردت في الأصل بكسر التاء إشارة إلى المحبوبة . ولكنها فلتحت في الديوان الذي نخطه المرحوم
 الإمام محمود الششقيلى المحفوظ بدار الكتب المصرية (رقم ٦ ش . أدب) . وهو الأصواب لأن الشاعر
 انتقل إلى الكلام على بيت محبته . ومن البعيد على مثل أنى ذؤيب أن يجعل محبته بيتاً يخلص فيه
 بالأصائل ويكرم أهله .

(٦) قد نقل ابن فضل الله هذه الأبيات عن أبي ذؤيب . وقدم فيها وأخر وحذف ما حذف . وهي واردة
 على ترتيبها المستقيم في ديوان الشاعر (رقم ٦ ش . أدب) . فالأول والثاني هما آخر القصيدة . وبين
 الرابع والخامس هنا بيتان أعطاهما ابن فضل الله .
 (٧) نص جمهور العلماء على أنه بتشديد اللام . ولكن بعضهم قال به بالتشديد والتخفيف .

سَقَانِي وَرَوَانِي كُنَيْتًا مُدَامَةً ۖ عَلَى ظُلْمٍ مِنِّي، سَلَامٌ بِنِ مِشْكٍ!^(١)
تَخِيرُهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا ۖ لِحِلْفٍ فَلَمْ أَغْنِ وَلَمْ أَتَّسِدِمِ!^(٢)

حانة هجر - وتُعرف بحانة رَيَّان . وهي مذكورة . وقال فيها الراعي التميمي :

وَصَهْبَاءٌ مِنْ حَابِوتِ رَيَّانَ قَدَعَدَا ۖ عَلَى وَلَمْ يَطْرُبْهَا الشَّرْقُ صَابِغُ^(٣)
تُصَرُّ عَنْهَا الْيَوْمَ كَأَنَّ رَوْثَهُ^(٤) ۖ وَبَرْدُ الْعَشَايَا وَالْقِيَانُ الصَّوَادِحُ^(٥) .
وَيُنَاغِي الْأَنْمَاطُ ، وَالْبَيْضُ كَالْذِي ۖ يُضِيءُ لِمَا لَبَّاسُهُنَّ الْمَصَابِغُ^(٦) .
إِذَا نَحْنُ أَنْزَفْنَا الْخَوَائِي ، عَلْنَا ۖ مَعَ اللَّيْلِ مَلْتَوِمٌ مِنَ الْفَارِطَاغِ^(٧) .

(١) رواية ابن هشام "على غل" . وهي التي يعيها سياق الواقعة .

(٢) في الأصل : بحيره أهل . ويمكن قراءها "تخيره أهل" ويكون المعنى تخيره من أهل المدينة الخ .
أما الرواية القديمة الصحيحة التي أوردتها ابن هشام في السيرة السوية عن ابن أبي عمير : "إني تخيرت
المدينة" . وهذه الرواية يؤيد بها صدقها أودر الحشبي في شرحها الذي طبعه صديق العلامة الدكتور
روبل الأتقاني في مطبعة هدية القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١١ م) فقد قال الشارح ص ٢١٠
ما نصه "قوله إني تخيرت المدينة واحدا . أراد من المدينة خدح حرف الحر وأوصل الفعل" .

(٣) في الأصل : سواد . وفي الأعي : سواهم . وكنا الروايتين لا يستقيم بها المعنى بل يكون
في التركيب تعسف واضطراب وتعكك وارتباك . لذلك احتريت رواية ابن هشام وهي غايه في الوضوح والبيان .

(٤) رواية ابن هشام : فلم أذم ولم أنلزم . وأطر الأبيات كامله على اختلاف الروايات وتصارفها
في الأعي (ح ٦ ص ٩٩ طبع بولاق) وفي سيرة ابن هشام (ص ٥٤٤ طبع حوتن) . وقد أورد
أبو فصل الله البيت الثاني في مكان الأول وجعل الأول في محل الثاني .

(٥) أي ! ينظر شروق الشمس .

(٦) الصبغ سابق الصبوح . قال في اللسان (ح ٣ ص ٣٣٤) واصطاح القوم شربوا الصبوح
وصبغه يصبغه صبغا وضحه : سقاء الصبوح . وفي معجم البلدان "صايج" (ح ٢ ص ٨٨٩ طبع ليلسك) ،
وهو علف .

(٧) أحمل وضع اللفظ في الأصل . ولعل المعنى أن الكأس الروية ورد العشايا والقيان كل هذه
تصرأني نبي عن تلك الصبهاء .

(٨) في الأصل : كاس رويه | بكسرتين تحت الحرف الأخير |

حانات الحيرة - وهي أربع حانات :

حانة عَوْن - وكان عَوْنُ ظرفا، طيب الشراب، نظيف الثياب . وكان فتيان الكوفة يشربون في حاوته، ولا يختارون عليه أحدا . وشرب عنده ليلة أبو الهندي الشاعر، حتى طلع الفجر وصاحت الديوك، على أنه يصبح يوم شك . فقيل إنه من رمضان . فقال :

شربت النحر في رمضان حتى : رأيت البدر للشعرى شربكا !
فقال أنى : الديوك مباديات ! * قفلى له : وما يدري الديوكا ؟

حانة دومة - وعن أبي عبيدة قال : مرّ الأقيشر بخماره في الحيرة ، فقال لها دومة . فزل عدها ، وأستري منها شرابا . ثم قال : لها جودى لى الشراب حتى أجود لك المديح . ففعلت . فأنسا يقول :

ألا بادوم، دام لك العم ! : وأسمر ملء كفك مستقيم،
شديد الأسر يبيض جانباه : يحمم كأنه رجل سقيم،
يروبه الشراب فزدهبه . ويفخ فيه شيطان رحيم !

٢٨٥

قال : فظننت الخماره أن هذا مدح . فسرّت به وزادته في الشرب . وقالت : ما قال في أحد أحسن من هذا .

حانة جابر - قال ابن الصلصال : كان أبو نؤاس بأبى الكوفة ، يزورنى . وكان يأتى بيت نمار بالحيرة ، فقال له جابر : لطيف الخلقة ، نظيف الثياب ، نظيف الآلة ، يعتق الشراب سنين . فقدم علينا مرة ، وقد نهأ الأيمن عن الشراب . فسأل عنى ، فقيل : هو بالحيرة . فوافانى ، وفى يدي شيء من شراب جابر ، عجيب الحسن والرائحة .

فقال لي: يا أبا جعفر، لا يجمع هذا والهم في صدر واحد! قال: وكان شديد العُجب بضرب الطَّنور.^(١) وكان إذا جاءني جمعتُ له ضُرَابَ الطَّايِر، وكانت الكوفة معدنهم. وكان يسكر في الليلة الواحدة سَكَراتٍ. فوجهتُ بجمع له منهم جماعة، وأحضرتُه شيئاً من ذلك الشراب. فقال لي: ألم تعلم ما حدث عليّ؟ قلت: وما هو؟ قال: نهاني أمير المؤمنين عن الشراب وتوعدني عليه!

ثم أنشدني قصيدته التي فيها:

أيها الرائيح باللَّوْم، لَوْ مَا * لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَيْمًا!

إلى أن أنهي إلى قوله:

فَكَأَنِّي وَمَا أَحْسَنُ مِمَّا قَعَدِي بِخَسَنِ التَّحَكُّمِ.^(٢)

كَلَّ عَ حَمَلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ بِ فَاَوْصَى الْمُطِيقَ أَنْ لَا يَمِيَا.

فقلتُ له: أقم معنا كما حكيتَ من نَقْلِ الصَّعْدِيَّة. قال: أفعل. وصرنا إلى حانة جابر. فقلتُ شعراً ذكرتُ فيه ما قاله لي وأنشدته إياه، وهو قولي:

عَبَبْتُ عَلَيْكَ مَحَاسِنُ الْحَمْرِ. أَمْ عَرَّتْكَ نَوَائِبُ الدَّهْرِ

(١) الطَّنور والبطار من آلات الطرب، دو عَنق طويل وستة أوتار، معزف تنبور (أصله دُنة رَدَأى إليه الحَمَل. سمى به على التشبيه). وقد انتقل هذا الاسم إلى سائر الألعاب على بعض تنوع في الآلة.

(٢) أورد هذا البيت في "نجاح العروس" في مادة (ق ح د) ويستعاد من كلامه أن القعدة قوم من الخوارج قعدوا عن عصرة الإمام علي بن أبي طالب، وأن الذي يرى رأيهم يسمى "قعدياً". وهم يرون التحكيم حقاً، لكنهم قعدوا عن الخروج على الناس. والبيت فيس يأتي أن يشرب الخمر، وهو يستحسن شربها لغيره.

(٣) أي كما يفعل القعدة من الاقتصاد على تخصيص الثياب ومدح الخمر وأوصافها التي تلذدها للشاربين.



فَصَرَفَتْ وَجْهَكَ عَنْ مُعْتَمَةٍ . تَهْزُ عَنْ دُرٍّ وَعَنْ شَدْرِ .

يَسْمَعُ بِهَا ذُو غُنَّةٍ غَنَجٌ . مَتَكَلِّجُ اللَّحَظَاتِ بِالسَّحَرِ .

وَنَسِيتَ قَوْلَكَ حِينَ تَمْزُجُهَا . قَتْلُكَ مِثْلَ كَوَاكِبِ الْقَمَرِ^(١) :

”لَا نَحْسَبَنَّ عِفَّارَ حَابِيَةٍ . وَالْمَهْمُ يَجْتَمِعَانِ فِي صَدْرٍ!“

٥ فقال: هاتِها وكذا وكذا من أُمِّ الأُميين! ومدَّ يده، فأخذ القَدَحَ وسَرِبَ معا . ثمَّ شَخَّصَ إلى الأُميين . فقال له: أَيْنَ كَسَتْ ؟ قال: عندَ صَدِيقِ الكُوفِيِّ . وحدثه الحديث . قال: فما صَعِبتَ . حينَ أُنْسَدَكَ الشَّعْرُ ؟ قال: شَرِبْتُ . والله! يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال: أَحَسَدَتْ وَأَجْمَلَتْ . فَأَشْخَصَ حَتَّى تَحْمِلَ إِلَى صَدِيقِكَ هَذَا . فَقَدِمَ إِلَى خَمَلَتِي إِلَيْهِ . فَلَمْ أَزِلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ .

١٠ حَانَةُ شَهْلَاءَ - وَكَانَتْ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ الْحَبَرَةِ . وَحَكَى أَنَّ الْأَقْبِيسَرَ كَانَ يَأْتِيهَا . وَكَانَ يَشْرِبُ فِي دَارِهَا . بَغَاءَهُ شَرْطِي فَقَدْ الْبَابَ . فَعَالَ: أَسْفَنِي وَأَنْتِ أَمْرٌ . فَعَالَ: وَآلَهُ! مَا أَمْسَكَ . وَهَذَا النِّقَبُ فِي الْبَابِ . فَأَنَا أَسْمِيكَ مِنْهُ . فَوَضَعَ لَهُ أَنْبُوبَ قَصَبٍ فِي النِّفْثِ . فَصَبَّ فِيهِ الْبَيْدَ مِنْ دَاخِلٍ . وَالشَّرْطِيُّ شَرِبَ مِنْ حَارِجٍ . فَعَالَ الْأَقْبِيسَرَ:

سَالِ الشَّرْطِيَّ أَنْ تَسْقِيَهُ . فَسَقِيَاهُ أَنْبُوبَ الْقَصَبِ .

١٥ إِنَّمَا لِفَقْصَتِنَا حَابِيَةٌ . وَإِذَا مَا مَرِحَتْ كَالْعَجَبِ .

لَنْ أَصْفَرَ صَائِفِ طَعْمُهُ . نَزَعُ الْبَاسُورِ مِنْ عَجَبِ الذَّنَبِ .

إِنَّمَا تَشْرَبُ مِنْ أَمْوَالِنَا . فَاسْأَلُوا الشَّرْطِيَّ مَا هَذَا الْغَصَبُ ؟

حانات العراق - ومن أربع حانات :

حانة طَيْرَبَادَ^(١) - وكان نَحْمَارَهَا سَرَجِس . وحكى سليمان بن بونجت قال :
 حججت وأستصحت أبا نُؤاس ، بعد امتناعه ونِفَار . وشرط على أن أتقدم معه
 الحاحاً إلى القادسية . فنقيم نُسْرِب طَيْرَبَادَ . فقل على نَحْمَارِ كَانَ بِالْفَه ، فشرِب يومه
 وليته . ثم أَنبَه بهول :

حانة طَيْرَبَاد

وَنَحْمَارِ انْحَتُ إِلَيْهِ لَيْلًا * فَلَايَصُ قَدْ وَنِينَ مِنَ السَّفَارِ .
 فَزَجَمَ ، وَالْكُرَى فِي مُقْلَتِيهِ . كَمَحْمُورٍ شَكَا أَلَمَ النَحْمَارِ :
 "إِنِّي كَيْفَ صِرْتُ إِلَى حَرِييْ ، وَلَوْ أَنَّ اللَّيْلَ لَمُنْبَسٍ بِهَارٍ"
 فقام إلى العُقَارِ مَسَدَ فَاهَا . فعَادَ الدِّلُّ مُسَوِّدَ الإِزَارِ .

٢٨٧

ثم جلس يشرب . فلم يزل كذلك حتى ورد عليا أوائل الحاح . وحجوا ، ثم عادوا .
 فرحلنا معهم إلى بغداد ، على أننا كنا حُجَّاجًا معهم .

حانة قُطْرَبَل - وكان حمارها ابن أذن .

حانة قُطْرَبَل

حكى أبو السُّبُلِ الْبَرْجِيُّ قال : أَجْتَمَعْتُ بِأَبِي نُؤَاسَ فِي الدُّوْبُخْتِيَةِ . فَسَلَّمْتُ
 عَلَيْهِ . وَسَأَلْتُهُ عَنْ خَبَرِهِ ، وَتَحَدَّثْنَا طَوِيلًا . ثُمَّ قَالَ : أَنَسَاعُدُنِي حَتَّى تَمْنَحَنِي إِلَى مَوْضِعِ
 طَبْ " قلت : أَيْنَ هُوَ " قَالَ : قُطْرَبَل . ففعلت : صاقت الدنيا حتى نسا فر " فقال
 لي : إِنْ هَاكَ نَحْمَارًا طَرِيعًا ، لَيْفًا ، مَسَاعِدًا ، عَمْدَهُ شَرَابٌ عَتِيقٌ وَعَلَمَانُ صَبَاحٌ . فَأَمَصْ

(١) طَيْرَبَاد موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على حافة الحاح . كان من أهره المواضع
 مخفوقا بالكرم والشجر والحانات والمعاصر . وكان أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة . وهو الآن حراب ،
 ولم يبق به إلا أثر قباب يسمى " قباب أبي نؤاس " . ويقال إن معي اسمها عمارة الصيرين . (أنظر ياقوت
 في الحرة الثالث من معجم البلدان) .

بها. فضيئت حتى أتى حانة نحر. فقال لي: أتعرفه؟ قلب: لا. قال: هذا ابن أذين الذي أقول فيه :

إِسْقِنِي يَا ابْنَ أَذِينَ . مِنْ شَرَابِ الرَّحُونِ^(١)!

إِسْقِنِي حَتَّى تَرَى بِي * جَنَّةَ غَيْرِ جُبُونِ!

عُتِفْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى * هِيَ فِي رِقَّةِ دِنِي!

وَلَا سَايَ عَلَيْهِ * جَبَّةٌ مِنْ يَأْتِمِينَ^(٢)!

قال : فأقنا عده ثلاثة أيام، في أنزه موضع ومع أكيس حادم، ثم أنصرفا.

حانة الشط - قال حمد بن حمدون : كان الوراق يحب المواقبر، وما قيل فيها، وما غني به في ذكراها، فعند حانئبن: إحداهما في دار الحرم، والأخرى على الشط. وأمر بأن تحار له نحر نظف، بجمل المطر، حادى أمر السراب. ولا تكون إلا نصرانيا من أهل قُطْرُبُل. فأنى بصرائى، له آسان بطعان ملبحان وأبدان مهده الصفة. فجعلهم الوراق في الحانئبن، وصم إليهم حداً وعلمها وحوارى رومته. وأحدم النساء حانة الحرم، والرجال حانة الشط. وعل إليهما طرائف الشرب، وفرشهما من فرش الخلقة، وعلق عليهما السور، وجعل فيهما الأواني المدهبة والدنان المدهونة. فكاننا أحسن مطر وأهياه. ١٥

فلما فرغ منهما، أمر بإحصار المغني والجلساء. ولم يدع أحدا يصلح من صرّاب الطائير إلا أحضره. وحصرها، ونحر الحمار، هو وأولاده معه. عليهم الأفيئة المسهمة، وفي أوساطهم الزانير المحلاة، ومعهم علمان يحملون المكاييل والكيران

(١) كلمة فارسية مركبة من "زَر" أى الذهب ومن "كُون" أى النور.

(٢) في رواية: يَدَى. والسياق يعين هذه.

(٣) هو المشعوم المعروف. وأصل اللفظ مصرى قديم "أشمى" ثم اشتل الى الفارسية بالعربية فالهراوية فالأرامية فالعربية فصار اللغات الإفرنجية.

والمبارل في الصواني . وأخرجت لك الدنان المدهمة . وقد طيئت رؤوسها تطيبا
 نظيفا . يعق منه الطيب . فأقيمت يازاء المجلس الذي كان فيه جالسا . فبزلت ، كما
 فعل في الحانات وجعل توفى بالأعمودحات ، فبذوقها ويعرض ذلك على الحساء .
 ويحذر كل منهم ما يشتهه . فبأحد دنا . ويحيى إلى الخمار وبكّال منه بمكّال في إنائه ،
 كما يفعل في المواخير . ويعود إلى موضعه فيجلس . وبوضع على رأس الحضور أكابل
 الآس وما أشبهه من الراحي . فكان أحسن يوم رأيته .

فمرب الواثق شربا كثيرا وأمر للحمار نائف . دينار ، ولزوجه ألف دينار ، ولكل
 واحد من أولاده خمسمائة دينار . ولم يبرح أحد مما إلا بجائزة سنية .

وحكى الحسين بن الصحاك في حكاية له أن الواثق قال له : هل لك في حاة
 السّطّ قال : فملت إى والله ! بأمر المؤمنين . فقام إليها فشرب هناك وطرب .
 وما نرك أحدا من الجلساء والمعتبين والحشم ، إلا أمر له بصلة . وكان من الأثام التي
 سارت أخوارها ، ودكرت في الآفاق .

فلما كان من العدا ، عدوت عليه فقال : أنشدني ناحسين شبتا ، إن كبت قلته
 في يومها هذا الماضي . فأندبه :

١٥ حاة السّطّ فدا كرميت منوانا . عودى بيوم سرور كالدى كانا !

(١) جمع بارل وهو المنقب أن الآلة التي تنقب بها الدنان وإميل ليسيل ما فيها . ويسمى هذه الآلة
 'بص' . (١) أسوب ، (٢) بارل ، (٣) ضمور ، (٤) بذيون | تعريبا لكلمة يونانية | . والمرل الذي
 نحن بصدده نجد عدة من الحديث . وهو معروف عند أهل هذا الشأن . ويسمى عند الفرنسيين .
 Canelle و Canette و Canule . وهذه الأسماء الثلاثة الأفرنجية هي أيضا مستعملة في اللغة العربية
 عند الخواصين سمن معنى المرل في الاصطلاح الطبي العربي . و Canelle هي الأكثر استعمالا عند
 الكبرامين الفرنسيين .

وقد ورد المثلث لفظة «البرل» في استخراج الحجر من الدنان (أطهر ص ٢٦٦ ص ٥٩ وص ٣٠٩ ص ١١١
 ص ٣٢١ ص ١٩٩ وص ٣٢٢ ص ٢) .

[لأُتْقِدِيهَا دُعَابَاتُ الْإِمَامِ وَلَا طِيبَ الْبَطَالَةِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا.]^(١)
 وَلَا تُخَالِعَا فِي غَيْرِ فَاحِشَةٍ . إِذَا تُطَرَّبْنَا الطَّنْبُورُ أَحَانَا .
 وَسَلْسَلَ الرَّطْلَ عَمَرُوهُمْ عَمَّ بِالسُّقْبَا فَالْحَقْ أَحْرَامًا وَأُولَا .
 سَقِيًّا لِعَيْشِكَ مِنْ عَيْشٍ خُصِّصَتْ بِهِ دُونَ الدَّسَاكِيرِ لَذَاتُ دُنْبَانَا !
 قَالَ : فَأَمَرَنِي الْوَائِقُ بِصَلَاةٍ سَنَةِ مُحَدَّدَةٍ ، وَأَسْتَحْسِنُ الشَّعْرَ ، وَأَمُرُ أَنْ يُغْنَى عَنْهُ .

حاله حوث

حانة خويث - وتُعرف بِحَانَةِ بَرِيعٍ ، وَهُوَ خَادِمُ الْمُوَكَّلِ .

وَكَانَتْ عَزِيزَةً لَا يُعْرِضُ لَهَا أَصْحَابُ الْمَاعُونِ . وَكَانَتْ حَسَنَةَ الدَّاءِ ، وَوَزَّرَهُ مَسْقُفَةً
 بِالسَّاحِ . وَإِلَى جَانِبِهَا سِتَانُ نَرَةٍ حَسَنُ الْبَرِيعِ . وَكَانَ يَتَخَدَّ فِيهَا آلَةُ الشَّرَابِ .
 وَكَانَ فِيهَا حِمَارٌ يَهُودِيٌّ ، لَا يَبِيعُ إِلَّا شَرَاءً مَخَارًا سَرَّاءً ، لَا يَبِيعُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَامَةِ
 وَالْوُضْعَاءِ . وَكَانَتْ حَانَتُهُ لِرَدِّ الْخَاصَّةِ وَالسَّرَّاءِ مِنَ النَّاسِ . وَكَانَتْ وَصُوفُهُ بِالْحُسْنِ
 وَالطَّافَةِ .

٢٨٩

وَفِيهَا يَقُولُ عَدُّ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّمَاتِ (وَكَانَ فِدْدَتَاهُ بَرِيعُ
 النَّهْأِ ، وَمَعَهُمَا حِثْنُ الْخَادِمِ ، وَكَانَ نَهْأَهُ فِي الْحُسْنِ ، وَحَسَنَ النَّهْأِ) .

سَمَاءُ بَرِيعٍ^(٢) وَالسَّمَاءُ مَشْرُوقٌ وَنَحْمُ السَّرَّاءِ فِي السَّاءِ مَحْمُولٌ .
 كَيْسًا كَأَنَّ الْمِسْكَ حَشُو كَوْسَهَا مِمَّا السَّمْلُ خَمُوعٌ مِمَّا بَعْرُوقُ .
 سُلَافَةٌ كَرِيمٌ أَحْلَصَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا . يُصَيِّحُ لَهَا اللَّيْلُ الْهَيْمُ وَيُسْرِقُ .

(١) نَقَلْنَا هَذَا الْبَيْتَ عَنِ الْأَنْبَاقِ (ج ٦ ص ١٩٧ طبع بولاق) لِيَنْصَحَ الْمَلِكُ وَيَسْتَنْتِمْ سِيَادَ الْبَيْتِ بَعْدَهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : إِذْ لَا تُخَالِعَا (وَلَا هِيَ لَهُ مَعَ هَذَا التَّعْرِيفِ وَلَدَاكَ صَحِيحًا عَنِ الْأَنْبَاقِ) .

(٣) أَيْ الْبَدِينِ يَطْلُونُ الْمَعْوَةَ ، أَيْ الصَّرَائِفَ وَالْمَخْرَاجَ .

(٤) إِمَامُ السَّائِقِ الْمَذْكُورِ قَبْلُ .

وقلت لِحَنِّي : هَلُمَّ فَعَنِّي ! . "أَرِقْتُ، وما هذا السَّهَادُ الْمَوْزُونُ؟"
فَعَنِّي غَيَاءً حَرَكَ الْقَلْبَ حُسْنُهُ . ولَمَّا يَحْرَكُهُ الشَّرَابُ الْمُصَفَّقُ !

حانة سجستان - حكي أن أبا الهندي، لما ضُرب عليه البَعْثُ إلى سجستان،
كان يلزمها وبُسرِبَ عندها مع نديم له . فشربا يوما حتى سكرَا وناما . فلما هت هواء
الصحراء . آذنه أبا الهندي، والرق مطروح، قد بقي منه سُطْرُ الشَّرَابِ . فأفامه
وصبَّ منه في كأس . وجاء إلى نديمه فخرته وقال :

تَصَحَّ بَوْجُهُ الرِّيحَ وَالطَّائِرِ السَّعْدِ .. كُنْتُ نَعْدَ الْمَرْجِ فِي صِفَةِ الْوَرْدِ !
تَصَمَّمَا زَوْ أَزْتُ كَأَنَّهُ * صَرِيعٌ مِنَ السُّودَانِ دُوشَعْرٍ جَعِدِ .
ولمَّا حَلَلْنَا رَأْسَهُ مِنْ رِبَاطِهِ * وفَاضَ دَهًا كَلِمَتُكَ أَوْ عَنَبِ الْهِنْدِ ،
وَحَدَّاهُ فِي مَعْصِ الرُّوَانَا كَأَنَّهُ . أَخُو قِرَّةٍ بَهْتٍ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ .
أَخُو قِرَّةٍ يَسِدِي لِمَا وَحَدَّاهُ صَفْحُهُ * كَلُونِ رَفِيقِ الْخُلْدِ مِنْ وَلَدِ السِّنْدِ .
حانات الشام - وهي آذان :

حانة عَرَاز - وكانت سَلَّ عَرَاز .

حكى ابن عسك - قال : كنتُ مع الرُّسَيْدِ ، حين نَحَرَجَ إِلَى الرَّقَّةِ ، فدخل يوما شرب
مع النساء . فخرحتُ ووصبتُ إليه . فزلتُ عند نَحَارِهِ هَاكِ . لَهَا زَوْجٌ قَسٌّ ، وَلَهَا
مِنْ بَنَاتٍ . لَمْ أَرِ مِثْلَهَا قَطُّ حَالًا ، وَلَا مِثْلَ بَنَاتِهَا . وَأُخْرِجَتْ إِلَى شَرَابٍ لَمْ أَرِ مِثْلَ حُسْنِهِ
وَطَبِ رِيحُهُ وَطَعْمُهُ . فَاجْلَسْنِي فِي بَيْتٍ مَرشُوشٍ فِيهِ رِيحَانٌ غَضٌّ . وَأُخْرِجَتْ
بِهَا نَحْدُمِي كَأَنَّهَا خُوطُ بَابٍ ، أَوْ جِدَلُ عِيَانٍ : لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهَا قَدًا ، وَلَا أَسْمَلَ

خدا، ولا اشرف وجهها، ولا أبدع طرفا، ولا أحسن كلاما، ولا أتم نماما. وفقت عندها ثلاثا، والرشيذ يطلبنى، فلا بقدر على. ثم أنصرفت. فذهبت في رسله إليه. فدخلت عليه، وهو عصبان. فلما رأيته، خَطَرْتُ في منبتى وروصتُ (وكانت في رأسى فضلة قوية من السكر) وعييت في شعير فلته في بيت الخماره صنعت فيه. وهو:

إِنِّ فلى بالقل، تل عَزَارِ، : عند ظنِّي من الطَّباةِ الحوازى
شادنُ يسكنُ الشَّامَ وفيهِ مَعَ سُكُلِ العِرافِ ظَرْفُ الحجازِ.
بالقوى لِبِنِ قَسِّ أصابَتْ ، منك صَعَوَ الهوىِ واسْتِ مجازى!
حَلَمْتُ بالمسيح أن تُخَيِّرَ الوعدَ، وليسَتْ تَهْتُمُ بالإنجازِ!

١٠ قال: واللحن في هذا الشعر خفف رمل بالوسطى. قال إسحق: فسكن عصبه. ثم قال لى: ويحك! أين كنت؟ فأخبرته فصحك وقال: عذر، والله! وإن مثل هذا لطيب، إذا أنفق. أعد عناقك! فأعدته. فأعجب به، وأمرنى أن أعنه بلتى كلها، أعيده أبدا، ولا أعنى أنا ولا عيرى سواه. وأمر المغنين بأخذه. ما زلت أعنه ويسر عليه إلى الغداه. ثم أنصرفت. فصلت ونمت. ما أسقررت جبا حتى وافانى رسول الرشيد، يأمرنى بالحضور. فركبت ووصيت. ١٥ فلما دخلت إذا أنا بابر جامع يتمتع على دكان في الدار، لعبة الببذ والسكر عليه. فقال لى: أندرى لم دعيّا؟ قلت: لا. قال: بصرائيك الرانيه، عليك وعليها لعنه الله! فضحك. فلما حرح إليها الرشيد، أحبره بالقصة.

فصحك وقال : صدق . أعيدوه جميعا ، ولا تعنوا غيره . فإني أشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني . فغنياء جميعا يومئذٍ ، حتّى بام في موضعه ، سُكْرًا . ثم آنصرونا .

حانة هُشَيْمَة - وكانت بدمسوس . وكانت تحبُّم الوليد بن يزيد في شرايه وتوتلّ أتحاده له . وكان يقال إنه لم ير أعرف منها به ، ولا أطفأ له وصعة ، ولا ألبق في الخلد منه .

وقد ذكرها يزيد في شعره إذ قال :

فدَسِرْنَا وَحَتَّ الرَّمَارَهُ ، فاسقني بأبدعٍ بالفرقاره !
من سرايب كانه دُمُ جَنَفٍ عَمَتْهُ هُشَيْمَة الحتاره .
إِسْعِي ! إِسْعِي ! فَإِنْ دُونِي فدأحاطت فامّا كَتَارَهُ !

وعمرتُ حتّى أدرك الرشد وماتت في أبامه . ماتت يوم مات الكسائي [النحوى] والعلّا [س بن الأحف الشاعر . فصل] المأمون عليهم .

وها قد ذكرنا ما اتصل ساعلمه ، ووقع إلينا خبره ، وبه تم الفصل السادس . وهو آخر فصول الباب الأوّل من القسم الأوّل .

ولله الحمد وبه التوفيق !

(١) هـ . سلف الخلد ، والمصوّرة والنسابة على كلب وجرووف فاعدها بمراحه البواقي من حروفها على روايه (ح د ص ٤٦) . وأنصرفه طريق الرواية بمسألة صلاة المأمون عليهم .

تصويبات و تصحيحات لما وقع في نسخة الأم لما وقع أثناء الطبع

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣٩	٢	أورد النسخ "العجاجة" من أسماء الفبار . والصواب "العجاج" . أما المعجاجة فهي الإبل الكثيرة العظيمة . وهذا وذلك عن كتب اللغة .
٥٤	٩	في الاصل "حاقولي" . ولعله يريد "خافوني" . وانظر "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" للدمشق المعروف بشيخ الربوة .
٥٨	٦	"باش بالقي" . معناه عند الترك "المدائن الخمس" . وعلى ذلك جرى اليونان في قولهم Pentapole (أى المدائن الخمس) في تسمية احدى المدائن الشهيرة بناحية . قة ، وهي التي اختزل العرب اسمها فجعلوه "أنطا بلس" .
		أل بالقي . معناه بالتركية "المدينة الحمراء" لأن أل معناه الأحمر . وهي باكين عاصمة الصين .
٦٢	٦	جبل "قُعَيْقَعَان" يسمى الآن "الجبل الهندى" . وبه مدرسة عربية في موضع مسننى صغير ، كان للترك قبل الحرب العظمى .
٦٦	١٣	القرينة وسياق الكلام يوجبان تغيير كلمة "البحر" بكلمة "الجبل" . ذلك لأن المؤلف لم يذكر قط بحرا مشها بتفصيل « السراويل » . وانما ذكر (في ص ٤٨ س ٥٥ و ٦) جبلا بهذه الصفة ، وهو الذى يرجع اليه الكلام .
٦٨	٥	الكلام على البحرين يقتضى التثنية . ولذلك يجب إصلاح "منها" الواردة في الأم بـ "منهما" .
٧١	١٩٢٩	Trismégiste [ومعناه عند العرب "المثلث بالنبوة والحكمة والملك" . واللفظ اليونانى يدل على المثلث الكبير يا .]

صفحة	سطر	تصويّسات وتصحيحات
٧٧	١٠	الأختر . (نص مفتوح) .
٧٨	٢١	Pont-Enxin
٨٢	١	الأردنّ (نص أوله وثالثه وسكون ثابته وتشديد راعه) .
٨٣	٨	الدهالك (بالكاف في آخره لا باللام) . كما في ص ٦ ص ٢٢٩
٨٤	٢	البُتّم (نص فتشديد) جبال مشهور تركستان .
٨٥	٥	أشار المؤلف الى مدينة «لوقر» في الصين . هكذا كتبها الناصح بهذا الرسم في نسخة الأم ، وفي نسخة آياصوب . وأكبر طي انه يشير الى مدينة «لوقيين» التي وصفها ابن فضل الله . هذه المدينة في الجزء الثاني من «مسالك الأنصار» (ص ٣٣٦ فتوغرافية) فقال . «ومدينة لوقيين» وهي مدينة حسة على صفة حور عبد ، تدخله المراكب . وهذه آخر حدّ بحر الهند من جهة الشرق» . وقال ابن خردادبه . «لوقيين وهي أول مراقي الصين ...» وكثيرا من العرب استعملوا «مراقى» (بالقاف) مثل اللادري والكزي والادريبي وابن حدر وابن حلدون ، كما أشار اليه دورى في «سكة المعجمات العربية» وأما أصيب عليه الميرى (ح ٢ ص ١٤٠) وان كان هو أيضا استعملها بالفاء في صيغة المفرد (مرفأ) عند إيراده الحملة نصبا في مكان آخر (ح ١ ص ١٤٠) ولا تسلك أنهم استعملوا «مراقى» في مقالة قولنا الآن «إيسكه» عن (Scala) أى «سلم» و«مرقة» . وقد سه المطرزي الى تصحيح الفاء قانا كما أشار اليه دوحويه في «فتوح ابلدان» للبلادري .
٩٣	١٩	المرة . ورد في الأصل براء مهمة . ويكون معنى المثال انه شرب المُرّ . وإذا أعجمها الحرف فيكون أنه شرب المرة أى الحرف فيها حموضة . وفي أسف لعدم تمكني من مراجعته نسخة صحيحة من كتاب ابن عساكر .
٩٨	١٥	«الأساطيم» الواردة في نسخة الأم ، هي ملاشك من أوهام الناصح . وربما صح لنا . الاستشهاد بالمثل العربي «أساء سمعا فأساء حاة» ويريد عليه «وأساء كتمان» . وربما كان «مسم» على ليه «الأساطين» فسمها عجمي وجرها ، فكتبها كذلك . والمقام يعين

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		« الأساطين » جمع أسطوانة . وانظر « الإعلام بأعلام بلد الله الحرام » (ص ٨٦ و ٥٣) و « أحبار مكة للدرقي » (ص ١٦٤) ، كلاهما طبع العلامة واستعمل الألمان . ولما كان الكلام يدور على السواري والعمدان ، فلا معنى . فطلنا في هذا المقام للاسطام الذي يدل فقط على المسعار للحديدة المقطوحة يُحْرَكُ بها البار ، أو الحديدة التي تكون في طرف السهم حيث يُعَلَّقُ الحِر الذي يرى به المصحق (انظر عن الاسطام الفاموس وشرحه ، ومفاتيح العلوم) .
١٠٢	٢	وَكَسَوْنَا ... الَّذِي ...
١٠٧	٣	أُسْطَوَانَةٌ (بضم أَوَّلِهِ) .
١٣٦	١٢	أَبَى (بضم أَوَّلِهِ وفتح ثانيه وتشديد آخِرِهِ) .
١٤١	٥	الصَّحْرَةِ وَالْأَعْمَدَةِ . وَالْحَائِطُ أَيْ أَنَّ الْحَائِطَ هُوَ أَوَّلُ كَلَامٍ حَدِيدٍ .
١٤١	١٩	التحريح الطلى الذي في هذا السطر سير صواب منى . ولذلك يجب حذفه . وكلمة « إنبذارية » ورعما تكون إنبذارية — وإن كُتبت سميت كثيرا ونحشت طويلا لمعرفة أصلها على غير طائل — تدل على نطاق من الرجم السارر ، وبعضه متصل بالعص الآخر على دائرة الحدردان الاربعه . كما شاهدته سمى حينما رزب الحرم المقدسى لأهل تخمين بعض البيانات الواردة في هذا الكتاب . وأحصاه الإنبذاريه هذه . وما قصيت الوطرفيا يتعلق بهذه الكلمة . شئى سوى امتناع المطر تركيها وحملها . وكانت رحلتى الى وسطين لهذا الغرض في شهر يونيو سنة ١٩٢٣
١٥٧	١٧	قال ابن فضل في نسخة الأم أثناء كلامه على السور الشمالى للسجد الأقصى ان المدرسة الكريمة « جارت ما أمامها » الاروقة حائطين عرية وشرقيه . « وقد صححت « حارت » « « حاورت » لأنه محال أن تكون المخارة من الشرق الى الغرب معا . وقد سميت على لفظ الأصل في الحاتية . لكنى راجعت فيما بعد نسخة آياصوفيا ، فرأت فيها « حازت » . فالحا.

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		المهمة والراى . ولعل هذا هو الاثر للصواب ، اذا جملنا « الدال » بدلا من « الراى » . فتكون المدرسة « محاذية » لما أمامها من الأروقة ، شرقا وغربا .
١٥٨	٧	ويُتَّخَذُه (بالهاء المعجمة) .
١٦١	١٧	يُنَزَّلُ (بضم فسكون مفتوح) .
١٧٥	١٤	سكان س أرْتَبَكْ (هكذا نالاه المفردة التحتية في الأصل) . صوابه سكان [أوسمان] س أرْتَقِ س يلغازى . ولعل اسم أبيه كان في أول الأمر « أرْتَيْك » ثم عرّوه فقالوا « أرْتَق » . يجب التصحيح .
١٨٤	٩	جران الكروم . هكذا ورد في نسخة الأم عبد الكلام على ساء قبة مسجد دمشق . فقد أشار المؤلف الى أنهم حمروا لأركانها حتى بلعوا الماء ثم القوا على الماء جران الكروم . ولكن جران لا معنى لها .
		وقد وردت « جراز » في كتاب « مطالع البدور » أثناء كلامه على هذا الموضوع ، في السبعة المطبوعة وفي أخرى مخطوطة « بخزانة الزكية » .
		ولا ينبغى المعنى مطلقا مع كل هذه التصحيحات والتحريرات . فرجعت الى « المخصص » رأيت فيه « دجران » و « حفان » في ذب الكلام على الكرم . ولكن « دجران » تدل على الخشب الذى يُنحَد تعريشة للكروم ؛ واما « حفان » فهي قصبان الكرم هسه أى « عقل العنب » على ما يقول العامة الآن في مصر .
		فارتضيت هذه الكلمة الأخيرة . لأن هذه القصبات من شأها حس الماء وطمه ، فتكنمه وتمنع هوده الى أساس لباء الذى ينام فوقها . بل أى ، مع ذلك ، سعت لتحقيق هذه الكلمة عن نسخة معتدلة لاس عساكر . ولكن على غير طائل ، لعدم وجود أثر صحيح لها بخزانة مصر . فاضطررت لمراجعة الطبعة التى مسخنها بعصم وشوهدا وحلط كلامه بكلام مؤلفها وبزمنها ما بتر ، ووصلت به الجُرَّة على العلم وعلى الأمانة ، بل عدم التهذيب الى إبرازها للناس بهذه الهابة مع نعمتها بـ « تهذيب تاريخ ابن عساكر » . فوجدت الكلمة التى نحن بصددها « جفان » . فحمدت الله على عدم

صفحة	سطر	تعويبات وتصحيحات
		وصول التشويه والتحريف والتصحيف والمسح والعلط الى هذه الكلمة كما وصل الى غيرها مما لا يمد ولا يحصى . وعلى ذلك يجب تصحيح كلمة "جران" بكلمة "جفان" .
١٨٩	٣	بنها (بدلا من) بينهما الموحودة نصبة المثنى في نسخة الأُم [اللهم إلا أن يقال أن "بينهما" هي لفصل بين "الاقاء المقودة" من جهة وبين "العد" من جهة أخرى . وبه تعسف] .
٢١٣	١٢	بصنعة القوط . [ويمثل ذلك يصحح المامش]
٢١٦	٦	لم يعد [هذا الضبط أفضل]
٢١٧	١٣	المعنى (نص الميم) لا فتحها . مسة الى معين الدين ، من حالات الدواوين الورية والصلاحية) .
٢١٧	١٤	سرية "تتلى" بالساحل من أعمال الرملة . هكذا ورد اسمها في الأصل بالناء المنة الدوقية ونصبة المثنى للجمهور . والصحيح أنه بالياء آخر الحروف "تتلى" . وهي في عصرها هذا من أعمال غزة . وقال ياقوت إنه مُلِدَّ قرب الرملة في قبر حثاني ، يقول بعضهم هو قبر أبي هريرة ، وبعضهم يقول قبر عبد الله بن أبي سرح .
		أما "تتلى" فهي على ما في ياقوت بلدة بحوران من أعمال دمشق . قال الالبانة : فلا زال قبر بن "تتلى" وحاسم "س" عليه من الوسمي "حود" ووالد وبت "حودا" وعوفا مسورا "سأدلى له من خير ما قال قائل
		والبيت الأتول وحده رواه المخصص (ح ١٥ ص ١٩٣ عما أشده سبويه ، ولكنه جعل "عل" بدل "حود" . وهو أفضل .
٢١٨	١	في الأصل : "وقيل إن مدينة دقيانوس ويقال إن مدينة دقيانوس هي طليطلة" .
		تحيلت أن الكلام فيه تكرر . لذلك حذوت الجملة الأولى ، أثناء الطبع ، وبنت على ذلك في الحاشية .
		بد أنا اذا وصما "لما" بدل "إن" الأولى لاستقام الكلام تماما . اذ يكون على هذه الصورة : "وقيل أنها مدينة دقيانوس ، ويقال ان مدينة دقيانوس هي طليطلة" .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		<p>وذلك لأن بعض المؤرخين يقولون إن أبسس (أفسس) Ephesus هي مدينة دقيانوس ، مظهره أصحاب الكهف ، ومعهم يقول إنها طليطلة بالأندلس .</p> <p>ولحقق هذا الكتاب بحث واسع باللغة الفرنسية عن "الكهف والرقيم" من الوحيين التاريخية والجغرافية . وعن جميع الأماكن التي زعم أهلها أنها بها .</p>
١١٢١٨		<p>قرية "إربيل" تعرف في أياما هذه باسم "إربد" ، والدال المهملة في آخره . وهي الآن من أعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأردن العربي . وكانت في أيام الحكومة العثمانية عاصمة لقضاء عجلون . وبها مسجد وسراى (سبسة ١٨٨٤) . ومناحها طيب ، ولها مستشرف يدع على الصحراء ، يمتد شرقا لعابية نادية الشام ويطل من الجنوب والجنوب الشرق على جبل عجلون بعامة التي يتكاثف فيها شجر اللوط العتيق . وفي ساحتها حوص يملأه المطر . فيستقي منه أهلها ، على طول السنة . وهي قائمة على موقع المدينة القديمة "أربلا" (Arbela) . وسكانها قبل الحرب العامة رها . ١٣٠٠ نسمة . وهم الآن أكثر عددا .</p> <p>وإما جعلها الارتاك "إربد" ، والدال المهملة للتمييز بينها وبين مدينة "إربل" الشهيرة (Erbil, Arbil, Arbelle) ، أرض الموصل . كما فعلوا في حمص التي نظرائس العرب سموها "حمص" ، كما فعلوا بمدينة نصيبين لولاية حلب سموها "زيب" ، تمييزا لها عن نصيبين التي بالعراق .</p>
١٦٢١٨		<p>سيلون . تعرف الآن عند أهل فلسطين باسم "سيلة الظهر" .</p>
١١٢١٩		<p>كفر برلك (بالاء الموحدة) . لا كما وردت في نسخة الأم بئناء الموقية : "كفر تربك" . وهي قرية بفلسطين .</p>
١١٢٢٣		<p>سُوبَل وهو أيضا "سُوبَل" الذي تسميه التوراة "توبال قاين" . </p>
١٥٢٢٣		<p>منوشهر وهو "موجهر" عند الفرس والترك . وليس منوشهر (بالاء) كما في نسخة الأم .</p>

صفحة	سطر	تصريات وتصحيحات
٢٢٤	٦٤٣	أورد السامع أسم ملك الفرس مرتين متواليتين هكذا : سوراسف سسين مهملة في أوله موهنا صمة وصحته على مايسميه العرب "سوراسب" وأما الفرس فيسمونه : سُراسب .
٢٢٦	٢٠	روى المؤلف عن الكري الامداني ان للاصاينة بيتا محجرا في باب الرقة يعرف بمعلنيشا .
		وأرب الروحوع الى علم صديق العلامة العاقل الأب أسستاس الكريلى ، المعروف بالتحقيق والتدقيق في مثل هذه الموضوعات . فتكرم وأماننى بما نصه :
		كله مصحفة من "معلنيشا" . وهذه محوثة من الإزمية ... ونقرأ (بنت علوانا) أى هيكل الاصنام . وقد أكد لي بعض علماء الصابئة الحاليين ان هذا الهيكل وارد ذكره في كتبهم باسم "معلنيشا" ويعنى أيضا محل الصحة أو المحرقة و بيت الصم الأعلى . اه .
٢٢٩	٥	في الأصل "السند" سود . والواحد حذف هذا الحرف لتكون الإشارة الى "السند" أى سد يا حوج وما حوج . وذلك ماختمه الموقع الحفارى . لأن ملاد الخطا في شمال الصين ، وأما السند في شرق الهند . وشئنا ما بينهما ! فلا يمكن أن يكون صم الخطا المحجوج اليه الذى في نهاية الشرق المتشامل . قريبا من ملاد السند . يؤكد ذلك ما أورده المؤلف نفسه في ص ٤٧ من ١٦
٢٢٩	٩	الغزبية يشير إلى بلاد العرب .
٢٢٩	١١	أرض الأوزير . هكذا ورد في نسخة الأم . وقد أكرت من البحث عن هذا الأوزير فلم أهنأ اليه . وعدى انه محرف عن الغدير ، لهرها لك تكلم عليه المؤلف (ص ٢٨٥ من ١١ وص ٢٨٦ من ١) .
٢٣١	٧	مدينة جرش . هكذا صطلها في نسخة الأم بصم الميم . وهو غير صواب ، اللهم إلا فيما يتعلق ببلد ناين . أما الذى نحن بصده وهو المدينة الأثرية التى يتكلم عنها المؤلف ، والتى هى الآن تابعة لامارة الشرق العربى فيما وراء الأردن . ، فهى جرش (هتج أوله وثانيه) ولا يرال أهل تلك الجهات يطلقون بالاسم على هذا الوحه ، لافرق في ذلك بين الخاصة والعامة .
		(*) رسم الاب العاقل حروف هذه الكلمة بالالة الإزمية ، وقد اضطرت لامهاها ، مع الاسف الشديد ، لعدم وجود شئ منها في دور الطباعة بمصر .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٧ ٢٣٤		في الأصل . "وتلنى تلنى" . أهمل الناصح التاء الثانية في صدر الكلمة الأولى . فيجب التصحيح هكذا . "وتلنى تلنى" .
٧ ٢٤٤		أسراب (بالسين المهملة) جمع "سرب" للقناة في جوف الأرض . ووضع النقط في نسخة الأم فوق الشين المعجمة غلط .
١١ ٢٤٥	Centa	
١٣ ٢٤٥	Port-Vendres	
١١ ٢٤٨		رواية "القناص" : وشا كرجج وجلاجله . [والكرجج : الحلل . والوشى : معروف]
١٧ ٢٥٤		وكانا . (لا : كاوا)
١١ ٢٥٨		في الأصل : "وجه اليها عشرين دنا شرابا ومائة دجاجة وعشرين حملا وباسح فاكهة"
		فأولا — كلمة "اليها" يجب جعلها "الينا" كما يحتمل السياق . لأن الكلام عن رحلين ، أحدهما حقة وهو الحاكم للقصة والمنتم للرواية عن نفسه وصاحبه .
		وثانيا — كلمة "باسح" عليها في نسخة الأم نقطة من المداد جعلني أنحيز أن المؤلف ضرب عليها بالقلم . فذلك أهميتها والطلع ، لا سيما وإن لم أهمهم لها معنى وقتئذ . لكن الأمانة أوجبت على المراجعة عنها والتدقيق فيها . وقد وجدت أن صاحب القاموس أشار في مادة (ن ب ح) إلى أن "البسج" هي "الغزائر السود" أى الجوائق والركائب . فتكون الفاكهة حينئذ من التوافيق أى من نوع "نقل" . ويكون ابن فصل الله قد أراد الرجوع عن جمع الجمع (باسح) لعدم وروده ، فصر على الكلمة ثم منها عن وضع الكلمة الواردة في كتب اللغة ؛ أو يكون أراد أن يضع بدلها كلمة "أطباق" وهي التي استعملها هو في ترجمة الأمر بأحكام الله ، إذ من يرجل من أهل مصر

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
		واقف على بستان له فاستسقاء . فلما شرب ، قال الرجل : أطمعنى في السؤال يا أمير المؤمنين . وطلب منه الدورول عليه ، وقدم له ولجيشه أشياء كثيرة تجل عن الوصف ، منها مائة طبق فاكهة . هذا واستعمال الأطباق للفاكهة معهود أيضا في بغداد . فقد روى المؤرخون وأهل الأدب أن عبد الملك بن صالح أهدى هارون الرشيد فاكهة في أطباق حيزران ، وسماها في كتابه الخليلية ، "أطباق القضاة" احتشاما من تسمية الشيء باسمه . لأن أم الرشيد كان اسمها الحيزران (انظر مطالع البدور ج ٢ ص ٣٦) .
		على أن كتاب بغداد قد استعملوا الكلمة التي نحن بصدددها . فقد ورد في كتاب الموشى (طبع ليد ، ص ٩٤) ما نصه " والنباتات المصنوعة بأنواع الرياحين " ووردت في نسخة أخرى : النباتات . وعندى أنها مصححة عن نباتات و نباتات العُمر (صم أوله وسكون ثانيه ، بمعنى الدر الكبير) .
١٤	٢٦٦	الزنانير . أوردتها النسخ بهذه الحروف في قول الشاعر :
٢	٢٦٧	"ومها مثل الزنانير محمو * ف رهز الحيرى والحدودان"
		وأنت تعلم أن البار لا يُشبه بالزنانير بل بالدنانير . فقد روى المؤلف نفسه (في صفحة ٢٠١ ص ١٨) قول الصلاح الصمدى :
		وبالأرض من حبا صخرة * فاستت الأرض إلا بهارا كما روى قول الخالدي (ص ٢٩٥ ص ٩)
		وقد نَقَطَ الزهر حد الرى * ندرهمه وبديساره ويضيف إلى ذلك قول أبى نواس :
		رهرة عند زهرة عند أخرى * كأقتران الديار بالديار

صفحة	سطر	تصويّسات وتصحيحات
		وعلى ذلك يحى تصحيح "الزناير" ر "الدنانير" .
		اللهم الا اذا قيل ان الشاعر أراد "الزناير" لوع من الدباب ، صغار ، تكون في الحشوش ، أى المواضع التى يذهب الناس إليها في الساعات ومن مجتمع الحيل ، لقضاء الحاجة . وذلك بعيد وعير مقول . ولقائل أن يذهب الى انه أراد "الزناير" أى تلك الدبابات الساعية المعروفة باسم الدبابير . هى رقتها ما قد يسوع معه مثل ذلك الرأى . ولكنى أؤثر "الدنانير"
١٢٠٢٦٧		ثُرَانَا ... تَغْصُهُ .
١٧٠٢٧٠		أورد السامع البيت هكذا
		وعيم يوصل من كت أهوى . قد تدلته نؤس العتاب
		والذى أراد أنه أراد "الغياب" فالعس المعجمة والياء آخر الحروف . لأن الشاعر يقابل به ما كان له من عيم الوصول . لقد كان يصح أن تقترح كلمة "العداب" ولكن الشاعر آستعملها في البيت التالى لتأله . فصلا عن أن "العتاب" لا "نؤس" به . وقد يجوز أن يكون أراد "العقاب" لما وقع عليه من الظلم .
٧٠٢٧١		يُرمِى الرِّجْوَانِ . (هذا هو الضغط الصحيح) .
٤٠٢٧١		بِقَطَرٍ لِّل . (هذا هو الضغط الصحيح) .
١٧٠٢٨٠		قُصِصَةٌ صم القاف ، سه لقريّة بين بعدد وعكرا ، مشهورة بحماياتها وحمورها الجيدة .
٣٠٢٨٢		أكثرت البحث والتسأل عن أصل لفظه "ماشوش" . فلم أظفر لآل بباطل . وقد أضافنى العلامة الاب أستاذ الكرملى انت ما رواه الشافى هو خرافة . ولا مانع عدى من الانصام الى رأيه الرشيد ، ليس مما يتعلق بلبلة المشوش ، في دير الخوّات حسب ، بل فيما يسبه عامة الناس أبضا مما يصارع هذه الأشعة الى الدروز بلبان وحموران ، الى الانصارية والصيرية (أتابع

صفحة	مطر	تصويحات وتصحيحات
		الشيخ نصير) لولاية حلب وحاصه ساحية انطاكية ، والى الاسماعيلية المتوطنين ساحية القدموس قصاء قلعة المرقب من بلاد سورية .
٢٨٣	٣	الصباح (فتح الصاد) .
٢٨٥	٦	جناحا (بالون) .
٢٨٦	٨	مدى أن الأصوب رواية البيت هكذا :
		برية شتواتها . بحرية فيها المصايف
		فان الناس يتطلعون الاصطلياف بخوار السعار ، كما هو مألوف منذ قديم الزمان .
٢٨٧	١٦	ورد في الأصل : "يجوز العيش أنوالهدى" مع وضع كسرة تحت العين المهملة . ولا هو لذلك . بل لابد أن يكون الصواب "يجوز العيش أنوالهدى" . والرجل على ما عرفنا به صاحب الأغانى (ج ٢١) والورى (إبابة الأرت ح ٤ ص ٥٥ فتوغرافية) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس ابن شت بن دعى اليه نوعى . كان من المستهترين شرب الخمر . مع بصري سيار فقال له نصر : إليك هباء بيت الله الحرام ، ومحل حرمة ! فدع الشراب ! فما هو إلا أن رآه صاحبه ، حتى وصع الشراب وحمل سكى ، ويقول :
		رصيع مدام فارق الراح روحه فطلّ عليها مستهلّ المسامع أديرا على الكأس ، إلى هفتها . كما فقد المعلوم درّ المراضع !
		ومرّ به نصر بن سيار ، وهو يميل سكرًا ، فقال له أهدت شرفك ! فقال لو لم أهد شرق ، لم تكن أنت اليوم والى نراسان . (واظر ص ٣٩٦ من هذا الكتاب ، وص ٢٢ من "حلبة الكيت" طبع بولاق)
٢٨٨	١١	وقدّر

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٢١٨	١٩	ودارتُ مُجَبُّ الأبطال . ل مَحْتٌ بِحُلِّ الثَّربِ
		هكذا في الأصل "الأبطال"، ولا شك أن ذلك باطل، ومن ههنا السامع . لأن المقام يعنى الثرب . "الأبطال" التي دارت على الدماء دورا حينئذ يشابه سير الساق المربعة المحبة . ويجوز أن يكون الشاعر أراد الأبطال أى أقداح الخمر . وذلك أقرب لرسم المروف، ولكننى أتمسك بـ "الأبطال"، لا سيما وإن المؤلف قد استعمل هذا اللفظ فقال "مشربا بالأبطال" (ص ٢٧٨ س ٣) ؛ "فاستقى رطلا"، (ص ٣٢١ س ١٨، ص ٣٢٢ س ٣ - ٦)
٢٨٩	١٠	على أوجه أعمار على قُصْبِ على كُتْبِ
		هكذا كتب السامع . ولا معنى للأعمار هنا . بل هى "أعمار"، ياسيدى . وعلى ذلك يحى رواية البيت على "الوجه" الآتى .
		على أوجه أعمار . على قُصْبِ على كُتْبِ
٢٩١	١٢	تراك (الراه المهمل بضم التاء، بمعنى هل ترى نفسك) .
٢٩١	١٣	أنقى (بضم أوله وكسر ثائه) .
٢٩٢	٣	فأجراها (بسكون الجيم) .
٢٩٢	١٠	عوارب (بالضمة) . لا (عوارب بالعين المهمله) .
٢٩٥	١٨	نسط المسح ... تبسط صحون آمن وخيرات تفاح
		سقطت كلمة من الشعر لم يكتبها السامع ولعلها "النسرين"، أو ما على هذا الوزن . فتكون رواية البيت على هذا المثال .
		نسط المسح والنسرين تبسط صحون آمن وخيرات تفاح والله أعلم .

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
٣٠١	١٦	(*) الطيّوث . لفظة إرمية ، وهى بلسانهم ... (وتلفظ طيوناً بناءً مثلثة فى الآخر) . وهى عد نصارى اليعاقبة أصحاب دير القيارة : ”مادّة تسوى أو تؤخذ من زيت قد صُلّ عليه مطرانهم وباركه ، وقد أُصيف إليه شئ من الماء وقليل من تراب رفات أحد الأئمة فى القداسة .
		وكان الحق فى تعريبها الطيّيوت بناءً مشاء فى الآخر . لكن العرب عربوا ما كان على هرون فعلّوت بفتح الأول والثانى ثاء مشاء . فقالوا . ملكوت وحروت وعطموت وسلكوب . وعربوا ما كانت على فعلّوت باسكان الثانى ثاء مثلثة فى الآخر فقالوا : ناعوث وراعوث وطيبوث . وقد حالموها . لاسوت ولاهوت ، وحيوت ، وياقوت .
		(للاب أنسناس الكرمل)
٣٠٤	٣	نِسْمِرِين (نكسر الون) .
٣٠٨	١٥	زُبَّارَه (نصم الزاى) .
٣١٠	٩	”عُمر عسْكَر“ . هذه رواية ابن فضل الله . وقد قلت فى الحاشية ان ياقوت سماه ”عمر كسْكَر“ باسم اللد . وللهذه الحقيقة فى عصره الحاضر ، استمهمت من المحقق المدقق الأب أنسناس الكرمل ، فكتب لى : م يكن عُمر من الاعمار باسم عُمر عسْكَر واما هو عُمر كسْكَر (بكالين مفتوحين يتوسطهم سين مهملة وفى الآخر را مهملة) . والعمر كلمة إرمية معناها الدير الواسع ، يكون للرداء . اهـ
٣١١	١	النَّحْب (فتح الون وإخاء المعجمه) ، معنى معاونة الشرب ابن اندامى .
		(١٠) أهملت رسم الحروف الإرمية التى كتبها لى الأب الفاضل ، لعدم وجود شئ منها بدور الطباعة فى مصر .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
١٦ ٣١٨		كتب الناصح :
		وردة وعاء : ذى رول بها به سقم السقيم ، وذأ يُجلى به البصر وأنا أظن أن المعنى مستقيم تماما ، إذا عرّبا الضائر ، ورويا السك على الوجه الآتى :
		وردة وعاء . ذأ رول به سقم السقيم ، وذى يُجلى بها البصر لأن العاء مريل للسقيم ، ولأن الترة جعلها الشاعر كالإتمد الذى يُجلى به البصر .
٥ ٣٢٢		أدبك (بكسر الاء) .
٢٠ ٣٢٢		الأسماء بعضها ببعض (لا بعضها) .
١٧ ٣٢٦		روى المؤلف عن آتى الفرخ الأصمهاى أنب العمان من المذركان بعد قضاء الصلاة فى دير البحر ، يصرف الى مستشره على العجب .
		فيهم من ذلك أنه كان يركب البوق السريعه أو الأفراس الكريمة الى ذلك المستشر . وهو كلام قد يكون وجها ، أولا ما فيه من الإيهام فيما يتعلق بتعيين المكان ، ولولا أنه لا معنى لأن يكون مستشر الملك من العدد عن قصده حيث يحتاج الى الحب للوصول اليه .
		ومن الأسف . أى لم أشر على كتاب الديارات لأنى الفرخ . لتتيف هذه الكلمة (العجب) . والحكاية غير واردة فى الأعان .
		وإى أنجيل ابها محرفة عن (النَّجَف) .
		وبذلك لقرب النجف من الحيرة عاصمة العمان ، ولأنه أرض عالية ، فيكون المستشر فوقها .
		وإى يابى الملك كآتى بيانه .

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
		ذلك أن الحيرة صغيرة القعة ، وكل دياراتها حول النجف وبعصا رابكة عليه ، وكل آثار بني المندر على طوره (ص ٣٢٧ س ١٠ ، ١١ و ص ٣١١ س ١٤ و ٣١٧ س ١١ من هذا الكتاب) .
		وفصلا عن ذلك ، فقد ذكر المؤلف أن ديارات الأساقف تشرف على النجف وعلى الطهر كله ، وأن الصمود إليها يكون من أسعمله في خمسين درجة الى سطح أفج فيه الخورنق والسدري (أنظر ص ٢٨٥ — ٢٨٦ من هذا الكتاب وانظر ديارات الأساقف في معجم ياقوت) .
٣٣٨	٣	أُعابيه (اللون في وسطه) . هذا هو الصواب ، وليس : أعتابه . كما في نسخة الأم . كيف لا ، والمصنف قد عرفنا عن كثرة الكروم حول ذلك الدبر ، أما حلوس الدمان بين الأعتاب ، فلا محل له من الاعراب ، فصلا عن أن هذا الجمع سقيم لا يستعمله إلا العامة . ومثل ابن فضل الله قد كان يقول ” العتبات ” .
٣٤٣	١٢	التياب ” السبائية ” مسووة لمدة سعداد . وهي أرد سود للنداء . وهي حرير فيها أمثال الارح . ويجمع على ” سبائي ” .
٣٤٦	١٣	شد (صعبة) المذكور المني للجهول اشارة الى القيد . وليس شدت . كما في نسخة الأم
٣٤٦	١٢	يئك مبره بعد رجة . سحاب بأخبار الرياض كفضل
		على أن السحاب لا يتكامل إلا ” بإحياء ” الرياض ، لا بأخبارها . والأخبار — إن صح التعريف — إنما تكون من شأن النسيم . لذلك يجب وضع ” إحياء ” بدلا من ” أخبار ” الواردة في نسخة الأم .
٣٥٨	٥	جنة الزبداني : وهي حديثه كبيره جدًا بالقرب من دمشق ولا تزال باقية ، ومنها صدر العواكه الكثيرة الى مصر وغيرها . وغلط النسخ في الأم إذ جعلها ” جنة ” بالاء المعطوطة بواحدة) . أما جنة عدال ، والباء ثاني الحروف ، كما في الأصل .

صفحة	سطر	تصويحات وتصحيحات
٩٣٦٢		متمتع (بغير نون بعد التاء) إشارة الى كثرة الصيد فيه .
٩٣٦٣		قال ابن فضل الله إيدير القصير الكائن بين مصر القديمة وحلوان على "سطح قبة من بلاد الفتح" . وقلت في الحاشية إلى لا أدري ما يريد بقوله "بلاد الفتح" . وأنا الآن أظن أنه قد يكون مراده "الفج" . فقد استعملها المؤرخون في ذكر الطريق بين القسطنطينية وبين عين شمس . قال الكندي في كتاب الولاية والقصة (طبع لوندرة ، ص ٢٨٣) : "واقبلوا إلى القسطنطينية ، فمسك محمد بن تكين من بركة المعاصر إلى الفج" . وهذه الكلمة هي التي عرفت بركة الحبش ، على ما ذكره المنبري في الخطوط ، في كلامه على البركة .
		وذلك الدير يعرف الآن باسم دير العريان .
٩٣٦٣		هو أبو صلاح الارمني (لا أبو صالح كما كتبه أما عطا) .
٩٣٦٥		عُمر (بضم العين ، معنى الدير الكبير) .
٩٣٧٥		"ومرت الاطلاب مزينة الترك" . هكذا وردت هذه العبارة في نسخة الأم . وقد عقيبت عليها في ديل الصعقة بـ "يحيد احتمال سقوط كلمة «بأبناء»" لتكون الجملة هكذا "مزينة بأبناء الترك وحياد الخليل" .
		بدل أي بعد إتمام الطرء ، أتخيل أن النسخ غير كلمة «البركة» (لأنه لم يعمها بكلمة «الترك» . والبركة كلمة تركية كانت فائتية الاستعمال بمصر ، على عهد المماليك . ومعناها السلاح . وكثيرا ما يستعملها المؤرخون لذلك العهد . ويكون المعنى أن "الاطلاب مرت مزينة أسلحتها وحيالها الجيدة" . و الُطلب (بضم الطاء) جماعة من الحدود يكونون في خدمة الأمير .
٩٣٨٠		الكُماج (بضم الكاف لا كسرهما) . نوع من الخبز كان معروفا بمصر ، ولا يزال مستعملا بصعيدا وفي بلاد فلسطين ، ولا سيما بلد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

